المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى – مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدارسات العليا التاريخية والحضارية

وظيفة الكاتب في الدولة الإسلامية

1 – 232هـ / 622 – 846م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في
التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالبة
نجاح بنت عواض بن عطيان الدعيجي

إشراف الدكتور
حسن بن علي بن عون الحارثي

1426هـ / 2005م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة ماجستير

عنوان الرسالة: وظيفة الكاتب في الدولة الإسلامية 1-232هـ/622-846م.

الحمد الله رب العالمين الهادي إلى الصراط المستقيم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد:

فقد تناولت هذه الرسالة "وظيفة الكاتب في الدولة الإسلامية" وتدرّج أصحاب هذه الوظيفة في المناصب العليا للدولة ، لا سيما أولئك الذين تم اختيارهم خلال العصر العباسي الأول وأطلق عليهم مسمى وزير ، حيث يتضح أن الوزير كان يقوم بعمل الكاتب ضمن أعماله الإدارية الأخرى التي كان يتولاها بحسب الصلاحيات والسلطات التي تمنح له من قبل الخلفاء . فقد كان الخلفاء في هذه الفترة غالباً ما يختارون وزراءهم من بين فئة الكُتَّاب ، أي أن الكتابة بين يدي الخليفة كانت وظيفتهم الرئيسة . حيث اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول . تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره وبيان منهج البحث فيه وعرض لأهم المصادر والمراجع ، في حين تناول التمهيد تعريف الكاتب والكتابة في اللغة والاصطلاح وبيان منزلة الكتابة وشرف مكانتها مع إعطاء نبذة عن وظيفة الكاتب قبل الإسلام . أما الفصل الأول: فخُصِّص لدراسة شروط الكُتَّاب و أنواعهم و أدواتهم . و تناول هذا الفصل ثلاثة مباحث و ضَّحت الدراسة فيها الشروط الواجب توفرها في الكُتَّاب و المؤهلات العامة و الخاصة و ذكر أنواع الكُتَّاب و اختصاصاتهم في الكتابة و ذكر أدوات الكُتَّاب و الكتابة و موادها. أما الفصل الثاني: فخُصِّص لبيان العلاقات الإدارية للكُتَّاب واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث سلطت الدراسة الضوء فيها على علاقة الكُتَّاب مع الخليفة وعلاقة الكُتَّاب بالوزير و علاقة الكُتَّاب بالدواوين و ما اشتملت عليه تلك الدواوين من مجالس كتابية و مهمة كل مجلس منها. أما الفصل الثالث: فخُصِّص لعرض شؤون الكُتَّاب الاجتماعية ودورهم الحضاري ، واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث و ضحت الدراسة فيها الرواتب التي يتقاضاها الكُتَّاب و ثرواتهم و زيهم و مجالسهم و أخلاقهم و آدابهم ومدى تمسكهم بأحسن الأخلاق وأفضل المحاسن والخصال ، وذكر الدور الحضاري للكُتَّاب . وأخيراً احتوت الدراسة على خاتمة توضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث و على ملاحق و قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وأن ينفعني به في الدارين. هذا وبالله التوفيق ،،،،

الطالبة	المشرف	عميد كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية
نجاح بنت عواض الدعيجي	د. حسن بن علي	د. سعود بن إبراهيم الشريم

<u>*A summary to a master study*</u>

The title of the study (The writers job in the Islamic country 1-232 H/622-846M.) Praise be to God! Praised be the lord! Thank God! The lord of all creation. And our prophet Mohammad " Gods blessing and peace be upon him after that.

This study discuss The Writer's job in the Islamic country and how the owners of these jobs advanced step by step to the high positions in the country. Especially those who have been chosen through the Al-Abase. First age and they have been called Minister.

It has been shown that the minister was doing the writer's work including his other administrative works which he was inaugurated and that was according to the competence and the power that have been granted by the caliphs.

In that period the caliphs often select and choose their viziers from the writers group. And that means that the writing at caliph was their main job.

This research include an introduction, a preface and three chapters. The introduction contains the importance of the subject and the purpose of its choosing. And showing the method of the research and the references of it. The preface includes a definition to the writer and the writing in the language and honour of its position. Then there is a brief about the job of the writer before the Islamic country.

The first chapter is specified to study the condition of the writers their types and their instruments. This chapter deals with three themes the study clarified the condition which must be found in the writers and the general and specific qualification, and mention the kinds of the writers and their specialization in the writing.

The second chapter is specified to study the writers, administrative relations. And it contains three themes which shed light upon the writers relationship with the caliph, and the vizier.

The third chapter is specified to show the life of the writers and their thinking contributions. This chapter contains three themes. The study showed the writers wages and salaries, Their wealth, their clothes ,their meetings, their morality and their decencies. And mention some famous writers and their contributions in the Islamic thinking civilization.

Finally, the study contains a conclusion that illustrates the most important result which the research has attained. And it contains also an appendix and a list with the references and resources, which the research depended on.

And Finally, it ask my God to make this work for his sake not for any thing else. And to avail me with it in the life and day of resurrection.

The researcher
Najah Bent Awad Al-Daegy

The supervisor
Dr. Hassan Ben Ali Al-Harthy

Dean of Alshareah & Islamic studies College
Dr. Saud Ben Ibrahem Al-Sherem

شكر وتقدير

يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان بعد شكر الله سبحانه وتعالى ، إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة ، وإلى كل من أسهم وأعان في إخراج هذا البحث.

وأخص بالذكر الوالدين الفاضلين حفظهما الله فقد كانا خير سند و معين لمواصلة دراستي و لما بذلاه من رعاية واهتمام .أمد الله في عمرهما و متعهما بالصحة و العافية.

و الشكر موصول لجامعة أم القرى و كلية الشريعة والدراسات الإسلامية و قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية لإتاحتهم لي فرصة البحث و التحصيل ، و أخص بخالص الشكر و التقدير سعادة الدكتور/ حسن بن علي الحارثي لما بذله من جهود في سبيل إنجاح هذا العمل ، وما قدمه لي من نصح وتوجيه فجزاه الله عنّي خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى موظفي مكتبة جامعة أم القرى ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك فهد الوطنية ، ومركز بحوث آسيا والعلاقات الأفروآسيوية الأوروبية على التعاون الذي لمسته منهم طوال فترة البحث مما ساعدني على إنجازه. كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر أوفاه وأجزله إلى عضوي لجنة المناقشة سعادة الأستاذ الدكتور/ عادل محمد نورغباشي وسعادة الأستاذ الدكتور/ سليمان صالح آل كمال لما بذلاه من جهد في قراءة هذه الرسالة وتقويمها .

فجزى الله الجميع عني خير الجزاء والله أسأل العون والتوفيق وأن يجعل ما عملته خالصاً لوجهه تعالى أنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباحثة

المقدمة

وتشتمل : على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وبيان منهج البحث فيه ، مع عرض لأهم مصادر ومراجع البحث .

المقدمـــة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد رأيت اهتمام المؤلفين و الباحثين – على تباين عصورهم – منصباً على دراسة تاريخ الكتابة ونشأتها وتطور مراحلها من منظور أدبي بلاغي ، غير أنه على الرغم من كثرة ما أُلّف عن الكتابة وما تناولته بعض المؤلفات التي اختصـــت بالتأليف عن الكُتَّاب والتي تضـــمنت ســـرد أســـمائهم ومقتطفات عن حياتهم وبعض مهامهم ، غير أنها تبقى معلومات تاريخية و أدبية متناثرة في بطون الكتب ينقصـها التعمق و التفصـيل ، و مهما يكن فليس لدينا دراســـــة حديثة توضـح مدى كون الكتابة وظيفة رســـمية لها شـــروطها و مؤهلاتها وتدرج أصحاب هذه الوظيفة إلى أعلى المناصب للدولة . الأمر الذي شجعني على اختيار موضوع ((**وظيفة الكاتب في الدولة الإسلامية من سنة 1- إلى سنة 232هـ / 622 – 846م**)) ، فعقدت العزم بعد توفيق الله على دراسـته وإلقاء الضـوء على هذه الوظيفة من منظور إداري له علاقة بالمؤسـسـات الإدارية الأخرى في الدولة الإسـلامية ، واخترته ليكون موضوع دراستي وبحثي لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية.

فقد ظهرت وظيفة الكاتب في الدولة الإسـلامية منذ وقت مبكر جداً ، فالرسـول ρ كان له كُتَّاب في المدينة المنورة يكتبون له سور القرآن الكريم ، ويحررون الكتب التي يبعث بها إلى ملوك عصره ، ويســــجلون أموال الغنائم وغير ذلك من أموره ρ التي تحتاج إلى كتابة وتقييد ، وكان كافة كُتَّابه من الصـحابة أمثال عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت وغيرهم رضـي الله عنهم أجمعين.

وفي عصــر الخلفاء الراشـدين ψ ، ظهرت الحاجة إلى الكُتَّاب بشـكل أكبر نظراً لاتســاع رقعة الدولة الإسلامية ، وكثرة مواردها ، ولا سيما في عهد عمر بن الخطاب τ الذي جعل في كل مدينة رئيسة من المدن الإسلامية كاتباً خاصاً بعد تدوينه للدواوين.

ومنذ ذلك الوقت أصبح للخلفاء كُتَّاب من ذوي العلم والمعرفة ، تعددت مهامهم ، حيث أنه بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين ψ وجد ثلاثة أنواع من الكُتَّاب هم كاتب الرسائل ، وكاتب ديوان الجند ، وكاتب بيت المال والجبايات .

أما في العصر الأموي فقد احتاج الخلفاء إلى من يتولى التدبير وإبداء الرأي والمشورة في الشؤون العامة والخاصة ، فكانت هذه المهمة يقوم بها الكُتَّاب الذين أطلق عليهم أيضاً لقب المستشارين ، فتمايزت مراتب الكُتَّاب بشكل أكبر في العصر الأموي ، كما تعددت اختصاصاتهم بحسب المهام التي أسندت إليهم ، فمنهم كاتب الخليفة ، وكاتب الرسائل ، وكاتب الخراج ، وكاتب الجند ، وكاتب الشرطة ، وكاتب القاضي ، وكان أهم هؤلاء على الإطلاق وأعلاهم قدراً كاتب الخليفة ، الذي كان يختار من بين أكثر الكُتَّاب ثقافة وأدباً ، فبرز منهم جملة لا يزال التاريخ يحتفظ بأسمائهم لتقدمهم في البلاغة والفصاحة والترسل مثل روح بن زنباع الجذامي كاتب الخليفة عبدالملك بن مروان ، وعبدالحميد بن يحيى الكاتب كاتب آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد . وغيرهما.

وقد كان لتعريب الدواوين في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان(65-86هـ /685-705م)، أثر في ظهور طبقة الكُتَّاب ، واتخاذ الكتابة مهنة رسمية لها شروطها ومؤهلاتها ، وأصبح من الضروري وجود كاتب في كل إقليم وولاية دون استثناء لضبط أمورها الإدارية والمالية على وجه الخصوص .

وفي عصر الدولة العباسية أصبحت وظيفة الكاتب أكثر رسوخاً وأرفع قدراً ، حيث اتضح أن وظيفة كاتب الخليفة هي نفسها وظيفة الوزير ، ذلك المنصب الخطير الذي تقررت قواعده ونظمت قوانينه مع قيام الدولة العباسية(132هـ /750م) ، فكانت وظيفة الوزير تطوراً طبيعياً لوظيفة الكاتب ، وليس أدل على ذلك من قيام أغلب الخلفاء العباسيين باختيار وزرائهم من بين الكُتَّاب الذين لهم حظٌ وافرٌ من العلم وسعة الإطلاع وكثيراً ما كانوا يُوَلّوْن الوزارة من كان يكتب بين أيديهم قبل أن يصبحوا خلفاء وعندما ظهر منصب الوزارة بشكله الرسمي في العصر العباسي الأول كان على الوزير – الذي مهمته الأولى الكتابة بين يدي الخليفة – أن يتخذ له أعواناً من أرباب الأقلام يعينوه على إدارة شؤون عمله بعد تعدد اختصاصاته وسعة سلطاته .

وقد كان طبقة الكُتَّاب في العصر العباسي الأول تؤلف وحدة يرأسها الوزير ، وتتدرج في الترقي حتى تصل إلى منصب الوزارة ، معتمدين في ذلك على آداب معينة ، وقد برز في مجال الكتابة شخصيات لها دور في الثقافة العامة والفكر الحضاري الإسلامي ، تدرجوا في المناصب إلى أن نالوا الوزراة مثل يحيى بن خالد البرمكي[1] وابنيه جعفر والفضل[2] ، والفضل والحسن ابني سهل[3] ، وأحمد بن يوسف الكاتب[4] ، ومحمد بن عبدالملك الزيات[5] وغيرهم .

وكان لمتولي وظيفة الكاتب شروطاً يجب أن تتوفر فيه أهمها العلم وسعة الإطلاع والبلاغة والفصاحة ومعرفة شمولية بآداب اللغة ومعانيها ويدلنا على ذلك ما أُلّف من كتب خاصة بآداب الكُتَّاب مثل أدب الكاتب لابن قتيبة ، وأدب الكُتَّاب للصولي ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي وغير ذلك .

هذا وقد واجهتني بعض المصاعب في إعداد هذا البحث منها :

1- جمع المادة العلمية المتعلقة بالبحث حيث كانت مبعثرة في روايات المصادر مع اختلاف الأقوال وتعدد الروايات فبعضها متناقض وبعضها غير دقيق في نقل المادة ، مما أوجب إعادة النظر والتدقيق في الروايات المختلفة والتوفيق بينها ما أمكن.

2- طول الفترة الزمنية للبحث والتي تقدّر الفترة بمائتين واثنين وثلاثين عاماً ، وهذا يحتاج إلى مطالعة كم كبير من المصادر ذلك أن موضوعات النظم الإسلامية تحتاج عند دراستها إلى فترة زمنية كافية للتعرف على نشأة النظام وتطوره ، إذ لا يمكن الخروج بمادة علمية جديرة بالبحث ما لم يتعمق الباحث في قراءة المصادر خلال فترة زمنية طويلة .

كما اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد و ثلاثة فصول و خاتمة و ملاحق و قائمة للمصادر و المراجع التي اعتمد عليها البحث. تتضمّن المقدمة أهمّية الموضوع وسبب اختياره وبيان

---

(1) توفي سنة 190هـ / 805 م .

(2) توفي جعفر بن يحيى سنة 187هـ /803 م . أما الفضل بن يحيى توفي سنة 193هـ / 808 م .

(3) توفي الفضل بن سهل سنة 202 هـ /817 م أما الحسن بن سهل توفي سنة 236هـ / 851 م .

(4) توفي سنة 213 هـ / 828 م . كما سيمر معنا فيما بعد .

(5) توفي سنة 233هـ / 847م . كما سيمر معنا فيما بعد .

منهج البحث فيه ، مع عرض لأهم المصـــــادر والمراجع . في حين تناول التمهيد تعريف الكاتب والكتابة في اللغة والاصـــطلاح وبيان منزلة الكتابة وشـــرف مكانتها ، مع إعطاء نبذة عن وظيفة الكاتب قبل الإسلام.

و أما الفصل الأول فخُصِّص للحديث عن شروط الكُتَّاب وأنواعهم وأدواتهم .

واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث يحتوي المبحث الأول على شروط الكُتَّاب التي لا بد أن تتوفر فيمن يرشـح للكتابة ومؤهلاتهم العامة والخاصـــة ،أما المبحث الثاني فكان للحديث عن أنواع الكُتَّاب وذكر اختصـاصـاتهم في الكتابة خلال تاريخ الدولة الإسـلامية ، كما تحدّث المبحث الثالث عن أدوات الكُتَّاب والكتابة وموادها منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول.

أما الفصل الثاني فخُصِّص لبيان العلاقات الإدارية للكُتّاب ، و تناول هذا الفصل ثلاث مباحث يحتوي المبحث الأول على علاقة الكُتَّاب بالخليفة فقد كان الخلفاء في الغالب يختارون وزرائهم من بين فئة الكُتَّاب ، الأمر الذي جعل روايات بعض المصادر تصف مجموعة من الوزراء بأنهم كُتَّاب للخلفاء ، لأن الكتابة وظيفتهم الرئيسة .

كما تحدث المبحث الثاني عن علاقة الكُتَّاب بالوزير حيث شملت سلطات الوزير الإشراف على معظم الدواوين ومتابعة أعمالها ، فعندما عجز عن القيام وحده بجميع ما عهد إليه من ســـلطات احتاج إلى فئة من الكُتَّاب ليقوموا بمساعدته .

أما المبحث الثالث فقد أفرد للحديث عن علاقة الكُتَّاب بالدواوين وما تشـــتمل عليه الدواوين من مجالس كتابية ومهمة كل مجلسٍ منها .

أما الفصـــل الثالث فقد أُفرد للحديث عن شـــؤون الكُتَّاب الاجتماعية ودورهم الحضـــاري حيث اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

اختص المبحث الأول للحديث عن رواتب الكُتَّاب وثرواتهم وزيّهم ومجالســـهم حيث كان الكُتَّاب يتقاضـون رواتب موحدةٍ منذ عهد الخليفة المنصـور ثم ارتفعت هذه الرواتب في خلافة المأمون ، وقد تمتّع بعضهم بصلاتٍ وهدايا من الخلفاء والأمراء مما أدّى إلى تشكيل ثروة واسعة لدى البعض منهم ، وقد جرى الحديث في هذا المبحث أيضاً عن زيّهم ومجالسهم .

أما المبحث الثاني فقد أُفرد للحديث عن أخلاق الكُتَّاب وآدابهم ومدى تمسّكهم بأحسن الأخلاق وأفضل المحاسن والخصال .

أما المبحث الثالث فقد أفرد للحديث عن الدور الحضاري للكُتَّاب .

أما الخاتمة فقد ذكر فيها النتائج التي توصل إليها البحث . كما تضمن البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي أسهمت في بناءه.

وقد جاءت المعلومات متباينة في ثنايا هذه المصـــــادر والمراجع فكان من المفيد تقديم عرض موجز لأهمّها وذلك فيما يلي :

أولاً – المصــــــــادر :

1- تاريخ خليفة بن خياط:

لابن خيّاط : خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الشيباني العصفري المعروف بشباب (ت 240هـ/854م) فهو محدّث نسـابه إخباري من أشـهر مؤلّفاته الطبقات ، والتاريخ ، ويعتبر كتابه التاريخي من أقدم الكتب العربية في التاريخ الإسـلامي ، اتبع فيه أسـلوب الحوليات ومنهجه منهج المحدثين ، يتضمن كتابه معلومات قيّمة عن المناصب الإدارية وأسماء من تولاها أو قام بالعمل بها . وكتابه يتألّف من جزئين يبدؤه بمولد النبي ρ وينتهي بأحداث سنة 232هـ/847م . وقد أفاد البحث منه من خلال القوائم التي قدمها بأسماء الكُتَاب ضمن عمال الخلفاء في آخر فتراتهم و خاصة الفصل الأول عند استعراض أنواع الكُتَّاب.

2- مؤلفات الجاحظ:

لأبي عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ/868م) وهي : البيان والتبيين ، والحيوان ، والمحاسن والأضداد ، ومجموعة رسائل ، وهي من أمهات كتب الأدب ومصادره المهمة ، وفي المقابل له رسالة ذم فيها أخلاق الكُتَّاب ضمن الرسائل المجموعة أسماها ((ذم أخلاق الكُتَّاب)) ، وقد أفادت كتبه معظم فصـــول البحث وقدّمت معلومات جيدة ، خاصة عن النواحي الاجتماعية للكُتَّاب من خلال الأخبار المتناثرة التي وردت في ثنايا هذه الكتب ، كما أن كتب الجاحظ أعطت معلومات عن النواحي الأدبية والكتابية التي كان يتحلّى بها الكُتَّاب .

3- أدب الكاتب :

لابن قتيبة:عبدالله بن مسـلم الدينوري (ت276هـ/889م) وقد صـنف هذا الكتاب للوزير أبي الحسـن عبدالله بن يحيى بن خاقان أحد وزراء الخليفة المتوكل العباسـي، ويحتوي هذا الكتاب على أربعة أقسام هي :

كتاب المعرفة ، كتاب تقويم اليد ، كتاب تقويم اللسـان ، كتاب الأبنية من أفعال وأسماء ، وهو يذكر في مقدمته جهل الكُتَّاب ، وغفلتهم ويدعوهم إلى الإطلاع على علم مسـاحة الأراضـي وموضـوع المياه ، وعلى النظر في الفقه وأصـوله المتعلقة بالبيوع ، ثم يأتي على الأخلاق التي ينبغي أن يتحلّى بها الكُتَّاب من المروءة والصـدق والمزاح المسـتلطف والتحاسـد والتماس الكلام الوحشـي الغريب ، وقد أفاد البحث منه في المعلومات التي قدّمها عن العلوم والمعارف والأخلاق التي يجب أن يتمسّـك بها جميع الكُتَّاب، وخاصـة ما يتعلق بالفصل الأول أثناء الحديث عن شروط الكُتَّاب.

4- فتوح البلدان :

للبلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م) ويعتبر كتابه من المصـادر المهمة في التاريخ الإسـلامي ، فقد بدأه من هجرة النبي ρ من مكة إلى المدينة ، ثم تاريخ الفتوحات الإسـلامية خلال عصـر النبوة ، والخلافة الراشـدة ، وبني أمية ، وبني العبّاس حتى منتصـف القرن الثالث الهجري ، وما قام به الفاتحون من أعمال في تلك الأقاليم ، وفي آخر كتابه تعرض لمسـائل كتابية تتعلق بأمر الخط و أمر القراطيس وتعريب الدواوين ، وقد اسـتفاد البحث من هذه المعلومات في الموضـوع الخاص بالفصـل الأول عند استعراض أدوات الكتابة وموادها.

5- تاريخ اليعقوبي :

لليعقوبي : أحمد بن إسـحاق بن جعفر (ت بعد 292هـ/ بعد 905م) عرض فيه تاريخ كل خليفة على حدة ، وهو كتاب تاريخي شـامل تحدّث فيه عن شـخصـية الخليفة بذكر عماله ،وأصـحاب النفوذ في دولته ، كما أورد أسـماء بعض الدواوين . وقد أفاد البحث من هذا الكتاب من خلال المعلومات التي قدمّها عن أشهر المكاتبات في مطلع عصر الرسالة

المحمدية وعن أخبار وزراء بني العبّاس، وذلك فيما يتصل بالفصل الثاني عند الحديث عن علاقة الكُتَّاب بالوزير.

6- تاريخ الأمم والملوك :

للطبري : محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) وهو من أشـــهر كتب التاريخ المتقدمة ، وقد رتّبه الطبري على منهج النظام الحولي حيث بدأ به بتاريخ الرسل والأنبياء ذاكراً أحوالهم ، وأنسـابهم ، ووصـل به إلى مولد وهجرة الرسـول محمد ρ وتأسـيس الدولة الإسـلامية في المدينة المنورة إلى نهاية القرن الثالث الهجري – حيث يسـرد أحداث كل حولية ثم يختتمها بذكر من أقام الحج للناس وأســماء الولاة على الأقاليم وعند ذكر الطبري لوفاة أحد الخلفاء يورد جملاً من أحواله وأقواله ، وكأن هذا العمل ترجمة لحياته ويطيل في بعضـــها ، وكان يضـم الكتاب معلومات قيّمة من الناحية السـياسـية ، ونقل المعلومات الإدارية والاجتماعية فيه ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في موضوعات شتى يأتي على رأسها موضوع كُتَّاب النبي ρ ، ومن كان يكتب للخلفاء ، والولاة وقد قدّم معلومات جيدة في هذا الموضوع ، كما أورد بعض المعلومات الهامة عن الدواوين ، وأفاد البحث أيضـاً بمعلومات قيّمة عن أخبار الوزراء ، و خاصـة فيما يتصـل بالفصـل الأول عند اسـتعراض أنواع الكُتَّاب، وما يتصـل بالفصـــل الثاني و ذلك أثناء الحديث عن علاقات الكُتَّاب الإدارية مع الخليفة و الوزير و الدواوين.

7- الوزراء والكُتَّاب :

للجهشـياري : محمد بن عبدوس بن عبدالله الكوفي (ت 331هـ/942م) تحدّث فيه مؤلِّفه عن أخبار الكُتَّاب منذ عهد الرسـول ρ وحتى نهاية العصـر الأموي ، ثم تحدّث عن أخبار الوزراء منذ بداية العصر العباسي وحتى عهد المأمون ، ثم أشار إلى من حلّ محل الوزير وقام بعمله من الكُتَّاب دون أن يســمّى وزيراً ، كما تحدث أيضـــاً عن بعض التنظيمات الإدارية والمالية ولا سيما الدواوين ، وقد أفاد البحث في جميع فصوله فهو مصدر أساسي للفترة التي تناولها البحث .

8- أدب الكُتَّاب :

للصـولي أبي بكر: محمد بن يحيى (ت 335هـ/946م) وهو من الكتب الأسـاسـية التي اعتمد عليها البحث ، فقد كان الصـولي أديباً كاتباً ، وواحداً من العلماء الذين اهتموا بالأدب ، ومعرفة الأخبار والسير ، وقد قسّم كتابه إلى ثلاثة أجزاء : احتوى الجزء الأول على أفكار حول الكتابة والخط والقلم ، وتضمّن الجزء الثاني معلومات تتعلق بأدوات الكتابة ، في حين يشتمل الجزء الثالث على وجوه الأموال التي تحمل إلى بيت المال و أصنافها و لمن تجب، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في أغلب فصـوله ومباحثه وذلك من خلال المعلومات التي قدّمها عن فضـل الكتابة ، وما جاء في وصـف أدوات الكتابة سـواء كان نثراً أو شـعراً مع ذكر مواد الكتابة وفضل الخط .

9- الخراج وصنعة الكتابة :

لقدامه بن جعفر الكاتب البغدادي (ت نحو 337هـ/نحو 948م) وهو يعد من أهم الكتب التي تحدّثت عن النواحي الإدارية في الدولـة الإســـلامية ، وقد أفاد البحث من المنزلة الخامسة من هذا الكتاب ، التي تناول فيها قدامه الحديث عن أهم الدواوين التي كانت قائمة في العصر العبّاسي ، وفصّل في بيان المجالس التي تشتمل عليها ومهمة كل مجلس منها ، وذلك فيما يتصل بالفصل الثاني عند استعراض علاقة الكُتَّاب بالدواوين.

10- مؤلفي المسعودي :

لعلي بن الحسين (ت 345هـ/956م) وهي: التنبيه و الإشراف، مــــروج الذهب ومعادن الجوهر ، و تعتبر مصـادر أسـاسـية لدارسـي التاريخ و الجغرافيا ، وقد أفادت كتابيه البحث و قدمت معلومات جيدة تطرقت إلى كُتَّاب خلفاء بني أميه و إلى ذكر وزراء بني العباس ، و خاصة فيما يتعلق بالفصل الثاني عند استعراض علاقة الكتاب بالخليفة والوزير.

11- الكُتَّــاب :

لابن درسـتويه : عبدالله بن جعفر بن محمد (ت 346هـ/957م) وكان الغرض من تأليفه معرفة علوم الكُتَّاب وآدابهم ومراسـلاتهم التي لا يستغني متأدب عن معرفتها، ويعتبر بمنزلة مرجع مهني ، وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدمها عن ذكر أدوات الكتابة

وتعريفها ، و خاصـــة فيما يتعلق بالفصـــل الأول و ذلك أثناء الحديث عن أدوات الكتابة و موادها.

12- مفاتيح العلوم :

للخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوســـف (ت 387هـ/997م) وهو كتاب خاص يشـــرح المصـــطلحات والألفاظ اللغويـة المتداولـة عند أهل الملل والنحل ، والعلوم ، الإدارة ، والصناعات . وقد أفاد البحث منه خلال الفصل الذي خصصه المؤلف للحديث عن أسماء الدفاتر والأعمال المسـتعملة في الدواوين ، والفصــل الخاص بديوان الخراج وفصــل ديوان الرســائل والإنشــاء، و خاصــة فيما يتصــل بالفصــل الثاني عند اســتعراض علاقة الكُتَّاب بالدواوين.

13- الأحكام السلطانية والولايات الدينية :

للماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1058م) وهو كتاب يجمع بين المسائل الشـرعية والسـياسـية والإدارية ، وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدّمها عن الشروط الواجب توفرها في كاتب الديوان، وذلك فيما يتصل بالفصل الأول عند استعراض شروط الكُتَّاب.

14- تاريخ بغداد – أو مدينة السلام :

للخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م) وهو كتاب تراجم للأعلام الذين ســـكنوا بغداد وإقليم العراق عموماً ، أو من دخلها وحدَّث بها . وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدّمها عن الوزراء وسـيرهم وخاصـــة ما يتعلق بالفصـــل الثاني أثناء الحديث عن علاقاتهم بالخليفة و الوزير.

15- الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب :

لابن السيد البطليوسي: عبدالله بن محمد (ت 521هـ/1127م) ويعتبر هذا الكتاب شرح لكتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب) على اختلاف في التسمية ، ويحدد لنا ابن السيد في مقدمته ، غرضــه من شـرحه هذا قائلاً: ((غرضـي في كتابي هذا ، تفسير خطبة الكتاب المرسوم

(بأدب الكُتَّاب) وذكر أصناف الكتبة ، ومراتبهم ، وجل ما يحتاجون إليه في صناعتهم . .)) وقد قسّم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول منه في شرح خطبة كتاب ابن قتيبة ، وما يتعلق بذلك من ذكر أصناف الكُتَّاب وآلاتهم ، والجزء الثاني يتحدث عن الأخطاء التي وقع فيها ابن قتيبة ، وما منع من أشياء جائزة وأخص الجزء الثالث لشرح الأبيات التي وردت في ثنايا الكتاب . وقد أفاد البحث منه فيما يتعلق بأصناف الكُتَّاب وآلاتهم التي لا غنى لهم عن معرفتها، وخاصة ما يتعلق بالفصل الأول أثناء الحديث عن أنواع الكُتَّاب و مراتبهم .

16- قوانين الدواوين :

لابن مماتي: أسعد بن مهذب بن مينا بن زكريا (ت 606هـ/1209م) وهو من الكتب التي تحدثت عن التنظيمات الإدارية والمالية ، وقد جرت الإفادة منه في أمورٍ مختلفةٍ تتعلق بفضل الكتابة والكُتَّاب وبعض المعلومات عن شروط اختيار الكُتَّاب وآدابهم ، وخاصة ما يتصل بالفصل الأول أثناء استعراض شروط الكُتَّاب وكذلك ما يتصل بالفصل الثالث أثناء الحديث عن أخلاق الكُتَّاب و آدابهم.

17- معالم الكتابة ومغانم الإصابة :

لابن شيث :عبدالرحيم بن علي (ت 625هـ/1227م) وغايته من تأليف هذا الكتاب توجيه الكاتب إلى رسوم الكتابة الصحيحة التي وصلت في عصره – أواخر الدولة الأيوبية – درجةً من التدهور ، بحيث صار من اللازم العمل على إنهاضها وإرشاد من يتناولها : أي أنه قصد من كتابه أن يكون مرشداً لكُتَّاب الإنشاء في صناعتهم . وقد أفاد البحث منه في عدة موضوعات ، منها إعطاء لمحة عن ديوان الإنشاء الإسلامي ومراحل تطوره ، ثم المؤلفات التي وضعت بهدف بيان ماهية ديوان الإنشاء ، وتنظيم مصطلح الكتابة فيه ، وترشيد العاملين فيه من الكُتَّاب، وخاصة ما يتعلق بالفصل الأول أثناء الحديث عن شروط الكُتَّاب.

18- الكامل في التاريخ :

لابن الأثير: محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت 630هـ/1259م) ويعتبر كتابه التاريخي من أهم المصادر في التاريخ العام وأحوال العالم الإسلامي ، اتبع في كتابه أسلوب الحوليات ، وبنى تأليفه على المصادر الموثوق بها مثل الطبري وغيره ، ابتدأ كتابه بأول الزمان ، وانتهى في ذكر أحداث سنة 628هـ/1230م . وقد جرت الإفادة منه في أمور مختلفة ، وخاصة فيما يتعلق بالفصل الأول أثناء الحديث عن أنواع الكُتَاب وذكر كُتَّاب الرسول ρ ، وكذلك ما يتعلق بالفصل الثالث أثناء استعراض ثروات الكُتَّاب وخاصة ثراء آل برمك وكثرة أموالهم .

19- المفتاح المنشا في حديقة الإنشا :

لابن الأثير أيضاً ، وقد استفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدّمها عن أهم المؤلفات التي أُلّفت عن أهمية الكتابة ، وفضل شرفها وخطر مكانتها في الدولة. وقد قدم معلومات جيدة خدمت البحث في هذا المجال، و خاصة فيما يتعلق بالتمهيد أثناء الحديث عن فضل الكتابة و بيان شرفها.

20- إعتاب الكُتَّاب :

لابن الأبار : محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1259م) قسّم مؤلّفه إلى ثلاث أقسام : يحتوي القسم الأول على المقدمة والقسم الثاني على تراجم الكُتَّاب وعددها خمس وسبعون ترجمة ، والقسم الثالث على خاتمة المؤلف . والغرض من تأليفه للكتاب أنه أراد أن يضرب للسلطان أبي زكريا يحيى – سلطان تونس – الأمثال على حِلم الملوك وعفوهم عن أخطاء كُتَّابهم ، فبحث عن هذه الأمثال في تراجم الكُتَّاب ، في الشرق والغرب الإسلامي ويتقصّاها ويجمعها ويبرز في كل مثل إقالة الذنب ، ومن هنا فقد احتوى الكتاب على تراجم مقتضبة لهؤلاء الكُتَّاب وأخطائهم وعفو أسيادهم عنها ، ولمّا كانت ((إقالة العثرة)) هي المحور الأساسي في تأليف الكتاب فقد أهمل المؤلف في ترجمة كل كاتب ما ليس له صلة بذلك المحور في حياته ، فبدأ بكُتَّاب عثمان بن عفان τ الخليفة الراشد الثالث ، فكُتَّاب الأمويين فالعباسيين ، خليفةٍ بعد خليفةٍ هذا بالنسبة لتراجم المشرق الإسلامي ، أما تراجم المغرب فقد تأتي ترجمة كاتب عبدالرحمن الناصر قبل كُتَّاب

الحاجب المنصور ، وبعد هؤلاء تأتي تراجم كُتَّاب ملوك الطوائف . وكان يسهب في بعض التراجم ويوجز في البعض الآخر فهو يبدأ الترجمة بتحديد اسم السيد الذي أغضبته زلّة صاحب الترجمة ، وعند ذلك يتمهل ابن الأبار ليقص علينا كيف تمكن الكاتب من استرضاء سيده ، ويرينا الوسيلة التي عن طريقها استطاع أن يعيد مكانته لديه ، من رسالة يكتبها إليه ، أو قصيدة يمدحه بها ، أو يعتذر فيها من ذنبه ، ويعلن توبته وندمه . ويعتبر هذا الكتاب من المصادر التي أفاد منها البحث وخاصة فيما يتعلق بأحداث جرت لكُتَّاب في العصر الأموي ووزراء في العصر العباسي ، وقد أسماهم جميعاً بالكُتَّاب وذلك فيما يتصل بالفصل الثاني عند استعراض علاقة الكُتَّاب بالخليفة و الوزير و الدواوين.

21- وفيات الأعيان وأنباء الزمان :

لابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ/1282م) وهو كتاب تراجم ، يقع في ثمانية مجلدات ، وهو كتابٌ قَيّمٌ في دراسة الشخصيات ، وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدّمها عن الوزراء وسيرهم وعلاقاتهم الإدارية، وخاصة ما يتعلق بالفصل الثاني أثناء الحديث عن علاقة الكُتَّاب بالخليفة و الوزير و الدواوين.

22- الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية :

لابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت 709هـ/1309م) وقد تحدّث الكتاب عن الأمور السلطانية والسياسات الملكية ، ثم تناول الحديث عن الدولة الإسلامية ، وتاريخ الخلفاء وفق التسلسل الزمني ، حيث يورد تاريخ كلِّ خليفةٍ على حدة مع تركيزه على سيرة الوزراء خاصة ، وكان يعرِّف بقدراتهم وكفاءاتهم ، وقد أفاد البحث من هذه المعلومات في الموضوع الخاص بالفصل الثاني عند استعراض علاقات الكُتَّاب الإدارية حيث قدّم معلومات خدمت البحث في هذا المجال .

23- صبح الأعشى في صناعة الإنشا :

للقلقشندي : أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م) ويعتبر كتابه موسوعة من الموسوعات الأدبية الضخمة ، وقد وزّع محتويات كتابه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة استغرقت أربعة عشر جزءاً ، وقد أعطى تفصيلات مهمة خدمت البحث في جوانب عديدة ، وخاصة

فيما يتعلق بشــرف الكتابة وفضــل القلم ، وتاريخ ديوان الإنشــاء وتطوره وصــفات الكُتَّاب وآدابهم ، وما يحتاج إليه الكُتَّاب من المعارف اللغوية والأدبية والتاريخية ، وأدوات الكتابة وفضـــلها . حيث قدّم معلومات جيدة خدمت البحث في معظم فصـــوله ، فأورد جميع ما يحتاجه الكُتَّاب في الديوان .

24- حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق :

للزبيدي: محمد بن محمد مرتضــى (ت 1205هـ/1790م) وقد اشــتمل هذا الكتاب على فضــيلة الخط والقلم ، وما جاء فيها من الآثار ، وما للحكماء فيها من الأســرار ، وبيان من وضـع الخط وألّف الحروف ، وألبسها حلل التفضل ، وأحلّها من أحسن الظروف ، ثم بيان الأجلّة من الكُتَّاب والأعيان من أهل الفن ويحتوي هذا الكتاب على عشرة فصول وخاتمة ، وقد جرى الإفادة منه من خلال المعلومات التي قدّمها عن وضــع الخط وأصــله ووصــله وفصله ، وعن فضل الخط وما قيل عنه ، وبعض المعلومات التي تتعلق بالفصل الأول و خاصة أثناء استعراض أدوات الكتابة و موادها.

ثانياً – المراجـــــع :

1- الخط والكتابة في الحضارة العربية :

تأليف د. يحيى وهيب الجبوري ، وهو كتابٌ يبحث عن الخطِ وطريقة رسم الحروف وما يتعلق بذلك من وسائلٍ وأدواتٍ ، ولقد قسّم كتابه إلى مقدمة وست فصول ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب من خلال المعلومات التي قدّمها عن أصـــــل الخط العربي وتطوره ، والتعريف بأدوات الكتابة وموادها منذ أن عرف الإنسان الكتابة، وخاصة فيما يتعلق بالفصل الأول أثناء الحديث عن أدوات الكتابة و موادها.

2- صناعة الكتابة وتطوّرها في العصور الإسلامية :

تأليف د. أحمد السيد الدراج ، وهو كتاب يبحث عن ديوان الإنشــاء ونظم العمل به في العصــور الإســلامية ، وكان الغرض من تأليفه له تعريف المســلمين بجانبٍ مشــرقٍ من جوانب حضـــارتهم في عصـــور ازدهارها ، ولمعرفة مدى تقدم النظم التي كانت مطبقة في

دواوين الإنشاء في العصور الإسلامية المختلفة سواء من حيث الكتابة ، وتوقيع الخليفة أو الوزير أو السلطان على القصة أو المكاتبة ، وانتهاءً بإثباتها وقيدها في الديوان .

فقد تناول المؤلف نشأة ديوان الإنشاء وتطوره منذ عصر الرسول ρ حتى نهاية العصر العباسـي . وقد أفاد البحث من هذا الكتاب من خلال المعلومات التي قدّمها عن الشـروط الواجب توفرها فيمن يتولى كتابة السر وذكر اختصاصاته ومعرفة أصحاب الوظائف فيه، وخاصـة فيما يتعلق بالفصـل الثاني عند اسـتعراض علاقات الكُتَّاب بالخليفة و الوزير والدواوين.

3- صناعة الكتابة و الكتاب في عهد الرسول ρ و الخلفاء الراشدين:

بحثٌ مقدم من الباحث ماجد عبود بادحدح لنيل درجة الماجستير في علوم المكتبات و المعلومات و قد اسـتفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدمها عن أدوات الكتابة و موادها.

4- كُتَّاب النبي ρ :

تأليف د. محمد مصـطفى الأعظمي ، وهو كتاب يبحث في السـيرة النبوية والتاريخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية ، وذلك من خلال ذكر كُتَّاب النبي ρ ، فقد تناول المؤلف ذكر أسماء من كَتَبَ للرسول ρ بغض النظر عن مقدار كتابتهم ، ولكن لم يتوسعْ في تراجم الكُتَّاب بل اختصر اختصارا شديداً خاصةً تراجم الخلفاء الراشدين ، وقد رتب أسماء الكُتَّاب ترتيباً هجائياً ، ولم يراعِ الفضـل والمنقبة . وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في معرفة المصادر التي تضمنت أسماء كُتَّاب النبيρ.

5- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي :

تأليف د. حسين نصّار ، وهو كتابٌ يبحث في تأصيل الكتابة الفنية العربية ويدلل على أنها بجميع صـورها عربية النشـأة ، حيث نشـأت على يد العرب وفي بلادهم وبدافع من حاجتهم إليها ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب من خلال المعلومات التي قدمها عن كتابة الرسائل السياسية، وذكر كُتَّاب النبي ρ و اختصـاص كل واحد منهم. وخاصـة ما يتعلق

بالفصـــــل الأول أثناء الحديث عن أنواع الكُتَّاب و كذلك ما يتعلق بالفصـــــل الثاني عند استعراض علاقة الكُتَّاب بالدواوين.

6- وظيفة الوزير الكتابية في الدولة العباسـية خلال الفترة (132-247هـــــ/749-861م):

بحثٌ منشـور مقدم من الدكتور: حسـن بن علي الحارثي ، و قد اسـتفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدمها عن نشـأة الكُتَّاب و رسـوخ وظيفة كاتب الرسـائل قبل العصـر العباسـي الأول ، وعن تأصـيل العلاقة بين وظيفة كاتب الرسائل في الدولة الأموية ووظيفة الوزير في الدولة العباسـية خلال عصـرها الأول،وذلك فيما يتصـل بالفصـل الثاني عند استعراض علاقات الكُتَّاب الإدارية و خاصة علاقتهم بالخليفة و الوزير.

التمهيـــــد

ويشتمل على:

أولا: تعريف الكـاتـب والكتـابـة مع بيـان منزلتها ومكانتها .

ثانيا: وظيفة الكاتب قبل الإسلام.

أولاً: التعريف بالكاتب والكتابة مع بيان فضل الكتابة وشرف مكانتها :

أ- الكاتب:

إذا بحثنا عن المدلول اللغوي لكلمة الكاتب نجد أنها تَرِدُ بمعنى : من كانت حرفته الكتابة[1] ، وكانت العرب تسميه العَالِم[2] ، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى:(🕮❒🏱🖄 ⇱♌✡⑨◻♎➔☠⇱ ✃🙣🙥♍⬂⬄♦⓿⬂🖪➲ ▫♦♑←☀●⇮ ③♦▤⬁✌←⌛←❑♌♦ ⬀✐✐⬁) [3] أي يعلمون .

وقد تطلق الكتابة على العلم ، فقد روي أنه جاء في كتاب رسول الله ρ لأهل اليمن لمّا بُعِثَ إليهم معاذاً τ قوله ((**إني بَعَثْتُ إليكم كاتباً**)) [4] لأنه الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة ، وكان الكاتب عند العرب عزيزاً وفيهم قليلاً [5]، وقد جرت العادة أن يتخذ ولاة الأمر كتّاباً يستعينون بهم في إنشاء المكاتبات الخاصة ، وفي عمل الحسابات اللازمة أو غير ذلك من الأعمال الكتابية [6].

ومما سبق يتّضح لنا أن الكاتب هو ذاك الشخص الذي يتولى مهمة الكتابة، وتكون حرفة له يأخذ عليها أجراً .

وهناك مؤلفات تحدثت عن الكاتب مثل كتاب الوزراء والكُتَّاب للجهشياري ، وإعتاب الكُتَّاب لابن الأبار وغيرهما ، كما تم رصد أسماء للكُتَّاب في كتب التواريخ ضمن عمّال الخلفاء ، يتم ذكرهم في آخر فترات حكمهم مثل القوائم التي قدمها ابن خياط والطبري في تواريخهما وغير ذلك من المؤرخين.

---

(1) ابن منظور : محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1311م) لسان العرب ، ط3 ، بيروت ، دار صادر ، 1414هـ / 1994م ،1/ 699 .

(2) الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت 393هـ / 1002م) الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط3 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1404هـ / 1984م ،1/ 208 . ابن فارس : أحمد بن زكريا (ت 395هـ / 1004م) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق محمد عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1392هـ / 1972م ، 5 / 159 . ابن منظور : لسان العرب ،1 / 699 .

(3) سورة القلم الآية 47 . وسورة الطور الآية 41 .

(4) ابن منظور : لسان العرب ،1 / 699. الزبيدي : محمد مرتضى (ت 1205هـ / 1790) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1389 هـ/1970م ، 4/ 103 .

(5) ابن منظور : لسان العرب ،1 / 699 . ومع أن العرب تقدر الكاتب « وصاحب القلم » إلا أنهم يقدمون عليه « صاحب السيف » ، أنظر: الجهشياري : محمد ابن عبدوس (ت 331هـ / 942م) الوزراء والكُتّاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1401هـ / 1980م ، ص 28 – 29 .

(6) حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1988م ، ص 48 .

ب- الكتابة:

الكتابة في اللغة تعني الجمع و الشد و التنظيم(1)، و يضيف ابن منظور (ت711هـ/1311م) إلى جانب هذا المعنى معنيين آخرين هما :الاتفاق على الحرية ، فالرجل يكاتب عبده على مالٍ يؤديه منجماً أي يتفق معه على حريته مقابل مبلغ من المال، ثم القضـاء و الإلزام و الإيجاب يقول النابغة الجعدي (2):

يا بنتَ عمّي كتابُ الله أخْرَنَي عَنْكُم و هَلْ امْنَعَنَّ كتابَ الله ما فَعَلا

أما المعنى الاصطلاحي للكتابة يجمع هذه المعاني المتنوعة ، فالشد و الجمع أمر ضروري لأن الكتابة لا تقوم إلا بالصـياغة المحكمة ، و الصـياغة في حد ذاتها جمع بين الكلمات و ربط لها بعضـها ببعض؛ أما معنى الحرية فيتمثل في رغبة الإنسـان القائمة في نفسـه لتحرير ما بداخله من أفكار و مشـاعر و أحاسـيس ؛ و أما المعنى الثالث الذي يتمثل في الإلزام فالكلمة المكتوبة تلزم صاحبها ، و تعتبر شاهدا على ما قطعة على نفسه(3) .

وقد عرَّفها صـاحب كتاب الكليات بأنها : جمع الحروف المنظومة و تأليفها بالقلم و منه الكتاب لجمعه أبوابه و فصوله و مسائلة ، وقد عرفها في موضع آخر بقوله: قد تطلق الكتابة على الإملاء و تطلق على الإنشـاء (4). ويقول آخر أن الكتابة : صـناعة يفهم منها المعنى القائم بالنفس بإثبات

---

(1) الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م) العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د.م،دار و مكتبة الهلال، د.ت ، 341/5-342. ابن دريد : محمد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ/933م) جمهرة اللغة،ط1،حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،1345 هـ ، 196/1-179. فكتور الكك وأسعد أحمد علي:صناعة الكتابة، ط4، دمشق، دار السؤال ،1401هـ/1981م ، ص35-36.

(2) لسـان العرب،700/1-701. الفيروزابادي : محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م) القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل، د.ت،126/1.

(3) محمد صالح الشنطي: فن التحرير العربي ضوابطه و أنماطه ، ط4 ، حائل ، دار الأندلس ، 1417هـ /1996م، ص19.

(4) الكوفي : أبو البقاء أيوب بن موسى (ت1094هـ/1683م) الكليات معجم المصطلحات و الفروق اللغوية ، قابله على نسخة خطية و أعده للطبع و وضع فهارسه عدنان درويش و محمد المصري ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1976م، 118/4-119.

الحروف الدالة عليها باليد[1] . كما عرف الجرجاني (ت816هـ/1413م)الكتابة بقوله : و تطلق في عرف الأدباء لإنشاء النثر[2]، من كتب و رسائل[3].

وقد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء خلال عصور الدولة الإسلامية على اختلاف فتراتها ، حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنشاء ، والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها،حتى سمّى العسكري (ت نحو 400هـ/نحو 1009م) كتابه((**الصناعتين الشعر والكتابة**)) يريد كتابة الإنشاء ، وسمّى ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ/1239م) كتابه ((**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**)) يريد كاتب الإنشاء[4] .

فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها[5] .

وقد أصبحت مهنة الكتابة مدار بحث وتأليف في موضوعها ، وكثير هي الكتب التي عرضت لهذا الفن ، فقد تناول هذا الموضوع غير واحد ممن ألّف في فن الكتابة أو الإنشاء. وبرغم التقارب والتشابه في العنوان ، فإن المادة العلمية ليست على نسق واحد ، فبعضها يجمعه عنوان واحد هو ((**أدب الكاتب**)) كأدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276هـ/ 889م) والذي قامت عليه عدة شروح ، فقد شرحه ابن السيد (ت 521هـ/1127م) في الإقتضاب ، كما شرحه الجواليقي (539هـ/1144م) وأيضاً سليمان بن محمد الزهراوي (ت نحو350هـ/نحو961م) ، وأيضا شرحه أبو علي حسن بن

---

(1) عبد اللطيف الراوي بمشاركة عبد الإله نبهان : (رسالة في صناعة الكتابة لمؤلف مجهول) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 62 ، صفر عام 1408هـ/1987م، ص766.

(2) كتاب التعريفات ، ط1 ، ضبطه و فهرسه محمد بن عبد الحكيم القاضي ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،1411هـ/1991م ، ص197.

(3) أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ط30، د.م، دار الفكر، د.ت، 337/1.

(4) القلقشندي: أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، د.م، دار الفكر ، د.ت ، 1 / 82.
الإنشاء : يقول الخوازمي أن لفظ الإنشاء من الألفاظ المستعملة في ديوان الرسائل ، وهو عمل نسخة يعملها الكاتب وتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو يقرّها على حالها ويأمر بتحريرها.
الخوازمي: محمد بن أحمد (ت 387هـ / 997م) مفاتيح العلوم ، تحقيق نهى النجّار ، ط 1 ،بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ص 121.
وعلم الإنشاء: هو فن كتابة الرسائل والوثائق وأول من اشتهر به بين العرب عبدالحميد الكاتب .محمد ثابت الفندي(وآخرون): دائرة المعارف الإسلامية ،تهران ، إنتشارات جهان، د.ت، م3،ص51.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى ، 84/1 .

محمد البطليوسي (ت 576ھ/1180م) وأحمد بن الجذامي (ت 598ھ/1201م) ، ومنهم من شرح خطبة الكتاب ، ومنهم من شرح الأبيات كأحمد بن محمد الخارزنجي (ت 348ھ/959م) ، وبعضها يختلف عنوانه غير أن الجامع لعناوينها إما كلمة الكتابة أو الكُتَّاب ، أو الإنشاء وذلك مثل كتاب الخراج و صنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت 337ھ/ 948م) أو كتاب الكُتَّاب لابن درستويه (ت 347ھ/ 958م) ، أو أدب الكُتَّاب للصولي (ت 335ھ/ 946م)، أو كنز الكُتَّاب لكشاجم (ت 360ھ/970م) ، أو ذخيرة الكُتَّاب لابن حاجب النعمان (ت 423ھ/1031م) ، أو مواد البيان لعلي بن خلف[1] ، أو قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي (ت 542ھ /1050م) ، أو كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي (ت 606ھ/1209م) ، أو كتب ضياء الدين ابن الأثير الجزري كالمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أو الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، أو الوشي المرقوم ، أو المفتاح المنشا لحديقة الإنشا ، أو ما كتبه القلقشندي (ت 821ھ/1418م) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا وغير ذلك من كتب تناولت فن الإنشاء . فهي وإن اختلفت أسماؤها إلا أن مضمونها واحد هو التعريف بمهنة الكتابة وأصولها وديوان الإنشاء وصفات الكُتَّاب وآدابهم ومعرفة ما يحتاجون إليه في الأمور العلمية والعملية ، كأنواع المكاتبات وتقويم البلدان وتقويم اليد واللسان وأنواع الخطوط والدواة والمسنة والأحبار والقلم والأوراق والسكين وقوانين الكتابة ونظمها وكيفية المخاطبة والعناوين وكيفية وضعها ، والآداب التي يجب أن يكون عليها كاتب الإنشاء والصفات الخَلقية والخُلقية التي يجب أن يتحلى بها[2] .

وخلاصة القول: أن الغاية من تأليف مثل هذه الكتب التعريف بمهنة الكتابة وأصولها ، وما يحتاج إليه الكاتب من علوم ومعارف وثقافات ومهارات وأدوات وهيئة ونظام وسلوك [3] .

ج- بيان فضل الكتابة وشرف مكانتها :

---

(1) لم يُحدد تاريخ دقيق لوفاته فذكر البعض أنه توفي سنة 457ھ ، بينما يشير محقق هذا الكتاب د. حسين عبداللطيف أن مؤلف هذا الكتاب أصبح من عداد من نسيهم التاريخ ، ولم يجد تاريخاً دقيقاً لوفاته .

(2) ضياء الدين أبن الأثير: نصر الله بن أبي الكرم بن محمد (ت 637ھ/1239م) المفتاح المنشا لحديقة الإنشا ، تحقيق عبدالواحد حسن الشيخ ، الإسكندرية ، مكتبة الاشعاع ، 1419ھ / 1999م ، ص 29–30 ، حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت 1067ھ /1656م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، د.م ، دار الفكر ، 1402ھ / 1982م، 1 / 47 – 48 .

(3) ضياء الدين ابن الأثير: المفتاح المنشا ، ص 30 .

دعى الله جل ثناؤه إلى اكتساب العلم والإلمام به بطريق مباشر وذلك في قوله تعالى: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)**[1] ، وغير مباشــر في قوله تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)** [2] وقد وردت في مجاميع الحديث النبوي أعداد كبيرة من الأحاديث التي تدعو إلى طلب العلم وتحض على نشره ، ومن ذلك قوله ρ: ((**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سـهل الله له طريقاً إلى الجنة**))[3] ، وقوله ρ: ((**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**)) [4].

وقد دعا النبي ρ دعوة صريحة مباشرة إلى تقييد وتدوين العلم ، ولا يكون ذلك إلا بالكتابة ، فقد جعلها رسول الله ρ عقال العلوم[5] ، وقال ρ أيضـاً: ((**ما حق امرئ له يوصـي فيه يبيت ثلاثاً إلا ووصيته عنده مكتوبة**)) [6]. و قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب τ(13-23هـ/634-643م) : ((**قيدوا العلم بالكتاب**)) [7] وهذا يعني أن العلم في الصـدور معرض دائماً للنسـيان والضـياع ، ولابد من إيداعه في السـطور لحفظ بقائه ، ويؤكد ذلك بعض الأقوال المأثورة مثل: ((**الكراس أوعى من الرأس**)) أو ((**السطور أوعى من الصدور**)) [8].

---

(1) سورة طه آية 114 .

(2) سورة الزمر آية 9 .

(3) البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت 256هـ / 868م) صحيح البخاري ، ضبطه وشرح ألفاظه مصطفى ديب البغا ، ط1 ، دمشق – بيروت ، دار القلم ، دمشق ، دار الإمام البخاري ، 1401هـ / 1981م ، 1 / 37 ، رقم 67 .

(4) الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ/892م) سنن الترمذي ، حققه وصححه عبدالرحمن محمد عثمان ، ط 2 ، بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ / 1983م ، 4 / 137 رقم 2784.

(5) الكاتب:علي بن خلف (ت نحو 457هـ/نحو1064م) مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، د.م ، منشورات جامعة الفاتح ، د.ت ، ص 38.

(6) ابن سعد : محمد بن منيع (ت 230هـ/844م) الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ، 1405هـ / 1985م ، 4 / 147.

(7) الدارمي : أبو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن (ت 255هـ/868م) سـنن الدارمي ، د.م ، دار إحياء السـنة النبوية ، د.ت ،127/1، وفي المسعودي جاء « قيدوا العلم بالكتابة» المسعودي : أبو الحسن على بن الحسين علي (ت 346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط5 ، د.م، دار الفكر ، 1393هـ / 1973م ،301/2، غير أن الخطيب البغدادي يذكر أيضـاً « قيدوا العلم بالكتاب » الخطيب البغدادي : أبوبكر أحمد علي بن ثابت (ت 463هـ/1070م) تقييد العلم ، حققه وعلق عليه يوسف العش ، ط 2 ، د.م ، دار إحياء السنة النبوية ، 1974م ، ص 70 ، والكتاب والكتابة بمعنى واحد . القلقشندي : صبح الأعشى 1 / 64 .

(8) محمود المقداد: تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 1413هـ/ 1993م ، ص 18.

وتعد الكتابـة معلماً من معالم الحضـارة ، وفناً من فنـونها فما من أحد إلا وهو محتـاج إليها في أمـر معاشه ، فقد علا شأنهـا ، وأصبحت لها مرتبة رفيعة عند ذوي الألباب[1].ومما يدل على سمو مكانتها وفضـل العناية بها منذ القدم ما نقل عن أرسـطو **(ت322 ق.م)** أنه قال: ((**وما تفاخرت الملوك عن قديم الأيام إلا بكُتَّابها ، ولا رفعت إلى عظيم المنازل إلا بها**)) [2]. وكان حكماء اليونان يسمّون صناعة الكتابة العلم المحيط[3] .

وتعتبر السـفير المتنقل بين الخلفاء والولاة والقوّاد . ومما لا شـك فيه أن لها قدراً جليلاً وشـأناً رفيعاً ، فمن أبين فضائلها أن الله عزَّ وجلَّ شرّفها بإضافتها إلى نفسه[4] ، فقال تعالى: (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً**) [5] .

ومن وافر كرمه عزَّ وجلَّ أن نسـب تعليمها لنفسـه حيث قال في معرض الامتنان: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) [6].

وهكذا يبدو جلياً أن الاهتمام بالقراءة والكتابة نابعٌ مباشرةً من تعاليم القرآن الكريم مصدر التشريع الإسلامي ، وأن الدعوة إلى التعليم دعوة إسلامية مباشرة [7].

---

(1) مصـطفى الشـكعة : معالم الحضـارة الإسـلامية ، ط2 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1975م ، ص 241.عبد اللطيف الراوي بمشاركة عبد الإله نبهان:رسالة في صناعة الكتابة ، 768/2 – 769.

(2) ابن الأرزق: أبو عبدالله (ت 896هـ/1490م) بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق على سامي النشار ، بغداد ، دار الحرية ، 1397هـ/1977م ، 275/1 .

(3) علي بن خلف: مواد البيان ، ص 89 .

(4) علي بن خلف: مواد البيان ، ص 36 .

(5) سـورة الأعراف الآية 145 . ويروي ابن كثير أن الله تعالى كتب لموسـى عليه السـلام الألواح وكانت من جوهر وقد كتب له فيه مواعظاً وأحكاماً مفصـلةً مبينةً الحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشـتملةً على التوراة . تفسـير القرآن العظيم ، ط6 ، بيروت ، مؤسسة الريان ، 1422هـ / 2001م ، 329/2 .

(6) سورة العلق الآية 1–5 جاء في التفسير أن أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم ، فشّرفه بالعلم ويكون تارة في الأذهان ، وتارة يكون باللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، 683/4 . ومعنى قوله (**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**) الذي علّم الكتابة بالقلم . الصـولي : أبوبكر محمد بن يحيى (ت 336هـ/947م) أدب الكُتَّاب ، شـرح وتعليق أحمد حسـن بسـج ،ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415هـ/1998م ، ص 11 .

(7) عبدالحميد جيده : صناعة الكتابة عند العرب ، ط 1 ، بيروت ، دار العلوم العربية ، 1418هـ / 1998 ، ص 202 .

ثم زاد سبحانه ذلك تأكيداً بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يُسطَّر به فقال تعالى: (**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**) [1] . ومن شريف صفاتها أن الله تعالى جعل عدم تحصيل نبيّه لها من أعظم دلائل النبوة ، وأقوى الحجج على تكذيب معانديه ، وحسم أسباب الشك فيه [2].

يدلُّ على ذلك قوله تعالى مخاطباً له عليه الصلاة والسلام: (**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**) [3] . فعدم معرفته ρ للقراءة والكتابة فضيلة فيه وفي غيره نقيصـــة ، ومن ذلك ما ذكره ابن عبدربه (ت 328هـ / 339م) حيث يقول ((**أن المأمون (198 – 218هـ / 813 – 833م) قال : لأبي العلاء المنقري بلغني أنك أميّ ، وأنك لا تقييم الشعر ، وأنك تلحن في كلامك فقال : يا أمير المؤمنين ! أما اللحن فربَّما سبقني لساني بالشيء منه ؛ وأما الأميّة وكسر الشعر فقد كان رسول الله ρ أمياً وكان لا ينشد الشعر فقال له المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل ، يا جاهل ! ذلك في النبي ρ ، وفيك وفي أمثالك نقيصة**)) [4]. وقد وصف الله تعالى الملائكة الذين خلقهم للكتابة بالكرم في قوله تعالى(**كِرَاماً كَاتِبِينَ**) [5] ذلك أن كل شيءٍ يكون حسناً جيداً يوصف بالكرم[6]. وقد أشـــار البعض إلى أن الكتابة من حلي الملائكة [7]،ويرى الجاحظ (ت255هـ/868م): ((**إن من أبين فضلها أن جعلت في عِلْية الناس**)) [8] .

ونظراً لأن الكتابة صـناعةٌ لها خطرها ومكانتها في الدولة فقد وصـفها ضـياء الدين ابن الأثير بقوله : ((**إن أشـرف صـناعات الممالك ، وأسـناها ، وأفضـل درجات المملكة ، وأعلاها ، وأميز**

---

(1) سورة القلم الآية 1–2 . لقد اختلف في تفسير لفظة (ن) فيرى الزمخشري أنها ربما كانت الدواة أو الحوت . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت، 126/4. وفيما يتعلق بكون النون ترمز إلى الدواة ما نقل عن أبي هريرة τ أن النبي ρ قال: «خلق الله النون وهي الدواة». القلقشندي : صبح الأعشى ،469/2 . فأقسم في القرآن بما خلق من ذلك أعني القرآن وما يكتب به من حبر ومداد وما يكتب فيه من سفر وقرطاس . الصولي : أدب الكتَّاب ، ص 11.

(2) علي بن خلف : مواد البيان ، ص 38–39 ، وأيضا القلقشندي : صبح الأعشى، 72/1 .

(3) سورة العنكبوت الآية 48 .

(4) ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسـي (ت 328هـ / 939م) العقد الفريد ، شـرحه وضـبطه ورتب فهارسـه أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وآخرين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت، 151/4–152 . وأيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ، 72/1.

(5) سورة الانفطار الآية 11 .

(6) عبداللطيف الراوي بمشاركة عبدالإله نبهان ، «رسالة في صناعة الكتابة» ، ج 2 ص 768 .

(7) الكلاعي: أبو القاسـم محمد بن عبدالغفور (ت نحو 550هـ /1155م) إحكام صـنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشـرق والأندلس ، تحقيق محمد رضوان الدّاية ، ط 2 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1405هـ/1985م ، ص 48 .

(8) القلقشندي: صبح الأعشى ، 68/1 .

رتبها ، وأبهاها ، منازل الإنشـاء ، الجامعة للأشـياء ، الذي له قوام الملك ، وضـبط قواعده ، .... ، وهو لها اليد اليمنى ، التي بها الأخذ والعطاء والمنع والإمضـاء ، والقبض ، والبسـط ، والوصـل والفض ، والسـر والجهر ، والنهي والأمر ، وهو على كلٍ أس النظام ، وحفظ الأنام)) [1] .

ويشـير النويري (ت 733هـ / 1333م) إلى شـرف الكتابة وفضـلها بقوله: ((**إن من شـرف الكتابة نزول الكتب المتقدمة مسـطورةً في الصـحف المنزلة على شـيث وإدريس ونوح وإبراهيم وداود عليهم السـلام**)) كما أخبر به القرآن في محكم تنزيله حيث قال تعالى : (**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**) [2] [3].

وقد أطنب الكثير في مدح الكتابة والحث عليها من ذلك أبي جعفر الفضـل بن أحمد[4] في رسـالة له: ((**الكتابة أُسُّ الملك ، وعماد المملكة ، وأغصـانٌ متفرقةٌ من شـجرةٍ واحدةٍ. والكتابة قطب الأدب ، وملاك الحكمة ، ولسـانٌ ناطقٌ بالفضـل ، وميزان يدل على رجاحة العقل ، والكتابة نور العلم ، وميدان الفضل والعدل ، والكتابة حليةٌ ، وزينةٌ ، ولبوسٌ ، وجمالٌ ، وهيبةٌ ...**)) [5].

---

(1) صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير، تحقيق عبدالواحد حسن الشيخ، الأسكندرية، مكتبة الإشعاع، 1419هـ/1999م، ص109.

(2) سورة الأعلى الآيات 18-19 .

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية ، 1357هـ / 1938م، 2/7 .

(4) أسند القلقشندي في 66/1 هذه الرسالة إلى أبي جعفر الفضل بن أحمد بن عبدالله أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بن المقتدي بويع بالخلافة سنة 512هـ ، بينما يسندها أبو جعفر النحاس إلى أبي جعفر الفضل بن حداد . أبو جعفر النحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت 338هـ/949م) صناعة الكتاب ، تحقيق بدر أحمد ضيف ، بيروت ، دار العلوم العربية ، 1410هـ/1990م ، ص 270 .

(5) القلقشندي: صبح الأعشى ،66/1 .

وقال أيضاً سعيد بن العاص [1](ت نحو 59هـ/678م): ((**من لم يكتب فيمينه يسرى**)) [2].
وقال معن بن زائدة [3](ت نحو 151هـــــ/768 م):((**إذا لم تكتب اليد فهي رجلٌ**)) [4]. وبالغ مكحول[5] فقال: ((**لا دية ليدٍ لا تكتب**)) [6]. وكذلك قال الزبير بن بكار[7](ت 256هـ / 870م) : ((**الكُتَّاب ملوكٌ وسـائر الناس سـوقةٌ**)) [8]. ومن ثم يقول المؤيد [9] (ت 732هـ / 1331م): ((**الكتابة أشـرف مناصـب الدنيا بعد الخلافة ، إليها ينتهي الفضـل ، وعندها تقف الرغبة**)) [10].
وكفى بالكتابة شـرفاً أن صـاحب السـيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سـيفه . وما

---

(1) هو: أبو عثمان وقيل أبو عبدالرحمن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ، واستعمله عثمان بن عفان τ على الكوفة ، غزا بالناس طبرستان فافتحها ويقال أنه أفتتح جرجان زمن عثمان τ ، كان من أشراف قريش جمع السـخاء والفصـاحة ، توفي 59هـ وقيل سـنة 57 أو 58. ابن عبدالبر: أبو عمر يوسـف بن عبدالله بن محمد (ت 463هـ/1070م) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بيروت، دار الكتاب العربي ، د.ت ، 45/2. العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ/ 1448م) الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت ،45/2 .

(2) ابن مماتي: أسـعد بن مهذب (ت 606هـ/ 1209م) قوانين الدواوين ، مصـر ، د.أ ، 1299هـ ، ص5 . وأيضـا القلقشـندي: صـبح الأعشى ،65/1 .

(3) معن بن زائدة الشيباني ولاة المنصـور على بلاد سجستان ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد كتب إلى المغيرة بن شعبة بأن يلقي القبض عليه، لأنه أنتقش على خاتم الخلافة فأصــاب به مالاً من خراج الكوفة ، وكان جواداً شــجاعاً جزل العطاء كثير المعروف ممدحاً مقصوداً.توفي سنه 151هـ و قيل سنة 152هـ و قيل سنة 158هـ. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ / 892م) فتوح البلدان ، تحقيق رضــوان محمد رضــوان ، بيروت دار الكتب العلمية ، 1403هـ/1983م ، ص 448. ابن خلكان: أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة، د.ت، 244/5.

(4) ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص 5 . القلقشندي : صبح الأعشى ،65/1 .

(5) فقيه تابعي وهو : أبو عبدالله مكحول بن زيد ويقال ابن أبي مســلم بن شــاذل ، قيل كان مولى لامرأة من هذيل ، وقيل كان مولى لسعيد بن العاص ، وكان يسكن دمشق وتوفي فيها سنة 118هـ/736م. النووي: محي الدين بن شرف (ت 676هـ/1277م) تهذيب الأسماء واللغات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت،113/2 .

(6) ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص5 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 65/1 .

(7) هو: أبو عبدالله الزبير بن بكار المتوفى سنة 256هـ/869م ، مؤرخ وراوية صاحب كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها . خير الدين الزركلي: الأعلام ، ط5، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980م ، 42/3 .

(8) القلقشندي: صبح الأعشى ، 73/1.

(9) هو: إسـماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شـاهنشـاه بن أيوب ، الملك المؤيد، صـاحب حماه ، ويعرف بأبي الفداء ، مؤرخ جغرافي ، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين والفلسفة والطب توفي سنة 732هـ/1332م . الزركلي : الأعلام ،319/1 .

(10) القلقشندي : صبح الأعشى ، 65/1 –66 .

يدلنا على أنها أشرف الصنائع رتبةً وأعلاها درجةً ما أورده صاحب مواد البيان حيث يقول : ((**إنا نرى كل سلطانٍ يؤثر أن يكون له حظٌ من بلاغة العبارة وجودة الخط**)) [1].

يقول الشاعر في فضلها :

إن الكتابـة رأس كلِ صناعـةٍ وبها **تتمُّ جوامع الأعمـال** [2]

إذن فصناعة الكتابة أفضل وأرفع منزلةً ودرجةً بين سائر الصناعات الأخرى ، وهي صناعةٌ جليلةٌ تحتاج إلى آلاتٍ كثيرةٍ ولقد وصف من جهل بها بالضلالة والجهل ، وفي ذلك قيل:((**ومن جهل حقَّ الكتابة فقد وسم بوسمِ الغواة والجهلة**)) [3].

وما إن جاء الإسلام حتى اتخذت الكتابة مساراً جديداً ، وأصبحت ضروريةً وبخاصةٍ لذوي الطموح وكبار الآمال الذين يطمعون أن يشغلوا المناصب للعهد الجديد[4] . وكان للنبي ρ أثراً عظيماً في انتشار الكتابة في فجر الإسلام ، فتشير كثيرٌ من الروايات التاريخية إلى أنه ρ طلب من بعض أسرى قريش بعد معركة بدر ، أن يفدوا أنفسهم بأن يعلّم كل واحد منهم عشرةً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة [5]، وكان لهذه الخطة الحكيمة أثرها العظيم في انتشار الكتابة نتيجةً لدرايته ρ بأهميتها في نشر المعرفة . فقد كان يدرك الأهمية القصوى لها في تحديد علاقات الناس بعضهم ببعض ، وتثبيت ما لهم وما عليهم ، إضافةً إلى أهميتها في تدوين القرآن الكريم ، وكتابة الحديث النبوي ، وتثبيت العقود ، وتدوين المعاملات وتوثيقها بالشهود حفظاً للحقوق[6]. وقد نصّت

---

(1) علي بن خلف : مواد البيان ، ص 39 . وأيضاً ابن عبدربه: العقد الفريد ، 170/4 القلقشندي صبح الأعشى ، 1/ 65 – 73.

(2) الصولي: أدب الكُتَّاب ، ص 16 .

(3) أبوجعفر النحاس: صناعة الكتاب ، ص 270 .

(4) أحمد شلبي: التربية الإسلامية « نظمها – فلسفتها – تاريخها» ، ط6 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1978م ، ص 44 . محمد فهد الفعر: تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن السابع الهجري ، ط1 ، جدة ، تهامة ، 1405هـ/1984م ، ص 92 .

(5) ابن سعد: الطبقات، 22/2 ، ابن سيد الناس: محمد بن محمد اليعمري (ت 734هـ/1333م) عيون الأثر في فنون المعازي والشمائل والسير، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو ، ط 1 ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، دمشق – بيروت ، دار ابن كثير ، 1413هـ/1992م ، 434/1. أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط10 ، بيروت دار الكتاب العربي ، 1402هـ/1969م ، ص 142 ، محمد أحمد الخياري: الخط و الكتابة ، ط1،جدة،دار العلم،1419هـ/1998م ، ص85.

(6) محمود المقداد: تاريخ الترسل ، ص 16. سهيلة ياسين الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، بغداد ، جامعة بغداد ، 1977م ، ص 78. الفعر: تطور الكتابات ، ص 92–93 . ولمزيد من المعلومات عن أهمية الكتابة أنظر: عبدالله الطريقي : العمل بالخط والكتابة في الفقه الإسلامي ، ط1، الرياض ، د .أ ، 1413هـ/1992م ، ص 115 . سامي زين العابدين

على ذلك آيةٌ من أطولِ آياتِ القرآن الكريم (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [1].جاء تفسير هذه الآية الكريمة إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ، ليكون أحفظ لمقدارها وميقاتها واضبط للشاهد فيها، كذلك أشار سبحانه وتعالى أن لا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ، ولا ضرورة عليه في ذلك[2].

يقول الصولي في هذا الصدد: ((**وبالكتابة جُمِعَ القرآن ، وحُفِظَت الألسن والآثار ، ووُكّدت العهود ، وأُثْبِتَتَ الحقوق ، وسيقت التواريخ ، وبقيت الصكوك ، وأمن الإنسان النسيان ، وقُيّدت الشهادات ، وأنزل الله في ذلك آية الديْن وهي أطول آية في القرآن**)) [3].

وقيل أيضاً في جليل قدر الكتابة والكُتّاب : ((**للكُتَّاب أَقَرّتْ الملوك بالفاقة والحاجة ، وإليهم ألقت الأعنة والأزمّة ، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة ، وعليهم اتكلوا في الأهل والولد والذخائر والعقد وولاة العهد وتدبير الملك وقراع الأعداء ، وتوفير الفيء ، وحياطة الحريم ، وحفظ الأسرار وترتيب المراتب ، ونظم الحرب بالميمنة والميسرة والقلب والكمناء والروادف والأجنحة ، وعن الكتابة يحاسب عزَّ وجلَّ خلقه يوم القيامة بما أثبتت الملائكة والحفظة**)) [4].

حمّاد: موسوعة الإدارة في الإسلام ، جدة ، دار العلم ، 1408هـ/1988م ، 365/1. مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ط 7 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1993م ، ص 38-55 .

(1) سورة البقرة الآية 282 .

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، 436/1-437 .

(3) أدب الكُتَّاب ، ص 12-13 .

(4) أبوجعفر النحاس: صناعة الكتاب ، ص 270 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 73/1 .

ثم ظهر الجاحظ وهو من الأدباء الكبار الذين أهتموا بشـأن القراءة والكتابة وأعلوا قدرهما فيقول في رسـالة المعلمين : ((**ولولا الكتابة لاختلّت أخبار الماضـي ، وانقطعت آثار الغائبين ، وإنما اللسـان للشـاهد لك ، والقلم للغائب عنك ، والماضـي قبلك والغابر بعدك ، فصـار نفعه أعمَّ ، والدواوين إليه أفقر ، والملك المقيم بالواسطة لا يدرك مصالح أطرافه وسد ثغوره ، وتقويم سكان مملكته ، إلا بالكُتَّاب ولولا الكُتَّاب ما تم تدبيرٌ ، ولا اسـتقامت الأمور ، وقد رأينا عمود صـلاح الدين والدنيا إنَّما يعتدل في نصابه ، ويقوم على أساسه بالكتاب والحساب**))[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن الرسول ρ قد سلك في تبليغ هذا الدين ونشره ، والدعوة إليه طرقاً متنوعةً منها : الكتابة والتحرير . ولقد جاء في النصوص التاريخية أن النبي ρ قد أرسل عدداً من الرسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة ، يدعوهم فيها إلى الإسلام[2].

إذنْ فالكتابة نوعٌ من أنواع البيان إن لم يكن أهمها على الإطلاق لبقاء بيانها وخلوده . وقد ذكرت مادة كَتَبَ في القرآن الكريم بتصرفاتٍ واشتقاقاتٍ مختلفةٍ مائتين وتسعاً وثمانين مرة[3].

ولشرف الكتابة وفضل الكُتَّاب صرف كثيرٌ من أهل البلاغة والأدب عنايتهم إلى وضع رسائلَ وكُتُبٍ في المفاخرة بين السيف والقلم ، إشارةٍ إلى أن بهما قوام الملك وترتيب السلطنة[4].

ويشير القلقشندي إلى فضل الكتابة وخاصة كتابة الإنشاء بقوله: ((**فلما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها . وأربح البضائع وأنفعها . وأفضل المآثر وأعلاها . وآثر الفضائل وأغلاها . لا سيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها وإنسان عينها بل عين إنسانها لا تلتفت الملوك إلا إليها . ولا تعوّل في المهمات إلا عليها. يعظمون أصـحابها ويقربون كُتَّابها فحليفها أبداً خليق بالتقديم ، جدير بالتبجيل والتكريم**))[5].

---

(1) رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط1 ، مصر ، مكتبة الخانجي ، 1399هـ/1979م ، 3/27-28 .

(2) ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت 218هـ/833م) السيرة النبوية ، حقَّقها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وآخرين ، ط1 ، بيروت – دمشق ، دار الخير ، 1410هـ/1990م ، 4/192-193 .

(3) موزعة كالتالي: كتاب (225مرة) وجمعه: كتب (6مرات) ، وفعل: كتب ، بشتى تصاريفه (51 مرة) ، وكاتب (6مرات) ، ومكتوب (مرة واحدة) . في حين أن (الخط) لم يذكر غير مرة واحدة لأنه بطبيعة الحال من لوازم الكتابة ، وضمناً لها ، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ(48) ...) سورة العنكبوت آية48. محمود المقداد: تاريخ الترسل ، ص 15 .

(4) ومثال ذلك كتاب للقلقشندي « حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم » القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/74 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/30 .

والحقيقة أنه كُتب عن فضـــل الكتابة الكثير من المؤلفات التي تدل على علوّ منزلتها وشـــرف قدرها ، مما لا يمكن عرضه واستقصاؤه .

ثانياً: نبذة عن وظيفة الكاتب قبل الإسلام:

لقد اشتغل بالكتابة عِلْية البشر ، وصفوة الخلائق أنبياء الله ، ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فوظيفة الكاتب موجودة منذ حقبة زمنية بعيدة ، وعصـــور تاريخية قديمة ، وقد حظي صاحبها بمنزلة سامية ، وذروة عالية من السيادة ، والرئاسة في قديم الدهر.

وفي ذلك يقول صاحب مواد البيان: ((**أن الذين وضعوها ورسموا رسومها هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**))[1]. وقد قيل ((**أن لــوطــاً υ كان يكتب لإبراهيم υ الصــحف المنــزلة عليه، وكان يــوسف υ يكتب للعزيــز صاحب الرؤيــا**[2]، **وكــان سليمان بن داود عليهما السلام كاتب أبيه**[3] **يكتب عنه المزامير**[4] **وغيرها ، وكان آصف بن عيصا**[5]**كاتب سليمان بن داود وهو الذي عنده علم من الكتاب القائل في عرش سبأ: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)** [6].

---

(1) علي بن خلف: مواد البيان ، ص 40 .

(2) قال ابن عباس ψ في قوله تعالى عن يوسف: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) سورة يوسف آية 55 . إني حفيظ بالكتاب عليم بالحساب . أبو جعفر النحّاس: صناعة الكتاب ، ص 271 . ابن الصائغ : عبدالرحمن بن يوسف (ت 845هـ/1441م) تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب ، حققه وقدم لها وعلق عليها هلال ناجي ، تونس ، دار أبو سلامة ، 1967م ، ص 25 .

وقد أســـتوزر عزيز مصـــر يوســـف υ وهو أول من اتخذ القراطيس . علي بن خلف: مواد البيان ، ص 241 . ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م): تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، القاهرة ، مكتبة الآداب، 1975م ، ص 463.

(3) ويروى أن سليمان υ سأل عفريتاً عن الكلام فقال : ريحٌ لا يبقى ! قال: ما قيده ؟ . قال: الكتابة. القلقشندي: صبح الأعشى، 3/3 . ابن الصائغ: تحفة أولي الألباب ، ص 25 .

(4) المزامير: هو ما كان يتغنى به داود υ من الزبور وضروب الدعاء ، واحدها مزمارٌ ومزمورٌ، وفي حديث أبي موسى الأشعري ψ سمعه النبي ρ ، وهو يقرأ فقال: « لقد أُعْطِيْتَ مُزماراً من مزامير آل داود υ » .ابن منظور: لسان العرب ، 327/4 .

(5) المشهور هو آصف بن برخيا كاتب سليمان υ وابن خالته ورد في دائرة المعارف الإسلامية (آصف بن برخيا) وبالعبرية آسف بن بركيه: اســم الوزير المزعوم للملك ســليمان . الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويد، 1387هـ/1967م ، 496/1-498 ، ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبدالســـلام تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م ، 207/1 – 208. دائرة المعارف الإســلامية، م2، ص 256. غير أن على بن خلف يضــيف يوســف بن عنقا كاتباً آخر لســليمان υ.مواد البيان ، ص 42.

(6) سورة النمل الآية 40 .

وكان هارون بن عمران ويوشـــع بن نون[1] يكتبان بين يدي موســى υ الألواح والتوراة ، وكان يحيى بن زكريا كاتب عيسى υ كتب له الحكمة والإنجيل[2]، وكان بختنصر[3] أحد كُتَّاب سنحاريب ملك بابل)) [4].

أما ما رُوِي في أول من كتب الكتاب العربي فمما لا شـــك فيه أن كثيراً من المؤرخين القدامى لم يعتمدوا فيما كتبوه عن أصل الكتابة العربية على دلائل مادية وأثرية ، وإنما كانوا يعتمدون على روايات مختلفة متناقلة تقوم تارةً على أسس دينية غيبية وتارةً على أسس شبه أسطورية ، فبعض الإخباريين يرون أن الكتابة بشـكل عام بما فيها – العربية – توقيف من الله تعالى، ويرى آخرون على أنها اختراعٌ بشريٌ محضٌ ابتدعه رجال من العرب[5].

وتشير كثير من المصادر التاريخية إلى أن أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم υ[6]. وقيل أيضاً أن أَوَّل من خطَّ القلم بعد آدم هو إدريس عليهما السلام ، و قد قيل إنما سمّي إدريساً لدراسته الكتب المنزلة . وكان يُسَمّى الكاتب[7]. وقد ذُكر في مصادر أخرى في رواية منقولة

([1]) يوشـع بن نون هو: يوشـع بن نون بن إفرايئم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، ويذكر أهل الكتاب قائلين أن يوشـع بن نون ابن عم هود υ ذكره الله Y في القرآن الكريم غير مصرح باسمه في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) سورة الكهف الآية 60 . الطبري: تاريخ ، 435/1 .

([2]) علي بن خلف: مواد البيان، ص 41 – 42، ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص 4 . ابن أيبك: أحمد بن أيبك بن عبدالله (ت 749هـ/1348م) كنز الدرر وجامع الغرر، مخطوط، دار الكتب المصرية رقم 4643، تاريخ، 425/1 . القلقشندي: صبح الأعشى 68/1، .

([3]) بختصـر: بخت نصـر بالتشـديد أصـله بوخت معناه ابن ، ونصـر كبقم صـنم ، وهو الذي أطلقه مؤرخو العرب على الملك (نابو شـانزار) الثاني ملك بابل، وكان قد خلف أباه نابوبولازار عام 605 ق.م. أنظر تاريخ الطبري: خبر غزو بختنصـر بني أسـرائيل و تخريبه بيت المقدس. 538/1–557. و غزوه العرب 558/1–560، وأيضـاً الأصـفهاني: حمزة بن الحسـن (ت نحو350هـ/961م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت ، ص 33 .

([4]) على بن خلف: مواد البيان ، ص 41 – 42 وسنحاريب هو: ملك بابل و لمزيد عن أخباره أنظر:الطبري: تاريخ ،532/1 – 533 . الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء ، ص 81 . ابن الأثير: الكامل، 222/1 – 223.

([5]) القلقشندي: صبح الأعشى ،11/3 . سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ، ص 19 .

([6]) ابن عبدربه: العقد الفريد 148/4 . الجهشياري: الوزراء ، ص 1 . روي أن ملكاً يقال له سيمورس علّم آدم الكتابة السريانية على ما في أيدي النصـارى في وقتنا هذا . ابن النديم: محمد بن إسـحاق (ت 385هـ/995م) الفهرسـت ، تحقيق رضـا تجدد بن علي زين العابدين، ط3 ، بيروت ، دار المسيرة ، 1988م ، ص14 . كما ورد أنه روي عن أبي ذر الغفاري τ قول النبيρ: « والذي بعثني بالحق نبياً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسـعة وعشـرين حرفاً» . القلقشـندي: صـبح الأعشـى ،10/3. ابن الصـائغ: تحفة أولي الألباب ص 9. ابن فارس: الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، د.ت ، ص 10.

([7]) علي بن خلف: مواد البيان، ص 40 – 41. الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ص 463 . وقد سُـمّي إدريس في بعض المصـادر القديمة ابن خنوخ . ابن هشـام: السـيرة النبوية ،4/1. والذي جاء في مصـادر أخرى أن إدريس هو خنوخ نفسـه وكان أول من خط

عن ابن عباس τ . أن أوَّل من وضـع الكتابة العربية هو إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – فكان أول من نطق بالعربية فوضـع الكتاب على لفظه ومنطقه[1]. ويضـيف صـاحب الفهرست أن أوَّل من وضـــع الكتاب العربي نفيس ونصــر وتيماء ودومة ، وهؤلاء ولد إســماعيل υ وضـــعوه موصـــولاً ، وفرقه قادور بن هميســع بن قادور[2]. وفي رواية أخرى يوردها ابن عبدربه ((**أن أول من وضـع الخط نفيس ونصـر وتيما بنو إسـماعيل بن إبراهيم وضـعوه مُتَّصِـلَ الحروف بعضـها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر**)) [3].

وفي الطبري (ت 310هـ/922م) ((**أن أول من كتب بالخط العربي هم ((ملوكٌ جبابرةٌ))** [4]، **وهم أبجد ، وهوّز ، وحطي ، وكلمن ، وسـعفص ، وقرشـت**[5]**، وضـعوا الكتاب على أسـمائهم ، ولمّا وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهـــا وسموها الروادف**)) [6]. ويضيف الصولي (ت 336هـ/947م) أنها رواية أوردها عبدالله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير[7].

بالقلم . ابن رســـته: أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/902م): الأعلاق النفيســـة، ليدن ، مطبعة بريل ، 1891م ، ص 191 الطبري: تاريخ ، 170/1 ، ابن الأثير: الكامل ، 58/1 .

(1) ابن عبدربه: العقد الفريد،148/4. الجهشياري: الوزراء، ص1 . الصولي: أدب الكتاب ، ص 107. القلقشندي: صبح الأعشى،13/3.

(2) ابن النديم: الفهرست، ص 8 .

(3) العقد الفريد ،148/4 – 149 . غير أن القلقشندي ينقل بأن الخط كان منفصـلاً وليس متصـلاً مع إضـافة اسم جديد هو «دومة» . صبح الأعشى ،12/3 .سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص21.

(4) تاريخ،195/1 .

(5) قيل هؤلاء ملوك في الحجاز وأن « أبجد» ملكا على مكة وما جاورها ، و«هوّز» ملكا على الطائف وما اتصـل بذلك من أرض نجد، و«كلمن» و « سعفص » و « قرشت» ملوكا بمدين . المسعودي: مروج الذهب،149/2 . مدين: بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الياء وهي مدينة قوم شعيب سُمِّيَتْ بمدين بن إبراهيم . وقيل مدين اتجاه تبوك بين المدينة والشام وبها استقى موسى υ لبنات شعيب υ . وقيل مدين اسم قبيلة. الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1228م) معجم البلدان ، ط2 ،بيروت ، دار صـــادر، 1416هـ/1995م ، 77/5 – 78 . وقد ورد في كتاب الكامل أن أهل مدين هم ولد مدين بن إبراهيم الخليل عذبهم يوم الرجفة وهي الزلزلة . ابن الأثير: الكامل ،139/1.

(6) ابن عبدربه: العقد الفريد، 148/4. ابن النديم: الفهرسـت ، ص7 . سـهيلة الجبوري: أصـل الخط العربي، ص22 . وقيل في أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت أنها أسماء لأبناء مرامر بن مرة وليست أسماء لملوك في الحجاز وبقية أجزاء الجزيرة العربية وذلك استشهادا بالبيت :

تعلمت أبا جاد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب

وهو بيت قال الجوهري في تفسيره كما أورده القلقشـندي: « وإنما قال آل مرامر لأنه كان قد سمّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية» . القلقشندي: صبح الأعشى، 12/3 . سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي، ص22.

(7) أدب الكُتَّاب ، ص 17 .

ومما لا شك فيه ، أن هذه الرواية لم تستندْ إلى أسس وحقائق علمية ثابتة . والجدير بالذكر أن الترتيب الأبجدي كان معروفاً في صدر الإسلام[1].

حيث يُروى أن عمر بن الخطاب τ لقي أعرابياً فأسـلمه إلى الكُتَّاب ليتعلم فمكث حيناً ثم هرب فلما رجع إلى أهله أنشدهم [2]:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أحرفٍ متتابعات

وخطّوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سعفصاً وقريشات

وما أنا والكتابة والتهجي وما خط البنين مع البنات

ومن الآراء المشهورة في أصل الخط العربي أنه نسب إلى ثلاثة نفر من طي ببقة[3] ، وهم مرامر بن مُرَّة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فقيل أنهم وضعوا الخط وقاسوه على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار[4]، ثم تعلمه أهل الحيرة من الأنبار[5]. وينفرد ابن قتيبة (ت 276هـ/889م) ، والذي يعدُّ من أقدم المؤرخين العرب الذين تطرقوا إلى موضوع أصل الخط العربي ، برأي ينسب فيه الخط إلى واحد من هؤلاء الثلاثة فقط وهو مرامر بن مُرَّة [6] . بينما نسبه ابن جعدة[7] إلى اثنين فقط هما مرامر بن مُرَّة وأسلم بن سدرة ، من أهل الأنبار[8].

---

(1) خليل يحيى نامي : «أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام» ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية، 1935م ، م 3 ، ج1 ص 5-6 .

(2) الصولي: أدب الكُتَّاب ، ص 18-19 . القلقشندي: صبح الأعشى ،24/3 . سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ، ص22-23.

(3) بقة: بالفتح وتشديد القاف اسم موضع قريب من الحيرة وقيل حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة . ياقوت: معجم البلدان ،473/1 . وقد ورد اسمها « بقعة» في العقد الفريد . ابن عبدربه: العقد الفريد، 149/4 .

(4) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد . كانت الفرس تسميها فيروز سابور ، جدّدها أبو العباس السفاح وكان يقال لها الأهراء فلمّا دخلتها العرب سمتها الأنبار وقد فُتِحَتْ أيام أبي بكر الصديق τ سنة 12هـ على يد خالد بن الوليد. ياقوت: معجم البلدان، 257/1-258.

(5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 457 . الجهشياري : الوزراء ، ص 1 . والحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية يقال لها الحيرة الروحاء. ياقوت: معجم البلدان ،328/2.

(6) يقول فيه ابن قتيبة: «حدثني أبو حاتم قال: مرامر بن مروة (وليس مرة) من أهل الأنبار وهو الذي وضع الكتابة العربية ومن الأنبار انتشرت في الناس» . عيون الأخبار: شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له ورتب فهارسه يوسف علي طويل، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406هـ/1986م ،103/1. سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص 24.

(7) لم أجد له ترجمة فيما تيسر من مصادر.

(8) الصولي: أدب الكُتّاب ، ص 18.

ويختلف بعض المؤرخين في المكان الذي نشأ فيه الخط فمنهم من نسبه إلى الحجاز وفي ذلك يقول المسعودي (ت 346هـ/957م) : ((**أن عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح وولده ومن تبعه نزلوا الطائف ، وأنهم أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم وهي التسعة والعشرون حرفا**))[1]. ويرى البعض الآخر نسبته إلى العراق فقد جاء عند بعض الرواة أن الخط العربي ظهر لأوَّل مرةٍ في قبيلة إياد[2] التي سكنت العراق حيث تعلمها منهم أهل الأنبار وعنهم أخذته بقية العرب[3].

ويشير ابن النديم (ت 385هـ/995م) أن الأول مرامر بن مُرَّة وضع صور الحروف وفصل الثاني أسلم بن سدرة ووصل ، أما الثالث عامر بن جدرة فقد وضع الأعجام[4].

وقد شكّك ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) في صحة الرواية القائلة بأن إياد وضعت الخط العربي بسبب كونهم بدواً . ويقررِ أن الخط من جملة الصّنائع المدنّية المعاشية التي تنعدم مع البداوة وتكسب بالتحضر، لا يصيبها البدو عادة إلا مقيمين على تخوم المدينة[5].

وفي رواية أخرى توضح أصل الكتابة العربية ، إن رجلاً قال لابن عباس : من أين أخذتم معاشر قريش ، هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث النبي ρ ، تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق ، قال : أخذناه عن حرب بن أمية . قال : فممن أخذه حرب ؟ قال: من عبدالله بن جدعان . قال: فممن أخذه ابن جدعان ؟ قال : من أهل الأنبار . قال : فممن أخذه أهل الأنبار ؟ قال : من

---

(1) مروج الذهب ، 143/2 . سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص 21.

(2) إياد: قبيلة عربية أصلها من الحجاز ذكرها أمية بن أبي الصلت الثقفي في شعره حيث قال:

قومي إياد لو أنهم أمم   أولو أقاموا فتهزل النعم

وغلبت إياد على سواد العراق ، وخرج عليهم الملك الساساني سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف (309-379م) فانتقلت إلى الجزيرة. ابن هشام: السيرة النبوية ،39/1-40 . الطبري: تاريخ، 375/3. ابن حزم : علي بن أحمد (ت 456هـ/1063م) جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، ط1 ، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1403هـ/1983م ،ص328. ابن الأثير: الكامل، 358/1-359. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة، 1396هـ/1976م ، ص 97.

(3) ابن النديم: الفهرست ، ص 8.

(4) الفهرست ، ص 7 .

(5) مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، د.م ، الدار التونسية، 1984م ،503/2-505 . سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص 24.

أهل الحيرة . قال : فممن أخذه أهل الحيرة ؟ قال: من طارئٍ طرأ عليهم من اليمن وكندة قال: فممن أخذ ذلك الطارئ ؟ قال: من الخفلجان بن الوهم كاتب الوحي لهود υ [1].

وتعزز هذا الرأي أبياتٌ قالها شاعر كندة من أهل دومة الجندل يَمِنُّ على قريش أن بشر بن مروان[2] علّم حرب بن أمية وعدداً من أهل مكة الكتابة فقال[3]:

لا تجحدوا نعماء بشرٍ عليكُمُ فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكمْ بخط الجزم حتى حفظتُمُ من المال ما قد كان قبل مبعثرا

فأجزيتمُ الأقلام عوداً وبدأةً وضاهيتمُ كُتّاب كِسْرى وقيصرا

وتشير بعض المصادر إلى أمية وجهل العرب بالكتابة ومن ذلك ما ذكره الجاحظ حيث قال: ((**وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيده العربي على نفسه، ولا يدرسه أحداً من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون**)) [4]. مع أن الجاحظ نفسه ، الذي ينكر على العرب معرفتهم بالكتابة ، ويعمّهم بوصف الأمية ، لا ينكر على أيّ جنس من الأجناس وأمة من الأمم ذلك ، فيقول: ((**وليس في الأرض أمة بها طِرْق أولها مُسكة ، ولا جيل لهم قبض وسبط ، إلا ولهم خط ...**)) [5]

---

(1) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) مقدمة، 504/2. القلقشندي: صبح الأعشى ،14/3. السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، بيروت ، دار الجيل ، د.م ،دار الفكر ،د.ت ، 349/2 .

(2) بشر بن عبدالملك أخو أكيدر بن عبدالملك الكندي السكوني صاحب دومة الجندل ، أتى مكة وعلّم سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ثم أن بشر وأبو سفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر إلى ديار مضر ، فتعلّم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس ، ثم أتى بشر الشام فتعلّم منه ناس هناك. البلاذري: فتوح البلدان ،ص 457 . ابن دريد: الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، مؤسسة الخانجي، بيروت ، المكتب البخاري، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.م، مطبعة السنة المحمدية، 1378هـ/1958م ،372/2 .

(3) البلاذري: فتوح البلدان ، ص 457 .

(4) البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط4 ، بيروت ، دار الفكر ، 1367هـ/1948م ،28/3 .

(5) الحيوان ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ،71/1 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ، ط4 ، القاهرة ، دار المعارف 1969م،ص45.

هذا وقد وصف القرآن الكريم العرب في جاهليتهم بأنهم كانوا أميين ، حيث جاء في قوله تعالى: (**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْــلَمْتُمْ**)(1). وقوله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**) (2) . وقوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**) (3).

غير أن هذا الوصــف بالأمية لا يعني الأمية الكتابية ولا العلمية، إنما يعني الأمية الدينية ، أي لم يكن لهم قبل القرآن كتاب ديني، كما كان هناك لأهل الكتاب من اليهود والنصارى(4) .

وينبغي أن يشـار هنا إلى أن القرآن الكريم نفســه يثبت للعرب معرفتهم بالكتابة قبل الإســلام في أكثر من موضع حيث يقول تعالى: (**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**) (5) وقوله تعالى: (**أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّــمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً**) (6).

وخلاصـة القول أن الكتابة العربية موجودة قبل الإسـلام ، ولكنها لم تنتشر كثيراً إلا بعد الإسـلام وذيوعه .

ففي العصر الجاهلي وإبان الفترة التي سبقت الإسلام بقليل ، كان العرب يحرصون على تسجيل وتقييد شؤون حياتهم الخاصـة والعامة ، ويكتبون عهودهم ومواثيقهم وأحلافهم ، ويسجلونها لحساب تجـارتهم وحقوقهم(7)، وفي ذلك يقول الجـاحظ: ((**كـانوا يـدعون في الجـاهلية من يكتب لهم ذكر**

(1) سورة آل عمران الآية 20 . جاء في تفسير هذه الآية أن الله Y أمر رسوله محمد ρ أن يدعو إلى طريقه ودينه والدخول في شرعه الكتابين من الملتين ، والأميين الذين لا كتاب لهم من مشـــركي العرب ، ويعني جلّ ثناؤه بقوله (ءأســـلمتم) أي أقررتم التوحيد وأخلصـــتم العبادة والألوهية لرب العالمين. الطبري: جامع البيان في تفســـير القرآن ، بيروت ، دار المعرفة، 1409هـ/1989م ، 143/3 . ابن كثير: تفسير القرآن ، 463/1 .

(2) سورة آل عمران الآية 75 . يذكر الطبري في تفسير هذه الآية أن اليهود تقول: ليس علينا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب ، فإن الله Y قد أحلَّها لنا . جامع البيان ، 227/3 . ابن كثير: تفسير القرآن ، 488/1 .

(3) سـورة الجمعة الآية 2. جاء في تفسير هذه الآية إنما سـميت أمة محمد ρ الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاباً ، وقيل بل سـميت أمة محمد ρ بالأمية لأنها أمة لا يقرؤون كتاباً فبعث الله نبيه محمد ρ رحمة وهدى يهديهم به ، الطبري: جامع البيان ، 161/8.

(4) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ،ص 45 .

(5) سورة الفرقان الآية 5 .

(6) سورة الإسراء الآية 90 – 93 .

(7) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ، ص 65–67 . عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ، ط4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1981م، 38/1 . ناجي معروف: أصـــالة الحضـــارة العربية، ط3، بيروت، دار الثقافة ، 1395هـ/1975م ، ص 115.ومن الأحلاف التي كتبت في الجاهلية حلف خزاعة، بين عبدالمطلب بن هاشـم جد رسـول الله ρ ورجال خزاعة ، وكتب لهم الحلف أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وعلّقوا الكتاب في الكعبة. ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 66.

الحلف والهدنة تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان)) [1]. إضافة إلى اهتمامهم بكتابة رسائلهم في جليل أمورهم وصغيرها[2]، وكتابة القصائد الشعرية وتعليقها على جدران الكعبة فيما عرفت بالمعلقات في الشعر العربي[3].

ويظهر مما سبق أن الكتابة بصورتها المعروفة للعرب تلبي احتياجاتهم وتوضح أغراضهم في سهولة ويسر. ومن أبرز المدونات المتعارف عليها ما سُمِّيَتْ بمكاتبة الرقيق أي سند الرقيق وذلك أن يتفق العبد وسيده على قدر معلوم من المال يكون في الغالب مساوياً لثمنه ، فإذا أدَّاه لسيِّده عتق وأصبح حراً[4].

والحق أن الكتابة في الجاهلية تضاف إلى شروط أخرى توصل صاحبها إلى مكانة عالية في قومه . فقد كان من يحسن العوم والرمي والكتابة يُسمّى كاملاً[5] ؛ وقد زاد بعضهم أن الكامل لا بدَّ أن يكون مع معرفته العوم والرماية والكتابة شاعراً شجاعاً[6]. ومن أولئك الكملة الذين يوردهم البلاذري (ت 279هـ/892م) في فتوحه رافع بن مالك ، وسعد بن عبادة ، وأسيد بن خضير ،

---

(1) الحيوان ، 69/1 .

(2) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 71 .

ومن ضروب الموضوعات العامة التي كان العرب يقيّدونها بالكتابة ما قاله أبو جهل للعباس بن عبدالمطلب τ حين شاعت في مكة رؤيا أخته عاتكة بنت عبدالمطلب ، حيث قال أبو جهل : يا بني عبدالمطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا من ثلاث . فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وأن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، فكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . ابن هشام : السيرة النبوية ، 188/2. ابن سعد: الطبقات، 43/8–44 .

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد ، 253/5. ابن خلدون: مقدمة ، 755/2–756 . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2 ،بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1978م ، 70/1 ، 252/9 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 169 . عمر فروخ: تاريخ الأدب ، 38/1 . والمعلقات: هي قصائدٌ ممتازة من أجود الشعر الجاهلي، عددها سبع في أحد الأقوال ، وعشر على قول آخر، وقد سميت بالمعلقات تشبهاً لها بعقود الدرالتي تعلّق في النحر، وقيل سبب تسميتها:أن العرب كتبوها بماء الذهب على القباطي وعلقوها على أستار الكعبة . وقيل سميت بالمعلقات لأن الناس علّقوها في أذهانهم أي حفظوها ولعل الرأي الأخير هو الأوجه . ابن عبدربه: العقد الفريد، 253/5 .

(4) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ، ص 73 . ومن أشهر المكاتبات في مطلع عصر الرسالة المحمدية ما ورد ذكره عن صحيفة قريش التي تعاقدت قريش فيها على بني هاشم ، وبني عبدالمطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم. ابن هشام : السيرة النبوية ، 276/1 . اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (ت نحو 292هـ/904م) تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار بيروت، 1390هـ/1970م ، 31/1 .

(5) البلاذري: فتوح البلدان ، ص 459. ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي، ص 54 . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، 115/8–116 .

(6) الأصفهاني: علي بن حسين(ت 356هـ/966م) الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، تونس ، الدار التونسية ، 1983م، 25/3.

وعبدالله بن أبي ، وأوس بن خولي ، وممن جمع بين هذه الأشياء في الجاهلية في أهل يثرب سويد بن الصامت[1] وحضير الكتائب[2]. ويشير صاحب الفهرست إلى أن أسيد بن أبي العيص كان من كُتَّاب العرب في الجاهلية [3] .

ورُوِي أن قصـــي بن كلاب جد عبدالمطلب كان قد كتب إلى أخيه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري في الشام يدعوه إلى نصرته[4].

ورُوِي أيضاً أن من كان يجيد الكتابة قبيل عصر الرسالة المحمدية في مكة عبدالمطلب بن هاشم– جد رسول الله ρ – ذكر أن خزانة الخليفة المأمون (198–218هـ/813–833م) كانت تضم كتاباً بخط عبدالمطلب على أدم(جلدٍ مدبوغٍ)[5].

وتشـــير رواية لابن إســـحاق (ت نحو 150هـ/767م) أن بعض أولاد عبدالمطلب ربما كانوا يحسنون الكتابة. فقد رُوِي أن عبدالمطلب قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشـــرة نفر ، لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة. فلمّا توافى بنوه عشـــرة ، دعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا، ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني[6] .

---

(1) هو: سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الخزرجي الأنصاري، شاعر من أهل المدينة، كان يسميه قومه الكامل اشتهر في الجاهلية أدرك الإسلام ، وهو شيخ كبير ، ولقيه النبي ρ بسوق ذي المجاز فدعاه إلى الإسلام ، وقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فاستحسنه ، وانصرف عائداً إلى المدينة ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، وذلك قبل الهجرة. ابن هشام: السيرة النبوية ، 51/2 . ابن حجر: الإصابة، 98/2 .

(2) البلاذري: فتوح البلدان ، ص 459–460 حضير الكتائب هو: حضير بن سماك بن عيتك بن امرئ القيس من الأوس، شجاع من الأشراف في الجاهلية، من سكان المدينة، ينعت بالكامل لإجادته الكتابة والعوم والرمي، كان رئيس الأوس وقائدها ، يوم بعاث في آخر وقعة للأوس مع الخزرج ، قتل في ذلك اليوم. الزركلي: الأعلام ، 263/2 .

(3) ابن النديم: الفهرست ، ص 8 . وكان أكثر الكُتَّاب في تلك الحقبة الزمنية من أبناء الطبقة الغنية . جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، 309/8.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية ، 98/1 . سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص65.

(5) ابن النديم: الفهرست ، ص 8 .

(6) ابن هشام: السيرة النبوية ،124/1–125. ابن سعد: الطبقات، 88/1–89. ابن الأثير: الكامل ، 608/1 . سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي ، ص64–65.

فبعض الأخباريين ينســـبون تعليم قريش الكتابة لحرب بن أمية[1] وأبي قيس بن عبد مناف بن زهرة ،ويعتبرونهم من أقدم كُتَّاب مكة آنذاك[2].

فقد كان في الجاهلية معلّمون يعلّمون القراءة والكتابة وضــــروباً من العلم قامت في البيئات الجاهلية المتحضـــرة مثل مكة ويثرب (المدينة) والطائف والحيرة والأنبار وغيرها ، وكان ذلك في كتاتيب يشرف عليها معلّمون ذوي مكانة رفيعة ، أمثال أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وبشر بن عبد الملك الســـكوني ، وأبي قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن زرارة المســـمّى الكاتب وغيرهم[3].

ذكر الطبري أنه لما نزل القائد خالد بن الوليد الأنبار ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلّمونها ، فســـألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا[4]. ويضــــيف ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) أن خالد بن الوليد وجد في قرية من قرى عين التمر[5] يقال لها النقيرة صبياناً يتعلّمون الكتابة وكان من بين هؤلاء حمران[6] مولى عثمان بن عفان τ[7] .

---

(1) الذي قيل عنه أول من كتب بالعربية من العرب . الطبري: تاريخ ،178/6. الجهشـــياري: الوزراء ص2 . ابن النديم: الفهرســـت ، ص8 . وهو: حرب بن أمية بن عبد شمس من قريش، كنيته أبو عمرو، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه، وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب كان معاصرا لعبد المطلب بن هاشم، شهد حرب الفجار، مات بالشام قال زياد بن أنعم المعافري لعبدالله بن عباس : هل كنتم معاشـــر قريش تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي؟ قال: نعم قال: فمن علمكم قال: حرب بن أمية. اليعقوبي: تاريخه، 215/2 . المسعودي: مروج الذهب ،326/3 .

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ، 117/8 .

(3) ابن رسته: الأعلاق النفسية ، ص 216. محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث ومصطلحه ، ط 10 ، د.م ، دار المعارف ، 1408هـ/1988م ، ص 139–140. وأيضاً السنة قبل التدوين، ط3، بيروت، دار الفكر ، 1400هـ/1980م ، ص295. وقد ذكرهم ابن حبيب تحت عنوان أشراف المعلمين . المحبّر، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، د.ت ، ص475 .

(4) تاريخ، 375/3 .

(5) عين التمر: بلدة قديمة قريبة من الأنبار غربي الكوفة على طرف البرية ، افتتحها المســـلمون أيام أبي بكر الصـــديق τ ســـنة 12هـ/633م ، على يد خالد بن الوليد. ياقوت: معجم البلدان ، 176/4 .

(6) ورد اسمه حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان كان يكتب له . الجهشياري: الوزراء ، ص 21 .كما ورد اسمه عمران مولى عثمان بن عفان τ . سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ، ص69.

(7) معجم البلدان ، 301/5 .

لا شكّ أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد كانت كتبهم مدونة بين أيديهم يتلونها ، ولم تكن موقوفة على الرهبان والأحبار وحدهم ، وإنما كانت صـــحف كثيرة يتداولونها بينهم ، حتى إن المسلمين بعد فتح خيبر وجدوا صحف فيها التوراة فجمعوها ثم ردّوها على اليهود[1].

وكان ورقة بن نوفل[2] من نصارى أهل مكة يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شـاء أن يكتب[3]. ويشـير كثير من الأخباريين أن قوماً من أهل يثرب من الأوس والخزرج ، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الإسـلام ، ويرجع أصـل علمهم بالكتابة والقراءة إلى قوم من يهود يثرب مارسـوا تعليم الصـبيان القراءة والكتابة يُدعون بني ماسـكة[4]. وإن صـحَّت هذه الرواية فإن يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية ، ويعلّمونها لصبيان يثرب[5].

وقد تعَّرض البلاذري لهذا الموضـــوع حيث يقول: **((كان الكُتَّاب في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصـــبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون))** [6]. وأننا نجد هذا الخبر وكأنّه حقيقة مسلمة ، وخبر متواتر لدى البعض حيث بنُيَ عليه حكماً هو أن الكُتَّاب ، كانوا في يثرب قليلاً ، حتى جاء الإسلام[7].

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن الكتابة كانت معروفة بين أهل يثرب قبل الإســـلام ، وأنها كانت قديمة فيهم .

---

(1) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد (ت 845هـ/1441م) إمتاع الأســماع، تحقيق وتعليق محمد عبدالحميد النميسي ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1420هـ/1999م ،318/1 .

(2) هو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى، من قريش حكيم جاهلي ، اعتزل عبادة الأوثان قبل الإسـلام،و تنصـر وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني، أدرك أوائل عصـر النبوة ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد أم المؤمنين . ابن هشام: السيرة النبوية ، 155/1 . الأصفهاني: الأغاني ،113/3 . ابن حجر: الإصابة ، 597/3 .

(3) الأصفهاني: الأغاني ،114/3 .

(4) القلقشندي: صبح الأعشى ، 14/3-15 .

(5) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ، 115/8 .

(6) البلاذري: فتوح البلدان ، ص 459 .

(7) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ، 115/8 .

وقد ظهرت وظيفة الكاتب في الجاهلية كالذي كان من أمر حماد العبادي[1] الذي كان أول من كتب من بني أيوب وكان أكتب الناس في زمنه ، وعلا شأنه في الكتابة حتى صار كاتب النعمان الثاني ثم جاء من بعده ابنه زيد فحذق العربية وكتابتها قبل أن يصير في كنف الدهقان، فلما صار إليه علّمه الفارسية فلقنها، كان فطناً لبيباً أسند إليه كسرى أمور البريد ومكث يتولى ذلك لكسرى زماناً ثم استطاع أن يحوز المزيد من ثقة كسرى به ، وفي كنف هذا الأب وفي جو تلك الأسرة درج ابنه عدي بن زيد[2].

فيذكر صاحب الأغاني أن عدي بن زيد العبادي الذي طرحه أبوه حين أيفع في الكُتَّاب إذ حذق العربية ، أرسله إلى كُتَّاب الفارسية فصار أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، ثم انتقل إلى بلاط فارس فأصبح كاتباً بالعربية ومترجماً في ديوان كسرى[3].

ونشأ عدي في أسرة تشغف بالمعرفة واتخذت من الكتابة وسيلة لارتقاء سلّم المجد ودخول قصور الأكاسرة والمناذرة ، وقيَّضت له أن يتعلَّم اللغتين العربية والفارسية كتابة وقراءة[4]. وفي ذلك يقول الجاحظ: **((وكان عدي ... ترجماناً وصاحب كتب وكان من دهاة أهل ذلك الدهر))** [5] ويضيف البلخي أيضاً (ت 322هـ/934م) : **((كان عدي أحد الحكماء من قرّاء الكتب))**[6] وقد اهتَّم الأكاسرة بالترجمة حتى أصبح لدى الأكاسرة ديوان خاص يُدوُّن فيه كلُّ ما يخص سائر العرب بالعربية ، ويترجم أيضاً كلَّ ما يرد إلى الدولة بالعربية إلى الفارسية ، ويترجم ما يصدر بالفارسية من الحكومة إلى العرب بالعربية[7].

ويذكر اليعقوبي (ت 292هـ/904م) قائلاً:**((أن كسرى كتب إلى المنذر أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون له الكتب فبعث بعدي بن زيد وأخوين له فكانوا في كُتَّابه يترجمون له))** [8].

---

(1) حماد العبادي هو: حماد بن زيد بن أيوب، تعلم الكتابة في دار أبيه، وكتب للنعمان الأكبر. ابن قتيبة: الشعروالشعراء، تحقيق مفيد قميحة وآخرون ، ط2 ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م، ص 132 ، الأصفهاني: الأغاني ، 100/2 .

(2) محمد علي الهاشمي: عدي بن زيد الشاعر والمبتكر ، ط1 ، حلب، المكتبة العربية، 1387هـ/1967م، ص 29–30 .

(3) الأصفهاني: الأغاني ،83/2 . عدي بن زيد الحميري كان أحد بني تميم من أهل الحيرة. ابن هشام: السيرة النبوية ،256/1 .

(4) الهاشمي: عدي بن زيد الشاعر والمبتكر ، ص 31 .

(5) الحيوان ، 197/4 .

(6) البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار ، شالون ، مطبعة برطرند ، 1903م ، 204/3–205 .

(7) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ، 108/8 .

(8) تاريخه ، 212/1–215 .

لقد قضى عدي بن زيد جزءاً من حياته يعمل في الشؤون العربية ، والترجمة فأعجب به كسرى وقرَّبه ووثق به وأذن بالدخول عليه مع الخاصة[1]. فيذكر صاحب الأغاني أن المرزبان وفد على كسرى فكلّمه في عدي قائلاً :((**إن عدي غلاماً من العرب من أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فقال كسرى: أدعه، فأرسل إلى عدي ، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرَّك بالجميل الوجه ، فلمّا كلّمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان . فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى**))[2]. ولمّا قتله النعمان بن المنذر حوالي سنة 604م صار ابنه زيد مكانه[3].

ولقد اشتغل لقيط بن يعمر الإيادي[4] شاعر قبيلة إياد كاتباً ومترجماً في بلاط فارس يكتب بالعربية[5] . فهؤلاء إذن هم كُتّاب صارت الكتابة حرفتهم استطاعوا إتقان حرفتهم لطول مرانهم بها .

---

(1) الهاشمي: عدي بن زيد الشاعر والمبتكر ، ص 35 .

(2) الأغاني ، 84/2 .

(3) المسعودي: مروج الذهب ، 100/2 . البلخي: البدء والتاريخ ، 205/3 .

(4) لقيط بن يعمر من إياد كان شاعر تخلَّف في الحيرة حين ارتحال قبيلته إياد إلى الجزيرة بسبب حربهم مع الفرس فكتب إليهم قصيدة يخبرهم فيها بمجيء كسرى لمحاربتهم مطلعها :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط ... إلى من في الجزيرة من إياد

ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص 83 . الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ/980م) المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية، 1381هـ/1961م ، ص 266 .

(5) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ، ص 114 .

الفصل الأول

شروط الكُتَّاب وأنواعهم وأدواتهم

وفيه ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: الشروط الواجب توفرها في الكُتَّاب.
- المبحث الثاني: أنواع الكُتَّاب .
- المبحث الثالث: أدوات الكُتَّاب .

المبحث الأول

الشروط الواجب توفرها في الكُتَّاب

الشروط العامة :

أفاضت المصادر في ذكر الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح للكتابة ، فكان لزاماً عليهم أن يتحلوا بكثير من الشروط التي أشارت المصادر إلى ضرورة توفرها فيهم بل أن الشروط التي تطلب فيهم، بلغت حداً لم تبلغه أي وظيفة أخرى –اللهم إلا الخلافة– حين وضع الفقهاء لها شروطاً لا تنعقد إلا بها[1].

وقد قسموها إلى شروط وصفات عامة وأخرى خاصة نتتبعها فيما يلي: الإسلام ، والذكورة ، والتكليف ، والعدالة ، والبلاغة ، والعلم ، وحسن الخط ، والعقل ، وجزالة الرأي ، وقوة العزم ، وعلو الهمة ، وشرف النفس والكفاية لما يتولاه ، وجودة الحدس ، وحلاوة اللسان ، والتؤدة ، والأنفة ، والوقار ، والنزاهة و الأمانة[2] .

وعند استعراض هذه الشروط نجد أن شرط الإسلام لابد من اشتراطه في الكُتَّاب جميعاً كلا حسب تخصصه ، فلا تجوز ولاية اليهود والنصارى وغيرهم من أتباع الملل والنحل الأخرى على شؤون المسلمين حيث قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** ...) [3].فقد رفض عمر بن الخطاب τ اتخاذ أحد النصارى كاتباً للديوان[4] .كما أنه أمر واليه على الكوفة أبي موسى الأشعري بعزل كاتب له بعد أن علم أنه نصراني ، فقال عمر τ : ((**لا تؤمنوهم وقد خوّنهم الله ، ولا تدنوهم ، وقد أبعدهم الله ، ولا تعزّوهم وقد أذلّهم الله**)) [5] .

---

(1) ابن شيث: عبدالرحيم بن علي (ت 625هـ/1227م) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، حققه وضبطه وعلق على حواشيه محمد حسين شمس الدين ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1983م ، ص 5 .

(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص5–6 . القلقشندي : صبح الأعشى، 1/93–99 . عائض سعد سعيد الحارثي : ديوان الإنشاء في القرن السادس الهجري وأثره في تطور الأساليب النثرية ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، قسم الأدب ، 1403هـ/1983م ، ص47 .

(3) سورة المائدة الآية 51 .

(4) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 1/43 .

لما فتحت مصر سنة 20هـ/640م بعث عمر بن الخطاب τ إلى عمرو بن العاص يأمره أن لا يستعمل في عمل من أعمال المسلمين كافراً فأجابه عمرو: بأن المسلمين إلى الآن لم يعرفوا حقيقة البلاد، ولم يطلعوا على مقادير خراجها؛ وقد اجتهدت في نصراني عارف منسوب إلى أمانة إلى حيث معرفتنا بها فنعزله ، فغضب عمر τ وقال : كيف تؤمنهم وقد خونهم الله؟ وكيف تعزهم وقد أذلهم الله؟وكيف تقربهم وقد أبعدهم الله ؟ ثم تلا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم . . .) سورة آل عمران الآية 118، وقال في آخر كتابه « مات النصراني والسلام» .القلقشندي: صبح الأعشى ،1/94 .

(5) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، 1/43 . القلقشندي :صبح الأعشى، 1/94 .

ولذلك اشـــترط بعضـــهم في الكاتب أن يكون على مذهب الملك الذي يتمذهب به عن مذاهب المسلمين ليكون موافقاً له من كل وجه[1]. وقد قال الإمام الشافعي (ت 204هـ/820م) : ((**ما ينبغي لقاضٍ ولا والٍ أن يتخذ كاتباً ذمياً ولا يضع الذمي موضعاً يفضل به مسلماً**))[2] . وإذا اشترط الإسلام في كاتب القاضـــي والوالي ففي كاتب السـلطان أولى لعموم النفع والضّــر به. يقول أبو الفضــل الصـوري : ((لا شـك أن كاتب الإنشـاء من أحوج الناس إلى الاستشـهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته ، وفصـول مكاتباته والتمثيل بنواهيه وأوامره وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات . . . فإذا كان الكاتب غير مسـلم ، لم يكن لديه من ذلك شـــيء ، فقد صـــح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم)) [3].

وقد اســتعرض الأســعد ابن مماتي جملة من الصــفات التي يجب على الكُتَّاب أن يتحلوا بها، فنجد أنَّه تعرَّض لشـرط الإسـلام في قوله: ((**يجب أن يكون الكاتب مسـلماً**)) [4] . وفي خبر أورده الطبري في تاريخه أن الحجاج بن يوســف الثقفي ، كتب إلى عبدالملك بن مروان يشــير عليه أن يسـتكتب محمد بن يزيد الأنصـاري ، وكتب إليه : إن أردت رجلاً مأموناً ، فاضــلاً، عاقلاً، وديعاً، مسـلماً ، كتوماً ، تتخذه لنفسـك وتضـع عنده سرك، ومالا تحب أن يظهر ، فاتخذ محمد بن يزيد فكتب إليه عبدالملك: احمله إليّ فاتخذه عبدالملك كاتباً [5].

أما شـــرط الذكورة فمن الشـــروط التي انفرد القلقشـــندي بذكرها والتي يرى أنه لا بد من توفرها في الكُتَّاب. حيث أشترط في كاتب القاضي أن يكون ذكراً [6].

ولم يكن الرجال وحدهم الكاتبين القارئين، وإنما كان بعض النساء كذلك يكتبن، ومنهن: الشفاء بنت عبدالله العدوية، من رهط عمر بن الخطاب τ، وقد كانت كاتبة في الجاهلية؛ وهي التي علمت الكتابة حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج الرسول ρ [7].

---

(1) ابن الصـيرفي : أبوا القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت 542هـ/1147م) قانون ديوان الرسـائل ،عني بنشره والتعليق عليه علي بهجت ، ط1 ، مصر، مطبعة الواعظ، 1905م ، ص 96 .

(2) الأم : أشرف على طبعه وباشر تصحيحه محمد زهري النجار ، بيروت، دار المعرفة، د.ت ، 210/6 .

(3) القلقشندي: صبح الأعشى ،95/1 .

(4) ابن مماتي: قواني الدواوين ، ص 5 .

(5) تاريخ، 41/6-415 .

(6) القلقشندي: صبح الأعشى ،96/1 .

(7) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 458 .

ومن شـــروط الكاتب أن يكون حـــراً وشرط الحرية يقصد به أن يكـــون الكاتب حراً لا عبداً مملوكاً لما في العبد من النقص فلا يعتمد عليه في كل القضايا ولا يوثق به في كل الأحـوال وكان هذا الشرط من أول الشروط التي ذكرها ابن مماتي[1] ، بينما نجد القلقشندي يرتب هذا الشرط بعد الإسلام والذكورة[2].

أما شرط التكليف فقد ذكره القلقشنـدي ضمن الشروط ، فلا يعـوّل على الصبـي في الكتابـة إذ لا وثوق بـه ولا اعتماد عليـه[3] ، وقد روي أن أبـا موسى الأشعـري τ كان قد استكتب في ولايتـه لعمـر τ زيـاد ابن أبيه[4] ، وهو حدث فلما قدم أبو موسى إلى عمر مرة استخلف زيـاداً على عمله ، فلامــه عمر على ذلك وقال لــه : استخلفت غلامــاً حدثاً فقال: يـا أمير المؤمنين إنَّه ضابط لما ولّي خليق بكل خير[5].

وهذه الحادثة تجعل البعض يظن أن عمر τ يرى أن تقدم السن شرط من شروط الكتابة ، لكن الحوار الذي دار بينه وبين أبي موســى الأشـعري τ أزال هذا اللبس ذلك أن الكفاءة في العمل هي المعوَّل عليها[6].

أما شرط العدالة فهو من أهم الشروط التي لا بد من توفرها في الكُتَّاب وضرورة لا بد منها فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسـقاً فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة ، يحكم بها في أرواح الناس وأموالهم: لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيســـر حرفٍ أو كتم شـــيئاً قد علمه أو تأوّل لفظاً بغير معناه أو

---

(1) قوانين الدواوين ، ص5 .

(2) صبح الأعشى ، 97/1 .

(3) القلقشندي: صبح الأعشى ،97/1 .

(4) زياد بن أبيه ويقال زياد بن أبي سفيان ، وزياد ابن أمه ، زياد بن سمية ، اختلف في عام مولده فقيل ولد عام الفتح وقيل عام الهجرة وقيل قبل الهجرة وقيل بل ولد يوم بدر يكنّى أبا المغيرة ليســت له صــحبة ولا رواية وكان رجلا عاقلا في دنياه داهية خطيباً له قدر وجلالة عند أهل الدنيا ، كان عمر τ استعمله على بعض صـدقات البصـرة وقيل بل كان كاتباً لأبي موســى كان يكتب للمغيرة بن شعبة ثم لعبدالله بن عامر بن كرز ثم لعبدالله بن عباس ، مات يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان سنة 53هـ/672م وهو ابن ثلاث وخمســين . ابن عبدالبر: الاســتيعاب ،552/1-555 . ولمزيد من التفاصـيل عن أخباره أنظر : الفصــل الثالث بموضــوع مشاهير بعض الكُتَّاب وإسهاماتهم الفكرية .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 18 . ابن الأبار: محمد بن عبدالله (ت 658هـ/1259م) إعتاب الكُتَّاب ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، 1380هـ/1961 ، ص 51 .

(6) محمود المقداد: تاريخ الترسل ، ص 316-317 .

حرّفه عن جهته ، أدّى ذلك إلى ضرر من لا يستوجب الضرر ، ونفع من يجب الإضرار به. قول الشاعر:

ولضـــربـةٌ من كـاتـبٍ ببنـانــــــــه أمضى وأقطع من رقيق حسامِ

قومٌ إذا عزموا عـداوة حاسـدٍ سفكوا الدّمـا بأسنـةٍ الأقـلام

وأيضـا فالكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصـح توليته شيئاً من أمور المسلمين[1] ، وقد اشترط الفقهاء العدالة في كاتب القاضي أيضاً[2] .

أما شـرط البلاغة[3] فقد جرى التركيز عليه لدى كثير من المصـادر ، حيث أصـبح شـرطاً لا غنى للكاتب عنه، بحيث يكون بأعلى رتبة وأســنى منزلة ؛ وربّ كاتبٍ بليغ أصـــاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتائب، وإذا كان جيّدِ الفطنة صـــائب الرأي حســن الألفاظ ، تتأتّى له المعاني الجزلة فيجلوها في الألفاظ السـهلة ، ويختصـر حيث يكون الاختصـار ، ويطيل حيث لا يجد عن الإطالة بُدّاً و يتهدد فيملأ القلوب روعةً ، و يشـكر فيلقي على النفوس مسـرَّةً ، وإن كتب إلى ملك كبير وذي رتبة خطير عظّم مملكة ســلطانه وفخّمها في معارض كلامه من غير أن يُوجد أن ذلك قصده [4] . وخير مثال على ذلك رسائل الرسول ρ التي كان يرسلها إلى الأمم المجاورة للدعوة إلى الإسلام.

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ،1/97-98 .

(2) الماوردي : أبو الحســن علي بن محمد حبيب (ت 450هـ/1058م) الأحكام الســلطانية والولايات الدينية، ط3 ، مصـــر ، شــركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1393هـ/1973م ، ص 215 . أبو يعلى الفراء : محمد بن الحسين (ت 458هـ/1065م) الأحكام السطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، الرياض ، دار الوطن ، د.ت ، ص 253 .

(3) البلاغة : فإن أصـلها في وضـع اللغة من الوصـول والانتهاء ، يقال بلغت المكان إذا انتهيت إليه ، ومبلغ الشـيء منتهاه ، والبلاغة شـاملة للألفاظ والمعاني وهي أخص من الفصـاحة. ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب الشـاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، القاهرة ، دار نهضـــة مصـــر، د.ت ، 1/118 .العســكري : أبو هلال الحســن بن عبدالله بن ســهل (ت نحو 400هـ/نحو 1009م) الصـــناعتين الكتابة والشـــعر ، تحقيق مفيد قميحة ، ط2 ، بيروت ،دار الكتب العلمية ،1404هـ/1984م ، ص 15 . أما ابن منظور فيقول البلاغة : هي الفصاحة . لسان العرب، 8/420 .

(4) ابن الصيرفي : قانون ديوان الرسائل ، ص 100 وأيضا القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/98.

فقد جاءت البلاغة في مقدمة الشروط التي يجب توفرها في كاتب الإنشاء فكان لزاماً عليه أن يملك زمام البلاغة والبراعة الأدبية نثراً ونظماً[1] . ويتساوى في ذلك كاتب القاضي إذ وجب عليه أن يتمهّر في البلاغة وتأليف الكلام[2] .إذن فلا بد من توفر البلاغة في جميع الكُتَّاب كلاً حسب تخصُّصه . قال أبو الفضل الصوري (ت 441هـ/1049م) : ((**ينبغي أن يكون الكاتب فصيحاً بليغاً أديباً سني الرتبة، قوي الحجة، شديد العارضة، حسن الألفاظ، له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود**))[3].

أما العلم فيقصد به العلم بأحكام الشريعة والفنون الأدبية وكان من الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح لوظيفة الكتابة وفي ذلك يقول صاحب قوانين الدواوين : ((... **يجب على الكاتب أن يكون أديباً فقيهاً عالماً بالله تعالى**))[4] .

ويقول صاحب كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ((**لا بدَّ للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبُّر معانيه، . . . ممثلاً في قلبه ليكون ذاكراً له في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به، أو يفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها**)) . ويضيف في موطن آخر أنه لا بد للكاتب من حفظ الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم وخصوصاً في السير والمغازي والأحكام وتأمل فصاحتها والنظر في معرفة معانيها وغريبها . . . ويستشهد بكل شيء في موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل[5]. ويورد ابن الأثير أنَّه لا بد أن يُلمَّ الكاتب بطرف كلِّ فن ويشمَّ رائحة كلِّ علم ويأخذ منه شيئاً يستفيد به في صناعته. ويضيف كذلك أن هناك معارف خاصة لا بد للكاتب في الخوض في بحورها منها : كمعرفته بعلم اللغة العربية من نحو وتصريف وإدغام وجميع فروع

---

(1) ابن الأثير الحلبي: نجم الدين أحمد إسماعيل (ت 737هـ/1336م) جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، تحقيق محمد زغلول سلام ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، د.ت، ص 33 . أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، مكة المكرمة ، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ، 1400هـ/1980م ص 160 .

(2) علي بن خلف : مواد البيان ، ص 86 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ،100/1 .

(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 2 .

(5) الحلبي : شهاب الدين محمود (ت 725هـ/1324م) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، بغداد ، دار الحرية ، 1400هـ/1980م ، ص 72–78 . وأيضاً ابن الصيرفي : قانون ديوان الرسائل ، ص 95 .

اللغة ، و معرفته بالعرب وأيامها،و إطلاعه على تأليف من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظوم منها والمنثور ،و معرفته بالأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة،وحفظه للقرآن الكريم . والممارسة لفرائضــه والخوض في بحور عجائبه ،و حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرســول ρ ، كذلك يقول في المثل الســائر : ((**وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلّق بكلِّ علم حتى قيل كل ذي علم يسوَّغ له أن ينسب نفسه إليه**)) [1]. ويضيف ابن خلدون قائلاً:((و **لا بد أن يتخذ الكاتب من أرفع طبقات الناس و أهل المروءة و الحشمة منهم،وزيادة العلم و عارضة البلاغة فإنه معرض للنظر في أصـــول العلم لما يعرض في جالس الملوك و مقاعد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعوا إليه عشرتهم من الآداب و التخلق بالفضائل**))[2]،ولقد أشار صاحب الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب إلى ذكر أصناف الكُتَّاب وما يحتاج إليه كل صنف من شروطٍ وجب توفرها فيهم. فقد يحتاج كل واحد منهم إلى أن يتمهر في علم اللسان حتى يعلم الإعراب ، ويسلم من اللحن ويعرف اللحن ويعرف المقصور والمدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء، وليس على واحد منهم أن يمعن في معرفة النحو إمعان المعلمين ولا إمعان الفقهاء ، إنما عليه أن يعلم من ذلك ما لا تســـعه جهالته ، ثم يكثر بعد ذلك من معرفة ما يخص صـــناعته ويحتاج كل واحد منهم إلى الفقه ونزهة النفس، وحســـن المعاملة للناس ، ولين الجانب ، وســـماحة الأخلاق والنصيحة لمخدومه فيما يقلدوه إياه[3] .

وتذكر المصادر أيضاً اشتراط حسن الخط الذي هو لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول ووحي الفكر، وســلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند المعرفة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السر، وديوان الأمور، قال النويري نقلاً عن علي بن أبي طالب τ (35-40هـ/655-661م): ((**الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً**)) . وقال أيضاً : ((**الخط إحدى البلاغتين**)) . كذلك قال جعفر بن

(1) المثل السائر ، 40/1 وأيضاً ابن الأثير الحلبي : جوهر الكنز ، ص 29 .

(2) مقدمة ، 305/1.

(3) البطليوسي : عبدالله بن محمد (ت 521هـ/1127م) الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب ، بيروت ، دار الجيل ، 1973م ، ص 66 صناعة الكتابة عند ابن الأثير، ص 66-68 ، والمفتاح المنشا ، ص 12.

يحيى البرمكي (ت 187هـ/803م): ((**الخط سمط الحكمة، به تفصل شذورها وينتظم منثورها**))[1].

كما اشترطت اتصاف الكُتَّاب بالعقل وجزالة الرأي، وقوة العزم، وعلو الهمة، وشرف النفس والكفاية لما يتولاه[2].

ومن بين الشروط أيضاً النزاهة والأمانة ، حتى تتحقق العدالة في الإجراءات وتجنب الظلم فقد اشترط عمر بن الخطاب τ في عمّاله العدل والرفق إلى جانب الكفاية والأمانة[3]. وحثّ علي بن أبي طالب τ عمّاله في الأقاليم على مراعاة العدل وتجنب الظلم حفاظاً على الأرض وتحقيقاً للأمن والاستقرار[4] .

وسار الأمويون على نهج الراشدين في الاهتمام بأمانة الكاتب ، فأنشأ معاوية τ ديوان الخاتم ، وعيَّن عليه عبدالله بن محمد الحميري لضبط عمل الموظفين ومتابعتهم[5]. وقد قُيّدت مهام القائمين على هذا الديوان في أيام يزيد بن الوليد الناقص فلم يعودوا قادرين على شيء . هذا ما بيّنه عمرو بن الحارث مولى بني جمح ومتولي ديوان الخاتم زمن يزيد لبعض أولاد عبدالملك ، فقال: ((**كنت متى شئت أن تجد من يعد وينجز وجدته ، فقد أعياني من يعد ولا ينجز**)) فلما مضت من هذا القول سنون، قال عمرو : ((**كنت متى شئت وجدت من يقول ولا يفعل، فصرنا إلى زمان من فيه لا يقول ولا يفعل**))[6] .

وأضيفت إلى الأمانة شروطاً أخرى أبرزها الطاعة والولاء،فقد و صف عبدالملك بن مروان روح بن زنباع الجذامي وكان كاتباً له بقوله: ((**إن روح بن زنباع شامي الطاعة، عراقي الخط، حجازي**

---

(1) النويري : نهاية الأرب ، 13/7-14 .

(2) ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص 5. القلقشندي: صبح الأعشى ،98/1-99 .

(3) غيداء خزنة كاتبي : الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري ، ط2 ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997م،ص 269 .

(4) ابن حمدون : محمد بن الحسين (ت 562هـ/1166م) التذكر الحمدونية ، تحقيق إحسان عباس، ط1 ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، 1983م ، 345/1 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 24-25 . غيداء كاتبي : الخراج ، ص 270 .

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص 69 . غيداء كاتبي : الخراج ، ص 270 .

الفقه، فارسي الكتابة)) [1] . فاجتمعت في شخص روح بن زنباع مزايا قلّ أن تجتمع في واحد[2] , وحثّ عمر بن عبدالعزيز عمّاله على التزام بعض المثل في تعاملهم مع السلطان فقال لميمون بن مهران عامله على الخراج في أقليم الجزيرة[3] وبيت المال في حران[4] : ((**يا ميمون . . لا تدخلن على سلطان أبداً ما أمكنك، وإن قلت آمره بالمعروف وانهاه عن المنكر**)) [5].

إلا أن الوليد بن يزيد له رأي آخر[6] فقال لكاتبه عمرو بن عتبة عندما اختار بين السكوت طائعاً أو القول مشفقاً ((**كل مقبول منك ، ولله فينا علم ، ونحن صائرون إليه**)) [7] .

وهكذا وضع الأمويون شروطهم في الكاتب الجيد، وهي كما يلاحظ شروط تتضمن مسلكيات ومهارات اقتضتها طبيعة تلك المرحلة، إلا أنها لم تعد كافية للمرحلة القادمة–أيام العصر العباسي– وما رافقها من توسع في استصلاح الأراضي وحفر الأنهار، بل ظهرت متطلبات جديدة ، يفترض توفرها في الكُتّاب، إضافة إلى الأمانة، والرفق، وحسن التقدير التي عبّر عنها عمر بن مهران كاتب الرشيد لتحصيل أقساط الخراج[8].

ويلاحظ أن العباسيين أدخلوا شروطاً جديدة تتناسب مع ثقافة الكُتّاب ومع إجراءاتهم التنظيمية. فالتمييز بين الأراضي الخارجية في الشام أيام المنصور وإجراءات التعديل فيها أيام المأمون، كانا يتطلبان العلم ومعرفة أصول الأرضين وأحكامهما، كما يتطلبان معرفة المساحات

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص 35 .
(2) غيداء كاتبي : الخراج ، ص 270–271 .
(3) أقليم الجزيرة : يقع في شمال العراق ويشمل منابع دجلة وكثيراً من منابع الفرات . ياقوت : معجم البلدان 134/2–136 .
(4) مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر ، فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم . ياقوت : معجم البلدان ، 235/2–236 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 53 .
(6) غيداء كاتبي : الخراج ، ص 271 .
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص 68 .
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص 220–221 . غيداء كاتبي : الخراج ، ص 271–272 .

والأطوال والمقاييس،وتطلبت مقاســـمة الســـواد[1] أيام المهدي والرشـــيد الخبرة في أنواع الغلال المزروعة وأمور الري والمياه وأسعار الغلال والمقاسمات[2].

الشروط الخاصة:

هناك شروط ومؤهلات خاصة لا بد من توفرها في الكُتَّاب كل حسب تخصصه .

أولاً :كاتب الجند – الجيش – :

ينبغي لكاتب الجند أن يعرف صــفات الناس وأن يعرف شــيات[3] الخيل وصــفاتها وغيرها من الدواب والسلاح[4].

وأن يملك دراية بالجيوش والعروض، ومعرفة الرجال ورتبهم وأقدارهم وموقعهم من الدولة. وأن تكون له هيبة ، وحرمة كبيرة حتى لا يجسر أحد على التدليس ولا على غيره[5].

ويشـــترط ابن الأزرق (ت 869هـ/1464م) في كاتب الجند أن يكون حازماً عالماً ثقة، مأمول بصير بالصفات، نافذ في الفراسة، عالم بالفروسية، ويجب أن يكون سمح الخلق، لين الجانب سهل اللقاء ، لا يغيب ولا يشتغل بغير خدمة أحوالهم وتعهد أمورهم وحسم عللهم، وفي موطن آخر يشير إلى اتصافه بالشجاعة والحزم وحسن التدبير والسخاء[6].

ويجمل صاحب مواد البيان شروط كاتب الجند بقوله: أن يكون قد تأدّب بالفروسية، وأخذ بطرف من العمل بالسلاح، وأن يكون فيه حسن مداراة، وجميل ملقى ، وصبر على مرّ أخلاق من عامله

---

(1) االسواد : رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الحطاب ، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار وحد السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً . ياقوت : معجم البلدان ، 272/3 .

(2) غيداء كاتبي : الخراج ، ص 273 . وسوف نتناول بالشرح والتفصيل الشروط الخاصة للكُتَّاب وما يحتاجه كل تخصص من العلوم والمعارف ، خلال هذا المبحث .

(3) الشـــيات : جمع شـــية وهي كل لون خالف لون معظم الجســـد في الدواب . علي بن خلف: مواد البيان ص 81 . ابن ســـيده : المخصص ،6-153 .

(4) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 167/4-168 . التنوخي: المحســـن بن علي (ت 384هـ/994م) الفرج بعد الشـــدة ، تحقيق عبود الشـالجي، بيروت ، دار صـادر، 1398هـ/1978م ، 306/3-313 . عبدالعزيز السـلومي : ديوان الجند نشـأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م ، ص 208 .

(5) العباسي: الحسن بن عبدالله (ت 710هـ/1310م) آثار الأول في ترتيب الدول، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه عبدالرحمن عميرة ، ط1 ، بيروت، دار الجيل ، 1409هـ/1989م ، 156/1 . وأيضاً السلومي : ديوان الجند ، ص 207-208 .

(6) بدائع السـلك في طبائع الملك ، 203/1-205 . يقول أبو هلال العسـكري : « ينبغي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة وآلات كثيرة، من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ، وإصابة المعاني، وإلى الحساب، وعلم المساحة . والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة» الصناعتين ، ص 160 .

. . . وأن يبني أمره على النزاهة عن الطمع ، . . . وليأخذ بالحزم والأمانة فإن خيانة كاتب الجيش يتوجّه على المال والرجال، ولا يخصُ أحداً دون آخر [1] .

ثانياً ـ كاتب الشرطة :

يجب على كاتب الشرطة أن يكون لديه علمٌ بالحدود[2] والواجبات والجروح والديات وحكم العمد، وحكم الخطأ وسائر أصناف الحكومات ومن ينبغي أن يعاقب في الزلاّت ومن تدرأ عنه الحدود والشبهات[3].

ثالثاً ـ كاتب القاضي :

ويحتاج كاتب القاضي إلى معرفة بعلم الفقه والأحكام الشرعية، لا سيما ما دخل منها في الدعاوي ، والبينات ، والإقرار ، والشهادات ، والمصالحات ، والشروط ، والوثائق والسجلات ، وينبغي أن يكون ديّناً حليماً ، وقوراً ، أميناً عفيف النفس والجوارح ، موسوعاً بجميل السيرة وحسن السريرة[4]. وأن يكون عارفاً بالحلال والحرام والمواريث بصيراً بالسنن والأحكام وما توجبه تصاريف الألفاظ وأقسام الكلام[5].

ويشير النويري إلى شروط كتابة الحكم بقوله: ينبغي أن يكون كاتب الحكم والشروط عدلاً ديّناً، أميناً، طلق العبارة ، فصيح اللسان، حسن الخط ، ويحتاج مع ذلك إلى معرفة علوم وقواعد تعينه على هذه الصناعة لا بدَّ له منها ولا غنية له عنها ، وهي ، أن يكون عارفاً بالعربية والفقه متقناً علم الحساب محرراً القسم والفرائض درباً بالوقائع ، خبيراً بما يصدر عنه من المكاتبات الشرعية ،

---

(1) علي بن خلف : مواد البيان، ص 82-83 .

(2) الحد في اللغة : المنع والفصل بين الشيئين ، وقد سميت بعض العقوبات حدوداً لأن من شأنها أن تمنع من ارتكاب الجرائم . قدامة: قدامة بن جعفر (ت 337هـ/1948م) الخراج صنعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الحرية، ص 65 . ابن منظور: لسان العرب ، 140/3 .

(3) ابن عبدربه: العقد الفريد ، 68/4 . التنوخي : الفرج بعد الشدة ، 306/3-313 . البطليوسي: الاقتضاب ، ص 81 . القلقشندي : صبح الأعشى ،179/1 .

(4) علي بن خلف : مواد البيان ، ص 87 .

(5) ابن عبدربه : العقد الفريد، 168/4 . التنوخي : الفرج بعد الشدة، 306/3-113 . البطليوسي : الاقتضاب، ص 79 . القلقشندي: صبح الأعشى، 179/1 . ويشترط الشافعي في كاتب القاضي ، أن يكون عدلاً ، عاقلاً ، ويحرص أن يكون فقيهاً ، لا يؤدي من جهالة نزهاً بعيدا من الطمع . الأم ،210/6 . الماوردي : أدب القاضي ، تحقيق يحيى هلال السرحان ، بغداد ، رئاسة ديوان الأوقاف ، 1391هـ/1971م ، 58/2 . الذي يبدو أنه اعتمد على كتاب الشافعي في ذكر شروط كاتب القاضي جميعها .

وأن يكون قد أتقن صـــناعة الوراقة ، وعلم قواعدها وعرف كيفية ما يكتب في كل واقعة وحادثة من الديوان على اختلافها[1].

رابعاً ـ كاتب الخراج :

ينبغي لكاتب الخراج[2] أن يعرف السـطوح[3] والمسـاحة[4] والتقسـيط[5]، خبيراً بالحسـاب والمقاسمات[6].

خامساً ـ كاتب بيت المال :

ينبغي أن يكون عارفاً بأصـول الأموال التي تجلب إلى بيت المال وأقسـام وجوهها من فيء[7]، وصـدقة، وغنيمة[8]، وأحكام الأرضـين ووظائفها وأملاك أهليها وما

(1) نهاية الأرب ، 9/1-6 .
لقد ورد ذكر كاتب القاضـي أو كُتَّابه في مواضـع متعددة من كتب أخبار القضـاة وتراجمهم ولم يعثر على مؤلف خاص بكُتَّاب القضـاة ولا على إشـارة إلى مثل هذا المؤلف . ظافر القاسـمي: نظام الحكم في الشـريعة والتاريخ الإسـلامي ، ط1 ، بيروت ، دار النفائس ، 1398هـ/1987م ، ص 405 .

(2) الخراج : ما يؤخذ على الأرض التي فتحت عنوة ولم تقسـم بين الفاتحين ويفرض عليها خراج معين .الفيومي : المصـباح المنير ، ص 166 . القونوي : قاسـم بن عبدالله (ت 987هـ/1570م) أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق أحمد عبدالرزاق الكبيسي ، ط2، جدة ، دار الوفاء ، 1407هـ/1987م ، ص 185 .

(3) السـطوح : مفرده سـطح و هو المقدار ذو البعدين و هما الطول و العرض فقط. و لا يدرك بالحس إلا مع الجسـم لأنه نهاية الجسم.الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 218.

(4) المساحة: هو نظام خاص بجباية الضرائب و يقصد به أن يكون هناك خراج مقرر معين ، على مساحة محدودة من الأرض تجبيه الدولة كل عام – جملة أو منجماً – دون نظر إلى ما يحدث من اختلاف كميات المحصـول، أو اعتبارات أخرى إلا إذا كان الحاكم عادلاً فيرى تغيير مقدار الخراج المقرر ؛ بحسب ما تحتمله الأرض و الناس.محمد ضياء الدين الريس:الخراج و النظم المالية لدولة الإسلامية، ط5، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1985م، ص403.

(5) أصله من القسط و هو الجزء و النصيب و الحصة ، يقال قسّط الخراج عليهم و قسّط بينهم المال أي قسّمه على القسط و السوية. الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 583هـ/1187م) أساس البلاغة،بيروت ، دار الفكر، 1415هـ/1994م ص 506-507. لويس معلوف (وآخرون):المنجد في اللغة و الأعلام ، ط25، دار المشرق، د.ت، ص628.

(6) ابن عبدربه: العقد الفريد ،4/166-169 . التنوخي : الفرج بعد الشدة ،5/310 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/178 .
المقاسمات : ويقصد به نظام المقاسمة و هو خاص بجباية الضرائب و يراد به أن يكون الثلث مثلاً للدولة و الثلثين للمزارعين ، دون إعتبار المساحة، فيتغير الخراج بطبيعة الحال بتغير المحصول الناتج من الأرض. الريس:الخراج ، ص403.

(7) الفيء : كل مال وصل من المشركين للمسلمين عفواً من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمّس. القونوي : أنيس الفقهاء ، ص 183 . حسن إبراهيم وعلي إبراهيم : النظم الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د .ت ، ص 250 .

(8) الغنيمة : هي ما يصـيب المسـلمون من المشـركين من متاع وسـلاح وكراع وما إلى ذلك مما يوجد في عسـكر العدو. وحكمها أن تخمّس . القونوي : أنيس الفقهاء ، ص 183 . فتحية النبراوي : تاريخ النظم والحضـارة الإسـلامية ، القاهرة،دار الفكر العربي 1414هـ/1994م، ص 165 .

يجوز للإمام أن يقطعه منها ، ووجوه تفرقة الأموال وســــبلها وما يجوز في ذلك مما لا يجوز[1] ويشـير صـاحب مواد البيان في هذا الصـدد بقوله: ((**يجب أن يكون ثقة ، حافظاً، عارفاً متجنباً للخيانة، عالماً بالأصـناف التي تحت يده، حازماً لا تتم عليه حيلة، وأن يكون قيّماً في الحسـاب بما يكفيه في ضبط ما يحمل إليه في ذلك**))[2] .

وهناك شـروط أشـارت المصـادر إلى ضـرورة توفرها في كاتب الديوان أي من يتقلد الكتابة فيه، كشـرط لصـحة ولايته وهي العدالة والكفاية فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية ، اقتضـى أن يتصـف بالعدالة والأمانة وأما اشـتراط الكفاية فلأنه مباشـر لعمل ويقتضـى أن يكون مسـتقلاً بكفاية المباشرين[3] .

سادساً ـ كاتب الخليفة (كاتب الرسائل أو الإنشاء) :

يعد كاتب الخليفة **(الرسـائل أو الإنشـاء)** من أعظم الكُتَّاب مرتبة وأرفعهم منزلة لذا كان يدعى مشــــير ووزير ، في عهد الخلافة العباســـية، لهذا كان أحوج الكُتَّاب المذكورين إلى أن تكون له مشــــاركة في جميع العلوم بعد إحكامه لما يحتاج إليه من صــــناعته ، وينبغي أن يكون عالماً بالتواريخ ، وأخبار الملوك والسير والدول والأمثال والأشعار ، وبالجملة ينبغي لهذا الكاتب أن يتعلم الأشياء التي يعلم أن رئيسه يميل إليها ويحرص عليها[4].

وقد فصل القلقشندي في وجوب كل تلك العلوم، بأن ذلك يختلف بحسب نوع الكتابة التي سوف يتولاها الكاتب فكل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة فنون تختصُّ به . ولكنه يعود ويقول: على أن كاتب الإنشاء لا يستغني عن علم احتياجه إليها على درجة واحدة ، فمنها ما يحتاج إليه بطرق العرض كالطب والهندســـة والهيئة ونحوها من العلوم[5]. وكان يميل إلى رأي ابن قتيبة الذي انتقد

---

(1) البطليوسي: الاقتضاب ، ص 79 . غيداء كاتبي : الخراج ، ص 272 .

(2) علي بن خلف: مواد البيان ، ص 80 .

(3) الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص 215 . أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ، ص 253 .

(4) البطليوسي: الاقتضاب ، ص 81 . ابن الأثير : جوهر الكنز ، ص 31-32 .

(5) صبح الأعشى ، 177/1، 181 . الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص 55 .

فيه الكُتَّاب لاشـــتغالهم بالنظر في النجوم والمنطق والفلســفة، والكون والكيفية والجوهر والعرض ، على حساب النظر في اللغة وآدابها[1].

لهذا اشـترط ابن الأثير شـروطاً لا بد من توفرها في كاتب الإنشـاء من جملتها: أن يكون ذو عقل وافر، وهيكل عامر، وحســن أخلاق، وطيب أعراق، صــادق المقال، المحقق في الأفعال والفعال ، ميت الأســرار، حي الأفكار، حليته حلية الأحرار، صــدره قبر لما يســتودع فيه، حســن في نعته ومعانيه، محقق فيما يقوله ويرويه، طبعه نسيان مجالس كتابته، لا يشـيبها في حال غيبته ، حسن الخلوة، لبق الجلوة، إن سئل أجاب، وإن سأل أطاب، وإن نطق أصـاب، يكون جلّ كلامه جواب ولا يكون مهذاراً، كثير القلقلة مكثاراً، لا يدخل فيما لا يعنيه، ولا يعاني ما لا يعانيه، عارف بقواعد الكتابة، عالم بطريق الإصابة[2] .

ويضيف القلقشندي نقلاً عن أبو الفضل الصوري في هذا الصدد قوله: ((**يجب أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، أصيلاً في قومه، رفيعاً في حيّه، وقوراً ، حليماً مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق**[3] **، نزر الضـحك، مهيب المجلس، سـاكن الظل، وقور النادي، شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام إذا حدّث، حسن الإصغاء إذا حُدّث، سريع الرضا، بطيء الغضب، رؤوفاً بأهل الدين، ساعياً في مصالحهم، محباً لأهل العلم والأدب راغباً في نفعهم**)) [4] .

---

(1) أدب الكاتب ، ص 10–11 . الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص 55 .

(2) المفتاح المنشا ، ص 111–112 .

ويقول أيضاً في كتابه المثل السائر : ذكر علماء هذا الفن ، إن كاتب الإنشاء له أن يتشبث بكل فن ، حتى ما تقوله الماشطة عند جلوة العروس وما تقوله النادبة في المأتم وما يقوله المنادي في السوق فإنه محتاج إلى ذلك ومضطر إلى معرفته فما ظنك بما فوق هذا وذاك لأن مواد الكتابة غير محصورة في عدد معلوم ، يستحب للكاتب أن يتمسك من كل فن بما لا يجهل الإصلاح فيه 73/1 . وأيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ، 181/1 .

(3) الخرق : الحمق والأخرق الأحمق . ابن منظور : لسان العرب ، 75/10 .

(4) ابن الصيرفي : قانون ديوان الرسائل ، ص 104 . القلقشندي : صبح الأعشى، 139/1.

يقول ابن قتيبة : « كانت العجم تقول : من لم يكن عالماً بإجراء المياه ، وحفر فرض المشــارب، وردم المهاوي ، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص، ودوران الشــمس ، ومطالع النجوم، وحال القمر ، في اســتهلاله وأفعاله، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصنّاع ودقائق الحساب كان ناقصاً في حال كتابته ومع ذلك لا بد له من النظر في جملة الفقه ، ومعرفة أصــوله والحديث ، ودراســة أخبار الناس وحفظ عيون الأخبار » أدب الكاتب ، ص 15–16 .

ويشير صاحب كتاب آثار الأول في ترتيب الدول في هذا الصدد بقوله: **((يجب أن يختار الملك كاتب رسائله من يكون حسن الفهم والذكاء ، وافر العلم والعقل، صحيح الرأي والعبارة جزلها، مليح التأنّي في نظم المعاني ونثرها))** [1] .

ويقول ابن الصيرفي (ت 542هـ/1147م) : أن على الكاتب أن يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد، ولا يقاربه فيها بشر، ويتناسى كل خبر يسمعه، وأن لا يطلع والداً ولا أخاً شقيقاً ولا صديقاً صدوقاً على ما رق ولا ما جلّ[2].

وقد ورد في كتاب العقد الفريد أنه لا بد للكاتب من طلب أدوات الكتابة تصفّح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه، ومن نوادر الكلام ما يستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك، ويطول به قلمك، وانظر في كتب المقامات والخطب، ومجاوبة العرب، ومعاني العجم، وحدود المنطق، وأمثال الفرس ورسائلهم، وعهودهم، وسيرهم، ووقائعهم ، ومكايدهم في حروبهم، والوثائق والصور، وكتب السجلات، والأمانات، وقرض الشعر الجيد، وعلم العروض، وعلم النحو والغريب، لتكون ماهراً تنتزع آي القرآن في مواضعها، والأمثال في أماكنها[3].

وأحسن ما وصف به الكاتب ما ذكره صاحب كتاب جوهر الكنز حيث قال: **((وينبغي أن يكون الكاتب من ذوي الثبوت، والسكون والسكوت، سليم الطباع، خبيراً بالأوضاع، صحيح الاعتقاد، بعيداً عن الإنتقاد، متناسب الأدوات، عالماً بمواقع السرعة والأناة، يكتم السر، ويظهر البر، ويكتفي باللفظة، ويستغني باللحظة، لا يستخفه طمع، ولا يلفته غرض. يستمع المناجاة ويصرف المداجاة، ويفهم المحاجاة، لا يغتاب ولا ينتاب، ولا يتشكك في حقيقة ولا يرتاب، طاهر اليد، وقور النفس، صادق اللمحة، عالي الهمة، يحافظ على الكتمان، ويرى المروءة من الإيمان))**[4] .

---

(1) الحسن بن عبدالله ، 152/1 .

(2) قانون ديوان الرسائل ، ص 105 .

(3) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 165/4-166 .

(4) ابن الأثير الحلبي: جوهر الكنز ، ص 32 .

هذا وقد مهدت مكانة الكاتب لأن يصبح في عصر العباسيين بمثابة وزير بل صار يطلق عليه لقب الوزير[1] ، وليس أدل على ذلك قيام الخلفاء العباسـيين في الغالب باختيار وزرائهم من بين الكُتَّاب الذين لهم حظ وافر من العلم وسعة الاطلاع وعمق الثقافة[2] .

الصفات الخَلْقَية :

أما الصفات الخلقية التي ينبغي أن تتوفر فيمن يرشح لوظيفة الكتابة حسبما أشارت إليها بعض المصادر ((**أن يكون الكاتب طويل القامة[3] ، صغير الهامة، حفيف اللهازم[4] ، كثيف اللحية ، صادق الحس، لطيف المذهب ، حلو الشمائل، مليح الزي، وأن يكون بهي الملبس، نظيف المجلس ، حلو المروءة ، عطر الرائحة، دقيق الذهن، حسن البيان، دقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الإستعارة، لطيف المسلك مستفره المركب[5] . ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة ، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة**)) [6] .

قال الأسعد ابن مماتي: في حسن الهيئة وفخامة الحلية فإنه يرجع في ذلك إلى ما يعلمه من حال مخدومه من إيثاره إظهار نعمته على من هو في خدمته أو اخفائها[7] .

---

(1) الباشا : دراسات ، ص 50 .

(2) صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، ط4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1978 م، ص 304 .

(3) ابن المدبر : إبراهيم بن محمد (ت 279هـ/893م) الرسالة العذراء ، تصحيح وشرح زكي مبارك ، ط2، القاهرة ، دار الكتب المصرية، 1350هـ/1931 ، ص8 .وقد ورد عند ابن عبدربه في عقده « صفة الكاتب اعتدال القامة ... » العقد الفريد، 62/4 والنويري : نهاية الأرب، 7/12-13 . الذي يبدو أنه اعتمد على كتاب ابن عبدربه في ذكر الصفات جميعها ومثله فعل القلقشندي : صبح الأعشى ،100/1. وجميعهم خالفوا ابن المدبر في طول القامة .

(4) اللهازم : مفردها لهزمة وهو عظم ناتيء في اللحي تحت الأذن . ابن منظور: لسان العرب، 556/12 .
وقد أنشد سعيد بن حميد في إبراهيم العباس :

رأيت لهازم الكُتَّاب خفت ... ولهزمتاك شأنهما الفدامة
وكتّاب الملوك لهم بيان ... كمثل الدر قد رصفوا نظامه

ابن عبدربه : العقد الفريد ، 162/4 .

(5) مستفره المركب : أي يركب دابة فارهة نشيطة . ابن منظور : لسان العرب، 522/13 . كذلك تعني اسم مفعول من قولهم فلان يستفره الأفراس أي يستكرمها . النويري : نهاية الأرب، 12/7 .

(6) ابن المدبر : الرسالة العذراء ، ص 8 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 62/4 . النويري: نهاية الأرب ،7/12-13 . القلقشندي: صبح الأعشى، 100/1 حيث قال بعض الشعراء :

وشمول كأنما اعتصروها ... من معاني شمائل الكُتّاب

النويري : نهاية الأرب 13/7.

(7) قوانين الدواوين ، ص 6 .

يعلّق القلقشـــندي قائلاً وهذا يخالف ما تقدم : من أنه ينبغي أن يكون الكاتب بهي الملبس. وبالجملة ففصاحة اللسان، وقوة البيان، والتقدُّم في صناعة الكتابة هو الذي يرفع الرجل ويعظّمه دون أثوابه البهية، وهيئته الزاهية.بل ربما كان التعظيم في الفضـل لرث الحالة المنحط الجانب أكثر، وترجيحه على غيره أقرب[1] .

اختبار الكُتَّاب واختيارهم :

لقد كان طريقة اختيار الكُتَّاب في عهد رسول الله ρ ، تتم بطريقة سهلة ميسرة ليس فيها تعقيد نظم الدول السابقة.

فقد كان أكثر الكُتَّاب في عهده عليه الصلاة والسلام والخلافة الراشدة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، الذين تخرجوا على يدي النبي ρ من خلال قدمهم وسابقيّتهم وجهادهم وقربهم من النبي ρ فلم يصلوا إلى مناصبهم نتيجة امتحان أو اختبار قائم على أساس القدرات والكفاءات ، وإنما برزوا للناس بفضل ممارستهم العملية في ميدان الكتابة، وبفضل المميزات التي منحت لهم في الإسلام.فقد كان عليه الصلاة والسلام يختار كُتَّابه من بين أصحابه الذين يلمون إلماماً جيداً بصناعة الخط قبل أي شيء آخر ، لأنه يحتاج إلى من يدون آيات الوحي، ويكتب الكتب إلى الملوك والأمراء وإلى عمّاله وإلى القبائل[2] .

وكان المعيار الثاني لهذا الاختيار ارتياح النبي ρ لهم وثقته في أمانتهم ، مما جعل اختيار هؤلاء الكُتَّاب وعملهم ميسراً جداً نظراً لبساطة وضع الكتابة آنذاك مع ندرة الكُتَّاب المجيدين للخط[3] .

---

(1) ومثال ذلك خبر أورده القلقشندي عن سهل بن هارون كاتب المأمون وهو من أئمة هذه الصناعة: « لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجّا أو وصفا وكان أحدهما جميلا بهياً ، ولباساً نبيلاً، وذا حسب شريف ، وكان الآخر قليلاً قميئاً ، ورثاثة الهيئة، دميماً خامل الذكر مجهولاً ، ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي درب واحد من الصواب، لتصدع عنهما الجمع وعامتهم يقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم ولرث الهيئة على ذي الهيئة، ويشغلهم التعجب منه عن مناوأة صاحبه ، ولصار التعجب على مساواته له سبباً للتعجب به ، والإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه ... » القلقشندي : صبح الأعشى، 1/100-101 .

(2) محمود المقداد : تاريخ الترسل ، 314-315 ، 317-318 .

فقد كان له عليه الصلاة والسلام جماعة أماثل عقلاء أفاضل كلهم كتبة له ، ومعروفون بالانتصاب لذلك من المهاجرين والأنصار .

الباقلاني : أبوبكر محمد بن الطيب (ت 403هـ/1012م) الانتصار للقرآن ، تحقيق محمد عصام القضاة ، ط1 ، عمّان – الأردن ، دار الفتح ، بيروت ، دار ابن حزم، 1422هـ/2001م ، 1/413 .

(3) محمود المقداد : تاريخ الترسل ،ص 315-316 .

لقد اختارهم الرسول ρ لنفسه وتولى تربيتهم من الناحيتين الروحية والتنفيذية، فوضع لهم بعض المبادئ الخاصـــة بحيث يكونون على ثقافة عالية تؤهلهم لمواجهة الأمور الناشـــئة في علاقات الناس، كأن يتعلم بعضـــهم لغة أخرى غير اللغة العربية قراءة وكتابة مثل زيد بن ثابت الأنصاريτ[1] . فعن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي ρ : **((إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا فتعلّم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً))** [2] .

علّمهم على الثقة واليقظة وحصـــر الذهن في الموضـــوع الذي يقوم به الكاتب لكي يظل دائماً منتبهاً إلى ما يريد المملي ويذّكره ويكون عوناً له على قضـــاء الحاجة من الكتابة، ومثال ذلك ما روي عن زيد بن ثابت قال: **((كنت أكتب بين يدي رسول الله ρ يوماً فقام لحاجة وقال لي: ضع القلم على أذنك، فإنه أذكر للمملي وأقضى للحاجة))** [3] . وهذا الصـنيع نوع من المتابعة الدقيقة في أثناء العمل[4] .

علّمهم كذلك أن يكون الكاتب محيطاً بجوانب العمل متعاوناً مع صاحب العمل في تركيزه وجمع شتاته ملازماً له في شؤونه. وخير من يمثّل ذلك في عهده ρ حنظلة بن الربيع[5] خليفة كل كاتب

---

(1) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ، قيل أبو سعيد أو أبو ثابت استصغر يوم بدر ويقال أنه شهد أحد ويقال أول مشـــاهده الخندق ، كتب الوحي للنبي ρ، وكان زيد بن ثابت أحد أصـــحاب الفتوى ورأســـاً بالمدينة في القضـــاء والفتوى والقراءة والفرائض، قد اختلف في سنة وفاته فقيل سنة 45هـ /665م على قول الأكثر قال أبو هريرة حين وفاته : اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً ولما مات رثاه حسان بقوله :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت

خليفة بن خياط : الطبقات ، تحقيق أكرم ضـياء العمري ، ط2، الرياض ، دار طيبة، 1402هـ /1982م ، ص 90 . ابن عبدالبر: الاستيعاب، 532/1-533. ابن حجر: الإصـابة ،543/1-544 .ابن حديدة الأنصـاري : أبو عبدالله بن محمد بن علي بن أحمد (ت 783هـ/1381م) المصباح المضيء في كتّاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ط1 ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1397هـ/1977م ،112/1. ولمزيد من التفاصـــيل عن أخباره أنظر: الفصـــل الثالث بموضوع مشاهير بعض الكُتّاب وإسهاماتهم الفكرية .

(2) ابن حجر : الإصابة ، 543/1 .

(3) الجهشياري : الوزراء ،ص 12 .

(4) أحمد عبدالرحمن عيسى : كتّاب الوحي ، الرياض ، دار اللواء ، 1400هـ/1980م ، ص 76-77 .

(5) حنظلة بن الربيع بن صيفي بن رباح بن الحارث يقال له حنظلة الكاتب وهو ابن أخي أكثم بن صيفي روى عن النبي ρ ، وكتب له ، وأرسله إلى أهل الطائف ، وشـهد القادسـية ، ونزل الكوفة وتخلف عن علي τ يوم الجمل، ونزل قرقيسـياء حتى مات في خلافة معاوية، وكان من كتّاب النبي ρ . وفي موته تقول امرأته من أبيات :

إن سواد العين أودى به حزني على حنظلة الكاتب

خليفة بن خياط : الطبقات ، ص 43 . ابن حجر: الإصابة ، 359/1 . ابن حديدة : المصباح المضيء ،96/1 .

لرسول الله ρ حتى سُمَّي حنظلة الكاتب ، ووضـع عنده الرسول ρ خاتمه وقال له : ((**ألزمني ، وأذكرني بكل شـــيء أنا فيه**)) يقول حنظلة : كان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره فلا يبيت النبي ρ وعنده شيء[1] .

رباهم على الطاعة وتنفيذ الأوامر في الكتابة، وليس للكاتب أن يتصـــرف برأيه وهواه فيما يكتب في صلب الكتاب أو الرسالة ، إنما يكتب ما يمليه عليه الرسول ρ [2].

فلقد أعدهم عليه الصـــلاة والســـلام لأمر عظيم جليل، قد أخبر أنه ســـيحقق بعده وهو كتابة المصـاحف . وقد قام بهذا العمل الجليل ستة من الصـحابة منهم : أربعة من كتَّاب الوحي[3] ، واثنان من حفظة القرآن الكريم[4] وبهذا رباهم الرسول ρ تربية روحية ، وتربية عملية تنفيذية[5].

وبعد وفاة الرسـول ρ أصـبح الخلفاء يكتبون رسـائلهم بأيديهم ، وربما كانوا يملونها على بعض كُتَّابهم ، فالخليفة يختار كاتبه من بين الذين يجيدون الخط. فلا يختار لنفسـه إلا أقرب المخلصـين له من أقربائه ومواليه وأنصـــاره لأنه يطمئن إليهم أكثر من غيرهم . ربما كان هذا معياراً لاختيار الكاتب زمن الخلفاء الراشدين .

حيث اتخذ عثمان بن عفان τ (23-35هـ/643-655م) مروان بن الحكم[6] – ابن عمه – كاتباً له ، فأصبح له دورٌ بارز في أمر الكتابة.

---

(1) الجهشياري : الوزراء ،ص 13 .

(2) مثال ذلك ما حدث في كتابة صـلح الحديبية أواخر السـنة السـادسـة للهجرة بين الرسـول ρ وبين قريش ، وكان الكاتب علي بن أبي طالب τ، فقال له الرسـول ρ : اكتب (بسـم الله الرحمن الرحيم) ، فاعترض سـهيل بن عمرو مندوب قريش في الصـلح وقال: لا نعرف الرحمن . اكتب كما يكتب آباؤك باسمك اللهم ، فضـج المسلمون وقال علي بن أبي طالب τ : لولا طاعة الرسول ما محوت (بسم الله الرحمن الرحيم) فمحاها وكتب باسمك اللهم ثم أمر رسول الله ρ علياً τ أن يكتب (هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو) فاعترض سـهيل مرة أخرى وقال: (لو كنا نعلم أنك رسـول الله ما قاتلناك اكتب اسـمك واسـم أبيك) وضـجّ المسـلمون واشـتدّ غضـبهم حينما أمر رسـول الله ρ بمحوها فقال لعلي: ضـع يدي عليها وأنا أمحوها فمحاها بيده الشـريفة وأمر علياً أن يكتب بدلها (محمد بن عبدالله) .ابن هشام : السيرة النبوية، 247/3-249 . اليعقوبي، : تاريخه 54/2 .

(3) هم : عثمان بن عفان و زيد بن ثابت و عبدالله بن الزبير وحذيفة بن اليمان .

(4) هما : سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص القرشي و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي .

(5) عيسى : كتّاب الوحي ، ص 84-88 .

(6) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ابن عم عثمان بن عفان τ ، يكنى أبا عبدالملك ، ولد على عهد النبي ρ ســنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق . توفي الرسول ρ وهو ابن ثمان سنين ولم يره خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل ، وذلك أن الرسولρ كان قد نفى أباه الحكم إليها فلم يزل بها حتى ولي عثمان بن عفان τ فرده عثمان فقدم المدينة هو وولده في خلافة عثمان بن عفان

غير أن الدولة الإسلامية الناشئة كانت تعتمد على رغبة الكاتب نفسه ومدى كفاءته في ميدان الكتابة[1] .

يؤكد ذلك حادثة تروى زمن عمر τ حينما كتب إلى زياد بن أبيه أن يقدم إليه، فلّما جاءه فقال له : ينبغي أن تكتب إلى خليفتك بما يجب أن يعمل به فكتب إليه كتاباً ودفعه إلى عمر τ فنظر فيه ثم قال : ((**أعد فكتب غيره فقال له : أعد فكتب الثالث فقال عمر τ : لقد بلغ ما أردت في الأول ولكنني ظننت أنه روى فيه ، ثم بلغ الثاني ما أردت فكرهت أن أعلّمه ذاك ، وأردت أن أضـــع منه لئلا يدخله العجب ويهلك**)) [2]. ويلاحظ من هذه الحادثة مدى كفاءة زياد بن أبيه وحرص الخليفة عمر τ من إخضاعه إلى ذلك الاختبار.

وقد ذكر أن الكُتَّاب يختارون من ذوي الأمانة والخير والعفة يؤكد ذلك خبر أورده صـاحب نهج البلاغة حين كتب علي بن أبي طالب τ للأشـتر عهده حين ولاه على مصـر إذ يبين له كيف يختار كتّابه فيقول : ((**ثم انظر في حال كاتبك فول على أمورك خيرهم وخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك لأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق**)) [3] .

ونتيجة لتلك الشروط التي يجب مراعاتها والالتزام بها عند اختيار الكُتَّاب كلاً حسب تخصصه فقد ألفت الكثير من الكتب والمعارف العامة التي تحضُّ الكُتَّاب على الإلمام بها[4] .

وتوفي أباه فاستكتبه عثمان τ ، وضمه إليه، فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان τ .وفي عهد معاوية ولاه المدينة ثم جمع له معها مكة والطائف ومازال والياً على المدينة حتى مات معاوية ،ثم تولى الخلافة سنه 64هـــ توفي سنة 65ه/684م .خليفة بن خياط: الطبقات ، ص 231 ، ابن عبدالبر: الاستيعاب، 3/405-409. أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت 732ه/1331م) : التبر المسبوك في تاريخ الملوك ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد ، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص36. ابن حجر: الإصابة ،3/383 .

(1) محمود المقداد : تاريخ الترسل ، ص 318 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص 18 . ابن الأبار : إعتاب الكُتّاب ، ص 52 .

(3) ابن أبي الحديد : عبدالحميد بن هبة الله (ت656ه/ 1258م) شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1387ه/1967م ، 17/75 .

(4) مثال ذلك (أدب الكاتب) لابن قتيبة يدور حول الثقافة اللغوية لحاجة الكُتَّاب الماسة إليها لإقامة كتابتهم وتقويمهم و(أدب الكُتَّاب) للصولي وفيه إلمام ببعض المعارف التي ينبغي للكاتب أن يتعرف عليها و(صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي ألّم فيه بكل ما ينبغي للكاتب في ديوان الإنشاء أن يحيط به من المعارف والثقافة فكان بحق موسوعة ثقافية حقيقية بما فيها من تنوع واتساع لم يعرفه مثلاً فترة صدر الإسلام ولا العصر الأموي من بعدها . محمود المقداد: تاريخ الترسل ، ص 314 .

ويعتبر عبدالحميد الكاتب[1] أحسن من استوعب الشروط التي يجب أن تتوفر في أهل صناعة الكتابة في عصره – الدولة الأموية – جاء ذلك في رسالته المشهورة للكُتَّاب[2] .

سار بني العباس على نهج من سبقهم في الاهتمام بشروط واختيار الكُتَّاب الذين ارتقوا فيما بعد إلى منصب الوزارة. فقد وضع الخليفة المأمون معاييراً خاصة للشخص الذي يختاره للوزارة، حيث روي عنه أنه قال : ((**إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه ، واستقامه في طرائقه، قد هذّبته الآداب وأحكمته التجارب ، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قلّد مهمات الأمور نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء أحسن إليه شكر وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه**))[3] .

(1) عبدالحميد الكاتب: هو عبدالحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، المعروف بالكاتب إمام الكُتّاب يضرب به المثل في البلاغة، وكان كاتب آخر خليفة أموي هو مروان بن محمد ، أخذ عنه المترسلون ، له مجموعة من الرسائل تقدر بنحو ألف ورقة، قتل في بوصير في مصر سنة 132هـ/750م . ولمزيد من التفاصيل أنظر: الفصل الثالث بموضوع مشاهير بعض الكُتَّاب وإسهاماتهم الفكرية .

الجهشياري: الوزراء ، ص 72. الثعالبي: عبدالملك بن محمد (ت 429هـ/1037م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة ،مطبعة الظاهر، 1326هـ/1908م ، ص 155 . محمد كردعلي : أمراء البيان ، ط3 ، بيروت ، دار الأمانة، 1388هـ/1969م ، 38/1، الزركلي: الأعلام ،4/60-61 .

(2) الجهشياري: الوزراء، ص 73-92. نجدة خماش : الإدارة في العصر الأموي، ط1 ، دمشق ، دار الفكر، 1400هـ/1980م ، ص313-314. محمد ضيف الله البطاينة : الحضارة الإسلامية ،ط1 ، عمّان-الأردن ، دار الفرقان ، 1423هـ/2002م ، ص 211.

(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 22 . الشيزري: عبدالرحمن نصر (ت589هـ/1193م) المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي الموسى، الزرقاء ، مكتبة المنار، 1407هـ/1987م، ص 212-213 .

المبحث الثاني

أنواع الكُتَّاب

لقد ظهرت وظيفة الكاتب منذ وقت مبكر جداً ، ولذلك احتفظت لنا مصـــادر تاريخية بأخبار متواترة عن فضـل الكُتَّاب ، ومكانتهم بين أرباب الصـناعات الأخرى قبل الإسـلام ، كالذي رواه الجهشياري (ت 331هـ/942م) و الثعالبي (ت 429هـ/1037م) [(1)].

أنواع الكُتَّاب في عهد النبي ρ :

وإذا أمعنا النظر إلى الكُتَّاب من جهة اختصـــاصـــاتهم في الكتابة ، لوجدنا ظهور أنواع وتخصصات مختلفة ، خلال تاريخ الدولة الإسلامية ومنذ نشأتها.

فلم تكن السنوات العشر التي قضاها الرسول ρ بمكة المكرمة داعياً إلى الله ، في حاجة دافعة إلى اســتخدام الكتابة إلاّ في تدوين ما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم ، وبجانب ذلك عرضـت مناسبات قليلة تحتاج إلى الكتابة والتدوين[(2)].

وقد كان النبي ρ يقدّر أهمية الكتابة في نجاح دعوته وانتشارها ، وخاصة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة[(3)].

وعندما قامت الدولة الإسـلامية على يد الرسـول ρ ، لم يكن السـواد الأعظم من العرب قارئين كاتبين ، ولكن أجاد بعضـــهم القراءة والكتابة حتى عرفوا بين الناس بالكُتَّاب[(4)] ومهمتهم الكتابة بأشكالها المختلفة من إنشائية وحسابية ومالية وغير ذلك[(5)].

---

(1) الوزراء ، ص 4 . نثر النظم وحل العقد وبهامشه كتاب الفوائدوالقلائد ، ط1 ، مصر ، المطبعة الأدبية ، 1317هـ ، ص5

(2) عيسى : كُتّاب الوحي ، ص61 .

ومن أشـهر المكاتبات التي قيدت بالكتابة قبل الهجرة ، ما أقطعه الرسول ρ للداريين حين أتو إليه ، وطلبوا منه أن يقطعهم أرضـاً بالشام إن فتحها الله عليه ، فأقطعهم بيت عينون ، وجبروت ، والمرطوم ، وبيت إبراهيم ، وكتب لهم بذلك كتاباً من خط شرحبيل بن حسنة . القلقشندي: صبح الأعشى، 119/3، الحلبي: على بن برهان الدين (1044هـ/1634م) . السيرة الحلبية ، بيروت ، المكتبة الإسلامية ، د.ت، 213/3 . محمد حميد الله الحيدر أبادي: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط4، بيروت ، دار النفائس، 1403هـ/1983م ، ص 129–130 . عيسى : كُتّاب الوحي ، ص 46–61 . وقد شكك د. حسين نصار في صحة هذه الرواية ولم يثبت إلاّ الإقطاع الذي أقطعه الرسول ρ للداريين في السنة 9هـ . أي بعد الهجرة ، وكان الكاتب علي بن طالب τ. حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ط1، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1422هـ/2002م ، ص 39.

(3) المقداد : تاريخ الترسـل ، ص60 ، وقد قيل أن وثيقة (معاهدة يثرب – المدينة–) التي عقدها الرسـول ρ مع اليهود ، هي فاتحة الكتابة النبوية إلى نهاية سنة 10هـ . عيسى : كُتّاب الوحي ، ص234 .

(4) أبوزيد شـلبي : تاريخ الحضـارة الإسـلامية والفكر الإسـلامي ،ط3، القاهرة ، مكتبة وهبة، 1408هـ/1988م، ص103 ، أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص45. الصالح : النظم الإسلامية ، ص304 .

(5) الباشا : دراسات ، ص48 .

وقد استعان الرسول ρ بعددٍ[1] من أصحابه ممن يعرفون القراءة والكتابة ، في تدوين ما يوحى إليه من آيات القرآن الكريم حتى عرفوا بكُتَّاب الوحي[2]. كما كان له كُتَّاب على رسائله إلى ملوك الأمم المجاورة[3] ، الذين دعاهم فيها إلى الإسلام ، وكُتَّاب على أمراء الجند وسراياه ، وكُتَّاب على الأقطاع ، وكُتَّاب على المغانم ، وكُتَّاب على أموال الصدقات وخرص النخيل ، وكُتَّاب على

---

(1) يذكر صاحب كُتّاب الوحي ،في هذا الصدد أن كثير من الآراء تعددت واختلفت المصادر القديمة ، في عدد هؤلاء الكُتَّاب ، وأنه لو تقصّى الباحث هذه المصادر جميعها لأعياه ذلك دون أن يكون هناك إحصائية دقيقة ، ولكنه اكتفى بذكر عدد من المصادر منها : العقد الفريد عدّهم بـ (10) كُتّابٍ ، الوزراء والكُتّاب (14) كاتباً ، عمدة القارئ : شرح صحيح البخاري للعيني عدّ منهم (15) كاتباً ، ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عدّ كُتّاب الوحي وغيرهم بـ (22) كاتباً ، الحلبي في السيرة الحلبية بـ (16) كاتباً ذكر (20) فقط. عيسى : كُتّاب الوحي ، ص62-63 .بينما يذكر د. محمد الأعظمي في كتابه « كُتَّاب النبي ρ » أن اليعقوبي ذكر (13) كاتباً ، والمسعودي ذكر (16) كاتباً ، وعمر بن شبة ذكر (23) كاتباً والعراقي (42) كاتباً والأنصاري (44) كاتباً . كُتّاب النبي ρ ، ط3، دمشق- بيروت ، المكتب الإسلامي، 1401هـ/1981م ، ص12 .

ويذهب الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى أنهم ثلاثة وعشرون ، ولكنه يقرر في بهجة المحافل بأنهم خمسة وعشرون . ويوافقه على هذا الرأي ابن عبدالبر في الاستيعاب . ويقول القرطبي في تفسيره أنهم ستة وعشرون . وهناك من يذهب بعيداً فيرى أنهم أربعون كما فعل الشبراملسي في كتابه القضاء ، ويقول أبو الوفاء الهوريني في مطالعه أنهم اثنان وأربعون وعدّهم البرهان الحلبي في حواشي الشفا إلى ثلاثة وأربعين . عبدالحي الكتاني : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت، 115/1-117 .

هناك إحصائية حديثة وردت عند د.حسين نصار إذ يقول : « وقد حاولت أن أجمعهم ، فعثرت بعد البحث على قريب من خمسة وأربعين كاتباً ، ولا يخامرني الشك أنهم ليسوا جميعاً من كتب للرسول ρ ، إذ لابد أنه قد فاتتنا أسماء كثيرة في الإحصاء ، كما يُرجَّح أن ذكر كثيرين منهم ضاع فيما ضاع من كتب ». ولعل اختلاف المؤلفين في عددهم يرجع إلى أن منهم من لم يواظب على الكتابة للنبي ρ إلاّ مرات قليلة ، فأهمل بعضهم ذكره . نشأة الكتابة ، ص49 .

وبمراجعة كتب السير والتاريخ والطبقات والتراجم ، نجد كل متأخر يضيف اسماً جديداً في قائمة أولئك الكُتَّاب اطّلع عليه من مصادر جديدة لم ينتبه إليه من سبقه . الأعظمي : كُتَّاب النبي ρ ، ص 12 .

(2) الطبري : تاريخ، 179/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص12 . الخزاعي التلمساني : علي بن محمد (ت 789هـ/1387) تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق إحسان عباس ، ط2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1419هـ/1999م ص171-180 . الكتاني : التراتيب، 114/1-115 نقلاً عن د. حسن الحارثي: وظيفة الوزير الكتابية في الدولة العباسية خلال الفترة 132-247هـ/749-861م ، مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، عدد يوليو ، 2002م ، ص 19 .

(3) الطبري : تاريخ ،179/6 ، الجهشياري : الوزراء ، ص 12. ومن تلك الرسائل «كتابه إلى قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك فارس ، والنجاشي ملك الحبشة ، والمقوقس حاكم الإسكندرية ، وجيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان ، وثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة ، والمنذر بن ساوي ملك البحرين ، والحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام ، والحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن » . ابن هشام : السيرة النبوية، 192/4-193 .

المداينات والمعاملات ، وكُتَّاب للعهود والصـــلح ، وكاتب لســـرّه ρ [1] ، وكان جميع كُتَّابه من أصحابه رضوان الله عليهم[2] .

وكان من أبرز كُتَّابه ρ كبار صحابته الذين تولوا الخلافة من بعده : أبوبكر الصديقτ (11-13هـ/632-634م) [3]،وعمر بن الخطّابτ ،وعثمان بن عفّان τ[4] ، وعلي بن أبي طالب τ[5] .

وكان عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب ψ من بينهم يكتبان بين يديه ρ الوحي ، وفي أثناء غيابهما كتبه أُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت[6] ، وكتب له أيضـاً عبدالله بن سـعد بن أبي السـرح ثم ارتد ولحق بالمشركين[7] ، وكتب له معاوية بن أبي سفيان τ أيضاً[8] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص12 . المسعودي :التنبيه والأشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته عبدالله الصاوي، القاهرة ، دار الصاوي، 1357هـ/1938م، ص245-246 . الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص181-184 ،185-190 . القلقشـندي : صـبح الأعشـى ،91/1-92 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،119/1-120 . نقلاً عن د. حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص20

(2) الباشا : دراسات ،ص48 . الصـالح : النظم الإسـلامية ، ص303-304 . أبوزيد شـلبي : تاريخ الحضـارة الإسلامية ، ص103. فتحية النبراوي : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص106. نقلاً عن د. حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص20 .

(3) وقد كتب أبو بكر τ أماناً لسراقة بن مالك المدلجي بأمر رسول الله ρ قال سراقة : « تكتب لي كتاباً يكون لي آية ، بيني وبينك ، فقال رسـول الله ρ : اكتب له يا أبا بكر » . ابن هشـام : السيرة النبوية ،101/2 ، وجاء في مسـند الإمام أحمد أن الذي كتب هذا الأمان ، هو مولى أبي بكر الصـــديق عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم » . المســـند ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية ، 1419هـ/1998م ، ص1270 ،رقم 17734.ولقد وفق ابن كثير بين الروايتين ، فقال : يحتمل أن أبابكر كتب بعضه ، ثم أمر مولاه عامراً ، فكتب باقيه . ولقد جاء في رواية البخاري وبقية كتب السنة قول أنس بن مالك τ : « أن أبابكر τ كتب له فريضـة الصدقة التي أمر الله رسـولهρ ... » صـحيح البخاري، 527/2،رقم1385 .كذلك كتب τ إلى الملوك ، بين يدي رسـول الله ρ ، وقد كتب إلى المقوقس عظيم القبط في مصر . القلقشندي : صبح الأعشى ،364/6 .

(4) وقد كتب عثمان بن عفان τ بجانب كتابته للوحي ، كتابين لرسـول الله ρ ، كتابه ρ في قسـمة قمح خيبر . ابن هشـام : السـيرة النبوية، 273/3، وكتابه ρ لنهشـل الوائلي من بنى باهلة في شـرائع الإسـلام . ابن سـعد : الطبقات ،33/1 . ابن كثير : البداية والنهاية، 162/4 .علي بن حسـين االأحمدي : مكاتيب الرسـول ρ ، بيروت، دار المهاجر،د.ت،310/1 . الحيدر أبادي الوثائق السياسية ، ص 382-383 .

(5) الباقلاني : الانتصـار، 413/1 . السـهيلي : أبو القاسـم عبدالرحمن بن أبي الحسـن الخثعي (ت 581هـ/1185م) : الروض الأنف قدم له وعلق عليه وضـــبطه طه عبدالرؤف ســـعد ، بيروت ، دار الفكر ، 1409هـ/1989م ، 36/4 . ابن كثير : البداية النهاية 451/4. ابن حديدة الأنصاري : المصباح المضيء ،29/1-83 .

(6) الطبري : تاريخ ،179/6 . ابن عبدربه : العقد الفريد، 152/4 . الجهشياري : الوزراء ، ص 12 . السهيلي : الروض الأنف 36/4 . ابن الأثير : الكامل ،176/2 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،115/1. فإن لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما . ابن عبدربه : العقد الفريد ،152/4 .

(7) ابن هشـام : السـيرة النبوية، 41/4 . خليفة بن خياط : تاريخه ، ص99 . البلاذري : فتوح البلدان ، ص 458-459 . اليعقوبي : تاريخه، 80/2 . الطبري : تاريخ، 73/3 . الجهشـياري : الوزراء ، ص13-14 . السـهيلي : الروض ،36/4 . أبي الفداء : التبر المسبوك ،ص33 .

(8) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص 99 . اليعقوبي : تاريخه 80/2. ابن سعد : الطبقات، 406/7. القضاعي : محمد بن سلامـــة (ت 454هـ/1062م) عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، تحقيق جميل المصـــري ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ،1415هـ/1995م ، ص237 . عن ابن عباس τ أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاثاً أعطينهن . قال : نعم . قال : « .... ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم ... » ابن كثير: البداية والنهاية، 466/4

ويبدو أن زيداً ألزمهم جميعاً لكتابة الوحي بين يدي رسول الله ρ ، وقد كتب له الوحي كله[1]

كذلك اشتهر جماعة من الصحابة بكتابة شؤون الرسالة وحوائج الناس ، حيث اختص كل واحد من هؤلاء الكُتَّاب بنوع من الكتابة : فكان خالد بن سعيد بن العاص[2] ، ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه ρ في حوائجه[3] كذلك يكتب له للبوادي معاوية[4] .

وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس[5] ، أو يكتبان في حوائجه ، أو المداينات وسائر العقود والمعاملات[6] ، وينوبان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا[7] ، وكان عبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة[8] ، يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء[9].وإنه ربما كتب عبدالله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي ρ [10]. وكان معيقيب بن أبي

---

(1) ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245هـ/859م) : المحبّر ، ص377 . وأضاف القلقشندي مع زيد بن ثابت معاوية بن أبي سفيان ، كان ألزمهم لرسول الله ρ في الكتابة . صبح الأعشى ،126/1 ، أحمد شلبي : السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، ط4، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1979م ، ص154–155 .

(2) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، من السابقين الأولين ، أسلم قديماً بعد أبي بكر الصديق τ فيما قيل، فكان ثالثاً أو رابعاً أو خامساً . غضب أبوه من إسلامه فضربه وشتمه ، وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، استعمله النبي ρ على صدقات مذحج ، استعمله أيضاً على صنعاء اليمن ، فلم يزل عليها إلى أن مات رسول الله ρ ، قيل قتل خالد بن سعيد يوم أجنادين سنة ثلاثة عشرة للهجرة وقيل بل قتل بمرج الصفر ، سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر بن الخطاب . ابن عبدالبر : الاستيعاب ،398/1–400 ، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، د.م ، المكتبة الإسلامية ، د.ت، 82/2–84

(3) الطبري : تاريخ،179/6، ابن عبدربه: العقد الفريد،152/4، الجهشياري : الوزراء ، ص12 ، ابن أيبك : كنز الدرر،426/1 .

(4) الكتاني : التراتيب الإدارية ،121/1 .

(5) ابن عبدربه: العقد الفريد ،152/4، الجهشياري : الوزراء ، ص12 .

(6) المسعودي : التنبيه ، ص245 ، القضاعي : عيون المعارف ، ص238 ، الكتاني : التراتيب الإدارية ، 123/1–124 .

(7) ابن عبدربه: العقد الفريد ،152/4 .

(8) لقد كتب العلاء بن عقبة ثلاث كتب للرسول ρ وهي :

- إقطاع لعوسجة بن حرملة الجهني . ابن سعد : الطبقات ،271/1 ، ابن كثير : البداية والنهاية، 465/4 ، الأحمدي : مكاتيب الرسول ρ ، 472/1 ، عيسى : كُتّاب الوحي ، ص399 .
- إقطاع لبني شمخ من جهينة . ابن سعد : الطبقات، 271/1 ، الأحمدي : مكاتيب الرسول ρ،470/1 .
- إقطاع لعباس بن مرداس . الأحمدي : مكاتيب الرسول ρ، 491/1 ، عيسى : كُتّاب الوحي ، ص399 .

(9) ابن عبدربه: العقد الفريد، 152/4، الجهشياري : الوزراء ، ص12 ، ابن أيبك : كنز الدرر، 426/1 .

(10) الطبري : تاريخ ،179/6 ، ابن عبدربه: العقد الفريد، 152/4 ، القضاعي : عيون المعارف ، ص238 ، السهيلي: الروض، 36/4. وكان من المواظبين على كتب الرسائل، بلغ من أمانته عند رسول الله ρ أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك ، فيكتب ، ويأمره أن يطبعه ويختمه ، وما يقرؤه لأمانته عنده ابن كثير : البداية والنهاية، 462/4 ، الخزاعي: تخريج الدلالات ص181–184. الكتاني : التراتيب الإدارية ، 120/1– 121 وهوعبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي

فاطمة يكتب مغانم النبي ρ [1] ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز[2] ، وأن زيد بن ثابت كان يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي[3] ، ويجيب بحضـــرة النبي ρ ، وكان يترجم له بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلّم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن[4] ، وكان كاتب ســره ρ [5] ، وكان أُبيّ بن كعب أوَّل من كتب لرســول الله ρ بعد مقدمه المدينة ، وأوّل من كتب آخر الكتاب ((**وكتب فلان**)) وكان أُبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله ρ زيد بن ثابت فكتب ، وأن أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان بين يديه ρ بجانب الوحي كتبه للناس ، وما يقطع وغير ذلك[6] .

وهنا يظهر لنا أن كاتب السّـر ، وهو أحد الألقاب التي عرف بها صـــاحب ديوان الإنشـــاء، لذا يعتبر لقباً قديماً يرجع تاريخ نشأته منذ عهد الرسول ρ . كما عرف به صاحب ديوان الإنشاء من حين لأخر على طول امتداد تاريخ الدولة الإسلامية[7] إذ يروى عن زيد بن ثابت قول الرسول ρ له : إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصـوا فتعلّم العبرانية . أو قال : السريانية . فقلت : نعم ، قال : فتعلّمها في سبع عشرة ليلة[8] . غير أن اللقب وإن كانت نشأته ترجع إلى هذه الفترة

الزهري ، أسلم عام الفتح ، كتب للنبي ρ ، ثم لأبي بكر الصديق ، واستكتبه أيضاً عمر واستعمله على بيت المال وعثمان بعده حتى استعفى عثمان من ذلك فأعفاه . ابن الأثير : أسد الغابة،3/115-116 ، ابن حجر : الإصابة،2/265 .

(1) الجهشـياري : الوزراء ، ص12 . المســعودي : التنبيه ، ص246 . لكنه ذكر في الاســتيعاب عند ابن عبدالبر بلا تخصــص . الإستيعاب،3/454 . ومثله فعل ابن حجر : الإصابة،3/430 .ابن أيبك : كنز الدرر،1/426 .

(2) ابن عبدربه : العقد الفريد،4/152 . المسعودي : التنبيه ، ص245 ، الكتاني : التراتيب الإدارية ،1/124 . الخرص : حزر ما على النخيل من الرطب وما على الكرم من العنب زبيباً . ابن منظور : لســان العرب، 7/21 . وهو حذيفة بن اليمان يكنّى أبا عبدالله ، واسم اليمان حسيل بن جابر ، واليمان لقب ، وهو حذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر ، شهد حذيفة و أبوه حسيل وأخوه صفوان أحداً ، وقتل أباه يومئذ بعض المسلمين ، وهو يحسبه من المشركين ، فتصـدق ابنه حذيفة بديته ، كان حذيفة من كبار أصـحاب رسول الله ρ ، وهو معروف بصاحب سر رسول الله ρ ، مات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد مقتل عثمان بن عفان في أول خلافة علي τ ، وقيل سنة خمس وثلاثين والأول أصـح . ابن عبدالبر : الإستيعاب،1/276-277 .ابن الأثير : أسـد الغابة،1/390-392 .

(3) ابن عبدربه : العقد الفريد ،4/152 . الجهشياري : الوزراء ، ص12 .

(4) المسعودي : التنبيه ، ص245 . الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص181 .الكتاني : التراتيب الإدارية ، 1/120 .

(5) الكتاني : التراتيب الإدارية ، 1/119 .

(6) البلاذري : فتوح البلدان ، ص458 . الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص181. الكتاني : التراتيب الإدارية ، 1/120 .

(7) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص56 . في حين ذكر القلقشندي ، ألقاب أخرى عرف بها صاحب ديوان الإنشاء هي : صاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل ، وصاحب ديوان المكاتبات أو متولي ديوان المكاتبات . صبح الأعشى ،1/137 .

(8) ابن حجر : الإصابة، 1/543 .

المتقدمة من تاريخ الإسلام إلاّ أنه لم يطلق على صاحب ديوان الإنشاء إلا في العصر العباسي[1] .

كتب له أيضاً حنظلة بن الربيع خليفة كل كاتب من كُتَّاب النبي ρ إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب وكان يضع النبي ρ عنده خاتمه[2] . وكتب له علي بن أبي طالب τ بجانب الوحي ، وعامر بن فهيرة العهود والصلح[3] ، وكان الزبير بن العوّام ، وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات[4] ، وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك[5] ، وكتب له أيضاً رجل من بني النجّار[6] . وكتب له أيضاً فيما يقال السجل[7] . وقد كتب له غيرهم .

يقول محمود المقداد في هذا الصدد : ((**ورد في المصادر القديمة أن هنالك أسماء كان أصحابها ممن كتب للنبي ρ شيئاً ، من غير تحديد نوع الكتابة أو التخصص مثل : شرحبيل بن حسنة[8] ، وأبان بن سعد بن العاص[9] ، والعلاء الحضرمي[10] ، وعبدالله بن رواحة[11] ،**

---

(1) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص57 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 459 . الطبري : تاريخ ،173/3 . الجهشياري : الوزراء ، ص12-13 . المسعودي : التنبيه ، ص246 . ويعلل ابن قتيبة هذا اللقب « الكاتب » بالقول أنه كتب للنبي ρ مرة كتاباً فسمي بذلك . المعارف ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، ط2، القاهرة ، دار المعارف ، 1969م ،ص300 . وقيل سُمّي بالكاتب لأنه كان ملماً بأنواع الكتابة التي كانت في عهده ، فكان خليفة كل كاتب في تخصصه إذا غاب عن عمله . المقداد : تاريخ الترسل ، ص45 .وكان خاتم النبي ρ من فضة ونقش عليه محمد رسول الله محمد سطر ورسول سطر والله سطر . ابن سعد : الطبقات ، 258/1 .

(3) الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص171 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،115/1 .

(4) المسعودي : التنبيه ، ص245 . القضاعي : عيون المعارف ، ص238 . الكتاني : التراتيب الإدارية ، 124/1 .

(5) الكتاني : التراتيب الإدارية ، 124/1 .

(6) الأنصاري : المصباح المضيء، 128/1 .

(7) الأنصاري : المصباح المضيء، 128/1 . يقول ابن الأثير : « كاتب النبي ρ مجهول » . أسد الغابة ،261/2 ، وقال تعالى : (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين) سورة الأنبياء الآية 104.وقد ذكر المفسرون عدة معانٍ لكلمة السجل منها : أن السجل ملك يكتب أعمال العباد و منها أن السجل هو الرجل،أو الرجل بالحبشية ومنها أن السجل كاتب كان لنبي ρ إلا أن الأكثرين من المفسرين على أن السجل : الصحيفة. البغوي أبو= =محمد الحسين بن مسعود الفراء(ت 516هـ/1122م) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، تحقيق خالد العك و مروان سوار ،ط2،بيروت،دار المعرفة،1407هـ/1987م،271/3.ابن كثير:تفسير القرآن العظيم ،267/3 .

(8) البلاذري: فتوح البلدان ، ص 459. اليعقوبي: تاريخه ،80/2 . السهيلي: الروض، 36/4 « وهو أول من كتب لرسول الله ρ» الأنصاري: المصباح المضيء ،129/2 .

(9) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 459 . المسعودي : التنبيه ، ص246 . ابن كثير : البداية والنهاية، 452/4 .

(10) الطبري : تاريخ ،179/6 . الباقلاني : الانتصار ، 413/1-414 . ابن الأثير : الكامل، 176/2 .

(11) الأنصاري : المصباح المضيء ،184/1-189 . السهيلي: الروض، 36/4 .

ومحمد بن مســـلمة[1] ، **وعبدالله بن أُبيّ**[2] ، **وعمرو بن العاص**[3] ، **وخالد بن الوليد**[4]))[5].

يظَّل تخصُّص هؤلاء الكُتَّاب تخصصاً عفوياً غير محدد ولا مقيد بأي شرط من الشروط ، أي لم يكن مضبوطاً ولا منظماً بقواعد وأصول واضحة[6].

ولقد وصف حسين نصّار تخصُّص هؤلاء الكُتَّاب بأنه ((**ليس بالنظام الصارم الواجب اتباعه .... إذ لم يكن الحضور فرضاً عليهم ، ولم يكونوا معينين كُتَّاباً له ρ**)) [7] .

ومن الجلي الواضح أن شرف الكتابة بين يدي الرسول ρ خاصة – كتابة الوحي – لمنزلة عظمى يسعى إليها كثير من الصحابة ψ ، فكان طبيعة عمل الكاتب في عهده ρ تقوم غالباً على التدوين لا الإنشاء ، أما كتابة الوحي فقد كانت تعتمد دائماً على التدوين ، فيدون كلام الله ويضعه حيث تلقَّى الرسول ρ الأمر بالمكان الذي توضع فيه الآيات الموحى بها ، وفيما يتعلق بالمعاهدات فالغالب أنها كانت من إنشاء الرسول ρ ، وكان الكُتَّاب يقومون بعملية التدوين فقط[8] .

ولم تدع الحاجة للكتابة الحسابية أو المالية في عهد الرسول ρ ، فالزكاة والغنائم والفيء كانت توزَّع بطريقة سهلة دون حاجة إلى تدوين وعمليات حسابية ، ولم يكن هناك بيت مال ولا مرتبات ولا جيوش ثابتة ولا غيرها مما يحتاج إلى تدوين وحساب[9] .

يتضح لنا من سياق الحديث عن كُتَّاب الرسول ρ أن كتب السير التي ألفت عن سيرة رسول الله ρ كسيرة ابن إسحاق ، والروض الأنف ، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، وكتب التراجم التي ألفت عن تراجم الصحابة كالاستيعاب في أسماء الأصحاب ، والإصابة في تميز الصحابة ، لم تكن وحدها التي تحدّثت عن كُتَّاب النبي ρ بل كتب عنهم الكثير من القدامى ،

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية، 465/4 .الأنصاري : المصباح المضيء، 210/1 .

(2) اليعقوبي : تاريخه، 80/2 .الأنصاري : المصباح المضيء،174/1–180 .

(3) اليعقوبي : تاريخه، 80/2 .الأنصاري : المصباح المضيء، 197/1–204 ، السهيلي: الروض ،36/4 .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية، 465/4 .الأنصاري : المصباح المضيء 1،/109–111 .السهيلي: الروض، 36/4 .

(5) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص65–66 .

(6) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص66 . حيث قيل في ذلك أنه إذا احتاج ρ أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك أو إلى إنسان بقطيعة ، أمر من حضر أن يكتب له . الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص181 .

(7) نشاة الكتابة ، ص52 .

(8) أحمد شلبي : السياسة والاقتصاد ، ص154–155 .

(9) أحمد شلبي : السياسة والاقتصاد ، ص155 .

وأفردوا كتباً خاصــــة عنهم كعمر بن شـــبه (ت 252هـ/876م) ، والقضــاعي(ت454هـ/1062م)، ومحمد بن علي بن أحمد بن حديده الأنصـــاري (ت783هـ/1381م) [1] .وهناك من أورد ذكرهم ضـمن التواريخ المؤلفة للعالم الإسـلامي ، كما فعل خليفة بن خياط (ت 240هـ/854م) ، واليعقوبي (ت 292هـ/904م) ، والطبري ، وابن كثير (ت 774هـ/1773م) ، وابن الأثير وغيرهم[2] .

ولو تتبعنا كتب السـير والتاريخ والطبقات والتراجم ، فلا يمكننا بطبيعة الحال أن نحصـر هؤلاء الكُتَّاب بدقة متناهية ، فالتفاوت في الإحصــاء ظاهرة طبيعية لأن عمل الكتابة على وجه الإجمال كان طوعياً وعفوياً في الوقت نفســه ويصـعب تحديد مفهوم الكاتب الذي يمكن أن يدخل في نطاق هذا العصـر آنذاك . مما لا يفسـح مجالاً واسـعاً لدقة هذا الإحصـاء لذلك فالأقوال تتضـارب في عدتهم وأسمائهم[3].

والحقيقة أن أصحاب المصادر كان كل منهم يتناول هؤلاء الكُتَّاب من زاوية تختلف عن الأخرى ، فبعضهم كان ينظر إليهم من زاوية من ثبت على كتابته ، وبعضهم من زاوية أشراف الكُتَّاب ، وبعضهم يقول ممن كتب له ρ ، أو ممن كتب بين يديه في الوحي وغيره ، وما إلى ذلك[4].

أنواع الكُتَّاب في عهد الخلفاء الراشدين ψ :

وبعد وفاة الرسول ρ في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 11هـ/632م ، زالت الحاجة إلى كُتَّاب الوحي الذين يلتفون حول النبي ρ ، وأصـــبحت الكتابات مقتصـــرة على أنواع المكاتبات الأخرى . وعندما آلت الخلافة لأبي بكر الصـــديق τ بقي مع كونه كاتباً يســتعين ببعض المقرّبين إليه من الكُتَّاب الذين كانوا زمن النبي ρ فقد كتب له عثمان بن عفان[5] ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن

(1) الكتاني : التراتيب الإدارية ، 124/1-125 . الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص11-12 .
(2) الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص12 .
(3) محمود المقداد : تاريخ الترسل ، ص60-61 .
(4) عيسى : كُتّاب الوحي ، ص64 .
(5) ابن حبيب : المحبّر ، ص377 . ذكره من غير تخصـــص محدد بينما ذكر الطبري في تاريخه أن عثمان كان يكتب له الأخبار . الطبري : تاريخ ،426/3 ، بينما يذكره ابن عبدربه من غير تخصـــص محدد . العقد الفريد ،154/4 . ومثله فعل الجهشـــياري : الوزراء ، ص 15.

الأرقم[1] ، وعبدالله بن خلف الخزاعي ، وحنظلة بن الربيع ، ومعيقيب الدوسي[2] ، وكان من حضر من هؤلاء الكُتَّاب كتب له ، وكتب له غيرهم أيضاً[3] .

يعلل محمود المقداد عدم كتابة كبار الصحابة كعمر وعلي مثلاً لأبي بكر الصديق أنهم كانوا يرتفعون عن الكتابة للخليفة ، أو ربما كان ذلك نتيجة شعورهم بأن الكتابة عمل أحط من أن يتنزّلوا إليه ، وخصوصاً إذا كانت هذه الكتابة إملاء خالصاً من غيرهم[4] . وهذا رأي غير دقيق ذلك أن أبا بكر احتاج إليهم في أعمال أخرى أكثر أهمية مثل إبداء الرأي والمشورة في شؤون الخلافة وإدارة الدولة .

وفي عهده τ اندلعت نيران الحروب في أنحاء شبه الجزيرة العربية بين المسلمين والمرتدين وامتدت هذه الحروب إلى الحدود الخارجية وأراضي العراق والشام ، مما جعلتهم يكثرون من الكتابة في شأن هذه الحروب من وصايا للقواد[5] ، ومعاهدات[6] ، ودعوات للإسلام[7] وما إلى ذلك من الأمور التي تتصل بالحروب من بعيد أو من قريب[8] .

ولما شاع الإسلام في شبه الجزيرة العربية مرة أخرى ، بعد حروب الردة ذاع أمر الكتابة وفطن الجميع إلى قيمتها ، وأخذ يحذقها الكثيرون ليقرأوا بها كتاب الله Y المنزل على رسول الله ρ [9].

---

(1) الطبري : تاريخ، 179/6 .الجهشياري : الوزراء ، ص5 .ابن عبدالبر : الاستيعاب، 265/2 . ونظراً لأن زيد بن ثابت كان من أكثر الصحابة خبرة بكتابة الوحي ، نرى أن أبا بكر الصديق أمره بتتبع القرآن وتدوينه في الصحف ، وقال له : « أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله وكنت تكتب الوحي ، فتتبع القرآن فاجمعه » . ابن عبدربه : العقد الفريد ،154/4 ، الجهشياري : الوزراء ، ص15 .

(2) الطبري : تاريخ ،179/6 .الشكعة : الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني ، 1974م ، ص197 . بينما ينفرد ابن عبدربه بذكر حنظلة بن الربيع كاتباً لأبي بكر مع عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم . العقد الفريد ،154/4 .وقد كتب معيقيب الدوسي لأبي بكر τ على بيت المال . ابن عبدالبر : الاستيعاب، 455/3 .

(3) الطبري : تاريخ، 426/3 . يظن حسين نصّار أن كُتَّاب النبي ρ الباقين على قيد الحياة ، قد كتبوا أيضاً لأبي بكر الصديق أو تراسلوا معه في الأحداث الإسلامية الجديدة . نشأة الكتابة ، ص54 .

(4) تاريخ الترسل ، ص68 .

(5) أحمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، القاهرة ، دار المطبوعات العربي ، 1356هـ/1937م 111/1-124 .

(6) صفوت : جمهرة رسائل العرب ،124/1-130 .

(7) صفوت : جمهرة رسائل العرب ،109/1 .

(8) نصّار : نشأة الكتابة ، ص55 .

(9) عبدالعزيز الدالي : الخطاطة الكتابة العربية ، مصر، مكتبة الخانجي ، 1400هـ/1980م ، ص53 .

لقد برز خالد بن الوليد قائداً في هذه الحروب ، كذلك نراه يبرز كاتباً حيث كتب أغلب الكتب في عهد أبي بكر الصـديق ، ولم يكتب خالد بن الوليد جميع هذه الرسـائل بيده ، بل كان له كُتَّابه أيضـاً ، إذ ذكروا أن حنظلة بن الربيع كتب له كتابين[1] ، وفي أثناء وفاة أبي بكرالصـديق τ كتب له عثمان بن عفان عهد الاستخلاف لعمر بن الخطّاب[2] .

كانت مهمة الكاتب في عصـر الخلفاء الراشـدين في أوّل الأمر تحرير الرسـائل والأوامر ، ولما دوّنت الدواوين في عهد عمر τ اتسعت أعماله ، فشملت بالإضـافة إلى ذلك ضبط حساب الديوان وأسـماء الجند وأعطياتهم ، فعيّن عمر τ لكل ولاية من الولايات الرئيسـة كاتباً ، كما عيّن كاتباً للجيش[3] .

وبذلك وضـع عمر τ اللبنة الأولى في تشكيل الجهاز الإداري للدولة الإسـلامية الذي أخذ ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن اتخذ صورته شبه النهائية في العصر العباسي[4] لذلك اتخذ τ كُتَّاباً في الولايات يكتبون على الدواوين بعد أن انتشرت في الأقاليم والمدن الرئيسية ، فلقد كتب له زيد بن ثابت وعبدالله بن الأرقم ، وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري ، وكتب له على ديوان البصرة عبدالله بن خلف الخزاعي ،

وأبو طلحة الطلحات[5] ، ويقصـدون بذلك ديوان الجند[6] فلما استقر رأي عمر بن الخطابτ على تدوين الدواوين ((**طلب من عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من شـباب قريش وكُتَّابها ، أن يكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوهم على ترتيب**

---

(1) الحيدر أبادي : الوثائق السياسية ، ص 382-383 .

(2) الطبري : تاريخ ،429/3 .صفوت : جمهرة رسائل العرب ،144/1 .

(3) الباشا : دراسات ، ص48-49 . أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص104 . إبراهيم سليمان الكروي وعبدالتواب شرف الدين : المرجع في الحضارة الإسلامية ، الكويت ، ذات السلاسل ، 1404هـ/1984م ، ص95 .

(4) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص20 .

(5) ابن حبيب : المحبّر ، ص377-378 . الطبري : تاريخ ،179/6 . ابن عبدربه : العقد الفريد، 54/4 . الجهشـياري : الوزراء ، ص16 . ابن الكازروني : علي بن محمد (ت697هـ/1297م) مختصر التاريخ ،حققه مصطفى جواد و سالم الألوسي،بغداد،المؤسسة العامة للصحافة و الطباعة،1390هـ/1970م، ص69 .

(6) نصّار : نشأة الكتابة ، ص59 .

الأنســاب فيبدأ من قرابة رســول الله ρ وما بعدها الأقرب فالأقرب ، وحســب الســابقة في الإسلام وحسن الأثر في الدين . وعند انقراض أهل السابقة روعي في التفضيل التقدم في الشـجاعة والبلاء في الجهاد)) [1].ويذكر ابن عبدالبر أن معيقيب الدوسـي كتب لعمر τ أيضـاً على بيت المال[2] .

ولقد اتخذ الولاة و الأمراء الكُتَّاب الخاصين بهم ، لذلك نجد أقدم إشارة على كتاب الولاة في خلاقة عمر بن الخطاب τ ، إذ أصـبح لولاته أيضـاً كُتَّاب يكتبون بين أيديهم ، يروي لنا ابن حبيب (ت245هـ /859م) أن زياد بن أبيه ((**كاتباً للمغيرة بن شعبة،ثم كتب لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب**)) [3].

وهناك حادثة جرت زمن عمر بن الخطاب τ تنمُّ عن ذكاء زياد بن أبيه وفطنته ، حين وجّهه أبو موسى الأشعري من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى من الذكاء ، وقال لـه : لا ترجع لأبي موســـى ؛ فقال لـه : يا أمير المؤمنين ، أعن خيانـة صـــرفتني أم عن تقصـــير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضـــل عقلك على الرعية ؛ ثم ولي بعد الكتابة العراق في عهد معاوية بن أبي ســـفيان [4].بينما نجد عبد الرحمن بن أبزى كان يكتب لنافع بن الحارث والي مكة[5].

وعندما تولى عثمان بن عفان τ الخلافة كتب له ابن عمه مروان بن الحكم ، وكتب له عبدالملك بن مروان على ديوان المدينة ، وأبو جبيرة على ديوان الكوفة ، كذلك كتب له عبدالله بن أبي الأرقم

---

(1) الماوردي : الأحكام الســـلطانية ، ص199–200. المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد ، لندن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، 1422هـ/2002م ،247/1 .

(2) الاستيعاب ،455/3 .

(3) المحبر ،ص378.ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 158/4.نصار : نشأة الكتابة،ص59

(4) ابن عبدربه : العقد الفريد، 158/4 . الجهشياري : الوزراء ، ص 19–20 .

(5) ابن حبيب:المحبر، ص379 . عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي،أدرك النبيρ ،استعمله على خراسان، وقال: عمر بن الخطابτ لنافع بن الحارث من اســـتعملت على مكة ، قال: عبد الرحمن بن أبزى، قال: اســـتعملت عليهم مولى ، قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، وفي رواية أنه أقراهم لكتاب الله وأفقهم في دين الله ، ســـكن الكوفة وروى عن النبيρ وعن أبي بكر وعمر وغيرهم . ابن حجر: الإصابة ،381/2 .

على بيت المال ، وكتب له أبو غطفان بن عوف ، وكتب له أهيب مولاه وحمران مولاه[1] ، غير أن الغالب عليه كان مروان بن الحكم[2] . يقول حسين نصّار في ذلك أنه ((**حين تولى عثمان الخلافة نرى ظاهرة جديدة مهمة ، إذ يبعث المنشورات إلى النواحي المختلفة من الدول العربية يبيّن فيها سياسته الجديدة ، فكُتَّاب لعمّاله ، وآخر لأمراء الأجناد ، وثالث لعمّال الخراج ، ورابع للعامة**)) [3] .

ولما تولى علي بن أبي طالب τ الخلافة ظهرت الحاجة إلى الكُتَّاب بشكل أكبر ، فكتب له سعيد بن نمران الهمداني ، وعبدالله بن جبير ، وعبدالله بن أبي رافع[4] .

وذكر الطبري أن عبدالله بن مسعود كتب له ، وهذا وهم[5] ، لأن عبدالله بن مسعود توفي سنة 32 أو 33 [6] ، أي قبل أن يتولى الخلافة ، والصحيح الذي كتب له عبدالله بن جعفر كما

ذكر الجهشياري[7] . وقيل أنه استعمل τ زياد بن أبيه على الديوان والخراج[8] ، وقيل أيضاً كتب له سماك بن حرب[9] .

ومن ذلك الوقت أصبح للخلفاء كُتَّاب من ذوي العلم والمعرفة[10] ، تعددت مهامهم حيث أنه بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين ψ وجد ثلاثة أنواع من الكُتَّاب هم كاتب الرسائل – الذي يكتب

---

(1) ابن حبيب : المحبّر ، ص377 . الطبري : تاريخ ،180/6 . ابن عبدربه : العقد الفريد، 154/4-155 . الشكعة : الأدب في موكب الحضارة ، ص200 .
(2) اليعقوبي : تاريخه، 183/2 .
(3) نشأة الكتابة ، ص60 .
(4) الطبري : تاريخ، 180/6 . ابن عبدربه : العقد الفريد، 4/ 155 . وورد اسمه (عبيدالله بن أبي رافع) بدل من (عبدالله بن أبي رافع) عند ابن الكازروني . مختصر التاريخ ، ص77 .
(5) المقداد : تاريخ الترسل ، ص70 .
(6) ابن عبدالبر : الاستيعاب ،361/2 .
(7) الوزراء ، ص23 .
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص 23 يقول حسين نصّار أن كلمة « الديوان » يعني بها الجهشياري ديوان الجند أحياناً وديوان الخراج أحياناً أخرى . نشأة الكتابة ، ص72 .
(9) ابن عبدربه : العقد الفريد ،4/ 155 .
(10) الباشا : دراسات ، ص49 .

بين يدي الخلفاء والولاة – وكاتب ديوان الجند – الجيش – وكاتب بيت المال والجبايات[1] ، وقد كان الكُتَّاب في عصـــــر الخلفاء الراشـــــدين من العرب والموالي – وكانوا يمتازون بالعلم والمعرفة حيث ظلت الكتابة منصباً ذا أهمية في الدولة[2] .

أنواع الكُتَّاب في عهد الدولة الأموية :

كثر الكُتَّاب وتنوَّعت تخصُّصاتهم في العصر الأموي ، فأصبحت وظيفة الكاتب مهنة رسمية لها شروطها ومؤهلاتها .

فلما تولَّى معاوية بن أبي سـفيان τ (41–60هـ/661–680م) عيَّن عبيد الله بن أوس الغسـاني كاتباً بين يديه على الرسائل [3] ، كما استكتب سرجون بن منصور الرومي ـ نصراني ـ على الخراج[4] وعمرو بن ســـعيد بن العاص على ديوان الجند، وعبد الله بن محمد الحميري على ديوان الخاتم [5] ويتضَّـح مما سـبق أن لمعاوية بن أبي سـفيان كُتَّاب بين يديه على الرسـائل وآخرون على الدواوين بحضـــــرته مثل ديوان الخراج وديوان الجند وديوان الخاتم ، ثم عيَّن كُتَّاباً على دواوين الولايات[6] ، كعبد الرحمن بن دراج تولَّى الكتابة على خراج العراق ، وسليمان المشجعي تولَّى الكتابة على ديوان فلسطين ، وحبيب بن عبدالملك بن مروان[7] تولَّى الكتابة على ديوان المدينة، وابن أوثال النصـراني تولَّى الكتابة على ديوان خراج حمص ،وكتب له على بعض دواوينه عبيدالله بن نصـــر بن الحجاج

(1) الباشا : دراسات ، ص48 .

(2) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص104 .

(3) الطبري :تاريخ ، 180/6 .الجهشياري:الوزراء ،ص24 .ابن الكازروني :مختصر التاريخ ، ص82 .

(4) ابن حبيب :المحبر ، ص377.الجهشياري : الوزراء ،ص24 .وسرجون بن منصور الرومي كاتب معاوية بن أبي سفيان و يزيد ابنه ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك. الطبري : تاريخ ،183/6 .الجهشياري :الوزراء،ص24–40 .

(5) الجهشياري :الوزراء ، ص25 .أنشأه الخليفة معاوية بن أبي سفيان بسبب أنه كان قد أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن أبيه ففتح عمرو الكتاب وصير المائة مائتين . فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه حتى قضـــاها عنه أخوه عبدالله بن الزبير ، لذلك اتخذ معاوية ديوان الخاتم .الجهشـياري : الوزراء ، ص 24– 25. وسـوف نتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص32 ،23 .

(7) هو :حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أميراً أموي كان بالأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل وكانت له منَّه خاصة لم تكن لأحد من أهل بيته ، ولاه طليطلة وأعمالها ومات في حياة الداخل فشهد جنازته سنة 160هـ/778م . الزركلي: الأعلام ، 166/2 .

السلمي[1] .ويشير ابن حبيب أن عبد الملك بن مروان كان كاتباً لمعاوية على ديوان المدينة[2]،بينما نجد رواية في الطبري مفادها أن ابنه حبيب بن عبد الملك هو الذي كتب لمعاوية على هذا الديوان [3].

وظهر في عهد معاوية كُتَّاباً للولاة يكتبون بين أيديهم وفي الدواوين ، ففي سـنة (45هـ/665م) قلَّد معاوية زياد بن أبيه البصـرة و الكوفة ، فاتخذ له كُتَّاباً يكتبون في حضـرته ، فكتب له عبد الله بن أبي بكرة ،وجبير بن حية على رسائله ؛ وزاذا أو زاذان فروخ على الخراج ، كما كتب له مرداس مولاه أيضا . وفي سنة (59هـ/709م) قلَّد معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان واتخذ له كاتباً يدعى اسطفانوس[4].

وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة (60-64هـ/680-683م) أقرَّ عبيد الله بن أوس الغسـاني – كاتب والده معاوية – على كتابته ، وأبقى سـرجون بن منصـور الرومي على ديوان الخراج [5]، كما عيَّن يزيد بن عبد الله على ديوان المدينة [6].

كذلك نلحظ ظهور كُتَّابٌ للولاة في عهد يزيد بن معاوية أيضـاً حيث ولّى في سنه (61هـ/681م) سلم بن زياد خراسان فاتخذ سلم كاتب أخيه عبد الرحمن اسطفانوس [7] . ولما تولى معاوية بن يزيد بن معاوية الخلافة (64هـ/683/684م) اختار لكتابته الريان بن مسلم ، وأبقى سرجون بن منصـور على ديوان الخراج [8] .و من المعروف أن هذا الكـاتب كـان يتمتع بـالخبرة و الكفاءة و ذلـك من خلال تقلُّده منصـب الكتابة لعدد من خلفاء بني أميه فنال ثقتهم و تقدّم عندهم ، فقد سـبقت له الكتابة في عهدي معاوية و ابنه يزيد ولا سيما ديوان الخراج. ثم كتب له أبو الزعيزعة على حد قول الطبري[9] . ولكن دون تحديد الديوان الذي كتب فيه ، ولو تتبعنا كُتَّاب بني أمية و اختصـاصـاتهم

---

(1) الطبري: تاريخ ،180/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص24-27 .
(5) المحبر ، ص378 . ابن أيبك : كنز الدر ،428/1 .
(3) تاريخ ،180/6 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص26 ، 29 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص31 .
(6) ابن حبيب :المحبر ، ص378 .
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص31.
(8) الطبري : تاريخ ، 180/6.الجهشياري : الوزراء ، ص 32.
(9) تاريخ ، 180/6.

نجد انه تولّى الكتابة في ديوان الرسائل لبعض الخلفاء فيما بعد ، ومن خلال ذلك يمكن القول بأنه كتب لمعاوية بن يزيد على ديوان الرسائل.

وفي سنة (64-65هـ/684-685م) ولّى مروان بن الحكم الخلافة ، – و كان قبل ذلك من جملة الكُتَّاب الذين كتبوا للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه– فأبقى سرجون بن منصور على ديوان الخراج، كما أقرَّ أبا الزعيزعة على ديوان الرسائل، ثم استكتب سفيان الأحول الذي ذكره الجهشياري ضمن كُتَّابه[1]، و لكنه لم يشر إلى اسم الديوان الذي كتب فيه .وهناك روايه لابن عبدربه يذكر فيها أن حميد بن عبدالرحمن بن عوف كان من ضمن كُتَّاب مروان بن الحكم أيضاً[2]

.

ولما تولَّى عبدالملك بن مروان الخلافة ولّى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكتابة بين يديه على الرسائل، يظهر ذلك من خلال بعض روايات المصادر التي تشير إلى أن قبيصة كان يقرأ الكتب الواردة على عبدالملك قبل أن يقرأها عبدالملك نفسه[3]. وبعد وفاته ولّى مكانه عمرو بن الحارث الفهمي[4] ، كما عين على هذا الديوان روح بن زنباع الجذامي[5] ،ثم ظهر ابو الزعيزعة مرة أخرى في دواوين عبد الملك حيث استكتبه على ديوان الرسائل و استكتب على هذا الديوان أيضا سليمان بن سعد الخشني الذي حوّل الدواوين من الرومية إل العربية[6] ، وكان من جملة كُتَّابه أيضاً ربيعة الجرشي و كان صاحب رأي و شورى لدى عبد الملك بن مروان، كما عيّن مولاه جناح على ديوان الخاتم و اقتصر على باقي كتابة[7] ، ويذكر الجهشياري أن عبد الملك بن مروان كان لديه كاتب نصراني من أهل الذمة يدعى شمعل[8].

---

(1) الوزراء ، ص 33 .230.
(2) العقد الفريد ،155/4.
(3) الطبري : تاريخ، 180/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 34 . القضاعي : عيون المعارف ، ص348 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص 38.
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 35. ابن الكازروني : مختصر التاريخ، ص90.
(6) الجهشياري :الوزراء ، ص40 . سليمان بن سعد الخشني أول من نقل الدواوين من الرومية إلى العربية وأول مسلم ولّى الدواوين كلها في العصر الأموي بعد أن كان النصارى يقومون عليها . وهو من أهل الأردن انتقل إلى دمشق نقل الحساب أيام عبد الملك وبقي إلى أن عزله عمر بن عبد العزيز لهفوة منه ، توفى سنة 105هـ/723م . الزركلي : الأعلام ، 188/3 . ولمزيد من التفصيلات عن فضل عبد الملك بن مروان في تطوير الدواوين وتعريبها . أنظر :الفصل الثاني بموضوع علاقة الكُتَّاب بالدواوين .
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص37-38 .
(8) الوزراء ، ص40 .

لقد تمّ في عهد عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين، و بفضله ظهرت وظائف كثيرة في الدولة للذين يجيدون القراءة و الكتابة[1] ، كما ظهرت طبقة الكُتَّاب التي صارت تمثل صفوة المثقفين، فعندما قطع المجتمع الإسلامي شوطاً في مضمار الثقافة و المعارف الإدارية ، و ظهر من المسلمين عرباً و موال ، مهرة في أعمال الخراج و إدارة أموره ، فبدأت حركة تعريب تدريجية للدواوين انسجاماً مع سياسة الدولة في بلوغ الوحدة الفكرية و الثقافية و الإدارية ورفع مستوى الإشراف على الأجهزة الإدارية[2] .

ففي العراق عام (78هـ/697م) أمر الحجاج بن يوسف – في عهد عبد الملك بن مروان–كاتبه صالح بن عبد الرحمن ، أن يقوم بتعريب دواوين الخراج ، و كان يتقلده آنذاك زاذان فروخ ففعل[3] . و في الشام أمر الخليفة عبد الملك بن مروان عام (81هـ/700م) واليه على الأردن سليمان بن سعد الخشني [4] أن ينقل دواوين الخراج في الشام إلى العربية ففعل، وكان على هذا الديوان آنذاك سرجون بن منصور النصراني[5] . وقد قيل أنه أتمَّ عملية التعريب في سنة واحدة[6] .

أما ولاة البلدان في عهده فقد اتخذوا لهم كُتَّاباً بين أيديهم على الرسائل والدواوين كغيرهم من الولاة ، فعندما تولَّى عبد العزيز بن مروان مصر استكتب يناس بن خمايا[7] ، وفي عام (67هـ/686م) تقلَّد مصعب بن الزبير البصرة في عهد عبد الملك من قبل أخيه عبد الله بن الزبير فاستكتب على الخراج سار زاذ ، وعلى الرسائل عبد الله بن أبي فروة [8] .

---

(1) احمد شلبي :التربية الإسلامية ، ص44 .كان من أسباب تعريب الدواوين ضبط أعمال الدواوين المالية والأشراف عليها منعاً من الغش والتزوير . وأن أعمال الخراج والجبايات كان يقوم بها كُتَّاب من أهل الولايات مما دعا عبدالملك إلى تعريب الدواوين . وسوف نتناول ذلك بالتفصيل .

(2) الباشا : دراسات ، ص49 .

(3) البلاذري : فتوح البلدان ، ص298 . الجهشياري : الوزراء ، ص38 .

(4) سبقت ترجمته .

(5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص196– 197 . الجهشياري : الوزراء ، ص40 .

(6) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، 1405هـ/1985م ، ص399 . البلاذري : فتوح البلدان ، ص197 .

(7) االجهشياري : الوزراء ، ص34 .

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص 44 .

ولما ولَّى يزيد بن المهلب خراسان عام (82هـ/701م) من قبل الحجاج بن يوسف – في عهد عبد الملك – اتخذ كاتباً له يدعى يحيى بن يعمر العدواني على ديوان الرسائل ، فأرسل للحجاج رسالة بأمر من يزيد بن المهلب ، يبلغه فيها بالفتح الذي حققه ، فأعجب الحجاج بفصاحته و بلاغته ((**فكتب إلى يزيد يأمر بحمله إليه على البريد**)) [1]، وأثناء ولاية الحجاج للعراق قلَّد يزيد بن أبي مسلم – أخاه من الرضاعة – ديوان رسائله [2] .

وآلت الخلافة للوليد بن عبد الملك (86–96هـ/705–715م) فنجد الطبري يذكر أن الوليد استكتب القعقاع بن خليد العبسي ، ولكن دون تحديد اسم الديوان الذي كتب عليه ، أما باقي كُتَّابه فنجده يذكر تخصُص كلَّ واحد منهم ، فسليمان بن سعد الخشني تقلَّد له الكتابة على ديوان الخراج ، ومولاه شعيب العماني تقلَّد له الكتابة على ديوان الخاتم [3] ، ونفيع بن ذؤيب تقلَّد له الكتابة على ديوان المستغلات ، ومولاه جناح تولَّى له الكتابة على ديوان الرسائل [4].

بينما يضيف ابن الكازروني (ت697هـ/1297م) جملة من كُتَّاب الوليد لم ترد أسمائهم عند الطبري والجهشياري كقبيصة بن ذؤيب والضحاك بن زميل ، ويزيد بن أبي كبشة [5] .

ولما تولَّى سليمان بن عبد الملك الخلافة (96–99هـ /715–717م) استكتب بين يديه على الرسائل سُليم بن نُعيم الحميري [6] ، كما عيَّن الليث بن أبي رقية على كتابة ديوان الرسائل ، واختار للكتابة على ديوان الخاتم نعيم بن سلامة ، أما على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص 41 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص 41 .

(3) الطبري : تاريخ ، 181/6 . بينما يذكر الجهشياري أ ن مولاه شعيب من كتب له على ديوان الخاتم . الوزراء ، ص47 . لعله هو الذي ذكره الطبري أو شخص آخر .

(4) الطبري : تاريخ ، 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص47 . وديوان المستغلات يسمى أيضاً بديوان الإيرادات المتنوعة فيقصد بها تلك الموارد المختلفة التي تؤول إلى الدولة من أملاك غير منقولة كالأراضي والأبنية الحكومية . الصالح : النظم الإسلامية ، ص413 .

(5) مختصر التاريخ ، ص93 .

(6) أي حين ذكر الطبري أسماء من كتب للخليفة سليمان بن عبد الملك ، ذكر سليمان بن نعيم الحميري لعله يقصد سليم بن نعيم الحميري الذي ورد ذكره عند الجهشياري . الطبري : تاريخ ، 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص48 .

فاســتكتب عبد الله بن عمرو بن الحارث [1] ، ويشــير ابن الكازروني إلى أن يزيد بن المهلب ممن كتب لسليمان بن عبد الملك [2] .

وعندما ولَّى سليمان بن عبد الملك العراق ليزيد بن المهلب سنة (96هـ/714م) اتخذ المغيرة بن أبي قرة كاتباً له ، وكان صاحب مكانة لديه [3] .

وعندما تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة (99-101هـ /717-719م) اختار الليث بن أبي رقية على كتابته ، وخص بكتابته رجاء بن حيوة ، كما اســتكتب إســماعيل بن أبي حكيم ، ثم عاد سـليمان بن سـعد الخشـني إلى دواوين عمر بن عبد العزيز ، وقلَّده الكتابة على ديوان الخراج وبعد ذلك صـرفه وقلَّد مكانه صـالح بن جبير الغسـاني – وقيل الغداني – وعدي بن الصـباح بن المثنى [4] ، ويذكر الجهشياري أن الذي كان من جلة كُتَّاب عمر بن عبد العزيز الصباح بن المثنى [5] ، بينما ورد عند الطبري الثابت اسمه عدي بن الصـباح بن المثنى هو الذي كان من جلة كُتَّاب عمر بن عبد العزيز [6] . ورُوي أن أبا الزناد عبد الله بن ذكوان ، قد كتب لعمر بن عبد العزيز و لعامله على الكوفة عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أيضاً [7] .

واختار يزيد بن عبد الملك (101- 105هـ /720- 724م) كاتبه يزيد بن عبد الله ، ثمَّ استكتب أسامة بن زيد – أو يزيد- السليحي [8] ، وأعاد يزيد بن عبد الملك سليمان بن سعد الخشـني إلى الدواوين بعدما صرفه عمر بن عبد العزيز عن ديوان الخراج ، حيث وصفه الجهشياري بأنه ((**كان عفيفاً عالماً بصـناعته**)) [9] ، وذكر اليعقوبي أن سـعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان كان غالبا عليه [10] ، بينما يشـــير ابن الكازروني أن ممن كتب للخليفة يزيد بن عبد الملك عمر

---

(1) الطبري : تاريخ ، 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 48 .
(2) مختصر التاريخ ، ص 95 .
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص 51 .
(4) الطبري : تاريخ ، 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص53 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 54 .
(6) تاريخ ، 181/6 .
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص54 .
(8) لعله أسامة بن زيد التنوخي الذي عرف له ولايته على خراج مصر. الجهشياري : الوزراء ، ص 51 .
(9) الطبري : تاريخ ، 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 56 .
(10) تاريخه ، 314/2 .

بن هبيرة و إبراهيم بن جبلة و أســامة بن زيد [1] . وقد اتفق مع الطبري و الجهشــياري في كتابة أسامة بن زيد – أو يزيد – له .

وعندما آلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك (105–125هـ/724–743م) فاستكتب سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي[2] .

أما كُتَّابه على الدواوين فنجده استكتب اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب على ديوان الصدقة ثم عيَّن قاذري بن أسطين النصراني على كتابة ديوان حمص ، كما كتب على الطرّز [3] جنادة بن أبي خالد [4] ، ثم اســتكتب على ديوان العراق محمد بن المنتشــر ، ومعه حســان النبطي وكان ذميّ فكتب هشام يأمر أن لا يستعان بذميّ فأسلم حسان على يدي محمد بن المنتشر، ثم عيَّن كاتباً لسعيد بن عمرو الجرشــي أثناء ولايته على خراســان . أما كاتب رسـائله فكان ســالم مولاه ، وكان ينوب عنه بُشير بن أبي دلجة [5] .

وقد أضاف الطبري إلى القائمة الموجودة عند الجهشياري أسماء لم ترد عند ه ، فذكر أن نصر بن سيّار كان يتقلَّد خراج خراسان لهشام بن عبد الملك ، وأن شعيب بن يسار ممن كتب له أيضاً [6] ، بينما نجد القضـاعي (ت454هـ/1062م) يذكر أن يزيد بن المهلب ممن كتب لهشـام بن عبد الملك [7].

وكان للولاة في عهد هشام بن عبد الملك كُتَّاب بين أيديهم ففي سنة (109هـ/727م) ولَّى هشام خراسان لأشرس بن عبد الله السلمي فاتخذ له كاتباً يدعى عميرة وكان من أهل السّواد [8] وفي سنة

---

(1) مختصر التاريخ ، ص99.
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص59 .
(3) الطراز : الموضـع الذي تصـنع فيه الثياب والمنسوجات ، كذلك تطلق على الكتابة التي كانت تكتب على القراطيس وأوراق البردي ، وقيل أن لفظة الطراز فارسـي (ترازيدن) وتعني التطريز ، واسـتعمل للدلالة على ملابس الخلفاء والسـلاطين وحاشـيتهم . خماش : الإدراة ، ص 285–287 . توفيق اليوزبكي : دراسات في النظم العربية الإسلامية ، ط2 ، الموصل ، دار الكتب ، 1399هـ/1979م ، ص140.
(4) الجهشــياري : الوزراء ، ص60 . غير أن القضــاعي يذكر أن محمد بن عبد الله بن حارثة ممن كتب لهشــام على الطرز . عيون المعارف ، ص371 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص61–62 .
(6) تاريخ ، 181/6 .
(7) عيون المعارف ، ص360 .
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص66 .

(120هـ/737م) ولَّى هشـــام بن عبد الملك العراق ليوســـف بن عمر الثقفي ، فاتخذ له كُتَّاباً على الخراج والرسائل فاستكتب على الخراج قحذم بن أبي سليم بن ذكوان وعلى الرسائل رشدين مولاه ، وكتب له أيضاً زياد بن عبد الرحمن [1]. وفي نفس السنة قلّد هشام نصر بن سيار الليثي خراسان ، فلّما ولى نصـر بن سـيار اسـتكتب البحتري بن مجاهد . فشـاوره نصـر في ولاية جعفر بن حنظله على بخارى ، فأشار عليه ألاّ يقبلها ، ولم يزل على كتابته إلى أن هرب نصر من خراسان [2].

ولما تولَّى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة (125-126هـ/743-744م) اســـتكتب قبل خلافته عياض بن مسلم ، وبعد ذلك كتب له بكير بن الشماخ ، وكتب له على ديوان الرسائل سالم ، ثم ابنه عبد الله بن سـالم ، وكان من ضـمن كُتَّابه أيضـاً عبد الأعلى بن أبي عمرو ، أما عمرو بن عتبة فتولَّى له الكتابة في حضرته وخاصـة أمره ، ثم استكتب على ديوان الجند عبدالملك محمد بن الحجاج بن يوسـف ، وعلى ديوان الخاتم بيهس بن زُميل[3] ، ويذكر القضـاعي أن العباس بن مسـلم ممن كتب للوليد بن يزيد [4]، كما يشـير ابن الكازروني أن ممن كتب للوليد بن يزيد العباس بن مسلمة [5] . لعله هو الذي ذكره الجهشياري أو شخص آخر.

وفي عهده وَلّى العراق لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز سنة (126هـ /744م) فاختارعلى كتابته المغيرة بن عطية [6].

وعندما تقلّد يزيد بن الوليد الناقص الخلافة (126هـ/744م) اختار لكتابته عبد الله بن نعيم ، ثم اسـتكتب على ديوان الخاتم عمرو بن الحارث ، وتقلَّد له على ديوان الرسـائل ثابت بن سـليمان بن سعد الخشني ويقال الربيع بن عرعرة الخشني[7] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص64 . ابن الاثير : الكامل ، 253/4 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص66 .
(3) الطبري : تاريخ 181/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 68 .
(4) القضاعي : عيون المعارف ، ص376 .
(5) مختصر التاريخ ، ص102.
(6) الجهشياري : الوزراء ، ص 70 .
(7) الطبري : تاريخ 182/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 69 . القضاعي : عيون المعارف ، ص378 .

ولما تولى إبراهيم بن الوليد الخلافة (127هـ/744-745م) اسـتكتب إبراهيم بن أبي جمعة واتخذ ثابت بن نُعيم الجذامي كاتباً له على ديوان فلسـطين [1] ، غير أن الطبري يذكر أن ابن أبي جمعة كان يتقلَّد له الديوان بفلسـطين ولم يذكر كاتبا غيره[2]، ويشـير القضـاعي وابن الكازروني إلى كاتب آخر له يسمى دكين بن السراج اللخمي[3] .

وعندما تولَّى مروان بن محمد الخلافة (127-132هـ/745-750م) اختار لكتابته ، عبدالحميد بن يحيى ، الذي عرف بالبلاغة والبيان ، ثم اسـتكتب مصـعب بن ربيع الخثعمي ، وعيَّن زياد بن أبي الوردِ الأشجعي على كتابة النفقات ، وعثمان بن قيس مولى خالد القسري على ديوان الرسائل ، وكان من كُتّابه مخلد بن محمد بن الحارث الذي ظل على كتابته إلى أن قتل مروان بن محمد ، ثم اتصـل بعبدالله بن علي [4]، وهناك حادثة جرت تنمُّ عن ذكاءه وشـدة فطنته ، يرويها الجهشـياري قائلاً: ((**سئل يوماً عن مروان في مجلس عبد الله بن علي فقال له :إنه قال يوم الوقعة أحزر لي القوم ، فقال مخلد : إني صاحب قلم ولست بصاحب حرب ، فأخذ يمنة ويسرة ونظر ، ثم قال لي : هم اثنا عشـر ألفاً ، فجلس عبد الله وكان متكئاً ، ثم قال : لله دره ! ما أحصـى الديوان يومئذ فضلاً عن اثني عشر ألفاً**)) [5] .

غير أن اليعقوبي يذكر أن الغالب على مروان بن محمد أبو حديده السـلمي و إسـماعيل بن عبدالله القسري واسحاق بن مسلم العقيلي[6] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص 71 .
(2) تاريخ ، 182/6 .
(3) عيون المعارف ، ص379 . مختصر التاريخ ، ص104 .
(4) الطبري :تاريخ ، 182/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 72، 80 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 80 -81 .
(6) تاريخه ، 346/2 .

ويعتبر الكُتَّاب عموماً من أهم موظفي الدولة في العهد الأموي[1] – سـواء كُتَّاب الدواوين – أي رؤسـاء الدواوين – أو كُتَّاب الموظفين مثل كُتَّاب القضـاة وأصـحاب الشـرط وغيرهم، الذي يمكن التعرف على أعمال بعضهم فيما يلي [2]:

1- كاتب الرسائل : الذي يخاطب الملوك والأمراء والعمال وغيرهم .

2- كاتب الخراج : الذي يدون حساب الخراج داخله وخارجه .

3- كاتب الجند : الذي يقيد أسماء الجند وطبقاتهم وأعطياتهم ونفقات الأسلحة وغير ذلك.

4- كاتب الشرطة : الذي يكتب التقارير عما يقع من أحوال القصاص والديات وغيرها.

5- كاتب القاضي : الذي يكتب الشروط والأحكام .

كذلك يشير ابن السيد البطليوسي إلى تلك الأصناف الخمسة للكُتّاب هم[3] :

1- كاتب الخط : هو الوراق والمحرر .

2- كاتب اللفظ : هو المترسل .

3- كاتب العقد : هو كاتب الحساب الذي يكتب للعامل .

4- كاتب الحكم : هو الذي يكتب للقاضي .

5- كاتب التدبير : هو كاتب السلطان أو كاتب وزير دولته .

أنواع الكُتَّاب في عهد الدولة العباسية :

حظي كاتب الرسـائل – كاتب الإنشـاء – بمنزلة عالية خلال عصـور الدولة الإسـلامية على اختلاف فتراتها ، لا سـيما أواخر العصـر الأموي ، فبلغ منزلة تماثل منزلة الوزير في العصـر العباسـي ، دون أن يطلق عليه مسـمى وزير ، وإنما كان يسـمى كاتباً أو مشـيراً ، وبذلك أصـبحت وظيفة الكاتب أكثر رسوخاً وأرفع قدراً حتى اتضح أن وظيفة كاتب الخليفة هي نفسها وظيفة الوزير ، فرسـوخ وظيفة كاتب الرسـائل أو كاتب الخليفة أو السـر هي التي سـاعدت على ظهور وظيفة

(1) نجدة : الإدارة ، ص312 . حسن إبراهيم وعلي إبراهيم : النظم الإسلامية ، ص 156 . أبوزيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص104 . الصـالح : النظم الإسـلامية ، ص304 . الباشـا : دراسـات ، ص49 . حسـني الخربوطلي : الحضـارة الإسـلامية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1975م ، ص31 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص24- 25 .

(3) الافتضاب ، ص66 .

الوزير في العصر العباسي . ولا شك أن للوزير في العصر العباسي وظيفة أساسية هي الكتابة بين يدي الخليفة ، إضــافة إلى إبداء الرأي والمشـورة في شـؤون الدولة ، مع قيامه بأعمال مهمة أخرى ربما باشـرها بنفســه ، أو أناب عنه غيره للقيام بها[1] . وكان من ضـمن الذين أنابهم فئة الكُتَّاب ، كما سيأتي ذكره .

وكان لبعض كبار الكُتَّاب والولاة والأمراء في العصر العباسي كُتّاب بين أيديهم كالذي من أمر يحيى بن خالد البرمكي حيث كان من كُتّابه يوسـف بن سـليمان وأبوصــالح يحيى بن عبدالرحمن ، ويحيى بن سـليمان ، ومحمد بن أعين وعبدالله بن عبدة[2] . وكتب أيضــاً لابنه الفضـل الحسـن بن البحباح البلخي[3] .

مراتب الكُتَّاب :

لتتبعنا هذه المراتب و الدرجات نجد أنها تختلف بحســب الأعمال المناطة إليهم ، إلا أن أعظم مرتبة وأجل درجة حظي بها كُتَّاب الوحي لأنهم يدونون كلام الله عز وجل ، أما فيما بعد فازدادت عدد الدواوين في الدولة الإسلامية ، وكثرت اختصاصات هؤلاء الكُتَّاب – كما أشرنا سابقاً – إلا أن أرفعهم مكانة كان كاتب ديوان الرســائل ، وكان بنو أمية لا يولُّون هذا المنصــب إلا أقرباءهم وخاصـتهم لحظوته وأهميته [4] ، وتشـير بعض الروايات إلى أن كُتَّاب الرسـائل الذين كانوا يكتبون بين أيدي الخلفاء في العصـر الأموي كانوا على مراتب ، وأن بعض أهل الذمة تولوا هذا المنصـب أيضــاً ، لكنهم كانوا في مرتبة أواســط الكُتَّاب [5] ، كما تولَّى أهل الذمة أيضــاً دواوين الخراج في الحضرة والآفاق [6] .

---

(1) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص32 ، 35 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص 178 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص 194 .

الحسن بن البحباح البلخي ، يكنى أبا علي ، شاعراً أديباً ، خدم المهدي وموسى وتقلّد أيام موسى مصر ، وخدم بعده الرشيد . الجهشياري : الوزراء ، ص 194 .

(4) الصالح : النظم الإسلامية ، ص 304 . الخربوطلي : الحضارة ، ص31 . أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص105 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص 40 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص 25 .

(6) الطبري : تاريخ ، 180/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص 27 ، 29 ، 31 ، 32 ، 33 ، 38 ، 40 ، 60 .

وهكذا نرى عبد الحميد الكاتب يجلّ الكُتَّاب ويجعلهم في المرتبة الثالثة بعد الأنبياء والملوك ويرى أن الله سبحانه وتعالى أعزهم في هذه المنزلة وجعلهم في أشرف الجهات وبهم تنتظم محاسن الخلافة ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحهم يصلح الله سلطان الخلق ، وتعمر بلادهم ، ويعظم عبد الحميد الكاتب من شان الكُتَّاب حيث لا يستطيع أحد من الملوك أن يشيد مملكته من دونهم لأنهم أسماع الملوك وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم[1] . ويقول أيضاً: ((**لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كُتَّاب الإنشاء**)) [2] .

ويشير البعض إلى أن هناك كبار للكُتَّاب وصغار لهم . أما كبار الكُتَّاب فيقصد بهم الذين يختصون بالكتابة في ديوان الوزارة أو الخلافة [3] ، أما صغار الكُتَّاب فهم الذين يختصون بالكتابة على مجالس الدواوين الكتابية كمجلس التثبيت و مجلس النسخ والإنشاء والتحرير ، وهم يعاونون صاحب الديوان [4] . ولما جاء بني العباس ارتقى هؤلاء الكُتَّاب إلى منصب الوزارة إذ هي المنصب الثاني في الدولة الإسلامية ، بعد الخلافة من حيث الأهمية[5] .

---

(1) ابن خلدون : مقدمة ، 306/1 .

(2) حجة الحموي : تقي الدين أبي بكر علي بن محمد (ت 837هـ/1433م) : ثمرات الأوراق ، صححه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، مصر ، مكتبة الخانجي ، 1971م ، ص 335 .

(3) بهيج ملا حويش : موسوعة الزاد للعلوم و التكنولوجيا – الحضارة الإسلامية – اسبانيا ، دايدكو ،1416هـ/1995م،3193/11

(4) حسام الدين السامرائي : المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية (247–334هـ/861–945م) د0م ، دار الفكر العربي ، 1403هـ ، ص 196– 197 ، 244– 245 ، 264– 265 ، 282 ، 337 . السلومي: ديوان الجند ، ص211–212 .

(5) محمد سلام مدكور : معالم الدولة الإسلامية ، ط1 ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1403هـ/1983م ، ص382 .

المبحث الثالث

مواد الكتابة وأدواتها

هناك مواد كثيرة استخدمت للكتابة عليها في الأمم السابقة للإسلام حيث بين ابن النديم (ت 385هـ/995م) أنواعها بقوله ((**ثم كتبت الأمم بعد ذلك برهة من الزمان في النحاس والحجارة للخلود ... وكتبوا في الخشب وورق الشجر ... وكتبوا في التوز الذي يعلا به القسيّ أيضاً للخلود ... ثم دبغت الجلود فكتب الناس فيها وكتب أهل مصر في القرطاس المصري ، ويعمل من قصب البردي ، ... والروم تكتب في الحرير الأبيض والرق وغيره ، وفي الطومار المصري وفي الفلجان وهو جلود الحمير الوحشية . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم . والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض ، وفي العسب عسب النخل ، والصين في الورق الصيني ، ويعمل من الحشيش. والهند في النحاس والحجارة وفي الحرير الأبيض**))[1].

ولا يخفى على أحد أهمية أدوات الكتابة وموادها منذ بداية ظهور الإسلام ، حيث اهتم العرب بالكتابة ، فكتبوا على مواد متنوعة ابتداء بالطين وانتهاء بالورق الصقيل ، وبذلك أسهم العرب من جانبهم في دفع الحضارة الإسلامية خطوة إلى الأمام من خلال اهتمامهم بالكتابة وموادها . ولم يكتفوا بما ورثوه من مواد الكتابة في الجاهلية تلك المواد التي تنحصر في الخزف والدفوف والكرب وأكتاف الجمال ، وإنما استخدموا القراطيس على نطاق محدد ، وعلى كلّ حال ظلت مواد الكتابة في فجر الإسلام مواد بسيطة يستحصلها الناس من الطبيعة مباشرة ، ولكن أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية عرف المسلمون صناعة الورق[2].

والجدير بالذكر أنه سبق أن اتخذ العرب القدامى بعض المواد ليكتبوا عليها ، ولكن تلك المواد كانت سريعة التلف والضياع[3] . تتوقف على ظروف المكان ومقدرة أهله المالية .

ومن بينها الجلد ، والقماش ، وأوراق بعض النبات ، والعظام ، والخشب ، والحجارة ، والورق[4].

---

(1) الفهرست ، ص 22-23 .

(2) نضال عبد العالي أمين : أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، مجلة المورد ، العدد 4 ، مج 15 ، 1986م ، ص131-132 ، 135 .

(3) عبدالوهاب حكمت : الكُتّاب في العصر الجاهلي ، مجلة الأقلام ، ج2 ، السنة 5 ، بغداد ، 1968م ، ص66 .

(4) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 77-88 . وأيضاً جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ،258/8 .

أولاً - مــواد الكتابــة :

1. الطيـن :

كان الطين من أقدم المواد التي اتخذها الإنســان للكتابة ، لتيسـره ولينه وسـهولة الكتابة عليه ، فكانوا يصـــنعون من الطين قوالب يكتبون عليه وهو طري ، ثم يجففونه في الشـــمس أو يطبخونه بالنار وقد كانت هذه الحالة منتشـرة في العراق عند الأكديين والسـومريين والآشـوريين ، وقد عثر على ألواح كثيرة من ألواح الطين مكتوب عليها بالخط المســماري وتحتفظ المتاحف الأثرية بآلاف من الألواح الطينية[1] .

2. الحجر :

أما الكتابة على الصـــخور والنقش على الحجر فقد كثر في البيئات الصـــخرية وهذه المادة أقوى من الطين على البقاء ، ولكنها ثقيلة الوزن كبيرة الحجم ، يصـــعب حملها ونقلها ، ولذلك كثرت هذه الكتابات في المعابد والكهوف والقصـــور والقلاع وقد كتب الجاهليون على الحجارة وكانت الكتابة والنقش على الحجر يسميان الوحي[2] .

3. ورق الشجر :

أما المناطق التي تكثر فيها الأشـــجار والغابات ، فقد كتبوا على ورق الشـــجر وعلى لحاء الشجر[3] .

4. الجلد وأنواعه:

---

(1) يحيى وهيب الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1994م ، ص 247 .

(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص247-248 .

وقد جاء لفظ الوحي في شعر لبيد بن ربيعة في قوله يشبه الديار ورسومها البالية بالكتابة حيث يقول في معلقته :

فمدافع الريَّان عُرِّيِ رسمُها   خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحيَّ سِلامها

التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502هـ/1108م) شـرح القصـائد العشـر ، ضـبطه وصـححه عبدالسـلام الحوفي ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1405هـ/1985م ، ص 155 .

وجاء ذكر الوحي في قول زهير بن أبي سلمى :

لمن الديار غشيتها بالفَدفَدِ   كالوحي في حجر المسيل المُخْلِدِ

زهير ديوان بن أبي سلمى ، بيروت ، دار صادر ، د.ت ، ص 25 .ابن منظور : لسان العرب ، 15/ 379 .

(3) الجبوري : الخط والكتابة ، ص248 .

لقد كان الجلد من أكثر المواد التي تســتخدم في الكتابة في الجاهلية وفجر الإســلام ، وقد رجَّح ذلك عدد من الباحثين حيث قال أحدهم : كان أكثر كتابة العرب وملوكهم في الجاهلية وبدء الإسـلام في الجلود ، وقال أخر : بعد ذكر بعض من مواد الكتابة في ذلك العهد ... إلا أن الكتابة على الجلود كانت أكثر شــيوعاً ، وفي تعدد أنواع الجلود المســتخدمة في الكتابة إشارة إلى هذا الشيوع والتي ستذكر لاحقاً [1] .

وهناك شواهد نصت على أمر الكتابة على الجلود وأنواعها منها على سبيل المثال :
وثيقة المبايعة التي تمت بين رســول الله ρ وبين العدَّاء بن خالد بن هوذة ، فقد كتب على قطعة جلد [2] .

\ويروى أن أحد الدهاقين قدم على عمر بن الخطاب τ في مظلمة له على عامل من عمَّاله ، فأخذ عمر τ قطعة جلد ، فكتب فيها بخطه : لينصــفنَّ هذا الدهقان ، أو لأبعثهن من ينصفه[3].

وقد قام أحد الباحثين بتقديم موجز عن المعالجات المختلفة التي تعالج بها الجلود ، وعن المواد التي تستخدم في إعداد الجلود حتى تكون صالحة للاستعمال أو الكتابة[4] .

ومن أنواع الجلود المستخدمة في الكتابة :

أ - الرَّقّ

الرَّق بالفتح ويكسر هو: جلد رقيق يكتب فيه [5]. وكل صحيفة فهي رقٌّ لِرقَّة حواشيها والرّق ما رقُقَّ من الجلد ليكتب فيه [6]،وهذا ما يميز الرّق عن ســائر أنواع الجلود المســتخدمة في الكتابة حيث أنه أقل سـماكة منها[7] ، لذلك كان الرَّق يمثل المادة الأسـاسـية التي يكتب بها

(1) ماجد عبود بادحدح : صـناعة الكتابة والكتاب في عهد الرسـول ρ والخلفاء الراشـدين ، رسـالة لنيل درجه الماجسـتير في علوم المكتبات والمعلومات ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، 1420هـ/1999م ، ص 422 .
(2) ابن سعد : الطبقات ،273/1 .
(3) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 423 .
(4) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 423–425 .
(5) ابن منظور : لسان العرب ، 123/10 .
(6) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصــاري (ت 671 هـ/1272م) الجامع لأحكام القرآن ، ط3 ، د.م ، دار الكاتب العربي ،1387 هـ/1967م ، 6229/7 .
(7) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 430 .

العرب[1] . فقد ذكر الرَّقّ في القرآن الكريم كمادة من مواد الكتابة وذلك في قولة تعالى: (**وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝**) [2]

وقد تكرر ذكر الرق في الشعر الجاهلي ، جاء في شعر طرفة بن العبد[3] :

كسطور الرَّقِّ رقَّشَهُ بالضحى مرقشٌ يشمُه

وقد كان طريقة إعداد وصناعة الرَّق تتم بأن توخذ جلود صغار العجول والحملان والجداء والغزلان ، وتغسل غسلاً جيداً ثم تكشط لإزالة الوبر والشعر بأداة حادة وبعدئذ تدعك وتصقل بحجر الخفاف حتى تصير ناعمة الملمس وتحك بعد ذلك بالطباشير فتصير بيضاء اللون . وهكذا تصبح مادة صالحة للكتابة متينة جميلة الشكل وبخاصة في الوجه الداخلي منها وإن كان الوجه الذي يميل إلى السمرة أكثر منه احتفاظاً بالمداد.[4] .

وهناك شواهد تشير إلى استخدام هذه المادة كمادة للكتابة منها على سبيل المثال ، ما رواه الأصفهاني : ((**أن قوماً مرُّوا براهب ، فقالوا له : يا راهب من أشعر الناس ؟ قال مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي فنظر في رقّ له عتيق ....**)) [5] .

وقد قيل أن رسائل الرسول ρ التي وجهها إلى المحيطين بالجزيرة العربية كهرقل وكسرى والمقوقس حاكم مصر ، والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم ، كانت مكتوبة على الرَّق [6]. وقد كانت أحاديث أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي τ التي كتبها عنه محمد بن سيرين في رَّق عتيق [7].

---

(1) الجبوري : الخط والكتابة ، ص 255 .
(2) سورة الطور الآية 1-3 .
(3) طرفة بن العبد : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (ت60ق هـ/564م) ديوان طرفة بن العبد ، بيروت ، دار بيروت ،1399هـ/1979م ،ص84 .
(4) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 431 .
(5) الأغاني ، 130/7 .
(6) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 432 .
(7) السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562 هـ/ 1166م) أدب الإملاء والإستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1401 هـ/1981م ، ص 173 .

وقد أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرَّقّ لطول بقائه لأنه الموجود عندهم حينئذ[1].

وفي العصر الأموي وحينما اتسعت الحاجة إلى الكتابة في المصاحف والصكوك والرسائل والدواوين ، بقيت الرقوق هي المادة الأساسية التي استخدمت لفترة طويلة . وقد عبر ابن خلدون في مقدمته بقوله : ((**وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لقلة الرَّفه وقلة التأليف صدر الملة ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك ، فاقتصروا على الكتابة في الرَّق تشريفاً للمكتوبات وميلاً إلى الصحة والإتقان ، ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ، وضاق الرَّق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد[2] وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعد صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية ، وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت**)) [3] .

يفسَّر الجبوري هذا القول بأن الرَّق قد استأثر بوجوه النشاط المختلفة ، سواء كانت ديوانية أوعلمية حتى نشأت صناعة الكاغد ، ومع وجود القرطاس الذي شاع في الحياة العلمية وزاحم الرّق ، فالرّق بقي مستعملاً وبقي هناك من يفضّله ويؤثره في الكتابة . خاصة الأمور التي لها شأن وخطر ، وفي كتابة المصاحف[4] .

وكان من عيوب الرّق أنه يقبل الغسل والمحو والتزوير إذ حكَّ أو كشط ، ويبدو أن هناك محاولات حدثت في تزوير الكتب الرسمية ، مما دعا الخليفة هارون الرشيد أن يصدر أمراً لا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة ، فتقبل التزوير ، بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد وإن كشط ظهر كشطه[5] .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 515/2 .

(2) الكاغد : بفتح العين وبالدال المهملة ، وربما قيل بالذال المعجمة ، ويعني القرطاس . الفيومي : المصباح المنير ، ص535 .

(3) مقدمة ، 510/2 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص 257 .

(4) الخط والكتابة ، ص 257 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 515/2–516 .

على أن الرق بقى مستعملاً حتى العصر العباسي إلى أيام الرشيد ، حين أشار الفضل بن يحيى البرمكي بصناعة الكاغد في العراق ، هذا مع وجود القرطاس واستعماله جنباً إلى جنب مع الرقوق . وليس معنى هذا أن الكتابة في الرقوق قد انتهت ، ربما انتهت في الكتابات الرسمية ولكنها بقيت في الحياة العامة[1] .

ويذكر الجاحظ في رسالة الجد والهزل وجوه استعمال الرق بقوله: ((**وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات ، وفيها تكون نموذجات النقوش ومنها تكون الخرائط والبرد** ...)) [2] .

ويذكر ابن النديم أن الناس أقاموا ببغداد ((**سنين لا يكتبون إلا في الطروس[3] لأن الدواوين نهبت في أيام محمد بن زبيدة ، وكانت من جلود ، فكانت تمحى ويكتب فيها**)) [4].

وكذلك يروي الجاحظ عن إسحاق بن سليمان وكان أمير البصرة في عهد هارون الرشيد ، أنه دخل عليه بعد عزله من الإمارة : ((**وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر**))[5] يفسّر الجبوري هذا النص بأن الكتابة في هذا العصر كانت في الورق والرقوق ، وأن الكتابة في الرّق استمرت مع وجود الورق إلى عصر متأخر[6].

وهكذا يتضح مما سبق أن الكتابة في الرقوق استمرت لدى العلماء والأدباء ردحاً من الزمن ، فنجد حضورها في ميدان الحضارة الإسلامية حتى وقتاً غير قصير ، وبهذا انفرد الرَّق في تلبية الحاجات الديوانية إلى أن أتيح للكاغد أن يأخذ مكانه[7] .

ب- الأديم :

(1) الجبوري : الخط والكتابة ، ص255 .
(2) رسائل الجاحظ ، 1/252-253 .
(3) الطروس : هي الصحيفة ، ويقال التي محيت ثم كتبت . الفيومي : المصباح المنير ، ص371 .
(4) الفهرست ، ص23 .
(5) الحيوان ، 1/61 .
(6) الخط والكتابة ، ص 259 .
(7) محمد طه الحاجري: الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي 1965-1966م ، ص 63-88.
الجبوري : الخط والكتابة ، ص 259 .

الأديم : هو الجلد ماكان ، وقيل الأحمر ، وقيل المدبوغ ، وذلك إذا تمَّ واحمرَّ [1] ثم يكون بعد الأفيق أديماً ، فإذا شق الجلد وبُسط حتى يبالغ فيه مَاقُبل من الدباغ فهو حينئذ أديمٌ وآدِمةٌ وأدمٌ[2] .

وجاء ذكر الأديم في الشعر الجاهلي أيضاً ، من ذلك قول المرقش الأكبر [3] :

الدارُ قفْرٌ والرسوم كما   رقشَّ في ظهر الأديم قلم

وقد كتب الرسول ρ كثيراً من كتبه على الأديم ، ومن هذه الكتب الأمان الذي كتبه لسراقة بن مالك بن جعشم في يوم هجرته [4] ، ومنها الإقطاع الذي كتبهρ لتميم الداري ورهطه ، فقد كان في جلد أدم[5] ، وكذلك إقطاع الغميم الذي أقطعهρ لأوفى بن موأله كتب في أديم[6] ، وكتابهρ لمالك بن أحمر كان في رقعة من أدم[7] ، وكتابهρ لأهل عمان كان في قطعة من أدم[8] ، وقد ذُكر أن عمر بن الخطابτ انتسخ كتابا على عهد رسول الله ρ من أهل الكتاب ، ثم جاء به في أديم[9] ، وكذلك قول عثمان بن عفانτ عندما عزم على جمع القرآن :((**فأعزم على كلِّ رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه**

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، 9/12 .

(2) ابن سيده : المخصص ، 108/4 .

(3) الضبي : المفضل بن محمد (ت170هـ/ 786م) المفضليات ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواشي روايات لعدة لغويين وعلماء كارلوس يعقوب لايل ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1930م ، ص485 . وورد : (الدار وحش) عوضاً عن (الدار قفر) . عند الأصفهاني : الأغاني ، 127/6 .

(4) ا بن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ/ 1200م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1412 هـ /1992م ،55/3-56 .

(5) ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1175م) تاريخ مدينة دمشق ، دراسة و تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، بيروت ، دار الفكر ، 1415- 1417هـ /1995- 1997 م، 64/11 .

(6) الهيثمي : نور الدين على بن أبي بكر (ت 807 هـ /1404م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، ط3 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1402 هـ/ 1982م ، 9/6 .

(7) الهيثمي : مجمع الزوائد ، 28/1 .

(8) ابن حجر : الإصابة ، 179/7 .

(9) الخطيب : تقييد العلم ، ص 52 .

القرآن)) [1]. وقالت أم سلمة زوج النبي ρ : ((**أن النبي ρ دعا بأديم وعلي بن أبي طالب عنده ، فلم يزل رسول الله ρ يملي وعلي يكتب حتى ملأ بعض الأديم وظهره وأكارعه))** [2] .

وقد ذكرت المصـــادر اســـتخدام « الأديم الأحمر» على التعيين في الكتابة مما يشـــير إلى أن الكتابة على الجلد لاتتمُّ إلا بعد معالجته معالجة تصـلح معها الكتابة عليه بسـهولة ويسـر [3]. فقد جاء أهل نجران بكتابهم إلى على بن أبي طالبτ ((**في أديم أحمر**)) [4] ، وكتبρ لوفد عقيل بن كعب إقطاعاً ((**في أديم أحمر**)) [5] ، وكتبρ للأزرق بن عمر في عام الفتح كتاباً ((**في أديم أحمر**))[6].

وكان العرب يصـنعون الأديم فقد عُرف الأديم الخولاني ، نسـبة إلى قبيلة خولان[7] في اليمن[8] وفي خبر تحريم المدينة ما رواه رافع بن حديج قوله : ((**فإن المدينة حرام ، حرمها رسـول الله ρ ، وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني**)) [9] . وكذلك عُرفت مدينة الطائف بدباغة الأديم حيث يعتبر من جل بضائع تجارها لتميزه من حيث الجودة والقيمة [10] .

ج- القضيم:

وجمعه قُضُم وقَضَم ، والقضيم : الجلد الأبيض الذي يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء[11].

---

(1) الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 79 .

(2) الرامهرمزي : الحسـن بن عبدالرحمن (نحو 265–360هـ/نحو 878–970م) المحدث الفاضـل بين الرواي والواعي ، قدم له وحققه وخرج أخباره وعلق عليه ووضـــع فهارســـه محمد عجاج الخطيب ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر ، 1391هـ/1771م ، ص152 . السمعاني : أدب الإملاء والإستملاء ، ص 12 .

(3) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 427 .

(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، 364/44 .

(5) ابن سعد : الطبقات ، 302/1 .

(6) الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 250هـ/864م) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشـدي الصـالح ملحس ، ط3 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1403 هـ/ 1983م ، 2/ 248 .

(7) خولان : مخلاف من مخاليف اليمن منسوب إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضـاعة ، فتح هذا المخلاف سـنة 13هـ أو سـنة 14هـ أيام عمر بن الخطاب τ. ياقوت : معجم البلدان ،2/ 407 .

(8) الجبوري : الخط والكتابة ، ص 256 .

(9) ابن حنبل : المسند ، ص 1245 ، رقم 17404. الخطيب : تقييد العلم ، ص72 .

(10) ياقوت : معجم البلدان ، 4/ 9 . الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت نحو727هـ / نحو1326م) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1984 م ، ص 379 .

(11) ابن منظور : لسان العرب ، 12 / 488 .

وقد جاء ذكر القضيم في كثير من الأبيات الشعرية لدى الكثير من الشعراء الجاهليين حيث جاء في شعر النابغة الذبياني قوله[1]:

كأنَّ مجرّ الرامسات ذيولها   عليه قضيمٌ نمّقته الصوانع

وجاء القضيم في شعر زهير بن أبي سلمى أيضاً في قوله[2] :

كأنَّ دماء المؤسدات بنحرها   أطبة صرف في قضيمٍ مسّردِ

وقد كُتِب القرآن الكريم في البداية على القضيم كما كُتِب على العسب والكرانيف ، قال الزهري : ((**قبض رسول الله ρ والقرآن في العسب والقضيم والكرانيف**)) [3] .ورغم أن المعاجم اللغوية ذكرت ارتباطه بالكتابة إلا أنه لم يعثر على شواهد تدل على هذا سوى قول الزهري السابق الذكر [4] .

5- العسيب والكرنافة :

العسيب : جمع عُسبُ وقيل : هي جريدة من النخل مستقيمة يكشط خوصها [5]. وقيل أيضاً العُسُب بضمِّ المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص في الطرف العريض ، وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص ، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف [6] .

والكرنافة : أصل السعفة الغليظ الملتزق بالجلد وجمعها كرانيف ،وقيل : الكرانيف أصول السعف الغلاظ العراض التي أذا يَبِسَت صارت أمثال الأكتاف[7]

(1) النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت نحو 18 ق.ه/ نحو 604م) ديوان النابغة الذبياني ، حققه وقدم له فوزي عطوي ، بيروت ، الشركة اللبنانية للكتاب ، 1969م، ص162

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص231 .

(3) الزمخشري : الفائق في غريب الحديث والأثر ،تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ، ط2 ، القاهرة ، عيسى البابي وشركاه ، د.ت ، 150/2 .

(4) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 436- 437 .

(5) ابن منظور : لسان العرب ، 599/1 .

(6) ابن الأثير : أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت 606ه/1209م) النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، ط1 ، د.م ، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه ، 1383ه/1963م ،234/3 . المباركفوري : أبو العلي محمد عبد الرحمن عبد الرحيم (ت1283ه/1353م) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط3 ، د.م ، دار الفكر ، 1399ه/1979م ،515/8 .

(7) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر، 168/4 . ابن منظور : لسان العرب ، 9/ 297 .

وقد استخدمت العسب كمادة للكتابة منذ العصر الجاهلي ، فقد وردت العسب – كمادة للكتابة – في الشعر الجاهلي من ذلك قول امرؤ القيس[1] :

لمن طللٌ أبصرتُهُ فَشَجَاني   كَخَطِّ زبـور في عسيب يَمَان

ولوفرته في الحجاز اســـتعمله كُتَّاب الوحي لتدوين الوحي عليه[2] . وفي حديث الزهري أن رسول الله ρ قبض((**والقرآن في العسب والقضم**)) [3] وفي البخاري أن زيد بن ثابت حين كلّفه أبو بكر الصديق τ بجمع القرآن ، مضى يجمعه من ((**العسب واللخاف وصدور الرجال**)) [4]. ويروى أيضـاً أنه جمعه من ((**الرقاع والأكتاف والأقتاب والعســب وصــدور الرجال**)) [5]. وكتب رسول اللهρ لقوم من بني فزارة كتاباً في عسيب في قطيعة وادي القرى[6].

6– العرجون :

لقد ذكر العرجون في القرآن الكريم في قوله تعالى ((وَالْقَمَر قَدَّرنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)) [7]. وجمعه عراجين ، وهو العِذق عامة ، وقيل العِذق إذا يبس أعوج[8] ، وقال ابن الأثير:((**العرجون هو العود الأصــفر الذي فيه شــماريخ العِذق**)) [9] . وقد كتب رســول الله ρ إقطاعاً في عرجون لسنبر الإراشي[10] .

7– الجريدة :

---

(1) امرؤ القيس : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت80ق‌ﻫ / 545م) ديوان امرؤ القيس ، ط1 ، بيروت ، دار صـــادر ،1418ﻫ/1998م ، ص85.

(2) جواد على : المفصل في تاريخ العرب ، 259/8 .

(3) الزمخشري : الفائق في غريب الحديث والأثر ، 150/2 .

(4) صحيح البخاري ،1907/4 ، رقم 4986 .

(5) السجستاني : أبوبكر عبدالله سليمان بن الأشعث (ت 316ﻫ/928م) المصاحف ، دراسة وتحقيق محب الدين عبدالسبحان واعظ ،ط1 ، قطر، وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1415ﻫ/1995م ، 176/1–177 .

(6) ابن حجر : الإصابة ، 472/1 ، 154/3 .

(7) سورة يس الآية 39 .

(8) ابن منظور : لسان العرب ، 284/13 .

(9) النهاية في غريب الحديث والأثر ، 203/3 .

(10) ابن حجر : الإصابة 160/3 .

وهي السعفة ، وجمعها جريدٌ . وقيل : سعفة طويلة رطبة[1] . وقد ذكر اليعقوبي في روايته الشاذة عن جمع القرآن في عهد أبي بكرτ أن القرآن ((**كان متفرقاً في الجريد وغيره ....**)) [2] ، وفي الحديث : ((**كتب القرآن في جرائد**)) جمع جريدة [3].

8- اللخفة :

وجمعها لِخاف ، وهي صـــفائح الحجارة البيض الرقاق ، تتميز بالعرض والدقة [4]. وكانت من المواد التي كتب عليها القرآن في عهد الرسـولρ وأبي بكر الصـديق وعثمان رضـي الله عنهما ، وذلك مارُوِيَ عن زيد بن ثابت τ قوله : ((**فتتبعت القرآن أجمعه من العسـب واللخاف ....**)) [5] .

9- العظام والأكتاف :

وقد كتب العرب في العظام ، وبخاصة الأضلاع والكَتِف ، والكتف بفتح الكاف وكسر التاء مفرد أكتاف ، وهو : ((**عظم عريض يكون في أصـــل كتف الحيوان من الناس والدواب ، وكانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم**)) [6] ، ولوفرة هذا النوع من العظام ذلك لأنها لا تحتاج إلى إعداد أو صناعة كما هو الحال في مواد كالأديم و الرقّ وغيرها[7]. يقول السيوطي (ت 911هـ/1505م) : ((**الأكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه**)) [8] .

---

(1) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 257/1 .

(2) تاريخ اليعقوبي ، 135/2 . ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص448 .

(3) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 257/1 .

(4) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 244/4 . ابن منظور : لسان العرب ، 315/9 . المباركفوري : تحفة الأحوذي ، 514/8 -515 .

(5) البخاري : صحيح البخاري ، 1907/4 ، رقم 4986

(6) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 149/4 -150 . ابن منظور : لســان العرب ، 294/9 . المباركفوري : تحفة الأحوذي ، 388/8.

(7) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 437 .

(8) الإتقان في علوم القرآن ، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر ، راجعه مصطفى قصاص ، ط 2 ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1412هـ/1992م ،1 /168 .

وقد كتب على الكتف كتبة الوحي ، حيث أنها مادة صالحة للكتابة عليها بكل سهولة سواء عل شكلها الطبيعي أو بعد صقل وتشذيب قليلين[1]. وقد ذكرت المصادر شواهد كثيرة تصرح باتخاذ الكتف للكتابة في عهد الرسولρ والخلفاء الراشدين[2] . ومن ذلك ما روي عن زيد بن ثابتτ قال: ((**كنت أكتب الوحي لرسول الله ρ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سُرِّي عنه ، فكنت ادخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة فاكتب وهو يملي عليّ .....**)) [3] . وروي عن زيد بن ثابتτ أيضاً : ((**أن رسول الله ρ لما ثقل دعا عبدالرحمن بن أبي بكر فقال : ائتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه**)) [4] . ويروى عن عمر بن الخطاب τ إنه قال لابنه عبدالله : ((**يا عبدالله ائتني بالكتف التي كتبت فيها شأن الجِدّ بالأمس**)) [5].

أما ما يتعلق بكتابة القرآن على الكتف ، ما روي عن زيد بن ثابت τ قال: ((... **فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع ...**)) [6] ، وقوله أيضاً: ((**لما نزلت هذه الآية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) دعا رسول الله ρ بالكتف ، ودعاني وقال : اكتب ...**)) [7] . وعن هانئ : ((**كنت عند عثمان τ وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها : (لم يتسن) و (فأمهل الكافرين) و (لا تبديل للخلق) قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب (لخلق الله) ومحا (فأمهل) وكتب (فمهِّل) وكتب (لم يتسنه) ألحق فيها هاء**)) [8] .

---

(1) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب 260/8 .
(2) ماجد بادحدح :صناعة الكتابة والكتاب ، ص 237 .
(3) الهيثمي : مجمع الزوائد ، 1 / 152 .
(4) ابن سعد : الطبقات ، 3 / 128 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 85 .
(5) ابن سعد : الطبقات ، 246/1-247 .
(6) الداني : أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ/1052م) المقنع في مصرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دمشق ، دار الفكر ، 1359م ص3 .
(7) ابن سعد : الطبقات ، 3 / 128 .
(8) ابن فارس : الصاحبي ، ص13 - 14 .

واستمرت الكتابة على العظام في العصر الأموي يكتب فيها عند الضرورة ، يقول صاحب الأغاني : أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان ، فدعا عمر بكتف فكتب فيها شعراً [1].

ومما يذكر في هذا الصدد أن جرير الشاعر الأموي كتب بيته الشهير:

فُغَضَّ الطَّرف إنك من نُميرْ فلا كعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبا

كتبه على عظم الكتف[2] .

ولقد بقيت العظام مادة من مواد الكتابة حتى العصر العباسي ، في حين يصعب الحصول على ثمن القرطاس مما يضطر بعض العلماء للكتابة على العظام ، ومما يؤكد استخدامه عند الضرورة – كقلة ذات اليد أو غلاء الثمن – وهذا ما حدث مع الإمام الشافعي ، حيث قال : ((**فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، وكنت أنظر إلى العظم يلوح ، فأكتب فيه الحديث والمسألة ، وكانت لنا جرة قديمة ، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة**)) ، يعلل الشافعي سبب الكتابة في العظام بقوله : ((**طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد ، كنت أجالس العلماء وأتحفظ ، ثم اشتهيت أن أدوَّن ، وكان لنا منزل بقرب شعب الخيف ، وكنت آخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها ، حتى امتلأ دارنا من ذلك حُبَّان**)) [3] .

وليس الكتف هو العظم الأوحد المستخدم للكتابة بل هو أكثرها شيوعاً واستخداماً ، وذلك لانبساط شكله واتساع مساحته مما يساعد على كتابة أكبر عدد من الكلمات والمعلومات[4] .

ومن العظام الأخرى المستخدمة في الكتابة ما يسمى بالطبق وهو :عُظَيْم أو عَظْم رقيق يفصل بين الفقارين ، وقيل : الفقرة حيث كانت ، وقيل فقار الظَّهر[5] ، فقد روى علي بن أبي طالب τ :((**أمرني النبي ρ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لاتضل أمته من بعده ......**)) [6] .

---

(1) الأصفهاني : الأغاني ، 240/9 .

(2) الأصفهاني : الأغاني ، 8 / 35 .

(3) ابن أبي حاتم : محمد بن عبدالرحمن (ت 327هـ/938م) آداب الشافعي ، ومناقبه ، قدم له وحقّق أصله وعلق عليه عبدالغني عبدالخالق ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ص24–25 .

(4) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 440 .

(5) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 3 / 114 . ابن منظور : لسان العرب ، 10 / 212 .

(6) ابن حنبل : المسند ، ص 97 ، رقم 693 . ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 440 .

10- اللوح :

جمع ألواح . واللوح : كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب ، والكتف إذا كتب عليها سُمِّيت لوحاً .وقيل كلُّ عظم عريض : لوح[1] ولهذا جمع الزبيدي (ت1205هـ/1790م) بين القولين[2] فقال : ((**اللوح كلُّ صفيحة عريضة خشباً أو عظماً**)) [3].

قد استعملت الألواح مادة للكتابة ، ومن هذه الألواح ما صنع من الحجر بنشر الحجر وصقله ، ومنها ما صنع من الخشب ، ومنه من لوح الكتف ، أي العظم الأملس منه[4] .

وقد جاء ذكر اللوح في القرآن الكريم خمس مرات ، أربع منها ذكرت كمادة للكتابة وثلاثة منها متعلقة بألواح موسى υ ، وواحدة متعلقة باللوح المحفوظ [5] قال تعالى : (**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**) [6] وقوله تعالى في قصة موسى υ مع قومه : (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ**)[7] . وقوله تعالى: (**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىَ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بعدي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ**) [8] ، وقال تعالى :(**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**) [9] .

وقد استخدمت الألواح كمادة للكتابة فيما يبدو منذ العصر الجاهلي[10] حيث ذكر أن المُخْتَلفَ في نبوته خالد بن سنان العبسي كان قد ترك آثاراً مخطوطة في لوحين أوصى أهله قبل موته بالرجوع إليها إذا أشكل عليهم أمر بعد وفاته [11].

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، 2 / 584 .
(2) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 440 .
(3) تاج العروس ، 7/ 101 .
(4) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 264/8 .
(5) محمد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ، مؤسسة جمال للنشر ، د . ت ، ص 653 -654.
(6) سورة البروج الآية 21 -22 .
(7) سورة الأعراف الآية 145 .
(8) سورة الأعراف الآية 150 .
(9) سورة الأعراف الآية 154 .
(10) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 443 .
(11) ابن حجر : الإصابة ، 2 / 312 .

وكذلك استخدمت الألواح في كتابة وتقييد أحاديث الرسولρ وسيرته العطرة في عهد الخلافة الراشـدة [1] ، فقد روي أن عبد الله بن عباس رضـي الله عنهما كانت معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شـيئا من فعل رسـول الله ρ [2] وفي رواية ((**كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول ما صنع رسول الله ρ يوم كذا ؟ ما صنع رسول الله ρ يوم كذا ؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها**)) [3] .

وروي عن سـعيد بن جبير أنه قال : ((**كنت لأكتب عند ابن عباس حتى أملأ ألواحي ، ثم أملأ نعلي**)) [4].

ولم يكن اللوح كمادة للكتابة هو الأوحد من حيث أصل مادته الخشبية بل يشاركه ما يعرف بالقتب أو الرحل[5] .

11- القتب :

جمعه أقتاب وهو رَحْلٌ صـغير على قدر السـنام[6] ، وهو الإكاف الصـغير على قدرسـنام البعير[7]، وأوضح ابن حجرالعسقلاني (ت852هـ/ 1448م) أصل مادته بقوله : ((**هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير**)) [8] .

وقد كان العرب يكتبون في الخشـب وعلى هذه الأقتاب حين يضـطرون إلى ذلك ولا يجدون مايكتبون عليه، فقد كتب الجاهليون على الرحل عند الضـرورة ، وهذا مانراه في قصـة المُرَقَّش الأكبر أحد الشعراء الجاهليين حين أحس بغدر الراعي ورغبته في تركه في كهف في أرض مراد ،

---

(1) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 8 / 264 .
(2) ابن سعد : الطبقات ، 2 / 371 .
(3) الخطيب : تقييد العلم ، ص 91 – 92 .
(4) أبو زرعه : عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت281هـ/894م) تاريخ أبي زرعه الدمشقي ،دراسة وتحقيق شكر الله نعمة الله القوجاني ، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1400هـ/1980م ، 1 / 619 .
(5) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 445 .
(6) الجوهري : الصحاح ، 1 / 198 .
(7) ابن منظور : لسان العرب ، 1 /660 –661 .
(8) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410هـ/1989م ، 9 / 14 .

وكان المُرقَّش مريضـــاً ، فكتب أبياتاً على مؤخرة رحل الراعي الذي يلقبه بالغُفَلي ، ينذر أخويه، وكان من قوله[1] :

يـا راكبـاً إمّـا عرضـت فبلّـغن لـلـه أنـس بـن سـعـد إن لـقيـت وحـرمـلا

درّكما ودرّ أبيكمـا إن أفـلـت الـغـفـلـي حـتـى يـقـتـلا

من مبلـغ الأقوام أن مرقشـا أمسى على الأصحاب عبئا منقلا

وقد استمر الرّحل أداة من أدوات الكتابة في صدر الإسلام. وقد كتب الصحابي الجليل سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعديτ وصيته في مؤخر رحله ، أوصى للنبيρ برحله وراحلته [2] . وكان مســـألة الجد في علم الفرائض التي اختلف فيها عمر بن الخطابτ مع زيد بن ثابت τ ، كانت مكتوبة على قطعة قتب [3] .

وكان بعض الصــحابة والتابعين في الإســلام يكتبون على الرحل حينما لا يجدون غيره ، قال ســعيد بن جبير (ت 94هـ/713م) وقيل (ت 95هـ/714م) : ((**كنت أســمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي ، حتى أصبح فأنسخه**)) [4] .

ومن أنواع الخشــب المســتخدم في الكتابة الرَّوْسَـم وهي: عبارة عن خشــبة في كتابة يختم بها الطعام [5] ، والرواسيم كتبٌ في الجاهلية واحدها روسم[6] .

كانوا يكتبون على نوع آخر من الخشـب يسـمى السـهام ويخطّون علامات تميزها ، كالذي كان من أمر أبي سفيان حين أراد الخروج إلى أحد فامتنعت عليه رجاله فأخذ سهمين من سهامه ، فكتب على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا. ثم أجالهما عند هبل، فخرج سهم الإنعام فاستجرهَّم بذلك[7].

---

(1) الضـبي : المفضـل بن محمد (ت 170هـ/786م) المفضـليات ، عني بطبعه ومقابلة نسـخة وتذيله بحواشـي روايات لعدة لغويين وعلماء كارلوس يعقوب لايل ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1930م ، ص458 .
(2) ابن سعد : الطبقات ، 151/2 .ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 83 .
(3) ابن سعد : الطبقات ، 625/3.
(4) الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص102 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص250 .
(5) الجوهري : الصحاح ، 1932/5 .
(6) ابن منظور : لسان العرب ، 241/12 .
(7) الزمخشري : الفائق 190/3 . ناصـر الدين الأسد : مصـادر الشـعر الجاهلي ، ص84 . السـهام : التي يضـرب بها في الميسر وهي القداح التي يقارع بها . ابن منظور : لسان العرب ، 308/12–309 .

وقد استمروا يكتبون أحياناً على هذا الضرب من الخشب بعد ذلك[1] ، فالحكم بن عبدل الشاعر كان قد كتب حاجته على عصاه وبعث بها مع رسله فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخَّر له حاجة[2].

12- **المهرق :**

على الرغم من أن المُهْرَق وجمعه مهارق كان من المواد ذات الأصل القماشي المستخدمة في الكتابة في العصر الجاهلي ، ولكن لا نجد لهذه المادة ذكر في العهد النبوي والراشدي[3] .

فالمُهْرَق : الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وقيل المهرق : ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، وهو بالفارسية مُهر كَرْد [4]، وقال الخطيب التبريزي (ت502هـ/1108م) حول مُهره كرد هي : ((**خرزة يصقلون بها ثياباً كان الناس يكتبون فيها قبل أن تصنع القراطيس**)) [5] ، قال الزورني (ت 468هـ/1075م) في صناعة المهارق : ((**يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ، ثم يصقلونها ثم يكتبون عليه شيئاً**)) [6] ، وقال الأصمعي أيضاً: ((**المهرق فارسي في الأصل وهو في كلام الفرس مُهْرْ كَر أي المصقول**)) [7].

وقد نسب الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المهارق إلى الفرس في قوله[8]:

لَمن الديار عفون بالحُبْس　　　آياتها كمهارق الفرس

ولم تكن الكتابة في المهارق ميسورة لكل الناس ، لأنها كانت تجلب مع القوافل التجارية من البلاد الأخرى ، و كانت غالية الثمن ، عزيزة المنال ، ولذلك كانوا لا يكتبون فيه إلا الجليل من الأمر[9] ، يقول الجاحظ : ((**لا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان**)) [10].

---

(1) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص84 .
(2) الأصفهاني : الأغاني 404/2 .
(3) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 467 .
(4) ابن منظور : لسان العرب ، 368/10 .
(5) شرح القصائد العشر ، ص 308 .
(6) شرح المعلقات السبع ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، 1387هـ/1967م ،ص167 .
(7) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص80 .
(8) الضبي : المفضليات ، ص142 .
(9) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص81 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص 253 .
(10) الحيوان ، 70/1 .
يقول شتيم بن خويلد الغزاري يصور صوت الأقلام حيث يكتب في المهارق :

13- القبــاطي :

يرد معنى القباطي عند كتب المعاجم بأنها : ثياب كتان رقاق تعمل بمصــر وهي منسـوبة إلى القبط ، والقبط هم نصارى مصر ، والواحد قبطية ، والجمع قباطي (بضم القاف وفتحها) ، وقال شمر : القباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض[1].

قال زهير بن أبي سلمى[2] :

ليأتينّك منّي منطقٌ قـذعٌ باقٍ كما دنَّس القبطيَّة الـودَكُ

دخلت القباطي الجزيزة منذ العصــر الجاهلي ، واســتخدمها العرب في الكتابة وكســاء الكعبة ولباساً لنسائهم[3] ، وفي حديث أسامة : ((**كساني رسول الله ρ قبطية**)) [4] ، وفي الحديث أيضاً : ((**أن رسول الله ρ كسا امرأة قطبة ، فقال : مُرها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف حجم عظامها**)) ومنه حديث عمر بن الخطاب τ ((**لا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إن لا يشف فإنه يصف**)) [5].

وكانت القباطي والأنماط مما تكسى بها الكعبة في الجاهلية والإسلام[6] .

وقد كتب العرب في الجاهلية على القباطي ، وكتبوا عليه ما كان ذا شـــأن ومكانة كالأحلاف والمعاهدات والمعلقات ، حيث يقول ابن عبدربه في هذا الصدد : ((**حتى لقد بلغ من كلف العرب بالشــعر وتفضــيلها له أن عمدت إلى ســبع قصــائد تخيرتها من الشــعر القديم ، فكتبتها بماء**

تسمع أصوات كُدْريّ الفراخ بـه مثل الأعاجم تُقشي المهرق القلما

ابن المثنى : أبو عبيدة معمر (ت نحو209هـ/ 824م) نقائض جرير والفرزدق ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت ص106 .

وقد شبّه الديار العافية بالمهارق البالية قال سلامة بن جندل :

لبس الرواسِسُ والجديدُ بلاهما فتركن مثل المُهْرَقِ الأخلاق

ديوان سلامة بن جندل : ط1 ، حلب ، المكتبة العربية ، 1387 هـ/1968م ، ص135 .

(1) ابن منظور : لسان العرب ، 373/7 .
(2) ديوانه ، ص51 .
(3) الجبوري : الخط والكتابة ، ص254 .
(4) ابن حنبل : المسند ، ص1607 ، رقم 22129.
(5) ابن الأثير : أبو السعادات مبارك بن محمد (ت 606هـ/1209م) جامع الأصول من أحاديث الرسول ، أشرف على طبعه الشيخ عبدالمجيد سليم ، حققه محمد حامد الفقي ، ط1 ، د.م ، مطبعة السنة المحمدية ، 1373هـ/1954م ، 269/11 . ابن منظور : لسان العرب ، 373/7 . الزمخشري : الفائق في غريب الحديث والأثر ، 153/3 .
(6) الجبوري : الخط والكتابة ، ص254 . والنمط : ضروب الثياب المصّبغة : وهي ضب من البسط له خمل رقيق . ابن منظور : لسان العرب ، 417/7-418 .

الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها بين أســـتار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرئ القيس مذهبة زهير والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات)) [1] .

ولا شـك أن الكتابة في القباطي أيسـر من الكتابة في غيره لنعومة القباطي وخفته وبياض لونه وتماسك نسجه[2] .

14- القرطاس :

القرطاس : معروف يُتَّخذ من بردي يكون بمصـــر . والقرطاس ضـــرب من برود مصـــر والقِرطاس والقُرطاس والقِرْطس والقَرْطاس كله: الصـــحيفة الثابتة التي يكتب فيها [3] ، وقد عدّ بعض اللغويين كلمة القرطاس من الألفاظ الدخيلة ، حيث قال الجواليقي (ت 539هـ/1144م) : ((**القرطاس – بضم القاف وكسرها – قد تكلموا به قديماً – ويقال إن أصله غير عربي))** [4]

وجاءت كلمة القرطاس في شعر طرفة بن العبد في معلقته يصـف ناقته ويشـبه خدها بالقرطاس الشامي[5] :

اخدٍ كقرطاس الشامي ومشفرٍ كسبت اليمانـي قدّه لم يجـرّد

وقد جاء ذكر القرطاس في القرآن الكريم مرتين الأولى في قوله تعالى : (**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ**)[6] والآية الثانية في وقوله تعالى:(**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً**)[7] .

---

(1) العقد الفريد ، 253/5 . وكذلك قال ابن رشـيق القيرواني : « فكتبت في القباطي بماء الذهب » العمدة في محاسـن الشـعر وآدابه ونقده ، حققه محمد محيي الدين عبدالمجيد، ط4 ، بيروت ، دار الجيل ، 1972م ،96/1 . الجبوري : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، ط4 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1403هـ/1983م ، ص178-179 .

(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص252 .

(3) ابن منظور : لسان العرب ، 315/9 . كذلك يقول القلقشندي : « أن القرطاس كاغد يتخذ من بردي مصـر ، وكل كاغد قرطاس» صبح الأعشى ،514/2 .

(4) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ط1 ، دمشـق ، دار القلم ، 1410هـ/1990م ، ص276 . الخفاجي : شـهاب الدين أحمد الخفاجي المصـري (ت 1019هـ/1610م) شـفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل ، تصـحيح وتعليق ومراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط1 ، مصر ، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى ، 1371هـ/1952م ، ص212 .

(5) ديوان طرفة بن العبد ، ص27 .

(6) سورة الأنعام الآية 7 .

(7) سورة الأنعام الآية 91 .

عرف العرب المسلمين القراطيس من عهد أبي بكر الصديق ، حيث قيل أن أبا بكر جمع القرآن في قراطيس ، وقد سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى ، حتى استعان بعمر ففعل[1].

وذكر السجستاني (ت 316هـ/928م) كذلك حديثاً في جمع القرآن في قراطيس[2]. وقد استمرت الكتابة في القراطيس فكان بعض الصحابة يكتبون عليها ، من ذلك أن خالد بن الوليد كتب كتاب الأمان لأهل الشام سنة 25هـ/635م في القرطاس[3] .

ورُوِيَ أن الأحاديث النبوية التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاصτ كانت مكتوبة في قرطاس[4] ، وكان عكرمة مولى عبد الله بن عباس يكتب ما يسمعه من ابن عباس رضي الله عنهما من علم وحكمة في قرطاس[5] .

أما في العصر الأموي فقد كثر استعمال القرطاس ، وقد قيل أن كثير من المكاتبات في ذلك العهد تكتب على البردي والقباطي[6]. وقد نقل البلاذري عن أبي الحسن المدائني قوله : ((**أخبرني مشايخ من الكُتَّاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس من البردي ، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك**)) [7]. وقيل أن أول من كتب من الخلفاء في الطوامير هو الخليفة الوليد بن عبدالملك ، وأمر أن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكاتب له ، وكان يقول : ((**تكون كتبي والكتب إليّ خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض**)) [8] .

ومعنى هذا أن القرطاس كان مستعملاً منذ أول العصر الأموي وأن الوليد أمر أن تكون المكاتبات منه وإليه بالقطع الكبير من القرطاس ، وليس في جزازات كما كان شأن الكتابة إلى الخلفاء قبله[9] .

---

(1) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 1/167-168 .
(2) المصاحف ، 1/178 .
(3) البلاذري : فتوح البلدان ، ص128 .
(4) ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/870 م) فتوح مصر وأخبارها ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1930م ، ص 257 .
(5) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، 41/107 .
(6) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الهلال ، 1935م ، 1/259 .
(7) فتوح البلدان ، ص 451 .
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص47 .
(9) الجبوري : الخط والكتابة ، ص269 .

وعندما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة عرف بالزهد وإيثار القصد ، فقد أنكر ما كان من هذا الإسـراف في القرطاس وأمر ((**كُتّابه بجمع الخط كراهية اسـتعمال الطوامير . فكانت كتبه إنما هي شـبر نحوه**)) وقد رأى عمر بن عبدالعزيز أن الولاة يسـرفون في اسـتعمال القراطيس فأمرهم بالاقتصـاد ، من ذلك أن عمر حين ولى الخلافة وجد كتاباً كان والي المدينة أبوبكر محمد بن عمر بن حزم ، قد وجّه به إلى سـليمان بن عبدالملك يسـأله فيه أن يبعث إليه بقدر من القراطيس لحاجة الديوان إليها فكتب عمر إليه جواباً على كتابه هذا يقول فيه : ((**أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سـليمان تذكر أنه قد يجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسـلمين كذا وكذا ، فابتليت بجوابك فيه ، فإذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم وأجمع الخط ، وأجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة ، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر بيت مالهم ، والسلام عليك**)) [1] .

أصـبحت هذه القراطيس في العصـر الأموي تثبت في الدواوين وتحفظ على شـكل أوراق ، ثم جعلت في دفاتر ، حيث قيل : ((**وكان سبيل ما يكتب في الدواوين أن يكتب في صحف........**)) [2]. وكانت قراطيس البردي هي مادة الكتابة التي شـاعت في العصـر الأموي والفترة الأولى من العصر العباسي ، وقد تيسر البردي في هذا العصر ورخص ثمنه وكثر تداوله ، يقول الجهشياري : أن الطومار في أيام أبي جعفر المنصور كان يباع بدرهم ، وقد كثرت قراطيس البردي في خزانة المنصور ، حتى أنه أمر أن يتخلص منه بثمن بخس ، قال الجهشياري : ((**أن الخليفة أبا جعفر المنصور وقف على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح صاحب المصلى ، فقال له : إني أمرت بإخراج حاصل القراطيس من خزائننا ، فوجدته شـيئاً كثيراً جداً ، فتول بيعه ، وإن لم تعط بكل طومار إلا دانقاً**[3] **، فإن تحصـيل ثمنه أصـلح منه ، قال صـالح : وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم ... ... ثم فكر المنصـور وتخوف من إنقطاع القراطيس ، فأمر أن يدعها على**

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص53 . ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، صححه وعلق عليه أحمد عبيد ، ط5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د.ت ، ص65 .

(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص269 .

(3) الدانق: أجزاء الدنانير والدراهم فكل دينار ستة دوانق ذهبية ، وكل درهم ستة دوانق فضية ووزن الدانق الذهب = 0.768 جرام ، أما الدانق الفضة = 0.495 جرام . محمد ضياء الدين الريس : الخراج ، ص353-355 .

حالها ، قال صالح : فانصرفت من حضرته على هذا ، فلما كان الغد دعاني ، فدخلت عليه فقال لي : فكرت في كتبنا ، وأنها قد جرت في القراطيس ، وليس يؤمن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج أن نكتب فيما لم نعوّده عمالنا ، فدع القراطيس استظهاراً على حالها)) [1] .

لقد تجاوز انتشار قراطيس البردي واستخدامه في كتب الخلفاء ودواوين الدولة إلى الحياة العامة ، فصار الناس يكتبون بها كتبهم ومراسلاتهم ، وصار طلبة العلم وصبيان المكاتب يتعلمون ويكتبون بها ، ومن دلائل ذلك أن المنصور حين فكر في بيع القراطيس إنما يعني أنه يبيعه للناس خارج نطاق الدوائر الديوانية [2] .

ولقد أشار كثير من الأدباء والمؤرخين القدامى إلى كثرة القراطيس وانتشارها حتى صار لها حيٌّ في الكرخ ببغداد يعرف بدرب القراطيس أو درب أصحاب القراطيس[3] . وكثير من المصادر التاريخية لم تبيِّن هل صناعة القراطيس كانت تتمُّ في بغداد أم أنَّها غير موجودة . فقد أشار السمعاني (ت 562هـ/1166م) إلى وجود عدة أشخاص غلبت عليهم نسبة القراطيس والتي يوصف بها من عمل بالقراطيس فقد تكون نسبتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس ، أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها[4] .

فكما أن **اليعقوبي** أشار إلى أن المعتصم عندما نقل عاصمته إلى سُرَّ من رأى (**سامراء**) سنة (221هـ/ 836م) ، حمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها[5] . ومن هنا يتضح أن صناعة

---

(1) الوزراء ، ص138 . هذا الخبر الذي أورده الجهشياري يوضح مدى الكميات الهائلة الموجودة من جهة ، ومن جهة ثانية يشير إلى مكانة مصر في تصدير القراطيس ، ومن جهة ثالثة ، يؤكد تخوف المنصور من القلاقل الممكنة الحدوث ، إضافة إلى أن يشير إلى سعر القراطيس وقتئذاك ، وهي مسألة هامة توضح جانباً من تطور الحالة الاقتصادية والثقافية على حد سواء خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد في العصر العباسي ، ط1 ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1421هـ/2000م ، ص148.

(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص270 .

(3) الطبري : تاريخ ، 544/8 . الخطيب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، صححه محمد العرفي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت ، 86/9 .

(4) الأنساب : تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، ط1 ، بيروت، الناشر محمد أمين ، 1401هـ/1981م ،83/1-85 . إن نسبة الرجل الذي يبيع القراطيس بقرطاسي وقراطيسي نسبة خاطئة ولا تجوز عند الخليل وسيبويه ، لأنه إذا نسبت إلى جماعة لم يجز النسب إلا إلى واحدها. ابن النحاس : صناعة الكتاب ، ص108 .

(5) تاريخه ، 570/2 . البلدان ، ليدن ، مطبع بريل ، 1891م ، ص264 .

القراطيس لم تنشأ في بغداد ، إلا أن تجارة القراطيس عرفتها بغداد وإليها ينسب القراطسيون ، إلا أن صناعة الكاغد عرفت بها منذ أيام أبي العباس السفّاح[1] .

وكما مرّ سابقاً أن القراطيس هي مادة الكتابة التي شاعت في العصر الأموي والفترة الأولى من العصر العباسي ، ولكن هذا لا يعني أن كلَّ الناس كانوا يستطيعون اقتناءه والكتابة فيه ، فما زال بعض الناس يكتب في الألواح ، والعظام لضيق ذات اليد[2] .

فيروى عن الإمام الشافعي أنه كان يتردَّد على المسجد في صباه ويجالس العلماء ، ولكنه لم يجد ما يشتري به البردي الذي يكتب فيه ما يتلقاه عنهم ، فيقول : ((**لمّا ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء ، وكنت أسمع الحديث والمسألة فاحفظها ، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس ، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه وأكتب فيه ، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديماً**))[3] وكان ابن جريج (ت 150هـ/767م) يكتب في الألواح ، قال : ((**أتيت نافعاً فطرح جونته وأملي عليّ في ألواحي**))[4].

وتعود صناعة القراطيس في مصر إلى أيام الأقباط المسيحيين ، وهذه القراطيس كانت تدرّ لهم أرباحاً متواصلة ، حيث أنها كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، وكان العرب يشترونها بالدنانير الرومية[5] . وظلوا على هذه الحال يستعملونها امتيازاً لها من غيرها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان τ[6] .

وظلت صناعة القراطيس مصرية حتى أيام عبدالملك بن مروان حيث نضج كيان الدولة السياسي ، وأخذت الدولة الأموية تنتبه إلى تحقيق مظاهر سيادتها في مختلف الميادين ، وقد

---

(1) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص149 .
(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص271 .
(3) ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه ، ص24-25 .
(4) الرامهرمزي : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، ص602 .
(5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص241 .
(6) القلقشندي : صبح الأعشى ، 189/6 .

تنبهت الدولة إلى أمر القراطيس[1] ، كما يقول الحاجري : ((**وأولتها شـــيئاً من العناية فاتجهت إلى احتوائها إسلامياً ، نظراً لكونها في حياض مصر**)) [2] .

فقد أشار البلاذري إلى أن عبدالملك بن مروان أحدث في مراسلاته إلى ملك الروم أمراً لم يكن مألوفاً لدى الروم ، حيث أنه بدَّل طرة الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير **(الصـــحف)** والتي درج أن يوضع عليها الصليب ، فأبدله عبدالملك بقوله : (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) [3] ، الأمر الذي أثار حفيظة ملك الروم وكتب إلى عبدالملك : ((**إنكم أحدثتم في قراطيســـكم كتاباً نكرهه ، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه ، قال : فكبُر ذلك على عبدالملك ، وكره أن يدع سـنّة حسـنة سـنّها ، فأرسـل إلى خالد بن يزيد بن معاوية**[4] ، **وأخبره الخبر فقال خالد : أفرغ روعك يا أمير المؤمنين ، حرّم دنانيرهم ، فلا يتعامل بها ، واضرب للناس سككا ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير**)) [5] .

ووصــف السـيوطي البردي المصــري بقوله : ((**إن من خصـائص مصــر القراطيس ، وهي الطوامير ، وهي أحسن ما كتب فيه ، وهو من حشيش أرض مصر ، ويعمل طوله ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض مقداره شبر**)) [6] .

وقد وصفت قراطيس مصر بالجودة واللين ، وذكرها الشعراء من ذلك قول أحدهم[7] :

---

(1) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص149-150 .

(2) الورق والورقة في الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م 1 ، 1965م ، ص133 .

(3) سورة الإخلاص الآية 1

(4) هو :خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سـفيان ، حكيم قريش وعالمها في عصـره ، اشـتغل بالكيمياء والطب والنجوم ، فأتقنها وألف منها رسائل ، خطيب شاعر وفصيح جامع جيد الرأي ، كثير الأدب ، توفي في دمشق سنة 90هـ / 708م على الأصح . الزركلي : الأعلام ، 2/300-301 .

(5) فتوح البلدان ، ص241-242 .

(6) حســن المحاضـــرة في تاريخ مصـــر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم ، ط1 ، القاهرة ، عيســى البابي الحلبي ، 1387هـ/1968م ، 2/327-328 .

وعلى الرغم من محاولة المعتصم صناعة البردي في سامراء ، إلا أنه لم يخرج منه إلا الخشن الذي يتكسر . ابن الفقيه : أبوبكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 365هـ/975م) مختصـر كتاب البلدان ، ط1 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي 1408هـ /1988م ، ص253 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص273 .

(7) ثمار القلوب ، ص421 . ويذكر أبو تمام القرطاس في سياق ذكر القلم وهو يمدح محمد بن عبدالملك الزيات :

إذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت   أعاليه في القرطاس وهي أسافل

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط2 ، القاهرة ، منشورات دار المعارف المصرية، 1964م ، م3 ، ص124.

حملت إليك عروس الثنـاء على هودج   علـــى هـــودج مالـــه من بعيـــــر

من قراطيس مصر   يلين على الطيّ لين الحريـر

لقد ظل البردي يصنع في مصر حتى أواخر القرن الثالث فقد ذكر اليعقوبي أن القراطيس كانت لا تزال تصنع في مدينة بورة و مدينة أخنو [1] .

15- الطامور :

هي الصـــحيفة ، وجمعها مطـامير[2] وطوامير[3] وأغلب ما يطلق على القرطـاس ((**والمراد بالطامور الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله**)) [4] .

قد بدأ في الظهور منذ عهد عثمان بن عفان τ ، وذاع صـيته وانتشـر في عهد علي بن أبي طالبτ وحظي باهتمام دواوين الخلافة الرســمية في عهد معاوية بن أبي ســفيان τ لذلك قال القلقشـندي عند ذكره امتناع الخليفة الأموي الراشـد عمر بن عبد العزيزτ عن اسـتخدام الطامور لحرصـه على بيت مال المسـلمين قال: ((**وأظنه [أي الطامور] من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان، إذ هو أول من قرر أمور الخلافة ورتب أحول الملك ...**)) [5].

وخلاصة القول: أن مصطلح الطومار يطلق على ورقة البردي (القرطاس) منذ عهد عثمان بن عفانτ وتنظيم أمره في عهد معاوية بن أبي ســفيان τ [6]. وفي خبر يؤكد الاســتخدام المبكر للطامور ما أورده الطبري حينما دعا معاوية شـداد بن قيس كاتبه بعد أن وصـلته أبيات الوليد بن عقبة بن أبي معيط يســتحثه فيها على لقاء علي بن أبي طالب ، وقال : ابْغِنِي طوماراً ، فأخذ القلم فكتب ، فقال : لاتعجل ، اكتب:

ومُستعجبٍ مما يَرَى من أناتنا   ولو زَبَنَتْهُ الحرب لم يترمرم

---

(1) بورة : حصن على ساحل البحر من عمل دمياط . أخنو : يقال لها وسمية وتقع على ساحل البحر في الجانب الغربي من شمال الدلتا عند رشيد . البلدان ، ص264 .

(2) ابن منظور : لسان العرب ، 503/4 .

(3) الزبيدي : تاج العروس ، 434/12 .

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 54/3 .

(5) صبح الأعشى ، 54/3.

(6) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص491 .

ثم قال : اطو الطومار ،فأرسل به إلى الوليد ، فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت [1] .

ولكن الجهشـياري يذكر أن الوليد بن عبد الملك أول من كتب من الخلفاء في الطوامير [2] ، والصـواب ماذكره القلقشـندي أن من رتب الطومار ونظمه معاوية بن أبي سـفيان ، وليس ما ذكره الجهشياري [3] .

16- الصحف والكتب :

ترد عند الكثير من القدامى ، وخاصـــة في الشــعر الجاهلي عدة ألفاظ تدل على المكتوب وما كتب عليه من هذه الألفاظ الصحيفة ، الكتاب ، الزبور .

أ- الصحيفة :

الصـــحيفة : الكتاب ، وقيل هي التي كتب فيها [4] ، ولم تخصَّـــص بمادة معينة ، فقد تكون جلداً أو قماشـاً أو نباتاً أو حجراً أو عظماً أو ورقاً [5] . وقد قيل الصـحيفة المبسـوط من الشــيء ، والتي يكتب فيها ، وجمعها صــحائف وصــحف [6] . وقد تكررت هذه الكلمة في الشـعر الجاهلي وفي القرآن الكريم وفي حديث الرسول ρ .

ففي الشعر الجاهلي جاءت في قول قيس بن الخطيم [7] :

لمّا بَـدَتْ نحْونَا جباهُهُم حَنّتْ إلينـا الأرْحَام والصُّحفُ

ولقد أشير إلى الصحيفة في شعر المتلمس [8] :

أودي الذي علق الصحيفة منها ألق ونـجا حذار حياتـه المتلمـس

الصحيفـة لا أبا لك إنــه يـخشى عليك من الحيا النـقرس

---

(1) تاريخ ، 564/4 .

(2) الوزراء ، ص 47 .

(3) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 490 – 491 .

(4) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 13/3 . ابن منظور : لسان العرب ، 186/9–187 .

(5) الجبوري : الخط والكتابة ، ص262 .

(6) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 266/8 .

(7) ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصـر الدين الأسد ، ط 3 ، بيروت ، دار صـادر ، 1411هـ/1991م ، ص 117 . وللاسـتزادة من الأبيات الشعرية أنظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 83 . الآمدي : المؤتلف والمختلف ، ص 266 .

(8) ابن قتيبة : الشعراء ، ص132 . الأصفهاني : الأغاني ، 135/21 .

ولعل الشاعر يقصد بلفظة (**الصحيفة**) هنا بمعنى رسالة ، أي كتاباً ، أمر ملك الحيرة عمرو بن هند بتدوينه ، وأعطاه إليه ، ليحمله إلى عامله على البحرين[1] .

وقد كتبت الأحلاف والمواثيق والعهود في الصــحف في الجاهلية ، ومن ذلك حلف خزاعة بين عبدالمطلب بن هاشــم ورجال من خزاعة ، وكتب لهم الحلف أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة وعلقوا الكتاب في الكعبة[2] ، ومن أشهر هذه العهود والمواثيق صحيفة قريش التي تعاقدوا فيها ((**على بني هاشم بن عبدالمطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم**)) [3] .

وأما في القرآن الكريم فقد جاءت بصــيغة الجمع ثماني مرات[4] جاءت جميعها بمعنى القرآن الكريم أو الكتب السماوية السابقة باستثناء آية واحدة جاءت بمعنى ((**صحائف الأعمال التي تنشــر للحســاب**)) [5] وهذا المعنى الأخير جاء في قوله تعالى : (**وَإِذَا الصُّــحُفُ نُشِرَتْ**)[6] أما الآيات السبع الأخرى فهي قوله تعالى:(**رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَة**) [7] ، وثانيها وثالثها في قوله تعالى(**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّــحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**)[8] ، ورابعها في قوله تعالى : (**كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ**) [9] ، وخامســها في قوله تعالى : (**وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى**)[10]وسادسها في قوله تعالى(**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**)[11] وسابعها في قوله تعالى:(**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى**

(1) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 267/8 .
(2) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص66 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، 276/1 . اليعقوبي : تاريخه ،31/1 .
(4) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص 403 .
(5) البغوي : معالم التنزيل ، 452/4 .
(6) سورة التكوير الآية 10 .
(7) سورة البينة الآية 2 .
(8) سورة الأعلى الآية 18-19 .
(9) سور عبس الآية 11-14 .
(10) سورة طه الآية 133 .
(11) سورة النجم الآية 36 .

صُحُفاً مُّنَشَّرَة ﴾(1) وقد أشير إلى الصحيفة في كتب السير حين اتفقت قريش على مقاطعة بني هاشم وكتب بذلك صحيفة كتبها بغيض بن عامر بن هاشم ، أو قيل منصور بن عبد شرحبيل[2] .

وقد أشار كثير من الأخباريين أن بعضاً من الصحابة والتابعين كانوا يملكون صحيفة قد كتبوا فيها حديث الرسول ρ وأخبار العرب وأشعارهم كالذي كان من أمر عبدالله بن عمر بن العاص ، قد كتب حديث الرسول ρ في صحيفة تسمى الصادقة . وقد أذن الرسول ρ له أن يكتب حديثه فيها[3].

وهناك معان تطلق على الصحيفة منها : الطرس . ويقال أن الطرس الصحيفة التي محيت ثم كتبت ، وقيل الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد فيه الكتابة ، والتطريس إعادة الكتابة على المكتوب الممحو[4] .

وقد أعطت العرب للصحف أسماء إذا كانت قد كتبت في أعراض خاصة ، فإذا كانت الصحيفة أعطاء أرض لشخص ، كإقطاعه أرضاً ، يعطى الشخص صحيفة مدونة بذلك ، تثبت له تسجيل الأرض المقطعة باسمه يقال لها (**الوصر**) و (**الإصر**) ، وقد ذكر أهل اللغة أن الإصر : العهد والعقد . وقيل العهد الثقيل . وأن الوصر الصك الذي تكتب فيه السجلات سمي إصراً لأن الإصر العهود وسمي كتاب الشروط كتاب العهد والوثائق فقال عدي بن زيد[5] :

فأيكم لم ينله عرف نائله   وثراً سواماً وفي الأرياف أوصاراً

أما إذا كانت الصحيفة صحيفة جوائز ، كأن يعطى الملك جوائز لأصحابه وأتباعه ، قيل للصحف التي يدون قدر الجائزة أو نوعها عليها القطوط ، وقد ذكرها الأعشى في شعره[6] :

ولا الملك النعمان يوم لقيته   بامته يعطى القطوط ويأفق

---

(1) سورة النجم الآية 36 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية ، 276/1 .أما ورود كلمة (الصحيفة) في كتب رسول الله ρ والصحابة رضوان الله عليهم ، فيفوت الحصر ومن أمثلته ما جاء في كتابه ρ « بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم » فقد تكررت فيه كلمة (الصحيفة) سبع مرات كلها بلفظ الإفراد . الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية ، ص1-7 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص94 .

(3) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 266/8 .

(4) ابن منظور : لسان العرب ، 120/6 .

(5) ابن منظور : لسان العرب ، 384/5 .

(6) ابن منظور : لسان العرب ، 382/7 .

وورد ذكرها في شعر المتلمس[1] :

وألقيتـها بالثنـى من جنب كـافـر   كذلـك ألقـى كل قط مضلـل

وقد عرفت القط أنها الصـك بالجائزة ، وهي الصـحيفة للإنسـان بصـلة يوصـل بها ، وقيل القط الصـــحيفة المكتوبة وكتاب المحاســـبة . وقيل ســـميت قطوط لأنها كانت تخرج مكتوبة في رقاع وصكاك مقطوعة ، وأنشد ابن بري لأمية بن أبي الصلت[2]

قـوم لهـم سـاحـة العـراق   جميعـاً والقـط والقـلم

وكذلك ترد الصـحف بمعنى الوثائق ، وكل تسـجيل يراد الاحتفاظ به للرجوع إليه عند الحاجة ، فالديون تسـجل في صـحف وكتب ، والأمور الهامة تسـجل فيها أيضـاً[3] . وقد ورد ذكر صـحف الدين هذه في كتاب الرسـول ρ إلى ثقيف إذ جاء فيه : ((**وما كان لثقيف من دين في صـحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم**)) [4] .

ب- **الكتـاب :**

الكتاب :اسـم لما كتب مجموعاً ، والكتاب : ما كتب فيه[5] ، ويطلق على الكتب السـماوية ((**وهي لفظة قد تكون أعم من الصـــحيفة ، وأكثر شـــيوعاً فيما نقرأ إذ أنها مصـــدر كالكتابة ، ولكنها أطلقت على الشـــيء المكتوب حتى كادت لا تنصـــرف إلا إليه**)) **[6]** . وقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي فقد جاءت في شعر لتميم بن أبيّ بن مقبل العامري حيث قال[7] :

منـهنّ معروفُ آيات الكتاب وقد   تعتـاد تكذب ليلـى ما تمنينـا

وكذلك في شعر عدي بن زيد العبادي [8]:

نـاشدتنـا بكتـاب الله حرمتنـا   ولـم تكن بكتـاب الله ترتفـع

---

(1) البطليوسي : الاقتضاب ، ص93 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص70 .

(2) ابن منظور : لسـان العرب ، 382/7-383 . وقيل القط : هي الخطوط التي فيها الأرزاق ، يكتب بها إلى النواحي التي فيها حق السلطان . الزمخشري : الفائق في غريب الحديث والأثر ، 210/3 .

(3) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 268/8 .

(4) الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية ، ص160 .

(5) ابن منظور : لسان العرب ، 698/1 .

(6) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 94 .

(7) الجبوري : الخط والكتابة ، ص 264

(8) لويس شيخو : شعراء النصرانية في الجاهلية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، د.ت ، ص472 .

وفي شعر صدر الإسلام جاء في قول جميل بثينة [1] :

قفرٌ تلوحُ بذي اللُّجين كأنـها   أَنَضاءُ وشْمٍ أو سطور كتاب

ولما جاء القرآن الكريم ذكرت فيه كلمة الكتاب إحدى وستين ومائتين مرة إفرادا وجمعا[2] ، مرة شـملت عدة معان منها القرآن والتوراة و الإنجيل واللوح المحفوظ ، وحصـاد أعمال الإنسـان... إلى أخره ، أما ما جاء في ما أثر عن الرسول ρ وعن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم حول هذه اللفظة في كتب السنة التسعة ، فيربو على ال ((300)) مرة [3] .

وقد ترد معانٍ تودي إلى لفظة **(كتاب)** منها الرسـالة . فقد كانوا يطلقون على الرسـالة لفظة كتاب والجمع كتب . ومن ذلك ما ورد في خبر كتب رسـول الله ρ إلى الملوك[4] . وخبر كتاب مسيلمة إلى رسول الله ρ والجواب عنه[5] .

وترد لفظة (**كتاب**) بمعنى الكراسـة : الجزء من الصـحيفة والكتاب يقال : ((**هذا الكتاب عدة كراريس**))

قال الكميت بن زيد[6] :

حتى كـأنّ عراص الدار أرديـةٌ   من الجوائز أو كـراس أسفـار

وترد لفظـة (**كتـاب**) بمعنى إعلان وإحقـاق حق ، كـالـذي ورد في خبر رؤيـا عـاتكـة بنـت عبدالمطلب عن مصير معركة بدر وفي قول قريش للعباس : ((**يا بني عبدالمطلب ! أما رضيتم**

---

(1) الأصفهاني : الأغاني ، 224/2 ، 112/8.

(2) محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص592-595 .

ولقد وردت كلمة (الكتاب) في كثير من كتب النبي ρ وصحابته ، ولو أمعنا النظر في الصحيفة التي وضعها الرسول ρ نجد أن كلمة (الكتاب) تكررت مرتين . الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية ، ص1-7 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص94 . وقد ذكر علماء اللغة أن كلمة السـفر تطلق على الكتاب الذي يسـفر عن الحقائق ، وقيل الكتاب الكبير ، والجزء من أجزاء التوارة ، ومعنى السـفرة الكتبة ، في قوله تعالى : (بأيدي سـفرة) سـورة عبس الآية 15 . ابن منظور : لسـان العرب ، 367/4 .

(3) ونسنك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، الإتحاد الاممي للمجامع العلمية ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1965م ، ص 528-537 . ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص486 .

(4) الطبري : تاريخ ، 644/2-657 .

(5) الطبري : تاريخ ، 146/3-147 .

(6) ابن منظور : لسـان العرب ، 193/6 . وترد لفظة كتاب بمعنى الدفتر من الصـحف المضـمومة . ابن منظور : لسـان العرب ، 289/4 . وعند الزبيدي ترد معنى (الدفتر) : جريدة الحسـاب والكراسـة . تاج العروس ، 209/3 يقول جندل بن المثنى الطهوي في الدفتر : هل لا بحجر يا ربيع تبصر   قد قضى الدين وجفّ الدفتر
الصولي : أدب الكتاب ، ص107 .

أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نســـاؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا من ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن، بك حقاً ما نقول فسيكون ، وإن تمضي الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب)) [(1)] .

وكان العرب في الجاهلية يســـجلون عقودهم وأخبارهم في كتب ، من ذلك ما ورد في قصـــة النعمان مع الحارث بن ظالم ، فقد ورد أنه كتب إليه كتاباً وكان يومئذ بمكة يؤمنه إن عاد إليه ، فلما جاء إلى النعمان وقال له : أنعم صباحاً أبيت اللعن ، انتهره الملك بقوله : لا أنعم الله صباحك فقال الحارث : هذا كتابك ! قال النعمان : كتابي والله ما أنكره أنا كتبته[(2)].

ج- الزبور :

أما كلمة الزبور فقد جاءت في الشـــعر الجاهلي بمعنى الكتاب الديني ، وقد تطلق الكلمة على غيره من الكتب أيضـــاً واســـتعملها الشـــعراء بالمعنيين ، فمن المعنى الديني قول أمية بن أبي الصلت[(3)] :

وأبرزوا بصعيدٍ مستوٍ جرزُ   وأنزل العرش والميزان والزبر

أما المعنى الثاني الذي يراد بالكلمة مطلق الكتاب قول لبيد بن ربيعة [(4)]:

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونها أقلامها

وجاءت كلمة الزبور في القرآن الكريم تســـع مرات وكلها بمعنى الكتاب الديني ، وجاءت في موضـــعين خاصـــة بكتاب داود في قوله تعالى:(**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**) [(5)] ، وجاءت الآيات الأخرى بمعنى الكتاب الديني في قوله تعالى: (**وَإِنَّـهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ**)[(6)]، وقوله تعالى:(**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**)[(7)] ، وقوله تعالى : (**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ**

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، 189/2 .

(2) الأصفهاني : الأغاني ، 120/11 .

(3) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 95 . أمية بن عبدالله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف ، كان مطلعاً على الكتب القديمة ، أقام في الطائف إلى أن توفي ســـنة 5هـ / 626م .الزركلي : الأعلام ، 23/2 .

(4) التبريزي : القصائد العشر ، ص159-160 .

(5) سورة النساء الآية 163 . سورة الإسراء الآية 55 .

وقيل الزبور : هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، 278/8.

(6) سورة الشعراء الآية 196 .

(7) سورة الأنبياء الآية 105 .

فِي الزُّبُرِ) [1] ، وقوله تعالى: (**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**) [2] ، وقوله تعالى : (**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**) [3] ، وقوله تعالى : (**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**) [4] ، ولكن كلمة الزبور ومشتقاتها لم تشع ويكثر استعمالها بعد الإسلام شيوع الكتاب والصحيفة[5] .

17- الكاغد أو الورق :

يعود الفضل في معرفة صناعة الورق إلى الصين ، وكان الورق الصيني قد عرفه التجار العرب واستوردوه منهم ، فقد كان هؤلاء التجار على اتصال تجاري ببلاد الشرق الأقصى .

ولقد عرف العرب الورق بلفظ الكاغد بفتح العين ، وورد بلفظ (الكاغد والكاغذ) بالدال والذال المعجمة في المصادر العربية القديمة ، وقد رأى العرب في الورق أو الكاغد مادة خفيفة لينة سهلة الحمل والنقل لا تتطلب حيزاً كبيراً ، فأكثروا منه إكثاراً عظيماً ، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة[6] ، وتترادف معاني الكاغد مع لفظ القرطاس والورق ، فهو عند ابن منظور (ت711هـ/1311م) الكاغد معروف ، وهو فارسي معرّب[7] ، وعند الزبيدي (ت1205هـ/1790م) الكاغد – القرطاس[8] ، ويصفه الشيخ أحمد رضا – الورق – الكاغد – وقد أعطاه صفة البياض فقال : يتخذ من أدم أو قطن أو كتان والورق : من أوراق الشجر والكتان والواحدة ورقة[9] . وقد فصل القلقشندي الاسم وأزال الكثير من الالتباسات الناشئة في المعاني المرادفة له ، من حيث تسمياته بالكاغد والقرطاس والورق حيث قال : الورق : بفتح الراء : اسم جنس يقع على القليل والكثير واحده ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورقة ورقات ، وبه سمّي الرجل الذي يكتب ورّاقاً ،

---

(1) سورة القمر الآية 43 .

(2) سورة القمر الآية 52 .

(3) سورة النحل الآية 44 .

(4) سورة آل عمران الآية 184 .

(5) الجبوري : الخط والكتابة ، ص266 .

(6) كوركيس عواد : الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية ، مجلة المجمع العربي ، /23 ، 1948م ، ص417 . الحاجري : الورق والورقة في الحضارة الإسلامية ، ص63–88 . الجبوري : الخط والكتابة ص274 .

(7) لسان العرب ، 380/3 .

(8) تاج العروس ، 110/9 .

(9) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص151 .

ويسمى أيضاً الكاغد (بغين ودال مبهمة) وكذلك المهراق[1] وقد كثر استعماله عند العرب منذ القرن الثاني الهجري[2] .

وعلى ما يبدو أن مسألة الاستخدام اليومي للورق أو الكاغد أخذت تفرز المعنى الأعمق للاصطلاحين ، فالكاغد هو الأسبق في التداول والاستخدام ، ودأب الناس عليه ، ثم استعيض عنه باصطلاح – ورق – بعد أن خصص استعماله لكتابة أكثر من بقية الاستخدامات ، وبعد أن حسّنت عجينة صناعته ، فاصطلاح كاغد عند العراقيين يعنون به الورق الأسمر حصراً . والمستخدم لصناعة الأكياس الورقية ، بينما يتميزون بفهمهم اصطلاح – ورق – أنه هو ذاك المتخذ للكتابة وحدها ومنه تتخذ سجلات الدوائر الحكومية وغيرها[3] .

ويعود الفضل في معرفة صناعة الورق إلى الصين ، وكان الورق الصيني قد عرفه التجار العرب واستوردوه منهم ، فقد كان هؤلاء التجار على اتصال تجاري ببلاد الشرق الأقصى[4] . وكان لمدينة سمرقند الفضل الأكبر في إنشاء صناعة الورق في العالم الإسلامي ، حيث أنها كانت أول مدينة إسلامية صنع فيها الورق [5] .

يصف الثعالبي ورق سمرقند فيقول : ((**هي المدينة التي عرفت بكواغدها ، التي عطلت قراطيس مصر ، وكسدت الجلود التي كان الأوائل يكتبون بها ، لأنها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين**)) ، ويذكر سبب صنعه في سمرقند ((**أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح ، في وقعة أطلح سنة 134هـ/751م ، من يصنع الكواغيد ، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعمّ خيرها والارتفاق بها جميع البلدان والآفاق**))[6] .

---

(1) صبح الأعشى ، 516/2 .
(2) الدالي : الخطاطة ، ص116 .
(3) خير الله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص151–152 .
وقد قيل أيضاً : « أنه في أيام هارون الرشيد اتخذ جعفر بن يحيى البرمكي الكاغد ، وتداوله الناس من بعده إلى اليوم » الجهشياري : الوزراء ، ص204 . المقريزي : الخطط ، 91/1 .
(4) كوركيس عواد : الورق أو الكاغد ، ص417 .
(5) وقد تم فتح هذه المدينة في العصر الأموي على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 87هـ/705م البلاذري : فتوح البلدان ، ص411 .
(6) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص431–432 . البيروني :تاريخ الهند ، ص119 .

يقول القزويني (ت 682هـ/1283م) : ((**وبسمرقند من الأشياء الظريفة تنقل إلى سائر البلاد منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلا بالصين ...**))[1] .

ولقد امتدحت كثيراً من المصادر الكاغد السمرقندي وراحت سمعته تطير في الآفاق من ذلك قول النويري: ((**من خصائصها: الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق ، ولا تكون إلا بها وبالصين**)) [2] .

كذلك أشار ابن الوردي (ت 861هـ/1456م) إلى أن خصائص سمرقند بالكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض والجلود الرقاق ، التي لا توجد في الدنيا ، وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ فيها لحسنها ولينها وقامتها[3] . كما أشار صاحب كتاب الأنساب أن الكاغذي نسبة إلى عمل الكاغذ ، الذي يكتب عليه ويبعه ، وهو لا يعمل في المشرق إلا بسمرقند ، وذكر أسماء طائفة من الذين عرفوا بالكاغذي[4] ، وقد نوّه كثيرٌ من المؤرخين على جودة وإتقان الورق السمرقندي[5] .

ومن هنا يتضح أن الإقبال على أوراق سمرقند أخذ يأتي من كل الممالك الإسلامية لا سيما عاصمة الدولة الإسلامية – بغداد – نظراً للحاجة الماسة إليه ، وقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية وجود صناعة الورق في بغداد[6] .

ولكن المصادر التاريخية لم تذكر معلومات وافية عن كيفية صنع الورق والمواد المستعملة فيه بشكل واف ، وكذلك الأمر بالنسبة للصناعات الأخرى ، سوى بعض الإشارات السريعة ، وكان الورق يصنع من القطن ومن مواد نباتية أخرى ، وقد تدخل في صناعته الحرير ، وإن اختلاف

---

(1) آثر البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار بيروت ، 1404هـ/1984م ، ص360 .
(2) نهاية الأرب ،367/1 .
(3) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، صححه وأعده وعلق عليه محمود فاخوري ، بيروت– حلب ، دار الشرق العربي ، 1411هـ/1991م ، ص247 . كوركيس عواد : الورق أو الكاغد ، ص419 .
(4) السمعاني : الأنساب 10،/326–327 .
(5) ياقوت : معجم الأدباء ، ط3 ، د.م ، دار الفكر ، 1400هـ/1980م ، 412/2 .
(6) خير الله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص153 .

المواد الأولية الداخلة في صـــــناعة الورق تؤدي إلى ظهور أنواع منه تختلف في ثخانتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها[1] .

صفات الورق وأنواعه :

يقول القلقشندي في صفة الورق الجيد : وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً ، متناسب الأطراف ، صبوراً على مرور الزمان[2] .

أما أنواعه : فقد ذكر ابن النديم أن هناك أصـــنافاً وأنواعاً من الورق تبعاً لصـــناعته فيقول : ((**فأما الورق الخرســـــاني فيعمل من الكتان ويقال أنه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل أنه قديم ، وقيل أنه حديث ، وقيل أن صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني ، فأما أنواعه : السليماني ، والطلحي ، والنوحي ، والفرعوني ، والجعفري ، والطاهري**))[3] ، وهذه الأصناف من الورق منسوبة إلى الولاة والأمراء الذين صنعت في عهدهم ، أو أمروا بصناعتها .

فأما **الورق السليماني** : منسوب إلى سليمان بن راشد الذي كان والياً على خراسان في أيام هارون الرشيد ، أما **الورق الطلحي** : منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطاهرية في اخراسان (207–213هـ/822–828م) ، **والورق النوحي** : كأنه منسوب إلى نوح الساماني أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت في تركستان وفارس[4] ، أما **الورق الفرعوني** : وهو ضرب آخر نافس ورق البردي ، وأقدم النصـــــوص العربية التي عثر عليها مدونة في هذا الورق يرجع عهدها إلى ســـنة (180–200هـ/796–815م)[5] ، أما **الورق الجعفري** : منســـوب إلى جعفر البرمكي الذي قتل في نكبة البرامكة ، أما **الورق الطاهري** : ينســـب إلى طاهر الثاني من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان سنة (240–248هـ/854–862م)[6] .

وهناك أنواع أخرى من الورق ذكرتها كثير من الكتب من ذلك :

---

(1) الجبوري : الخط والكتابة ، ص275 .

(2) صبح الأعشى ، 516/2 .

(3) الفهرست ، ص23 .

(4) الجبوري : الخط والكتابة ، ص276 .

(5) خير الله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص160 .

(6) الجبوري : الخط والكتابة ، ص276–277 . مع العلم أن الدولة السامانية حكمت (261–389هـ/874–999م) وهذه المدة خارج فترة البحث لكن تم ذكرها لتعرف على أصناف الورق .

الورق المأموني : الذي ينسب إلى الخليفة المأمون العباسي (198-218هـ/813-833م) ولقد أشار صاحب كتاب رسوم دار الخلافة إلى ذكر أنواع أخرى من الورق حيث يقول : ((**الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ، أن تكون في القراطيس المصرية العريضة . فلما انقطع حملها . وتعذر وجودها ، عدل إلى الكاغد الشيطاني العريض . هذا في كتب العهود والولايات والألقاب ، وما يكتب به إلى أصحاب الأطراف ، وما يكتبون به . فأما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع ، من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة ، فالمستحب فيه الكاغد النصفي**)) [1] .

أحجام الورق ومقاييسه :

تظهر في ألفاظ المؤرخين القدامى مقادير مستعملة في حجم الورقة التي يكتب بها ، ويرد الطومار على أنه الورقة الكاملة ، وكان الطومار يقسم عند الكتابة حسب الغرض المراد ، وحسب قيمة من يكتب إليه ، وتختلف التسميات باختلاف البلدان التي تصنعه[2] ، في حين يذكر القلقشندي ويقول : ((**على لسان محمد بن عمر المدائني صاحب كتاب القلم والدواة أن الخلفاء ، لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان ، وذاك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العمّال والكتّاب من ثلث ، وإلى التجّار وأشباههم من ربع ، وإلى الحُسّاب والمسّاح من سدس ، فهذه مقادير لقطع الورق في القديم ، وهي : الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس. ومنها استخرجت المقادير ، متخذة القطع البغدادي أساساً في التقسيم والقطع والتميّز والمفاضلة ، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي ، لا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة ، فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن**)) [3] .

وفي نهاية القرن الثاني دخلت صناعة الورق إلى بغداد ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الفضل بن يحي البرمكي وزير الرشيد الذي أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد ، في الربع الأخير من

---

(1) ياقوت : معجم الأدباء ، 285/6 .
(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص278 .
(3) صبح الأعشى ، 180/6-181 .

القرن الثاني الهجري وقد انتشـر الورق في بغداد وحل محل الرّق في دواوين الدولة ، وعندما تقلد جعفر بن يحيى البرمكي الوزارة أحل الورق محل الرّق في دواوين الدولة[1] . ويذكر القلقشـندي أن الرشـيد (193-170هـ/786-809م) هو الذي أمر الناس أن يكتبوا في الورق دون الرّق قال : ((**أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم ، على كتابة القرآن في الرّق لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشـيد الخلافة وقد كثر الورق وفشـا عمله بين الناس ، أمر ألاّ يكتب الناس إلاّ في الكاغد ، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق ، فإنه متى مُحي فسد ، وإن كشط ظهر كشطه ، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سـائر الأقطار ، وتعاطاها من قرب وبعد ، واسـتمر الناس على ذلك إلى الآن**)) [2] .

وكان الورق البغدادي من أحسـن أنواع الورق وقد وصـفه القلقشـندي بأنه ((**ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشـية وتناسـب أجزاء ، وقطعة وافر جداً ، ولا يكتب فيه في الغالب إلاّ المصـاحف الشريفة ، وربما استعمله كُتّاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها**)) ثم يصف الورق الشامي بعد كلامه على الورق البغدادي فيقول : ((**ودونه في الرتبة الشـامي ، وهو على نوعين : نوع يعرف بالحموي ، وهو دون قطع البغدادي ، ونوع دونه في القدر ، وهو المعروف بالشـامي ، وقطعه دون القطع الحموي**)) [3] .

أما في مصر فقد انتشرت صناعة الورق في الفسطاط ، وصناعته في الفسطاط أكثر وأجود[4] ، كما وصف القلقشندي الورق البغدادي والورق الشامي فقد وصف الورق المصري أيضاً وذلك في قوله : ((**ودونهما في الرتبة الورق المصري ، وهو أيضـاً على قطعين القطع المنصوري وقطع العادة ، والمنصـوري أكبر قطعاً ؛ وقلّما يصـقل وجهاه جميعاً ، أما العادة فإن فيه ما يصـقل وجهاه ، ويسمّى في عرف الوراقين : المصلوح وغيره عندهم على رتبتين : عال ووسط . وفيه**

(1) الجبوري : الخط والكتابة ، ص280 .
(2) صبح الأعشى ، 2/515-516 .
(3) صبح الأعشى ، 2/516 .
(4) الجبوري : الخط والكتابة ، ص282 .

صنف يعرف بالفوّي صغير القطع ، خشن غليظ حفيف الغرف ، لا ينتفع به في الكتابة ، يتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك)) [1] .

وبمرور الزمن وتطور الأحداث السياسية في بلاد المغرب والأندلس وسعة انتشار التجارة في البلدان الإسلامية ، انتشرت صناعة الورق في المغرب عن طريق صقلية والأندلس ومراكش ، ومن هذه البلدان انتقلت صناعة الورق إلى بلاد الفرنج الأخرى[2] .

أما في بلاد فارس فلم تنتقل صناعة الورق من سمرقند إلى بلاد فارس بل انتقلت إلى العراق والشام ، ويبدو أن الفرس لم يهتموا بهذه الصناعة إلاّ في وقت متأخرة[3].

ثانياً: أدوات الكتابة :

1- القلم :

القلم : الذي يكتب به ، والجمع أقلامٌ وقَلاِمٌ قال ابن بري : وجمع أقلام أقاليم : وأنشد ابن الإعرابي [4] :

كأنني حين آتيها لتخبرني صحيفة ۞ وما تُبيّن لي شيئاً بتكليم
كُتِبت سرا إلى رجل ۞ لم يدر ما خُطّ فيها بالأقاليم

وسمى القلم قلم إما لاشتقاقه ، أو لأنه مأخوذ من القلام ، والقلم قبل بريه يسمى قصبة ولا يسمى القلم قلماً حتى يبرى [5].

وذكر القلم في الشعر الجاهلي كثيراً ، من ذلك قول الزبرقان بن بدر[6] :

هم يهلكون ويبقى بعد ما صنعوا ۞ كأنّ آثارهم خُطّت بأقلام

وقول عدي بن زيد [7] :

ما تبين العين من آياتها ۞ غير نؤي مثل خط بالقلم

---

(1) صبح الأعشى ، 516/2 .
(2) خير الله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص158 .
(3) الجبوري : الخط والكتابة ، ص283 .
(4) ابن منظور : لسان العرب ، 490/12 .
(5) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص 82-83 .
(6) الجاحظ : البيان و التبيين ، 176/3.
(7) الأصفهاني : الأغاني ، 95/2 .

وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم أربع مرات ، مرتان بصيغة المفرد ومرتان بصيغة الجمع[1] ، حيث قال تعالى : (**اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** **خَلَقَ الْإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ** **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** **عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)[2] ، وقوله تعالى مقسـماً بالقلم : (**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْـطُرُونَ** **مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**)[3] ، وجاء ذكر القلم بصـــيغة الجمع في قوله تعالى : (**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَـــجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَـــبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[4] وجاء ذكر القلم بصـــيغة الجمع في قوله تعالى (**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَـا كُنـتَ لَـدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَـهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُـلُ مَرْيَمَ وَمَـا كُنـتَ لَـدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِـــمُونَ**)[5] .

أما بالنسبة للأحاديث النبوية فلقد ذكر القلم في الحديث [6] إلا أن الأحاديث التي ذكرت القلم تنقسم إلى نوعين : أحاديث ذكرت القلم في عالم الغيب ، وأحاديث ذكرت القلم في عالم الشـــهود. والنوع الثاني يبين ما كان عليه الرسول ρ وأصحابه في استعمالهم للقلم [7] .

فمن النوع الأول مارواه ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ρ قال : ((**إن أول شيء خلق الله القلم ، وأمره أن ، يكتب كل شـيء**)) وفي رواية ابن عباس رضـي الله عنهما عن النبيρ قال: ((**لما خلق الله القلم، قال له اكتب . فجرى بما هو كائن إلى قيام الســـاعة**)) [8].أما الأحاديث التي ذكرت القلم في عالم الشهود والتي تبين ما كان عليه الرسولρ وأصحابه الكرام في حالهم مع القلم [9]. فقد روى أبو سلمه بن عبد الرحمن عن الصـحابي زيد بن خالد الجهني τ قال : سمعت

---

(1) محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص 552 . بينما يذكر يحيى الجبوري في كتابه الخط والكتابة ص 284 ، إن القلم ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاث مرات مرتان بصيغة المفرد ومرة بصيغة الجمع . ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 384 . والصحيح ما ذكر في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(2) سورة العلق الآيات 1-5 .

(3) سورة القلم الآيات 1-2 .

(4) سورة لقمان الآية 27 .

(5) سورة آل عمران الآية 44 .

(6) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، 105/4 .

(7) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 387 .

(8) الهيثمي : مجمع الزوائد ، 189/7 .

(9) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص388 .

رسول الله ρ يقول : ((**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ، قال أبو سلمه : فرأيت زيداً يجلس في المسجد وإن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب ...**)) [1] .

وقد أطلقت على القلم عدة مسميات منها المِزْبَر فقد روي أن أبا بكر τ دعا في مرضه بدواة ومزبر ، فكتب اسم الخليفة بعده [2] ، وقال الزمخشري (ت583هـ/1187م) المِزْبَر هو القلم ، ويقول الأصمعي : قد قضى الأمر وجف المزبر[3] ، وسمي القلم مزبر – بكسر الميم– أخذاً له من قولهم زبرت الكتاب إذا أتقنت كتابته ، ومنه سميت الكتب زبراً [4].

ومنها اليراع وهو : القصب ، واحدته يراعه ، والقلم يتخذ من القصب [5] ، واسم اليراع جاء من أن العرب كانوا يتخذون أقلامهم من لب الجريد الأخضر ، ثم اتخذوه من القصب [6]، فقد كانت الأقلام المستعملة في كتابة رسائل النبي ρ من أقلام القصب المسننة برؤوس دقيقة ناعمة وكانوا يطلقون عليها اليراع[7] .

ويشير إلى استخدام الأقلام القصبية وانتشارها في العهد الراشدي مارواه عبد الله بن حنش الأزدي فيقول: ((**رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء**))[8] .

ومن أسماء القلم المِلْقاط بالكسر قال شمر : سمعت حميرية تقول لكلمة أعدتها عليها : لقد لقطتها بالملقاط ، أي كتبتها بالقلم [9] ، ومن أسماء القلم أيضاً المرقْم ، لأن القلم آلة للرقم وهو الكتابة ، ويروى بالنون : المُرَقن[10]،وذكر الرقم في القرآن الكريم في قوله تعالى :(أَمْ **حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**) [11]. قال ابن كثير بعد أن

---

(1) أبو داود : سنن أبي داود ، 12/1 ، رقم 47 .
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 473/2 .
(3) الفائق في غريب الحديث والأثر ، 522/1 . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، ص 99 .
(4) ابن منظور : لسان العرب ، 315/4 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 473/2 .
(5) ابن منظور : لسان العرب ، 413/8 .
(6) الجبوري : الخط والكتابة ، ص 286 .
(7) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 382 .
(8) الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص105 . ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 382 .
(9) الزبيدي : تاج العروس ، 20/ 79 .
(10) ابن منظور : لسان العرب ، 248/12–249 .
(11) سورة الكهف الآية 9 .

ذكر أقوال المفســـرين القائلين بأن الرقيم هو الكتاب ، قال : ((**وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير[أي الطبري]**)) [1].

والقلم كما تصفه كثير من الروايات أنه مصنوع من الأشجار والنباتات ، مثل نبات القصب أو شـجرة القلاَّم لما نص عليه القلقشـندي [2] من أن القلم ((**مأخوذ من القُلاَّم وهو شـجر رخو فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلماً**)) [3] .

وكان للقلم مواصــفات عديدة ينبغي الالتزام بها ، كالصــلابة واللين والرّشــاقة لجســم العود والاستواء في القصبة والشق المستوي ، وتجاوز القط عند العقدة وغيرها من الأمور[4] ، وقد أورد الصولي أبياتاً شعرية جمعت الكثير من مواصفات القلم[5] .

وأعجف مشتق الشباة مقلّم	**موشي القرى طاوي الحشا أسود الفم**
تبين خفي السر آثاره لنـا	**ويعرب عن غير الضمير المكتم**
يؤدي صحيح القول عنـه مخاطباً	**به العين دون السمع لا بـالتكلم**
إذا استـغزرته الكفّ فاضت سجاله	**من الفكر فيض الرايح المتغيم**

وقد كان الرسـول ρ وكبار الكُتَّاب والولاة والأمراء والســلاطين ، ومن ذوي الشـأن وأصـحاب الحرفة يرشــــدون كُتَّابهم عند الكتابة ، ومن ذلك ما يرويه زيد بن ثابت إذ يقول : ((**كنت أكتب لرسول الله يوماً فقام لحاجة فقال لي : ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي ، وأقضى للحاجة**)) [6] ، كذلك قول إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط : ((**ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ ولا تبره عند عقده ، فإن فيه تعقيد الأمور ولا تكتب بقلم ملتو ، ولا ذي شق غير مستو**

(1) تفسير القرآن العظيم ، 100/3 .
(2) ماجد بادحدح : صناعة الكتابة والكتاب ، ص 385-386 .
(3) صبح الأعشى ، 479/2 .
(4) خير الله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص59 .
(5) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص80 .
(6) الترمذي : سنن الترمذي 167/4 ، رقم 2657 مثل هذه الوصية قيلت لمعاوية بن أبي سفيان τ ، فقد روي أنه «كان يكتب للنبي ρ فكان إذا رأى من النبي ρ إعراضاً وضـع القلم في فيه فنظر إليه النبي ρ وقال : يا معاوية ، إذا كنت كاتبا فضـع القلم على أذنك فإنه أذكر لك وللمملي» . القلقشندي : صبح الأعشى ، 43/3 .

، وإن أعوزك البحري والفارسي ، واضطررت إلى الأقلام النبطية فاختر منها ما يميل إلى السمرة)) [1] .

ومن الأشياء ذات العلاقة المباشرة بالقلم بري القلم :

اهتم الكُتَّاب – بكافة أصنافهم – بالقلم من كل الوجوه ، وأعطوا عناية خاصة لمسألة بري القلم لأنها تحدد شكل الخط أولاً ، وتبرز مهارة الكاتب ثانياً ، وتؤكد جودة عمل الكاتب ثالثاً[2].

لقد اشتق اصطلاح البري من الفعل ((**برى ، يبري ، برياً**)) والبري : النحت[3] ، يقال : بريت القلم أبريه برياً وبراية ، غير مهموز : وقلم مبري قال الشاعر :

يا بَاريَ القوس بَرياً ليس يُحْكِمُهُ   لا تُفْسِدِ القوس أعط القوس باريـها

وفي الحث على معرفة البراية يقول الحسن بن وهب : ((**يحتاج الكاتب إلى خلال ، منها جودة بري القلم إطالة جلفته ، وتحريف قطته ، وحسن التأني لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة بعد إشباع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكشوف ، وترك الشكل على الخطإ والإعجام على التصحيف**)) ويقول أيضاً المقر العلائي : ((**جودة البراية نصف الخط**)) وقال إسحاق بن حمّاد (ت 159هـ/875م) : ((**لا حذق لغير مميز لصنوف البراية**)) ، ويحكى أن الضحاك بن عجلان كان إذا أراد أن يبرى قلماً توارى بحيث لا يراه أحد ، يقول : ((**الخط كله القلم**)) [4] .

ويبدو أن عملية قط القلم أو بريه هي عملية يراد منها حسن أداء الإداة في يد المؤدي بالكتابة ،على أن مسألة البري ليست فقط قطع القطة لجهة معينة بل يجب أن يكمل ذلك إرهاف جوانب القط وشق الرأس ، كي يستوعب القلم المداد اللازم لكتابة كلمة أو حرف[5] ، يقول مسلم بن الوليد

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/479–480 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/479–480 .

(3) ابن درستويه : أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد (ت 346هـ/957م) الكُتّاب ، نشره وأضاف إليه الملحوظات والفهارس لويس شيخو اليسوعي ، ط2 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1927م ، ص95 . ابن منظور : لسان العرب ، 70/14 . ومن أولئك الذين نظروا للبري شيخ الكُتّاب في العصر العباسي – أبوبكر الصولي في كتابه (أدب الكُتّاب) وكذلك ابن عبدربه في كتابه (العقد الفريد) ، ووضع أصوله بشكل معرفي ودقيق القلقشندي في (صبح الأعشى) حيث استوفى الكثير مما قيل فيه من قبل سابقيه ، والذين جاؤوا بعده قد أخذوا منه وكانوا صدى له لاسيما مرتضى الزبيدي في (حكمة الأشراق) ومن جاء بعده . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص64–65 .

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/485–486 . جيدة : صناعة الكتابة عند العرب ، ص75 .

(5) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص66 .

الأنصاري في وصفه بري القلم : ((**حرّف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصده ، وشق في رأسه شقاً غير عاد ليحتبس الاستمداد عليه، ورفِّع من شعبتيه ليجمعا حواشي تصويره. فإذا فعلت ذلك استمد القلم برشفه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ما سداه العقل، وألحمه اللسان ، وبلته اللهوات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، وقبلته القلوب**)) [1] .

وكان بعض الكُتَّاب يجيد الخط ولا يجيد بري القلم ، فيبري له . بعضهم يرى أن في ذلك مهنة يترفّع عنها[2] ، قال بعضهم :

لم ترني قط بارياً قلماً　　　في بريه كل مهنة وضعه

ما كل من يحمل الحسام لكي　　　يردي به سنه ولا طبعه

ويقول أحدهم في ذم كاتب لا يجيد بري قلمه[3]:

دخيل في الكتابة ليس منها　　　فما يدري دبيراً من قبيل

إذا ما رام للأنبوب برياً فكائن ثم من　　　تنكّب عاجزا قصد السبيل

قطع رحيب　　　لإصبعه ومن قلم قتيل

لقد حثّ كثيرٌ من الكُتَّاب على الاعتناء والتروي في القط . وراحوا ينصحون تلاميذهم بذلك حيث قيل : ((**ملاك الخط حسن البرية . ومن أحسنها سهل عليه الخط ، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قط الأقلام كان مقتدراً على الخط ، ولا يتعلم ذلك إلاّ عاقل**)) [4] وكذلك قال المقر العلائي ابن فضل الله : ((**من لم يحسن الاستمداد وبري القلم ، وإمساك الطومار ، وقسمة حركة اليد حال الكتابة ، فليس هو من الكتابة في شيء**)) [5] .

---

(1) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص82-83 .

(2) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص66 .

(3) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص82-83 .

(4) الزبيدي : حكمة الإشـــراق إلى كُتّاب الآفاق وبذيله تتمة في نقد الآثار المرفوعة عن الخط والكتابة ، عُني بإخراجه محمد طلحة بلال ، ط1 ، جدة ، دار المديني ، 1411هـ/1990م ، ص56 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى 485/2-486 . قال العتابي :« سألني الأصمعي يوماً بدار الرشيد : أي نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البراية المستوية القطة التي عن يمين سنها برية تأمن معها المجة عند المدة والمطة ، والهواء في شقها فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها دقيق » القلقشندي : صبح الأعشى ، 488/2 .

إن مســألة البري مســألة اختباريه للكاتب ، بها يميّز ويعرف ، وقد كانت محطَّ اهتمام الجميع شـيوخاً وتلاميذاً ، لذا قسّـم الكُتّاب والخطاطون البري إلى القط والنحت ، وفي ذلك يقول ابن مقلة (ت 338هـ/949م) : ((**النحت نوعان ، نحت حواشـيه ونحت بطنه ؛ أما نحت حواشـيه فيجب أن يكون متسـاوياً من جهتي السـن معاً ، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضـعف سـنّه ، بل يجب أن يكون الشـق متوسـطاً لجلفة القلم دقّ أو غلظ وقال أيضـاً : ويجب أن يكون جانباه مسيفين ، والتسيف أن يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله ، فيحسن جري المداد من القلم ، قال : وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته . فأما الصـلب الشـحمة فينبغي أن ينحت وجهه فقط ، ثم يجعل مسـطحاً ، وعرضـه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه ؛ وأما الرخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمته حتى تنتهي إلى الموضـع الصـلب من جرم القلم ، لأنك أن كتبت بشـحمته تشظى القلم ، ولم يصـف جريانه**))[1] .

ويقول أيضاً ابن البربري : ((**لا تقطع البراية ، ولا تخالف بين حدي القلم ، فإن ذلك حياكة ، وإذا كان كذلك يكون القلم أحول**)) ، ويضـيف أيضـاً ثم الجلفة على إنحاء منها : ((**أن يرهف جانبي البرية ، ويسمن وسطها شيئا يسيراً** ...))[2] .

وهناك مسميات وصفات للقطِّ عرفت عند كثير من الكُتَّاب يستخدمونها في بري أقلامهم منها المحرّف ، والمسـتوي ، والقائم والمصـوب ، وأجودها عندهم المحرفَّة المعتدلة التحريف وأفسـدها المستوي ، لأنه أقل من المحرَّف تصرفاً[3] .

مع القطات أوجدوا أدوات للقطِّ أطلقوا عليها اسم (المقط) فراعوا فيها بعض المواصـفات التي تنسجم مع مادة القلم وشكل القطِّ أو البري[4] ، يقول ابن مقلة في هذا الصدد : ((**إذا قططت القلم**

---

(1) ابن مقلة : أبو علي محمد بن الحسـين (ت 328هـ/939م) رسـالة في علم الخط والقلم ، (مخطوط) ، القاهرة ، دار الكتب ،18 تعليم تيمور ، ص2 . وأيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/489-490 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/490 .

(3) الزبيدي : حكمة الإشـراق ، ص57 . يقال أهل القط : القطع قططت القلم أقطه قطاً فأنا قاط ، وهو مقطوط وقطيط : إذا قطعت سنّه . ابن منظور : لسان العرب ، 7/380 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/492 .

(4) خيرالله سـعيد : ورّاقو بغداد ، ص70 . ويقول ابن منظور أن المقط : مايقط عليه القلم : لسـان العرب ، 7/380 . أما الصـولي فيقول المقط : الموضع الذي يقط من رأس القلم . أدب الكُتّاب ، ص109 . ابن درستويه : الكتاب ، ص95 .

فلا تقطه إلا على مقط أملس صلب ، غير مثلم ولا خشن ، لئلا يتشظى القلم ، واستحد السكين حداً ، ولتكن ماضية جداً ، فإنها إذا كانت كالّة جاء رديئاً مضطرباً ، واضجع السكين قليلاً إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصباً)) وعلى المقط يعلق ابن العفيف بالقول : ((**يتعين أن يكون من عود صلب كالانبوس والعاج ، ويكون مسطح الوجه الذي يقط عليه ، ولا يكون مستديراً))** [(1)] .

ومن شدة اهتمام العرب المسلمين بالقلم وضعوا للمسكة والبرية قواعداً ، وكذلك لشقه حيث يقول ابن مقلة : ((**لو كان القلم مشقوق ما استمرت به الأنامل ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولكثر الاستمداد ، وعدم المشق ، ولمال المداد إلى أحد جانبي القلم على قدر فتل الكاتب له**))[(2)] . أي أن الشق ميزان للمدد ، وقد رأى الكُتَّاب في صفة هذا الشق أن يكون هناك تناسب في قدرة وطوله ، حسب نوعية القصب المستخدم[(3)] .

حيث يضيف ابن مقلة : ((**ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه إلى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها . والمعنى فيه أنه إذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة ، وفسد الخط حينئذ . وإذا كان كذلك أمن من ذلك ، وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه إلى آخر الفتحة ، وربما زاد على ذلك بمقدار إفراطه في الصلابة**)) ، وهكذا لجأ بعض الكُتَّاب إلى إدراك أهمية شق القلم ، فقد نظم علاء الدين السرمري أرجوزة في صفة الأقلام حيث يقول :

واعلم بأن الشق أيضاً يختلف	**بحسب الأقلام فافهم ما أصف**
فإن يكن معتدلاً شق إلى والرخو	**مقدار ثلث الجلفة انقل واقبلا**
للنصف والثلثين زد وربما زادوا على	**والصلب بالفتحة ألحق تستفد أفرط**
ذاك إذا	**في الصلابة اعرف ذا وذا**

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 497/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص58–59 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 490/2 .

(3) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص71 .

وأشـار ابن مقلة أنه لابد أن يكون الشـق متوسـطاً بجلفة القلم ، في حين يضـيف ابن البواب ويقول : ((**وليكن غلظ السـنين جميعاً سـواء ، قال : ويجوز أن يكون الأيمن أغلظ من الأيسـر دون العكس على كل حال ؛ وهذا إنما إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين إلى جهة اليســار ، أما إذا كانت آخذة من جهة اليســـار إلى جهة اليمين كالقبطية فإنه يكون بالعكس من ذلك لأنه يقوي الاعتماد على اليسار دون اليمين**))[1] .

ولمعرفة ما تحتاج إليه البراية فإن كثير من الكُتّاب والخطّاطين وقفوا على صـــفات القلم فيما يتعلق بها ، وما لكل من سـنّي القلم من الحروف ، وأعطوا أسـماء لصـفات وأوجه كل جانب أو حافة القلم ، كي تدرك أثناء القط . لأنه على أســاســها يفهم نوع البري[2] ، في حين يقول ابن العفيف : ((**من لم يدر وجه القلم ، وصدره وعرضـه ، فليس من الكتابة في شـيء**)) وقد فسر ابن مقلة فقال : ((**أعلم أن للقلم وجهاً وصـدراً وعرضـاً ؛ فأما وجهه فحيث تضـع السـكين وأنت تريد قطَّه ، وهو ما يلي لحمة القلم ؛ وأما صـدره فهو ما يلي قشـرته ؛ وأما عرضـه فهو نزولك فيه على تحريفه . قال : وحرف القلم وهو السن العليا وهي اليمنى**)) [3] .

لقد بيَّن علي بن الأزهر أنواع الأقلام وصفاتها في رسالة بعث بها إلى صديق يطلب منه أقلاماً يقول فيها : ((**الأقلام الصـــحرية أســـرع في الكواغد ، وأمر في الجلود ؛ كما أن البحرية منها أســلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأشــد لتصــرف الخط فيها ؛ ويقول في الأقلام الجيدة هي : الشـديدة الصـلبة ، النقية الجلود ، القليلة الشـحوم ، الكثيرة اللحوم ، الضـيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ، فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد عن الجفاء ، الرقاق القضـــبان ، المقومات المتون ، الملس المعاقد ، الصـــافية القشـــور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المسـتحكمة يبسـاً ، وهي قائمة على أصـولها لم تعجل عن إبّان ينعها ، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من برد الشتاء..........**))[4] .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ،491/2.

(2) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص71 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 493/2 .

(4) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 189/4–190 . القلقشـندي : صـبح الأعشـى ، 480/2–481 . ونسـب الصـولي : أدب الكُتّاب ، ص64–65 . هذه الرسالة إلى عبدالله بن طاهر أرسلها إلى إسحاق بن إبراهيم والي بغداد في القرن الثالث ورد في صبح الأعشى (الأقلام الصخرية) ، ص 480. وفي أدب الكُتّاب : (الأقلام القصبية) ، ص 64 .

يقول ابن مقلة في صفة القلم : ((**خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه ، ونشف ماؤه في قشره ، وقطع بعد إلقاء بزره ، وبعد أن اصفر لحاؤه ورقّ شجره ، وصلب شحمه ، وثقل حجمه**))[1].

وهناك آلات تندرج في عملية قط الأقلام منها :

أ ـــ **السكين أو المُدْيَةُ** : سميت (**مُدْية**) أخذاً من مدى الأجل وهو آخره ، وسميت سكيناً لأنها تسكن حركة الحيوان بالموت ونصاب السكين أصلها[2].

وقد ارتبطت السكين بأدوات الكتابة ، وهي الظل للقلم دائماً ، فهي التي تشحذه وترهفه ، لذلك سَّموها (**مسن الأقلام**) فقد قال بعض الكُتَّاب : ((**هي مِسن الأقلام ، تستحد بها إذا كلت وتطلق بها إذا وقفت وتلُمّها إذا تشعثت ، فتجب المبالغة في سقيها وإحدادها ليتمكن من البري ، فيصفو جوهر القلم ، ولا تتشظى قطّته ، وينبغي ألا يستعملها في غير البراية لئلا تكل وتفسد**))[3] .

لقد أشار محمد بن عمر المدائني إلى وصف السكين حيث يقول : ((**ينبغي أن تكون لطيفة القدّ ، معتدلة الحدّ ، فقد كره المبالغة في سقيها ، لتمكن الباري من بريها . ولا عيب في حملها في الكم والخفّ ...**)) [4] .

والحقيقة أن المؤلفين قد أطنبوا في وصف السكين واعتبارها إحدى الأساسيات في أدوات الكتابة ، وبها يكمل القلم مهمته ، وقد أحسن أحد الكُتّاب في وصفها شعراً فقال على لسانها:[5]

أنا إن شئت عدةٌ لعدوٍ أنا في	**حين يخشى على النفوس الحمام**
السلم خادمٌ لدواةٍ	**وبحدي تقوّم الأقلام**

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 484/2 .

(2) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص116–117 . البطليوسي : الاقتضاب ، ص90 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 495/2–496 . ابن منظور : لسان العرب ، 211/13–212 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص73–74 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 496/2 .

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 497/2 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 497/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص76 .

ب- **المقلمة :** وهي المكان الذي يوضع فيه الأقلام ، وعدها البعض منهم من أدوات الكتابة فيما أعرض البعض عن ذلك[1] .

لقد استنبط الكُتَّاب عدة عمليات فنية ، تشير إلى التفكير الدائم بتطوير أداة الكتابة الرئيسة (**القلم**) ، ولم تكن حصــراً وحكراً على كُتَّاب الدولة العباسـية في بغداد ، إنما كانت مشــتركة عند أمراء وكُتّاب الممالك الإسلامية الأخرى[2].

2- **الدواة والمحبرة :**

يقال : دواة ودويات في أدنى العدد ، وفي الكثير دويّ ودوي ، بضــم الدال وكســرها[3]، والدواة هذه المتخذة لمدة القلم في الكتابة[4]. أوّل بعض المفسرين قوله تعالى : (**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**) بأن النون هي الدواة[5] ، وقد وصـفت بأنها أم آلات الكتابة ، وسـمطها الجامع لها ، حتى أن ابن سـابور يقول : ((**مثل الكاتب بغير دواة كمثل من يسير إلى الهيجاء بغير سلاح**)) [6] .

والدواة : الآنية التي يجعل فيها الحبر ، من خزف كان أو من قوارير [7] ، وقد عرفت الدواة منذ عرف العرب المداد واســتعملوه منذ القديم ، ولذلك ورد ذكر الدواة عند الجاهليين في شــعرهم من ذلك قول سلامة بن جندل [8] :

لمن طللٌ مثل الكتاب المنمق	**خلا عهده بين الصّليب فمطرق**
أكبَّ عليه كاتب بدواته	**وحادثه في العين جِدّة مهرق**

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 495/2 .
(2) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص78 .
(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 470/2 .
(4) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص78 .
(5) الزمخشري : الكشاف ، 126/4 .
(6) ابن درستويه : الكُتّاب ، ص94-95 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 470/2 .
(7) ابن منظور : لسان العرب ، 278/14-279 .
(8) ديوان سلامة بن جندل ، ص155-156 .

لقد كان للدواة أهمية بالغة عند الكُتَّاب والوراقين ودواوين الوزارة ، فقد اتخذت صـــــناعتها من أصـناف معينة من الخشـب مثل الأبنوس ، والصـندل ، وكذلك من المعدن كالنحاس والحديد ، أو من الفخار ، وقد تصنع من الزجاج حيث يقول الشاعر[1] :

يـتـجـاذبـون الـحـبـر مـن مـلـمـومـةٍ بـيـضــــاء تـحـمـلـهـا عـلائـق أربـعُ

من خـالص البلـور غيَّر لونـها فكـأنّهـا سبـج يـلـوح ويـلـمـع

لقد مال كثير من الكُتَّاب إلى تحليت الدواة وزركشـــتها بالحلي كالذهب والفضـــة وغيرها من المعادن ، وفي ذلك يقول الحسن بن وهب : ((**سبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون ويمكن أن تحلّى به الدويّ في وثاقة ولطف ، ليأمن من أن تنكسراو تنقصم في مجلسة ، وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات فيها ليأمن من مسارعة القذى والدنس إليها . ولا يكون عليها نقش ولا صورة**)) [2] .

وكان لحجم الدواة أثر في اختيارها بالنســـبة للكاتب أكثر من غيره كالوزراء وكُتّاب الدواوين ، فلقد أشـار الصـولي إلى ذلك بقوله : ((**إن حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها ، نصفا في قدّها ، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها ، ولا بالكبيرة فيثقل حملها . لأن الكاتب – ولو كان وزيراً له مائة غلام مرسومون بحمل دواته – مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيســه ، حيث لا يحســن أن يتولى ذلك غيره ، ولا يتحملها عنه ســواه . وأن يكون عليها من الحلية أخف ما يتهيأ أن يتحلى الدوي به ...**)) [3] .

---

(1) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص92. القلقشندي : صبح الأعشى ، 471/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص83 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص293 . لقد كان النحاس أكثر استعمالاً ، والفولاذ أقل لعزته ونفاسته ، ولكنه كان يخصص بأعلى درجات الرياسة كالوزارة وما ضاهاها . أما محابر الخشب فقد بطل استعمالها إلا الأبنوس والصندل الأحمر . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص84 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 471/2 .

(3) أدب الكُتّاب ، ص93 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص85 .

ويشــير الفضـــل من حيث طولها فيقول : « يكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فُويق ذلك قليلاً لتكون مناســبة بمقدار القلم » القلقشندي : صبح الأعشى ، 471/2–472 .

وينبغي للكاتب أن يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصـونها [1] ، يقول المدائني في ذلك[2] :

جوّد دواتك واجتهد في صونها أن الـدويّ خـزائـن الآداب

وكان بعض الكُتَّاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من طيب نفسـه ، فسـئل عن ذلك ؟ فقال : لأنّا نكتب به اسم الله تعالى واسم نبيّهρ واسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه [3] . ويقول القلقشندي في اختلاف مقاصـد أهل الزمان في هيئة الدواة : من التدوير والتربيع . ((**فأما كُتَّاب الإنشـاء فأنهم يتخذونها مستطيلة مدوّرة الرأسين ، لطيفة القدّ ، طلباً للخفة ، ... ، وأما كُتَّاب الأموال ، فإنهم يتخذونها مسـتطيلة مربعة الزوايا ، ليجعلوا في باطن غطائها ما اسـتخفوه مما يحتاجون إليه من ورق الحساب الديوانيّ المناسب لهذه الدواة في القطع**)) [4].

أما المحبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها كما يقول القلقشـندي ، فمنهم من رجّحها ومالوا إلى اتخاذها لخفة حملها ، وقالوا : بها يكتب القرآن والحديث والعلم .

وكرهها بعضـهم واسـتقبحها من حيث أنها آلة النسـخ الذي هو من أشـد الحرف وأتعبها وأقلّها مكسباً[5] .

يروي شـعبة بن الحجاج (ت 160هـ/776م) – أحد رجالات الحديث – رأى في يد رجل محبرة ، فقال: ((**إرم بها فإنها مشئومة لا يبقى معها أهل ولا ولد ، ولا أم ولا أب**)) [6] .

إن اتخاذ المحابر صـار في العصـور الإسـلامية أمراً ميسوراً كاتخاذ الأقلام والقراطيس وكانت مجالس العلم تحفل بكثرة المحابر ، حتى ليعرف عدد الكاتبين وطلاب العلم من عدد المحابر في ذلك المجلس وهناك روايات في هذا الصـدد تدل على كثرة طلاب العلم والكاتبين ، فيقال : إن مجلس أبي مسـلم الكجي (ت 292هـ/904م) ، أحصـيت فيه محابر الحاضـرين فبلغت أكثر من

---

(1) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص86 .
(2) القلقشندي : صبح الأعشى 472/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص45-46 .
(3) صبح الأعشى ، 499/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص47 .
(4) القلقشندي : صبح الأعشى 472/2 . والمحبرة : هي الأداة التي تقوم بحفظ مادة الحبر . نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة ، ص132.
(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 472/2 .
(6) القلقشندي : صبح الأعشى ، 472/2-473 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص86 .

أربعين ألف محبرة[1] . على الرغم مما في هذا الرقم من مبالغة كثيرة ، إذ لا يعقل أن يصـــل صوت الشيخ إلى هذا العدد الغفير ، فإن في الرواية دلالة على كثرة الكاتبين وطلبة العلم [2] .

لم يترك القدامى ناحية من نواحي الكتابة إلا أشـبعوها بحثاً ودرسـاً وتفكيراً ، حتى أنهم ذكروا الأصول الصحيحة التي يتبعها الكاتب في وضع القلم في الدواة لإمداده بالحبر[3] ، فقالوا : ((**أما الاستمداد**[4] **فهو أصل عظيم من أصول الكتابة**)) ؛ وقد قال المقر العلائي : ((**من لم يحسن الاستمداد وبري القلم فليس من الكتابة في شيء**)) . وقال عماد الدين بن العفيف : ((**إذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستمداد ، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب ، ويحرك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبتة من الأصابع ، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبه الأصابع في كل مدة . قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط**)) . وقال المقر العلائي أيضـاً : ((**ينبغي للكاتب ألاّ يكثر الاستمداد بل يمد مدّاً معتدلاً ، ولا يحرك الليقة من مكانها، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكُتّاب ، ولا يرد القلم إلى الليقه حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة كثيراً ، بل إلى حد شقه ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ، ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكُتَّاب**))[5].

ويلحق بالدواة الآت فرعية تكمل عملها ، فقد كان المسلمون يستخدمونها متصلة بها ، ولكنهم كانوا يلجأون إلى استخدامها منفصلة لخفة وزنها[6] . وهذه الآت هي :

أ- الجوْنة : يعرفها القلقشندي بأنها الظرف الذي فيه الليقة والحبر[7] ، وقد تنبه العرب إلى أن

---

(1) الخطيب: تاريخ ، 122/6 .
(2) الجبوري : الخط والكتابة ، ص294-295 .
(3) الجبوري : الخط والكتابة ، ص294-295 .
(4) الاستمداد : هو أخذ المداد أو الحبر من الدواة . الفيومي : المصباح المنير ، ص 216 .
(5) القلقشندي : صبح الأعشى، 42/3-43 .
(6) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص91 .
(7) صبح الأعشى ، 498/2 .

الشكل المربع يتكاثف المداد في زواياه فيفسد ، ولذلك فقد أوصوا باتخاذ أشكال مستديرة[1] .

ب- الليقة : هي الصوفة في المداد ، وتسميها العرب الكُرْسُفَ تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه في بعض الأحوال ، وتكون الليقة من الصـــوف والحرير والقطن ، والأولى أن تكون من الحرير الخشن ، لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة [2] .

لقد نوّه كثير من أصحاب الكتابة على عملية تعهد الليقة والكرسف بالملح والكافور، وإن تغيّر في كل يومين أو ثلاثة وإذا أغفل ذلك فربما اســتكرهت الرائحة ، وظهر من نتنها ما يخجل له[3] ، وهذه المسألة – أي نتن الدواة – كثيراً ما كانت تأتي باللوم والشؤم على صاحبها ، وربما تعرّض للفصل والإقصاء من وظيفته[4] ، ومن الملاحظ أن كبار الكُتَّاب من المتقدمين ركّزوا على الاهتمام بالليقة ، وتشـــددوا في ذلك كثيراً ، فلقد ربط بعض الكُتَّاب جودة الكتابة والكاتب مع جودة التفقد للدواة ، واعتبروها جزءاً من الظرف وقد قال قائلهم[5]:

مُتظرَّفٌ شهدت عليه دواته　　　أن الفتى لا كان غير ظريف　　موصوفة

إن التفقد للدواة فضيلة　　　للكاتب الموصوف

لقد وضـــع كثير من الكُتَّاب قواعد تتبع بخصـــوص الدواة والليقة[6] ، فمن ذلك ما قاله علاء الدين السرمري : ((**يتعين على الكاتب تجديد الليقة في كل شهر ، وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة لأجل ما يقع فيها من التراب ونحوه ، فيفســـد الخط**)) ونظم في ذلك أرجوزته فقال[7] :

وجدد الليقة كل شهرِ　　لأجل　　فشيخنا كان بهذا يغري　　فينتشي

ما يقع فيها من قذى　　　من ذاك في الخط أذى

---

(1) صبح الأعشى ، 498/2 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص 292 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص91 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، ص 293 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص 293 .

(3) أدب الكُتّاب ، ص99. خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص92 .

(4) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص92 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 499/2 .

(6) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص94 .

(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، 499/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص47 .

جـ – الملواق : بكسر الميم هو عود من الخشب ، يشبه مرود المكحلة ، اشتق من الفعل لوق وسمي بهذا الاسم ، لأن به تلاق الدواة ، وأحسن ما يكون من الأبنوس ، لكي لا يغيّره لون المداد ويكون مستديرا ًمخروطاً ، عريض الرأس ثخينه ويسمى أيضاً((**محراك الدواة**)) [1] .

د– المرفع : يعرفّه الصولي بقوله : ضرب من الكبر ، وفضيلة في الآلة ، وترفه مفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل ، والصبر عليه ، والتجرد له . وما يسرع إليه إلاّ كلّ ذي نخوة ورياسة محدثة . وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات .

ويكاد ينحصر استخدامه عند الكُتّاب المترفين ، وخدمة السلطان وذوي الجاه ، ويشرح الصولي بعض مواصفاته واستخداماته فيقول : ((**فأما مجالس الرياسة والجّد في الأعمال فلا موقع له فيها . قال أحمد بن إسماعيل : قلّما رأيت سيداً رئيساً يجعل بين دواته وبين الأرض مرفعاً في مجالس رياسته . وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد من الدواة على الأرض ، فيغنم رفعها إلى يده بهذه الآلة وتقريب متناولها ، فهو عما سوى ذلك من تمشية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز . وعلى ما يبدو أن هذه الآلة ، لم يستسغها الكُتَّاب في عملهم ، لذلك كثر فيها القول والهجاء ، وتندروا على مستخدميها**)) ،وقد هُجي بعض الكُتَّاب بذلك فقيل [2] :

إني بليت بجاهلٍ متغافلٍ	**حاز**	**متكلِّف في فعله متصنِّع**
الكتابة فضّض مرفعاً		**وجرت أنامله بخط مسرع**

وقيل لبعض الرؤساء وقد جعل دواته على مرفع : ((**ما كل الأجلاء تفعل هذا ؟ فقال : من جلس على فرش تعليه قليلاً بعدت عليه مسافة الاستمداد ، فأما من كان على حصير أو سماط فلا عذر له فيه**)) [3] .

هـ – المرْمَلَة أو المِتْرَبَة : وهو الاسم القديم لها . حيث جعلت آلة للتراب ، إذا كان هو الذي يترب به الكتب ، والمرملة تشتمل على شيئين : الأول : الظرف الذي يجعل فيه الرمل ، وهو المسمى بذلك ، ويكون من جنس الدواة ، خشباً أو نحاساً ونحوهما ، ومحلها من

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 508/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص48–49 .

(2) أدب الكُتّاب ، ص110–111. خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص97 .

(3) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص97 . نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133 .

الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة مما يقابل المنشـــاة الآتي ذكرها يكون في فمها شـباك يمنع من وصـول الرمل الخشـن إلى باطنها ، وربما اتخذت مرملة أخرى أكبر من ذلك تكون في باطن الدواة لاحتمال أن تضـــيق تلك عن الكفاية لصـــغرها. أما أرباب الرياســـة من الوزراء والأمراء ونحوهم فكانوا يتخذون المرملة الكبيرة وتكون في الغالب من جنس الدواة من نحاس أو خشـب ونحوه . والقسـم الثاني من المرملة يسـمى : الرمل ، وقد اختار الكُتَّاب لذلك الرمل الأحمر دون غيره ، لأنه يكسـو الخط الأسـود من البهجة مالا يكسوه غيره من أصناف الرمل ، وخيره ما كان دقيقاً [1] .

و– المنشـــأة : وهي آلة تتخذ لمزج النشاء ببعض المواد الأخرى ، وقيل أيضاً هي مكان حفظ اللصـاق المسـتخدم في تثبيت الحبر على الكتب قال عنها القلقشـندي : تشـتمل على شـيئين الأول : الظرف – وحاله كحال المرملة في الهيئة والمحل من الدواة من جهة الغطاء إلاّ أنه لا شبّاك في فمه ليتوصل إلى اللصـاق ، وربما اتخذ بعض ظرفاء الكُتّاب منشأة أخرى غير التي في صدر الدواة من رصاص على هيئة حق لطيف ويجعلها في باطن الدواة كالمرملة المتوسطة ، فإن اللصاق بها قد يتغير بمكثه فالنحاس بخلاف الرصاص .

الثاني : ويسـمى اللصـــاق : وهو على نوعين : أحدهما النشـــا المتخذ من البرّ ، وطريقته أن يطبخ على النار كما يطبخ للقماش ، إلاّ أنه يكون أشـد منه ، ثم يجعل في المنشـــأة ، وهو الذي يستعمله كُتَّاب الإنشاء ، ولا يعولون على غيره ، لسرعة اللصـاق به ، وموافقة لونه للورق في نصاعة البياض – والثاني : المتخذ من الكثيراء ، وهو أن تُبَّل الكثيراء بالماء حتى تصير في قوام اللصـاق ، ثم تجعل في المنشأة ، وهو سريع التغيّر إلى الخضـرة ولا يسرع اللصـاق به ، ورأوا أن يستعمل في اللصاق في الجملة الماء ورد والكافور لتطييب رائحته[2] .

---

(1) القلقشـندي : صـبح الأعشـى ، 508/2 –510 .. خيرالله سـعيد : ورّاقو بغداد ، ص99 . نضـال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133.

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 509/2 –510 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص99 .

ز- المِلْزَمَةُ : وهي آلة تتخذ من النحاس ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ، ويحبس بمحبس على الدفتين ، كذلك قيل أن الملزمة : هي الآلة التي تمسك رأس الورق[1] .

حـ - المِفْرَشَـةُ : وهي آلة تتخذ من خرق كتان بطانة وظهارة أو من صـوف ونحوه ، تفرش تحت الأقلام وما في معناها مما يكون في بطن الدواة[2] .

ط- المِمْسَـحَة : وتسـمى الدفتر أيضـاً ، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صـوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش ، يمسـح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسـد ؛ وتكون مدوّرة مخرومة من وسـطها ، وربما كانت مسـتطيلة ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة[3] .

ي – المسقاة : وهي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة . ويطلق عليها أحياناً اسم الماوردية لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ماء ورد لتطييب رائحتها ، وأيضـاً فإن المياه المسـتخرجة كماء الورد والريحان ونحو ذلك لا تحُلّ الحبر ولا تفسـده بخلاف الماء وتتخذ هذه الآلـة . كما يقول القلقشـندي من الحلزون في الغالب والذي يخرج من البحر المالح ، وربما صـنعت من النحاس ونحوه ، والمعنى فيها أن لا تخرج المحبرة من مكانها ، ولا يصـب من إناء واسع الفم كالكوز ونحوه ، فربما زاد الصب على قدر الحاجة[4] .

ك- المِسطرة : وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطّر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها ؛ وتستخدم لإصلاح سطور الكتاب من الاعوجاج[5] .

ل- المِصْقَلَة : وهي التي يصقل بها الذهب بعد الكتابة ، وهي من الآلات الأساسية للخطاطين[6] .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 510/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص99-100 .
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 510/2 . نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133.
(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 510/2-511 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص100 .
(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 511/2 . نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133.
(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 511/2 . نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133.
(6) القلقشندي : صبح الأعشى ، 511/2 -512 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص101 .

م- المِنفـــــذ : وهي آلة تســتخدم لخرم الورق وينبغي أن يكون محل الحاجة منها متســاوياً في الدقة والغلظ أعلاه وأسفله سواء ، لئلا تختلف أثقاب الورق في الضيق والسعة [1] .

ن- المِسَـــنّ : وهي آلة تتخذ لإحداد الســكين ؛ هي نوعان : أكهب اللون ويســـمى الرومي ، وأخضـــر وهو على نوعين : حجازي ، وقوصـــــي ، والرومي أجودها ، والحجازي أجوده الأخضر [2] .

3- المداد والحبر :

المداد في الأصل : كل شيء يمدّ به، ثم كثر الاستعمال لما تمد به الدواة فغلب كل شيء غيره فإذا قيل : مداد لم يعرف غيره[3] ، وقد سُمي المداد مداداً لأنه يمدُّ القلم ويعينه بالاستمداد ، كما سُمي الزيت مداد السراج يُمدّ به ، وكل شـيء يمد به الليقة مما يكتب به فهو مداد ، والمداد في قوله تعالى : (**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي**) [4] هو المداد لا من الإمداد ، وقيل المداد النِّقس وما يكتب به[5] . ويقال للحبر والنِّقس وغيره من الأصـــباغ التي يكتب بها مداداً ذلك لأنها تمد القلم أي تعينه على الكتابة[6] .

أما الحبر فأصله اللون ، وأثر المداد في القرطاس ، وسُمي المداد الحبر ، قال الصولي : ((**وإنما سُـــمي الحبر حبراً لتحســـنه الخط من قولهم حبرت الشـــيء تحبيراً ، وحبرته حبراً زينته وحسّنته والاسم الحبر))** ، **وقيل : ((الحبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشـيء كأنه أثر الكتابة))** [7] .

وقد عرف الجاهليون المداد وكتبوا به وذكروه في شـعرهم ، من ذلك قول عبدالله بن عنمة ذاكراً المداد والدواة[8] :

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 510/2 نضال عبدالعالي : أدوات الكتابة وموادها ، ص133.
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 512/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص101 .
(3) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص100 . الجبوري : الخط والكتابة ، ص 290 .
(4) سورة الكهف الآية 109 .
(5) ابن منظور : لسان العرب ، 398/3 .
(6) ابن درستويه : الكتاب ، ص96 .
(7) أدب الكُتّاب ، ص102. خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص104 .
(8) ابن الضبي : المفضليات ، ص743 .

فلم يَبْقَ إلاّ دِمْنَـةٌ ومنـازلٌ كما رُدّ فـي خطّ الدواة مـدادها

وجاء النّقس في شعر أحد الشعراء الجاهليين حيث يقول[1] :

لمـنْ الديـارُ بجانب الحُبْسِ كخـطّ ذي الـحاجاتِ بالنقُس

والحبر مادة أساسية في عمل الكُتّاب والورّاقين ، وأرباب الرياسة والسياسية[2] ، واصطلاح الحبر ، يرادف المداد ، فقد جاء في اللسـان : الحبر : الذي يكتب به وموضـعه المحبرة ، بالكسـر ، والحبر هو الظل الملازم للدواة وعدة الكتابة ، وبها يتصـل كاتصـال التوريق بالكتابة والورّاقين بالكتاب،ويقول الصـولي:((**وبالحبر تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه**)) [3] قال بعض الحكماء : صورة المداد في الأبصار سوداء وفي البصائر بيضاء ومن هنا اختير اللون الأسود ، وفضّل على بقية الألوان ، وتدرجوا في تلاوينه فيقال: أسود قاتم ، وهو أول درجة السواد، وحالك وحانك وحلكوك ، وحُلبوب ، وداجٍ ، ودجوجيّ ، وديجور ، وأدهم ، ومدهام [4] .

لقد بلغ الحبر أهمية بالغة عند كثير من الأدباء والكُتّاب ، فأصبحوا لا يخجلون من وجود آثار الحبر على ملابسهم وأيديهم وقراطيسهم ، فقد قال بعضهم : عطروا دفاتر الآداب بسواد الحبر . وكان في حجر إبراهيم بن العباس قرطاس يمشق فيه كلاماً فأسقط فمسحه بكمّه ، فقيل له : لو مسحته بغيره ؟ فقال : المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحق بالصون من الفرع وأنشد في ذلك [5] :

إنَّما الزَّعفرانُ عطر العذارى ومداد الدويّ عِطْرُ الرِّجالِ

وهكذا فإن وجود الحبر على ثياب الكاتب صـفة يتباهى بها الكثير من الكُتَّاب والورّاقين قال أحدهم :

من كان يُعْجبه أن مسَّ عارضهُ فإن مِسْكٌ يطيب منه الريح والنّسما

مِسْكي مدادٌ فوق أنمُلتي إذا الأصابع يوماً مست القلما

---

(1) الجبوري : الخط والكتابة ، ص290 .

(2) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص104 .

(3) أدب الكُتّاب ، ص101-102 .

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 502/2-503 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 502/2.

على أن بعضهم قد أنكروا ذلك وقال : المداد في ثوب الكاتب سخافة ودناءة منه وقلة نظافة ، وقال أبو العالية : تعلمت القرآن والكتابة وما شعر بي أهلي ، وما رؤي في ثوبي مداد قط ، وأنشدوا[1] :

دخيلٌ في الكتابة يدَّعيها كدعوى آل حَرب في زياد

يُشبَّه ثَوْبُهُ للمحو فيه إذا أبصرَته ثَوْبَ الحدَاد فدع

عنك الكتابة لست منها ولو لطخت وجهك بالمداد

لقد دأب الكُتَّاب والورّاقون على التهادي بالحبر ، ولا سيما إذا كان قد علق بكبار الكُتّاب ، أو الذين اتخذوا الكتابة مهنة . قال بعضهم[2] :

وإذا نمنمت بنانك خطا معرباً عن إصابة وسداد يجتني

عجب الناس من بياض معان من سواد ذاك المداد

حتى قالوا : ((**المداد خضاب الرجال**)) يثبتون حاله التعايش معه وارتباطه بحياتهم الابداعية والمعايشة وفي هذا الأمر قد قال بعضهم[3] :

إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ وأداه الضمير إلى العيان

رأيت حلى البنان منورات تضاحك بينها صور المعاني

لقد أطنب الكثير ممن تحدث عن الحبر وفضائله فمن ذلك ما قاله فارس بن حاتم : ((**ببريق الحبر تهتدي العقول لخبايا الحكم ، لأنه أبقى على الدهر ، وأنمى للذكر ، وأزيد للأجر**)) [4].

صناعة الحبر وأنواعه :

لبّت صناعة الحبر ما كان يحتاجه الكُتّاب وأصحاب الدواوين عن حاجات كانوا بأمس الحاجة إليها ، وقد استخدم الكُتّاب والورّاقون المواد المتيسرة في حياض بيئتهم من نبات ومعادن وغيرها ، وقد استطاعوا أن يجدوا لكل نوع من الأوراق أو الجلود أو الكاغد حبراً خاصاً به ، ودخل الماء

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ،502/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص106-107 .
(2) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص107 .
(3) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص99-100 .
(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/ 502 .

والنفط والعسل والملح والصمغ والعفص وغيرها من المواد في تركيبه ، إذ توصلوا إلى عدة طرق في صناعته[1] .

فيذكر القلقشندي المواد التي تدخل في صناعة الحبرقائلاً : ((**واعلم أن المواد لذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتدبير ، كالعفص**[2] **والزاج والصمغ ، وما أشبهها ، ومنها ما يحتاج إلى علاج وتدبير وهو الدّخان ، حيث يتوخى فيه أن يكون من شيء له دهنية ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل ، لأن دخان كل شيء مثله وراجع إليه**)) [3] .

وكان صنّاع الحبر الجيد يتكتمون في إفشاء طرق صناعته ، كي لا تسرق منهم ، وهو أمر معروف لديهم ، بغية الحفظ على الجودة والامتياز عند هؤلاء ، إلاّ أن الكُتّاب الحاذقين عرفوا كيف يتوصلون إلى هذا الاختراع[4] .

لقد تنبه كثير من الكُتَّاب إلى النباتات والغلاّت واستخرجوا منها الحبر ، وذلك عن طريق الدخان ، حيث قيل : إن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه وتُلقي عليه الماء ، وتأخذ ما يعلو فوقه ، وتجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح ، وتمدّه وتقطعه شوابير [5] .

وقد وصف ابن مقلة الحبر وهو المتخذ من سخام النفط ، وذكر كيفية صنعه فقال : ((**وأجود المداد ما اتُّخذ من سخام النفط ، وذلك يؤخذ منه ثلاث أرطال ، فيجاد نخله وتصفيته ، ثم يلقي في طنجير أي قدر أو صحن ، ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة عشر درهماً ، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً ، ومن العفص**

---

(1) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص110 .

(2) العفص : معروف يقع على الشجر والثمر ، والعفص الذي يتخذ منه الحبر ، وحمل شجرة البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً . ابن منظور : لسان العرب ، 7/ 54- 55. وهو مادة سوداء غنية بحامض التنيك ، إذا نقعت في الخل . الجبوري : الخط والكتابة ، ص291 .

(3) صبح الأعشى ، 503/2 .

(4) خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص111 .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 504/2 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص111 .

عشــرة دراهم ، ولا يزال يســاط على نار لينة حتى يثخن جرمه ، ويصــير في هيئة الطين ، ثم يترك في إناء ، ويرفع إلى وقت الحاجة)) [1] .

لقد اهتدى بعض الكُتَّاب إلى تصنيع أصناف مختلفة من الأحبار ، فالحبر الذي يناسب الكاغد – أي الورق – هو حبر الدخان ، وهو يصنع على الطريقة التالية : يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدّق جريشــاً ، وينقع في ســتة أرطال ماء مع قليل من الآس أســبوعاً ، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين ، ثم يصفى من مئزر ، ويترك ثلاثة أيام ، ثم يصفّى ثانياً ، ثم يضــاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصــمغ العربي ، ومن الزاج القبرصــي كذلك ، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة ، ولابدّله مع ذلك من الصبّر والعسل ، ليمتنع بالصبر وقوع الذباب فيه ، ويحفظ بالعسل على طول الزمن.

أما الحبر الذي يناســب الرق ، فأطلقوا عليه الحبر الرأس ولا يدخل الدخان فيه ، لذلك يجيء لماعاً برّاقاً ، وبه أضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه ، وهذا الحبر يفسد الكاغد ، وطريقة تحضــيره تتم على النحو التالي : يؤخذ من العفص الشــامي رطل واحد فيجرش ، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال ، ويجعل في طنجير ، ويوضــع على النار ، ويوقد تحته بنار ليّنة حتى ينضــج ، وعلامة نضــجه ، أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء لماعة ثم يلقى عليه الصــمغ العربي ثلاث أواق ومن الزاج أوقية ثم يصفّى ويودع في إناء جديد ، ويستعمل عند الحاجة[2] .

وهناك نوع آخر من الحبر ، أطلقوا عليه اسم حبر سفري يصاحبهم في حلهم وترحالهم ، يعمل على البارد من غير نار ، حيث يؤخذ العفص فيجرش جرشــاً جيداً ، ويســحق لكل أوقية عفص درهم واحد من الزاج ، ودرهم من الصــــمغ العربي ، ويلقى عليه ، ويرفع إلى وقت الحاجة ، فإذا احتيج إليه صبّ عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله[3] .

---

(1) ابن مقلة : رسالة في علم الخط والقلم ، ص1 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/505–506 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص113 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/505–506 . خيرالله سعيد : ورّاقو بغداد ، ص113 .

الحبر السري : فقد اكتشفه الفرق الإسلامية المعارضة للسلطة العباسية ، حيث أنهم وجدوا ((تضمين الأسرار في الكتب)) ، يقول ابن عبدربه في ذلك : ((**كان أبو حاتم سهل بن محمد**[1] ، **قد وصف لي منهما أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك ممكن لكل إنسان ، غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً فتكتب به في القرطاس ، فيذر المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس فيظهر ما كتبت ، ويضيف : وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمرّ عليه شيئاً من غبار الزاج ، وإن أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة**)) [2] .

وقد كان هناك حبر للمصاحف حيث قيل : يرضّ العفص على قدر الحمص ويصب عليه من الماء عشرة أمثاله ويوقد تحته نار لينة حتى يرجع إلى مثليه ، ويطرح عليه من الصمغ والزاج ويلقى عليه من زبد البحر مسحوقاً فإنه يمسكه ويسوّده ، فلا ينقط من القلم إذا استمده الكاتب ، وإن سحقته وألقيته في ماء العفص أمسكه لا يتكرج[3] .

---

(1) هو : سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني، من كبار العلماء باللغة والشعر، من أهل البصرة له نيف وثلاثون كتاباً ، توفي سنة 248هـ / 862م . الزركلي : الأعلام ، 143/3 .

(2) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 180/4 . ابن المدبر : الرسالة العذراء ، ص28-29 .

(3) عبداللطيف الرواي بمشاركة عبدالإله نبهان : رسالة في صناعة الكتابة ، ص791 .

الفصل الثانـي

العلاقات الإداريـة للكُتَّاب

وفيه ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: علاقة الكُتّاب بالخليفة .
- المبحث الثاني: علاقة الكُتّاب بالوزير.
- المبحث الثالث: علاقة الكُتّاب بالدواوين.

المبحث الأول

علاقـة الكُتَّـاب بالخليفـة

إن العلاقة بين الكُتَّاب والخليفة علاقة تحددها معالم الوظيفة الأساسية للكُتَّاب ، وهي : الكتابة بين يدي الخليفة وفي حضـــرته ، فالعلاقة الوثيقة بينهما تبرهن عن مدى أهمية الكتابة كوظيفة سياسية لها مساس بالخليفة .

وكان النبي ρ يستشير بعض المقربين إليه من الصحابة ويأخذ بآرائهم في كثير من الأمور العامة والخاصة . فقد استعان عليه الصلاة والسلام بكبار الصحابة في قضاء شؤون الدولة ، وكان يتخذ له كُتَّاباً يدونون ما تقتضيه الحاجة إلى ذلك ولم يسمُّوا وزراء وكان لكل منهم اختصاص يقوم به[1] .

فكان هناك كُتَّاب يكتبون آيات القرآن الكريم ، عُرفوا بكُتَّاب الوحي[2] . كما كان له كُتَّاب على رسائله ρ إلى الملوك في عصره[3] ، وكُتَّاب على رسائله إلى الناس والعمّال. وكُتَّاب للإقطاع [4] ، وكُتَّاب للمغانم [5] ، وكُتَّاب على أموال الصـــدقات وخرص النخيل وكُتَّاب على المداينات والمعاملات[6]، وكُتَّاب للعهود والصـــلح[7] ، وكُتَّاب لســره ρ [8]، وكُتَّاب يكتبون ما بين الناس ، وكُتَّاب يكتبون بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصـار بين الرجال والنساء[9] وأطلق على حنظلة بن الربيع ((**الكاتب**)) لأنه كان يخلف كل كاتب من كُتَّاب النبي ρ إذا غاب عن عمله ويضع عليه الصلاة والسلام عنده خاتمه[10].

---

(1) الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ط1 ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر والترجمة ، 1983م ، ص16 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ، ص458-459 . الطبري : تاريخ ، 179/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص12 ،13 . الخزاعي : الدلالات ، ص171-180 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،114/1-115 .

(3) الطبري : تاريخ ، 179/6 . الجهشياري : الوزراء ، ص12 . الخزاعي : الدلالات ، ص181 .

(4) البلاذري : فتوح البلدان ، ص458 . الخزاعي : الدلالات ، ص181 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،120/1-124 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص12 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص246 .

(6) القلقشندي : صبح الأعشى ،125/1 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،123/1 .

(7) الخزاعي : تخريج الدلالات ص185 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،124/1 .

(8) الكتاني : التراتيب الإدارية ، 119/1-120 .

(9) الجهشياري : الوزراء ، ص12 . الطبري : تاريخ ،179/6 . الكتاني : التراتيب الإدارية ،121/1 .

(10) البلاذري : فتوح البلدان ، ص459 . الجهشياري : الوزراء ، ص13 . الخزاعي : تخريج الدلالات ، ص166 . الكتاني : التراتيب الإدارية ، 120/1-118 .

وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، كان هناك كُتَّاباً للخلفاء يكتبون بين أيديهم ، كما كان الحال في عهد أبي بكر الصديق τ ، وكذلك في عهد عمر بن الخطاب τ الذي جعل أيضاً كُتَّاباً في الولايات يكتبون على الدواوين ، وكان لعثمان τ كُتَّاب بين يديه وآخرون على الدواوين في حضرته والآفاق ، كذلك كان لعلي τ كُتَّاب يكتبون بين يديه[1] ، وهكذا سار الخلفاء الراشدون على نهج النبي ρ في إدارة الدولة الإسلامية معتمدين في ذلك على مشورة كبار الصحابة[2] .

ولمّا تولّى بنو أمية الخلافة واتسعت الدولة الإسلامية ، احتاج الخلفاء إلى من يتولى التدبير وإبداء الرأي ، فاصطفوا أولي الرأي وقرّبوهم إليهم ، وأصبح هؤلاء يقومون بعمل الوزراء دون أن يتلقبوا بهذا اللقب ، وإنما أطلق عليهم لفظ كاتب ، وتعددت اختصاصات هؤلاء الكُتَّاب بتعدد المهام التي أسندت إليهم[3] ، في حين تلقّب بعضهم بألقاب الوزراء أمثال زياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان[4] ، وروح بن زنباع الجذامي في عهد عبدالملك بن مروان[5]وعبد الحميد الكاتب الذي قام مقام الوزير في عهد مروان بن محمد ، ولكن هذا اللقب الذي اتخذه هؤلاء لم يكن بنفس المعنى الذي عرف به وزراء العصر العباسي ، إنما كانوا مجرد كُتَّاب كبار قربهم الخلفاء واعتمدوا عليهم في المشورة والرأي وفي كثير من جلائل الأمور[6] .

ولم تعرف الوزارة كنظام إداري وجهاز من أجهزة الدولة اتضحت معالمه وتبينت حدوده ، وتحددت اختصاصاته ، إلا في العهد العباسي[7] .

---

(1) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص22 .

(2) الكروي : نظام الوزارة ، ص23 .

(3) الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة ، ص60 . الكروي : نظام الوزارة ، ص24 .

(4) الطبري: تاريخ ، 222/5 .

(5) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط7 ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1964م 441/1 .

(6) الكروي : نظام الوزارة ، ص24-25 . لقد جاء عند ابن كثير أن عبدالحميد الكاتب كان وزير لمروان بن محمد . البداية والنهاية 113/7 . غير أن د. أحمد علبي يقول : « أن ابن كثير قد أخطأ في إطلاق (صفة الوزير) على عبدالحميد الكاتب ، لأن هذا اللقب أول من عرف به وحمله في الإسلام السياسي هو أبو سلمة الخلال ، وزير السفاح ، وقد أورد ابن كثير في الصفحة التالية من موسوعته التاريخية أن أبا سلمة كان أوَّل من سمي بالوزير » 114/7 . وهي معلومة شائعة في مصادرنا الموثوقة . ولعل ابن كثير أورد القول عن عبدالحميد أنه كاتب مروان بن محمد ، باعتبار أن الكاتب الذي كان في مرتبة عبدالحميد ومكانته من مروان صار يُدعى الوزير مع حلول العهد العباسي ، وهذا الاختلاط بين الكاتب والوزير شائع التداول عند مصنفي العصور العباسية . الكتابة الديوانية في العصر الإسلامي ودور ابن المقفع ، مجلة الآداب ،العدد 1-3 ، 1985م ، ص30-31

(7) محمد عبدالله الشباني : نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1399هـ/1979م ، ص92 .

وقد جاءت الوزارة تطوراً طبيعياً لوظيفة الكاتب والمشير في الدولة الإسلامية لا سيما العصر الأموي ، في ذلك يقول ابن طباطبا (ت 709هـ/1309م) : ((**إن الوزارة لم تتمهد قواعدها ، وتتقرر قوانينها ، إلا في دولة بني العباس ، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار بذوي الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى وزير ، فلمّا ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة ، وسمي الوزير وزيراً ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً**)) [1] .

وتعتبر وظيفة الوزير امتداداً لوظيفة الكاتب والمشير في عصر الدولة الأموية ، وأن الكتابة وإبداء الرأي والمشورة هي أهمُّ الأعمال التي أسندت إلى الوزير في العصر العباسي ، فالوظيفة واحدة في العصرين وإن اختلف المسمى . مما يؤكد أن الوزراء كانوا كُتَّاباً بالدرجة الأولى و أن الخلفاء كانوا يختارون وزراءهم على أساس تقدُّمهم في مجال الكتابة[2] .

بل أن عبدربه يذكر جملة من الوزراء منذ عهد أبي العباس السفاح ، وحتى عهد الواثق ويشير بأنهم كانوا كُتّاباً للخلفاء[3] .

ويقول السخاوي (ت 902هـ/1496م) في ذلك : ((**أن الخلفاء العباسيين أول من استوزر الوزراء لأن بني أمية كانوا يفوضون أمر الأموال وجبايتها وتقسيطها إلى كُتّاَب البلاد من أمرائهم في النواحي .... وكان بنو أمية لا يستوزرون ، بل يتخذون أديباً من وجوه العرب ممن يرجع إليه في الرأي والتدبير**)) [4] .

ولا شك أن للوزير في العصر العباسي وظيفة أساسية هي الكتابة بين يدي الخليفة وهناك روايات تاريخية توضح مدى العلاقة بين وظيفة الكاتب في العصر الأموي ، ووظيفة الوزير في

والوزارة من أهم الوظائف الإدارية التي ظهرت رسمياً مع بداية قيام الدولة العباسية . الدينوري : أحمد بن داود (ت 282هـ/895م) الأخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، 1960م ، ص370 . الأزدي: أبو زكريا يزيد بن محمد (ت 334هـ/945م) تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1387هـ/1967م ، ص144 .

(1) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، حققه وضبطه وشرحه عبدالقادر محمد مايو ، ط1 ، حلب ، دار القلم ، 1418هـ/1997م ، ص150 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص33-34 ، 37-38 .

(3) العقد الفريد ، 165/4 .

(4) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403هـ/1983م ، ص97 .

العصـر العباسـي ، ومن ذلك ما قاله المسـعودي : ((**كانت ملوك بني أمية تنكر أن تخاطب كاتباً لها بالوزارة**)) ويضـيف في موطن آخر ((**استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً ، فلم يكن الخلفاء والملوك تسـتوزر إلا الكامل من كُتَّابها ، والأمين العفيف من خاصـتها ، والناصـح الصدوق من رجالها ، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها ، وتثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في أمورها**)) [1] .

وتذكر مصـادر أخرى أنه ((**لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني أمية ورداً من دولة السفاح بل كان كل من أعان الخلفاء على أمرهم يقال له وزير بمعنى أنه مؤازر له لا أنه متولي رتبة خاصة يجري لها قوانين وتنظم بها دواوين**)) [2] .

ومما هو جدير بالإشـارة إلى أن بعض المصـادر المتخصـصـة في تاريخ الوزراء والكُتَّاب يفهم من عناوينها ومضـامينها مدى الارتباط بين وظيفة الكاتب ووظيفة الوزير ، ومن أهم هذه المصـادر كتاب ((**الوزراء والكُتّاب**)) للجهشـياري الذي بدأه بذكر الكُتَّاب وأخبارهم حتى نهاية عصـر الدولة الأموية ، ثم أردف بذكر الوزراء منذ قيام الدولة العباسـية ، مع الإشـارة إلى من حل محل الوزير وقام بعمله من الكُتَّاب دون أن يسـمي وزيراً ، وكذلك كتاب ((**إعتاب الكُتّاب**)) لابن الأبار (ت 658هـ/1259م) الذي أورد فيه مؤلفه أحداثاً جرت لكُتَّاب في العصـر الأموي ، ووزراء في العصـر العباسي ، وقد أسماهم جميعاً بالكُتَّاب[3] .

وكان خلفاء بني العباس يختارون وزراءهم من الكُتَّاب الذين امتازوا بتقدمهم في علوم الأدب والسياسة ، مع قدرة على الفصاحة والبلاغة ، ومعرفة بالأخبار والأشعار [4] .

---

(1) التنبيه والإشراف ، ص294 .

(2) السـيوطي :عبدالرحمن بن أبي بكر (ت458هـــ/1065م) حسـن المحاضـرة في تاريخ مصـر والقاهرة ، 125/2 . توفيق سـلطان اليوزبكي : الوزارة ونشـأتها وتطورها في الدولة العباسـية (132-447) ، الموصـل ، مؤسـسـة دار الكتب جامعة الموصـل ، 1396هـ/1976م ، ص23 .

(3) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص37 .

(4) وهذا يفسّـر سـبب قيام بعض الخلفاء باختيار وزرائهم من بين الكُتّاب الذين كتبوا بين أيديهم قبل أن يتولوا الخلافة ، إذ أنهم عادة ما كانوا يتمتعون بهذه المؤهلات ، فأصـبح التقدم في مجال الكتابة وآدابها من شـروط الترشـيح والاختيار لمنصـب الوزارة ، ولم تحدث تجاوزات لذلك إلا فيما ندر . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص42 .

وقد جرت العادة في العصر العباسي أن يختار الوزير من الكُتَّاب ، أو أبناء الكُتَّاب ، وأصبحت بعض الأسر الكبيرة من الكُتَّاب تتوارث منصب الوزارة[1] .

ومع قيام الوزير بمهمة الكتابة بين يدي الخليفة ، كان يشرف أيضاً على ديوان الرسائل[2] ، ضمن الدواوين المهمة الأخرى التي كان يشرف عليها بحكم منصبه[3] ، حتى أصبح تغيير واستبدال صاحب ديوان الرسائل مرتبطاً بتغيير واستبدال الوزير[4] ، بل ربما باشر الوزير أمور ديوان الرسائل بنفسه ،حيث يقول القلقشندي : ((**كان ديوان الإنشاء – الرسائل –**[5] **تارة يضاف إلى الوزير فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه ، ويتولى أحواله بنفسه ، وتارة يفرد عنه بكاتب ينظر في أمره ، ويكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بكلامه ، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها ، وصاحب ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ويمشي على ما يلقى إليه من توقيعه ، وربما وقع الخليفة بنفسه ... والأمر على ذلك تارة وتارة إلى انقراض الخلافة في بغداد**))[6] .

وهكذا فإن وظيفة الوزير تعتبر تطوراً طبيعياً لوظيفة كاتب الرسائل ، فالخلفاء العباسيون كانوا في الغالب يختارون وزراءهم من بين فئة الكُتَّاب[7] .

---

(1) اليوزبكي : الوزارة ، ص112 . علي عبدالقادر مصطفى : الوزارة في النظام الإسلامي وفي النظم الدستورية المعاصرة ، القاهرة مطبعة السعادة ، 1401هـ ، ص174-175 .

(2) قدامة : قدامة بن جعفر (ت 337هـ/948م) الخراج وصنعة الكتابة – المنزلة الخامسة – تحقيق طلال جميل الرفاعي ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1407هـ/1987م ، ص183 . ابن خلدون :مقدمة2/247 الكروي :الوزارة ، ص34-35 . حسن إبراهيم وعلي إبراهيم : النظم الإسلامية ، ص114. النبراوي: تاريخ النظم ، ص107،67. السامرائي: المؤسسات الإدارية ، ص281-282 .

(3) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص38 .

(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص276 .

(5) يشير القلقشندي إلى أن ديوان الإنشاء في عهده هو ديوان الرسائل في الزمن السابق ، كما كان يسمى ديوان المكاتبات في بعض الفترات التاريخية . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص38 .

(6) صبح الأعشى ،127/1 .

(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص41 .

وبناءً على ذلك فقد كثرت مسؤوليات الوزير وازدادت أعماله فاحتاج إلى فئة من الكُتَّاب ليقوموا بمساعدته ، لعجزه عن القيام وحده بجميع ما عهد إليه من سلطات[1] .

لقد اختار أبو العباس السفاح (132-136هـ/749-754م) لوزارته أبا سلمة الخلال وزير آل محمد[2] وهو أول من تولى الوزارة في دولة بني العباس[3] نظراً لما كان يتمتَّع به من أدب وعلم بالسياسة والتدبير[4] ، مع فصاحة في اللسان وعلم بالأخبار والأشعار والسير والجدل ، وتفسير القرآن ، وما وصف به من حضور الحجة وكثر الجد[5] . إذ أن هذه الصفات هي أهم ما امتاز به الكُتَّاب في ذلك العصر[6]. وقد كان الخلال من مياسير أهل الكوفة ، وكان ينفق ماله على رجال الدعوة العباسية ، ويرجع السبب في اتصاله ببني العباس إلى أنه كان صهراً لبكير بن ماهان كاتب إبراهيم الإمام المنظِّم للدعوة العباسية . فلما حضرت الوفاة ابن ماهان كتب إبراهيم الإمام إلى أبي سلمة يعلمه بذلك ويأمره بما يريد من أمر الدعوة التي قام بها قياماً عظيماً[7]. وكان ذلك بداية اتصال الخلال بإبراهيم الإمام[8] .

---

(1) الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة ، ص60-61 . الصالح : النظم الإسلامية ، ص303 .

(2) وهو : حفص بن سليمان الخلال -أبوسلمة- أول من لقب بالوزارة رسمياً في الإسلام تولى الوزارة لأبي العباس السفاح ، ولقب بوزير آل محمد ، وكتب ذلك على كتبه ، واستمر على ذلك حوالي أربعة أشهر ثم اغتيل سنة 132هـ/749م .ابن خلكان : وفيات الأعيان، 195/2-196 . ابن طباطبا : الفخري ، ص150-152 . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، ط 1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1402هـ/1982م ، 7/6-8 .

(3) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص370 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 113/5 . الأزدي : تاريخ الموصل ، ص144 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص293 . القضاعي : عيون المعارف ، ص394 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،195/2 . عبدالعزيز الدوري : العصر العباسي ، ط2 ، بيروت ، دار الطليعة ، 1988م ، ص51 . سير أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ، ط1 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1961م ، ص198 . مولوي . س.أ.ق حسيني : الإدارة العربية ، ترجمة إبراهيم العدوي ، القاهرة مكتبة الآداب ومطبعتها ، د.ت ، ص289 .

(4) المسعودي : مروج الذهب، 271/3 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 196/2 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص86 . ابن طباطبا : الفخري ، ص152 .

(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص43 .

(7) ابن طباطبا : الفخري ، ص151 .

(8) الكروي : نظام الوزارة ، ص48 .

ويظهر أن ابن الخلال كان من فئة الكُتَّاب[1] ، فمن الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها قبيل إعلان الدولة العباسية الإشراف على الدواوين ، وتعيين العمّال ومكاتبتهم حيث كانت ((**الكتب تنفذ منه وتردُّ عليه**)) [2] لذا أصـــبحت هذه الأعمال تحت إدارته بعد أن تولى الوزارة نظراً لعظم السلطات التي منحت له ، حيث قال الدينوري (ت 282هـ/895م) :((**أن أبا العباس السفاح ولاه جميع ما وراء بابه ، وجعله وزيره ، وأسند إليه جميع أموره .. فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة**)) [3] .

غير أن الأيام لم تدم طويلاً لأبي ســـلمه الخلال حيث قتل في الســـنة التي تولى فيها الوزارة 132هـ/749م[4] .

وقد جاء في أغلب المصـادر أن خالد بن برمك قد تولى الوزارة بعد أبي سلمه الخلال[5] ، غير أن ابن طباطبا يذكر روايتين عن تولي خالد بن برمك للوزارة ، إحداهما تنص على أنه تولى الوزارة وكان يسمى وزيراً ، والثانية تذكر أنه تولى شؤون الوزارة دون أن يطلق عليه مسمّى وزير ، حيث يقول : ((**كان خالد بن برمك من رجال الدولة العباســـية ، فاضـــلاً جليلاً كريماً حازماً يقظاً ، اســتوزره الســفاح وخف على قلبه ، وكان يســمّى وزيراً ، وقيل : إن كل من اســتوزر بعد أبي**

(1) يعلق الدوري على الصـــفات التي امتاز بها الخلال بقوله: « ويظهر ابن الخلال كان من فئة الكُتَّاب » النظم الإســـلامية ، بغداد ، جامعة بغداد – بيت الحكمة – ، 1988م ، ص161 . فالدوري لم يجزم بأن الخلال كان كاتباً ، وإنما رجح من سيرته أن يكون من فئة الكُتَّاب . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص43 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص98 .

(3) الأخبار الطوال ، ص370 .

(4) الطبري : تاريخ ، 449/7 . الجهشياري : الوزراء ، ص190 . ابن خلدون : وفيات الأعيان ، 195/2–196 .

(5) ابن عبدربه : العقد الفريد، 113/5 . المسـعودي : التنبيه والإشـراف ، ص294 . القضـاعي : عيون المعارف ، ص294 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 219/6–220 . الذهبي : سير، 229/7 وأيضـاً العبر في خبر من غبر ، تحقيق صـلاح الدين المنجد ، الكويت ، دائرة المطبوعات النشر ، 1960م ،89/1 . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط7 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1977م ، ص186 . وهناك مصـادر أخرى انفردت بذكر أسـماء أشـخاص تولوا الوزارة للسـفاح بعد أبي سـلمة سـوى خالد بن برمك وهم : « أبو الجهم بن عطية ، سـليمان بن مخلد ، والربيع بن يونس » الأزدي : تاريخ الموصـل ، ص104 . ابن دقماق : إبراهيم بن محمد (ت 809هـ/1406م) الجوهر الثمين في سـير الخلفاء والملوك والسـلاطين ، تحقيق سـعيد عبدالفتاح عاشـور ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي 1403هـ/1982م ، ص94 . حسـن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص 45 .

وقد قيل أن خالد بن برمك لم يكن سـوى رجلٍ يثق فيه الخليفة أو حاجباً له ، كما كان ممثلاً لأي مسـلم عند الخليفة ولكنه كما يبدو لم تكن له وظيفة محدودة في الإدارة . الكروي : نظام الوزارة ، ص53 .

سلمه كان يتجنب أن يسمّى وزيراً تطيراً مما جرى على أبي سلمه ... فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزير ولا يسمّى وزيراً)) [1] .

والحق أن الرواية الثانية لابن طباطبا لا تنفي تولي خالد بن برمك الوزارة ، ولكن تشـير إلى أنه تولاها دون أن يطلق عليه مسمى وزير [2] ، لا سيما أن الجهشياري يذكر أن خالد بن برمك تولى شـؤون الوزارة دون أن يطلق عليه مسـمّى وزير، حيث يقول : ((**لمّا عقدت البيعة لأبي العباس ، وحضر خالد بن برمك لمبايعته ، فرأى فصاحته وتوهمه من العرب ... فأعجب به أبو العباس ، وأقره على ما كان يتقلد من الغنائم ، وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند ، وكثر فيه حامده ، وحسن أثره ، وكان سبيل ما يثبت في الدواوين أن يثبت في صحف فكان خالد أول من جعله في دفاتر ، فخص بأبي العباس وحل محل الوزير ...))** [3] .

ومهما يكن فإن خالد بن برمك تولى الوزارة أو قام بأعبائها من غير أن يسـمّى وزيراً وذلك بعد أن تمرّس في أعمال إدارية وكتابية أهّلته لمنصـــب الوزارة ، فقد كان قبل قيام الدولة العباســـية في عسكر قحطبة بن شـبيب حيث تقلد خراج كل ما افتتحه قحطبة من الكور [4] وتقلد الغنائم وقسّـمها بين الجند ، فقسط الخراج وأحسن إلى أهله[5] ، ثم استمر على عمله الإداري الكتابي حتى بعد قيام الدولة العباسية حيث أعجب أبو العباس السفاح بفصاحته فأقره على ما كان يتقلد من الغنائم ، كما قلده بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند فخص بأبي العباس وحل محل الوزير [6] .

ومما لا شـك فيه أن خالد بن برمك كانت تتوفر فيه شـروط الكفاءة المطلوبة فيمن يتولى الوزارة ، وفي مقدمتها الشروط التي يجب توفرها في الكُتَّاب[7] ، وقد ذكرت كثير من الروايات السـابقة أن

---

(1) الفخري ، ص153 . محمد جمال ســـرور . الحياة الســـياســـية في الدولة العربية الإســـلامية ، ط5 ، د.م ، دار الفكر العربي ، 1395هـ/1975م ، ص210 . يقول الجهشياري في هذا الشأن : « أن كل من استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيراً لما جرى لأبي سلمة » . الوزراء ، ص102 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص45 .

(3) الوزراء ، ص9 . محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1968م 2/196.

(4) الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أومدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة . ياقوت : معجم البلدان ، 1/ 36 -37 .

(5) اليعقوبي : تاريخه ،243/2 . الجهشياري : الوزراء ، ص87 . الدوري : العصر العباسي ، ص122 .

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص89 . الدوري : العصر العباسي ، ص52 ، 122 .

(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص47 .

خالد بن برمك تولى أعمالاً إدارية وكتابية قبل تولّيه الوزارة ، وأنه كان فصيحاً[1] ((**فاضلاً جليلاً حازماً يقظاً**))[2] ، كما أضافت روايات أخرى بأنه كان فطناً حسن الرأي[3] ، داهية الرجال ، كافياً فصيحاً ، حسن السيرة[4] ، ونظراً لتقدمه في مجال الكتابة والإدارة ومع مايتمتع به من أخلاق حسنة مما رشّحه ذلك لمنصب الوزارة ، يقول المسعودي في ذلك : ((**لم يبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جوده ورأيه وبأسه وعمله فجميع خلاله لا يحيى في رأيه ووفور عقله ، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه ، ولا محمد بن يحيى في سروه وبعد همته ، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه**))[5] ، ويضيف الأزدي (ت 613هـ/1216م) أن أباه برمك كان ((**كاتباً أديباً ظريفاً ، قد تمهّر في أخبار ملوك الفرس وعلمائهم ، ثم نظر في علوم الإسلام ، وقصد بلادهم دمشق لمّا كانت الخلافة في بني أمية ، فصحب خواص عبدالملك بن مروان حتى اتصل به ، فحسن موقعه عنده ، وعلا قدره ، ورزق الأولاد والعدد والعتاد ، فلمّا انقضت دولة بني أمية ولد لبرمك خالد فوزر لأبي العباس السفاح**))[6] وكان ذلك بعد وزارة أبي سلمة الخلال – حيث ظل على الوزارة حتى وفاة السفاح سنة 136هـ/754م[7] .

ولما تولى أبو جعفر المنصور (136–158هـ/754–775م) استبقى خالد بن برمك على وزارته[8] سنة وبضعة أشهر[9] ، ثم ولاه إمرة بلاد فارس[10] ، فقد أسند إليه المنصور ولاية الموصل

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص89 .

(2) ابن طباطبا : الفخري ، ص153 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص88 . وأيضاً المسعودي : مروج الذهب3/398 . اليافعي : عبدالله بن أسعد (ت 768هـ/1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي، 1413هـ/1993م ، 425/1

(4) ابن العمراني : محمد بن علي (ت 580هـ/1184م) الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم ودراسة قاسم السامرائي ، لايدن ، د.أ ، 1973م ، ص68 .

(5) مروج الذهب ، 377/3 . ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 220/6 .

(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص48 .

(7) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 113/5 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،332/1 . سرور : الحياة السياسية ، ص210 .

(8) ابن خلكان : وفيات الأعيان 332/1 . الأربلي : عبدالرحمن سنبط (ت 717هـ/1371م) خلاصة الذهب المسبوك من سيرة الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت ، ص62 .

(9) ابن خلكان : وفيات الأعيان ،332/1 . الذهبي : سير، 229/7 .

(10) الجهشياري : الوزراء ، ص88 . الذهبي : سير، 229/7 .

سـنة 158هـ/774م واسـتوزر بعده أبا أيوب المورياني[1] ، حيث كان كاتباً لسـليمان بن حبيب بن المهلب – والي مروان بن محمد – على البصـــرة وبذلك مارس أعمال الكتابة منذ أواخر العصـــر الأموي[2] ، ولما قامت دولة بني العباس عمل كاتباً لأبي جعفر المنصـــور وهو ولي العهد[3] ، وعندما تولَّى المنصــور الخلافة كتب له نيابة عن عبد الملك بن حميد الذي كان يكتب للمنصــور في الفترة التي عزل الوزير خالد بن برمك ، وبذلك رأى المنصور ، أن ينتفع بخبرة المورياني وعلمه كما رأى في الوقت نفســه أن يكافئه على ما قام به من الفضــل إليه ، فعلا شـأنه وارتفعت مكانته إلى أن تولى الوزارة[4] ، وفي ذلك يقول الجهشياري : ((**كان يكتب لأبي جعفر المنصور عبدالملك بن حميد ... وكان كاتباً متقدماً .. فقلده كتابته ودواوينه**)) وكانت له ((**منزلة من أبي جعفر خاصــة عنده ، وكان عبدالملك ربما تثاقل عنه وتعلل عليه فاســتثقل المنصــور ذلك منه ، مع استصلاحه له وسكونه إليه ، وأمره باتخاذ من ينوب عنه إذا غاب عن حضرته ، فاتخذ أبا أيوب المورياني ، وهو فتى حدث ... كان ظريفاً خفيفاً على القلب ، متأنياً لما يريده منه أبو جعفر، وقد أخذ من كل شـيء طرفاً**)) ، وكان يقول : ((**ليس من شـيء إلا وقد نظرت فيه إلا الفقه فلم أنظر فيه قط ... وكانت له بأبي جعفر حرمة رعاها له ، فخف على قلبه واعتل عبدالملك من نقرس كان به فلزم منزله ، فلم يزل أمر أبي أيوب يعلو ، ومحله من رأي أبي جعفر يزيد حتى قلده وزارته ، وفوض إليه أمره كله .. وقلد المنصـور أبا أيوب الدواوين مع الوزارة ، وغلب عليه غلبة شديدة**))[5] .

وعلى ذلك فإن المنصــــور اختار لوزارته أحد كُتَّابه – هو أبو أيوب المورياني – ولعل ما يلفت النظر في رواية الجهشــياري الســابقة أن عبدالملك بن حميد كان يقوم بعمل الوزير دون أن يطلق

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص99 . وأبو أيوب المورياني هو : سليمان بن مخلد الخوزي – أبو أيوب – وأصله من موريان إحدى قرى الأهواز توفي سنة 154هـ/770م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 2/410–414 .

(2) اليعقوبي : تاريخه 2/389. الجهشياري: الوزراء، ص98–99.. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص563.

(3) الطبري : تاريخ ، 7/480–481 .

(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص49–50 .

(5) الوزراء ، ص96–97 .

عليه مسمّى وزير ، بل كان يسمَّى كاتباً ، أي أنه متى استغنى الخليفة عن الوزير قام بعمله أحد الكُتَّاب ، لأن عمل الوزير الرئيسي الكتابة بين يدي الخليفة[1] .

ومع تقدم الموورياني في مجال الكتابة كان يتصف بصفات تدل على تمكنه واطلاعه على بعض العلوم ، فقد كان مثقفاً فصيحاً[2] ، كما كان يصفه ابن طباطبا بأنه ((**لبيباً بصيراًبالأمور،عاقلاً فطناً ذكياً ، فاضلا كريماً غزيرالمروءة**))[3] وقد استمر على وزارة المنصور حتى عزله عنها سنة 153هـ/770م [4] .

ثم إن المنصور ولى الربيع بن يونس وزارته[5] وكان قبل ذلك على حجابته ، لقد أشار الخطيب البغدادي إلى تقدُّم الربيع بن يونس في عمله قبل أن يلي الوزارة ، فقال : ((**ذكروا أنه لم يرق الحجابة أعرق من ربيع وولده**)) [6] ، كما وصفه ابن العمراني (ت 580هـ/1184م) بما يدل على كفاءته في حالتي الحجابة والوزارة حيث يقول : ((**كان كافياً حسن التدبير ، منفِّذاً للأمور ، جلداً في حالتي الحجابة والوزارة**)) [7] لقد أشار ابن خلكان (ت 681هـ/1282م) إلى أن المنصور كان كثير الميل إليه ، حسن الاعتماد عليه ، ويصفه في موطن آخر بأنه ((**أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين**)) [8] .

ولم يكن الربيع بن يونس من فئة الكُتَّاب ، ولكنه قام بمهمة الكتابة عند تولي الوزارة ، فالوزير في هذه الفترة لم يكن أكثر من كاتب حصيف ، ذو معرفة بالأمور الإدارية لإشرافه على بعض مؤسسات الدولة ، مع فهم بالسياسة لدوره في الشورى[9] وهذا ما ركز عليه المنصور عند اختياره للربيع بن يونس الذي وصفه ابن طباطبا بقوله : ((**كان جليلاً نبيلاً منفِّذاً للأمور ، مهيباً فصيحاً**

---

(1) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص50 .
(2) ابن طباطبا : الفخري ، ص172 . الحميري : الروض المعطار ، ص563 .
(3) ابن طباطبا : الفخري ، ص172 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص124 .
(5) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص117 .
(6) تاريخ ،414/2 .
(7) الأنباء ، ص68 .
(8) وفيات الأعيان ، 294/2-299 .
(9) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص52 .

، كافياً حازماً ، عاقلاً فطناً ، خبيراً بالحساب والأعمال ، حاذقاً بأمور الملك ، بصيراً بما يأتي ويذر ، محباً لفعل الخير)) [1]

ومما يدل أن الربيع بن يونس ومن قبله من وزراء المنصور ، كانوا يقومون بمهمة الكتابة أثناء توليهم الوزارة ، أن المسعودي يذكر في رواية له أسماء وزراء المنصور الذين سبقت الإشارة إليهم – خالد بن برمك وأبو أيوب المورياني والربيع بن يونس – ويربط بينهم وبين من تولى مهمة الكتابة للمنصور مؤكداً أنهم جميعاً كانوا كُتَّاباً[2] . حيث يقول : ((**أن المنصور حين أفضى إليه الأمر استوزر خالد بن برمك مُدَيّدَة ، ثم غلب عليه أبو أيوب المورياني الخوزي فاستوزره ... ثم استوزر مولاه الربيع ، وكتب له عدة غير هؤلاء ، منهم سليمان بن مجالد ، وعبدالحميد بن عدي ، وابن أبي عطية الباهلي**)) [3] واستكتب أيضاً أبان بن صدقة إلى أن مات[4] أي أن المنصور كان له وزير مرة وكاتب مرة أخرى ... من الموالي الذين اشتهروا بحذقهم في الكتابة ، وبمقدرتهم الإدارية والمالية والسياسة[5].وقد استمر الربيع بن يونس على الوزارة حتى وفاة المنصور سنة 158هـ/775م وهو آخر وزرائه[6] .

وعندما تولَّى المهدي الخلافة (158–169هـ/775–785م) لم يستوزر الربيع بن يونس[7] على الرغم من حسن رأيه فيه[8] ، بل استوزر معاوية بن يسار[9] الذي كان كاتبه ونائبه قبل توليه الخلافة[10] ، حيث أن المنصور قد اختار ابن يسار لتربية المهدي والكتابة له ، فعزم أن يستوزره

---

(1) الفخري ، ص175 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص53 .

(3) التنبيه والإشراف ، ص296 .

(4) المسعودي : مروج الذهب ، 214/2 .

(5) اليوزبكي : الوزارة ، ص53–54 .

(6) ابن طباطبا : الفخري ، ص176 .

(7) الخطيب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، صححه محمد العرفي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،د0ت ، 414/8 .

(8) اليعقوبي : تاريخه ، 395/2.

(9) هو : معاوية بن يسار بن عبدالله الأشعري بالولاء – أبو عبدالله – من كبار الوزراء ، كان أوحد الناس في عصره حذقاً وخبرة وكتابة ، توفي سنة 170هـ/786 م .الذهبي : سير ، 398/7 .

(10) ابن عبدربه : العقد الفريد، 116/5 . الجهشياري : الوزراء ، ص141 . الخطيب : تاريخ ،196/13 . العمراني : الأنباء ، ص72 . ابن طباطبا : الفخري ، ص179 . جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، 1355هـ/1936م ، ص62 .

لنفســـه ولكنه آثر ابنه به[1] ، فجعل المهدي أموره إليه قبل توليه الخلافة ،وكان يعظمه ولا يخالفه في شـيء يشير به عليه وكان قبل أن يلي الوزارة يتقلَّد الخراج زمن خلافة المنصـور والمهدي نائباً لأبيه على بغداد ، وقد ذكر الطبري أن المنصور في سنة 141هـ/759م ضمَّ معاوية بن يسار إلى ابنه المهدي عندما بعثه إلى الري– لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن عامله على خراســان – وأذن له في الإنفاق والتصرف في بيت المال[2] .

وفي أيام المهدي ظهرت فخامة الوزارة وأبهتها بسبب كفاءة وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار فقد ((**جمع له حاصـــل المملكة ورتب الديوان وقرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقاً وعلماً وخبرة ...**)) [3] وأن المهدي ((**فوض إليه تدبير المملكة ، وســـلم إليه الدواوين ، وكان مقدماً في صناعته ... وصنف كتاباً في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده ، وهو أول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج**)) [4] .

وعلى الرغم من كفاءة أبي عبيد الله الكتابية والإدارية إلا أن وزارته لم تدم طويلاً ، حيث صـرفه المهدي عن وزارته في سنة 163هـ/779م ، وقصَّـر عمله على ديوان الرسـائل – الذي كان ضـمن الدواوين التي يشرف عليها الوزير – وولى مكانه يعقوب بن داود[5]، وقد وصـفه الجهشـياري أنه ((**من أهل أدب وفهم وافتنان في صنوف العلوم**)) [6] ، وهو من أسرة عريقة في مجال الكتابة والإدارة فإخوته ووالده داود بن طهمان كانوا كُتَّاباً لنصـر بن سيار[7] – عامل خراسان زمن بني أمية –[8] ، وتذكر بعض الروايات أن يعقوب بن داود كان يعمل بين يدي عبدالحميد – الكاتب الأموي

---

(1) ابن طباطبا : الفخري ، ص179 .

(2) الطبري : تاريخ ، 509/7 ، 137/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص93 ، 126–127 .

(3) ابن طباطبا : الفخري ، ص179 . شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، ط1 ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1973م ،454/1.

(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص179–180 . الريس : الخراج ، ص424 .

(5) الجهشـــياري : الوزراء ، ص56 . وقد أشـــار إلى وزارة يعقوب بن داود : ابن العمراني : الأنباء ، ص72 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 22/7 . ابن دقماق: الجوهر الثمين ، ص98 . وهو يعقوب بن داود بن طهمان ،السلمي بالولاء – أبو عبدالله – كاتب من أكابر الوزراء ، تولى وزارة المهدي العباســي ، وتوفي ســنة 187هـ/803م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 19/7–26 . الذهبي : سير ، 346/8 .

(6) الوزراء ، ص155 . ويقول الطبري : « فلما مات داود خرج ولده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم » . 155/8 .

(7) هو : نصـر بن سيار بن رافع الكناني ، أمير من الدهاة الشجعان ، كان شيخ مضـر بخراسان ، ووالي بلخ ، ثم ولى إمرة خراسان سنة 120هـ زمن هشام بن عبدالملك ، وفي أيامه قويت الدعوة العباسية . توفي سنة 131هـ/748م . الزركلي : الأعلام ، 23/8.

(8) الطبري : تاريخ ، 154/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص155 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 20/7 . ابن طباطبا: الفخري ، ص182.

المعروف – وممن تخرج عليه وتعلم منه[1] ، كما كتب لأبي عبيدالله بن يســـار[2] .إن الكفاءة الكتابية والإدارية هي التي أدت إلى أن يتولى يعقوب بن داود الوزارة ، يقول الطبري : ((**ولم يزل أمره يرتفع عند المهدي ويعلو حتى اســـتوزره وفوض إليه الخلافة**000))[3] فجاء اختياره نتيجة اقتناع به وبقدراته[4] ، فقد وصــفه اليعقوبي بأنه جميل المذهب ، ميمون النقيبة ، محباً للخير كثير الفضل حسن الهدى[5] .

ارتفعت منزلة يعقوب عند المهدي إلى أن ســـمّي المهدي يعقوب بن داود أخاً في الله ووزيراً ، وأخرج بذلك توقيعات تثبت في الدواوين[6] يقول ابن طباطبا : ((**اســـتوزره المهدي وفوض إليه الأمور كلها وسلَّم إليه الدواوين ، وقدمه عل جميع الناس**))[7] وغلب على أمره كله ووزارته[8] .

وبعد عزل المهدي لوزيره يعقوب بن داود ســـنة 166هـ/782م[9] ولى وزارته الفيض بن أبي صـــالح[10] الذي يرجَّح أن يكون من فئة الكُتَّاب ، حيث أُشــير إلى أنه كان من غلمان عبدالله بن المقفع –[11] الكـاتـب المعروف – وقـد ظـل الفيض على الوزارة حتى توفي المهـدي ســـنة 169هـ/785م[12] .

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 229/3 ، 231 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص56 .

(3) تاريخ ،156/8 .

(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص56 .

(5) تاريخه ، 133/3 .

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص155 .

(7) الفخري ، ص182 .

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص156–157 .

(9) الطبري : تاريخ ، 154/8 .

(10) الجهشـياري : الوزراء ، ص164 . ابن العمراني : الأنباء ، ص72 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 26/7 . وقال اليعقوبي : ولي المهدي مكان يعقوب محمد بن الليث صــاحب البلاغة . تاريخه، 401/2 . والفيض هو : الفيض بن أبي صـــالح شـيرويه – أبو جعفر _ الفارسي، أسلم وكان نصرانياً ، فوزر للمهدي في أواخر خلافته ، توفي سنة 173هـ/789م. الذهبي : سير 275/8 .

(11) ابن خلكان : وفيات الأعيان، 26/7 . وعبدالله بن المقفع من أئمةالكُتَّاب وأول من عني في الإســلام بترجمة كتب المنطق أصــله من الفرس ، وكان مجوسياً فأسلم ، له عدة مؤلفات ، توفي سنة 142هـ/759م . الزركلي:الأعلام 140/4 ولمزيد من التفاصيل عن حياته ومكانته الأدبية أنظر: الفصل الثالث بموضوع مشاهير بعض الكُتَّاب وإسهاماتهم الفكرية .

(12) ابن طباطبا : الفخري ، ص187 .

وعندما تولى الهادي الخلافة (169–170هـ/785–786م) لم يستوزر الفيض بن أبي صـالح[1] ، ويرى بعض الباحثين أن الهادي لم يكن له وزير حيث قام بتدبير الأمور بنفسه[2]ويبدو أن قصر عهده لم يعطِ فرصة لظهور وزراء قاموا بدور بارز في مجريات الأحداث في الدولة العباسية[3] ، في حين تؤكد أهم المصادر المتقدمة أن الهادي استوزر أكثر من وزير ، على الرغم من قصر فترة خلافته ، فقد ولى الربيع بن يونس وزارته وتدبير أموره ، وما كان عمر بن بزيع[4] يتولاه من دواوين الأزمة[5] ثم صرف الربيع عن الوزارة ، وقلَّدها إبراهيم بن ذكوان الحراني[6] ، وأقر الربيع على دواوين الأزمة فلم يزل عليها حتى مات سنة 169هـ/785م فقلَّد الهادي ديوان الأزمة إبراهيم بن ذكوان أيضاً[7] ، كما ولَّى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل[8] .

يبدو أن الهادي قد راعى في الربيع خدمته الطويلة للدولة حيث كان يشغل منصب الحجابة ثم الوزارة للخليفة المنصور[9] ، كما عمل حاجباً للخليفة المهدي إضافة إلى دوره في القيام بأمر البيعة

---

(1) ابن طباطبا : الفخري ، ص187 .

(2) اليوزبكي : الوزارة ، ص56 .

(3) محمد أبو محمد إمام :نظم الحكم في العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،مكة المكرمة،جامعة أم القرى ،1408هـ،ص109–110 .

(4) هو : عمر بن بزيغ مولى أمير المؤمنين المهدي ، ولاه سنة 162هـ دواوين الأزمة وظل عليها طول فترة خلافته ، ولما تولى الهادي الخلافة صرفه عنها وولاها الربيع بن يونس مع الوزارة ، ثم ولى الهادي عمر بن بزيغ وزارته بعد وفاة الربيع بن يونس إضافة إلى ديوان الرسائل . الطبري : تاريخ، 189/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص167 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص298 ، مروج الذهب، 326/3 .

(5) الطبري : تاريخ، 189/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص167 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص298 ، مروج الذهب 326/3 . وأشار إلى تولي الربيع وزارة الهادي . ابن عبدربه : العقد الفريد 116/5 . ابن العمراني : الأنباء ، ص174 . ابن طباطبا : الفخري ، ص190 . الأربلي : خلاصة الذهب ، ص105 . وديوان الأزمة : من الدواوين التي استحدثت في العصر العباسي الأول في خلافة المهدي سنة 162هـ/778م ، ومعنى ديوان الأزمة أن يكون لكل ديوان زمام – وهو رجل – يضبط أموره ويشرف على ما يجري فيه من أعمال مالية على وجه الخصوص . الطبري : تاريخ، 142/8–167 .ولمزيد من المعلومات عن هذا الديوان أنظر :مبحث علاقة الكُتَّاب بالدواوين من هذا الفصل .

(6) وهو : إبراهيم بن ذكوان الحراني – ينسب إلى مدينة حران من إقليم الجزيرة – كانت له علاقة قوية بالهادي وهو ولي العهد ، ولما تولى الخلافة ولاه وزارته ثم أضاف إليه النظر في دواوين الأزمة ، وكان مقدماً عنده ، ولما تولى الرشيد الخلافة سخط عليه وحبسه عند يحيى بن خالد البرمكي ، وقبض على أمواله في سنة 170هـ ، ثم تلطف يحيى إلى أن استكتبه لمحمد بن سليمان بن جعفر ، وكان يلي البصرة . الطبري : تاريخ، 207/8،211،215،216،221،224،226،228،232،233. الجهشياري: الوزراء ، ص167 ،178 .

(7) الجهشياري: الوزراء ، ص167. الطبري : تاريخ، 228/8 . ابن طباطبا : الفخري ، ص191 .

(8) المسعودي : مروج الذهب ،326/3 ، وقد جعل وزارته بعد الربيع بن يونس . الطبري : تاريخ ، 228/8 .

(9) ابن عبدربه: العقد الفريد 114/5 . الجهشياري: الوزراء، ص125. الخطيب: تاريخ 114/8. ابن العمراني : الأنباء ، ص68.

له في بغداد ، حيث كان الهادي عند وفاة والده يقيم بجرجان ، فاتخذه وزيراً لهذه الأسـباب[1] . لقد اتصـــــل إبراهيم بن ذكوان بالهادي قبل تولِّيه الخلافة حيث كان مقرباً من والده المهدي . يقول الجهشـياري : ((**كان إبراهيم خاصـاً بالمهدي فلما أنفذ المهدي موسـى – الهادي – إلى جرجان أنفذ معه إبراهيم الحراني ، فخص بموسـى ولطف موقعه منه**))[2] ، ويؤكد ابن طباطبا على هذه العلاقة بقوله : ((**كان إبراهيم قد اتصــل بالهادي في أيام حداثته ، كان يدخل إليه مع معلم كان يعلم الهادي فخف إبراهيم على قلب الهادي وألفه ، وصار لا يصبر عنه ... وجلس الهادي على سرير الخلافة ثم بعد ذلك بمدُيَدة استوزر الحراني ولم تطل الأيام حتى مات الهادي**))[3] .

فالعلاقة التي كانت تربط إبراهيم بن ذكوان بالهادي هي التي جعلته يصـل إلى الوزارة ، ولم تشـر المصادر إلى حال هذا الوزير وما يتمتَّع به من كفاءة[4] .

أما عمر بن بزيع فقد تولَّى دواوين الأزمة زمن المهدي[5] مما أعطاه خبرة إدارية وكتابية أهلته لتولي منصب الوزارة[6] .

ولما تولَّى هارون الرشـيد الخلافة (170–193هـ/786–809م) اسـتوزر كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة يحيى بن خالد بن برمك[7] ، ومعه ابنيه الفضـل وجعفر[8] ، وكان المهدي قد ضـمَّ هارون الرشيد إلى خالد بن برمك ، وجعله في حجره[9] ، وفي سنة 161هـ/777م عينه المهدي كاتباً ووزيراً

---

(1) الطبري : تاريخ، 187/8–189 . الجهشياري : الوزراء ، ص167 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص59 .

(2) الوزراء ، ص167 .

(3) الفخري ، ص191 .

(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص60 .

(5) الطبري : تاريخ ،142/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص146 . المسعودي : مروج الذهب، 326/3 .

(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص60 .

(7) ابن الكازروني : مختصـر التاريخ ، ص129 . ابن طباطبا : الفخري ، ص197 . وهو : يحيى بن خالد بن برمك – أبو الفضـل – الوزير ، مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه ، توفي 190هـ/805م . الذهبي : سير ، 89/9 .

(8) أشار إلى تولي الفضل وجعفر الوزارة كل من ابن عبدربه : العقد الفريد، 118/5. ابن خلكان : وفيات الأعيان ،328/1 27/4 ابن الكازروني : مختصـــــر التاريخ ، ص129 . ابن طباطبا : الفخري ، ص200 ،203 . الذهبي : العبر، 230/1 . ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص103 . والفضـل بن يحيى وزر للخليفةالرشـيد مدة قصـيرة – فكان أخاه من الرضـاعة – ثم صـرفه عن الوزارة وولاه خراسـان سـنة 178هـ/794م توفي سـنة 193هـ/808م ، أما جعفر بن يحيى فقد تولى وزارة الرشـيد أيضـاً وكان أحد مشـاهير البرامكة ومقدميهم في البلاغة والكرم ، استمر على وزارة الرشيد إلى أن قتل سنة 187هـ/803م . الذهبي : سير 59/9 ،91 .

(9) الخطيب : تاريخ، 128/14–129 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،221/6 . الأربلي : خلاصـــة الذهب ، ص161 . اليافعي مرآة الجنان ، 426/1 .

لابنه هارون ، وعندما وجه المهدي الرشـــيد لغزو الروم وهو ولي العهد ، وجه معه على أمر العســـكر ونفقاته وكتابته والقيام بأمره يحيى بن خالد ((**وكان أمر هارون كله إليه**)) [1] . كما وصـــف يحيى بن خالد بأنه كان من كُتَّاب أبناء الدعوة حيث يقول الطبري: ((**لما ندب المهدي هارون الرشـيد لما ندبه له من الغزو أمر أن يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة لينظر إليهم ويختار له منهم رجلاً ، قال يحيى : فأدخلوني عليه معهم ... فقال لي : إني قد تصفحت أبناء شيعتي وأهل دولتي واخترت منهم رجلاً لهارون ابني أضـــمه إليه ليقوم بأمر عســـكره ويتولى كتابته ، فوقعت عليك خيرتي له ، ورأيتك أولى به إذ كنت مربيه وخاصته وقد وليتك كتابته وأمر عسكره ...**)) [2] .

استمرت علاقة الرشيد بيحيى بن خالد تزداد توثقاً ، فعندما ولى المهدي هارون المغرب كله – من الأنبار إلى إفريقية – ((**أمر يحيى بن خالد أن يتولى لهارون ذلك كله فكانت إليه أعماله ودواوينه**))[3] ثم خطا يحيى مرة ثانية خطوة جديدة نحو المجد بعد أن اصـــطفاه هارون رئيســـاً لأمناء ســـره[4] ، وظل في هذا المنصـــب حتى وفاة المهدي وعندما ولى الهادي الخلافة أمره بأن يقوم بأمر أخيه هارون ، وأقره على كتابته وتدبير الأعمال التي يتولى القيام بها قبل ذلك[5] .

لا شك أن تقدم يحيى بن خالد وابنيه جعفر والفضل في الإدارة والسياسة والكتابة حتى اشتهر عنهم ذلك هو سبب توليهم الوزارة زمن الرشيد[6] .

يقول ابن طباطبا في وصـــف يحيى بن خالد بعد أن ولاه الرشـــيد الوزارة : ((**نهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض ، وســـد الثغور وتدارك الخلل ، وجبى الأموال ، وعمر الأطراف وأظهر رونق الخلافة ، وتصدى لمهمات المملكة ، وكان كاتباً بليغاً لبيباً ، أديباً سديداً ، صائب الآراء حسن التدبير ، ضابطاً لما تحت يده ، قوياً على الأمور ، جواداً ... ممدحاً بكل لسان ،**

---

(1) الطبري : تاريخ ، 146/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص150 .

(2) تاريخ ، 146/8 .

(3) الطبري : تاريخ، 187/8 . وقال الجهشياري : « أن الذي تولى ذلك خالد بن برمك » ، ص150 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص62 .

(4) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص19 . الكروي : نظام الوزارة ، ص93 .

(5) الطبري : تاريخ، 169/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص169 .

(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص62 .

حليماً عفيفاً وقوراً مهيباً))[1] . ويقول المسـعودي : ((**كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر ...**))[2] . ويقول ابن خلكان :((**كان من العقلاء الكرماء البلغاء**))[3]وقال عنه القاضـي يحيى بن أكثم ، سمعت المأمون يقول : ((**لم يكن كيحيى بن خالد وكولده في الكتابة والبلاغة والجود والشـجاعة ...**))[4] وهناك عدة أقوال مشـهورة من كلام يحيى بن خالد تدل على رجاحة عقله وحسن رأيه[5] .

لقد أسهب سهل بن هارون الكاتب في وصف يحيى بن خالد وابنه جعفر وأوضح مدى بلاغتهما وفصاحتهما وتسليم أهل عصرهما زمام البلاغة إليهما[6] .

كما اثنت روايات المصـادر على جعفر بن يحيى في عدة مواضـع ، يقول إسـحاق بن إبراهيم الموصلي : أنه ((**ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط ولا أفطن ولا أعلم ... ولا أفصح لساناً ولا أبلغ في مكاتبة**))[7] ، ووصـفه ثمامة بن أشرس بقوله : ((**ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون**))[8] ، كما وصـفه ابن طباطبا : ((**كان جعفر بن يحيى فصـيحاً لبيباً ذكياً فطناً كريماً حليماً**))[9] .

وقد حفظت لنا روايات المصـادر أقوالاً لجعفر تدل على فصـاحته وبلاغته[10] . ولم تصـف لنا المصـادر شـخصـية الفضـل بن يحيى ومدى تقدمه في الأمور الإدارية والسياسـية[11] ، إلا أن ابن

---

(1) الفخري ، ص197 .
(2) مروج الذهب ، 370/3 .
(3) وفيات الأعيان ، 221/6 .
(4) الخطيب : تاريخ ،130/4 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،321/6 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص200 ،203 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،221/6 . ابن طباطبا : الفخري ، ص200 .
(6) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادة ، 1388هـ/1969م،199/2-200 . القيرواني : ابرهيم بن علي الحصـري(ت453هـ/1061م) زهر الآداب وثمرا لألباب ،شـرح زكي مبارك ،ط4، بيروت، دار الجيل، د0ت، 420/2-421 .
(7) الأصفهاني : الأغاني ، 319/4-320 . جميل نخلة : حضارة الإسلام ، ص101 .
(8) الخطيب : تاريخ ،152/7 . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، د.م ، د.أ ، د.ت ، ص302 .
كما وصـف جعفر بن يحيى في روايات أخرى . انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ،75/2-76 . الجهشـياري : الوزراء : ص204 . الثعالبي : ثمار القلوب، ص161 . القيرواني : زهر الآداب، 151/1 ، 420/2 .
(9) الفخري ، ص205 .
(10) ابن قتيبة : عيون الأخبار، 13/1 ، 173/2 . الثعالبي : خاص الخاص ، قدم له حسـن الأمين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت ، ص90 . القيرواني : زهر الآداب 150/1 .
(11) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص65 .

خلكان عندما ترجم له أثبت له صـــفة الكتابة ، مع تقديمه أخاه جعفر عليه حيث قال : ((**كان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه**))[1] .

وعندما عزل الرشيد البرامكة عن الوزارة سنة 187هـ/802م استوزر حاجبه الفضل بن الربيع[2] ، وكان الفضــل قد تقلد منصــب الحجابة لعدد من خلفاء بني العباس[3] ، فنال ثقتهم وتقدم عندهم نظراً لما يتمتع به من علم وأدب[4] ، يقول ابن طباطبا : ((**كان الفضـــل بن الربيع شـــهماً خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم**)) [5] .

وقد توفي الرشيد والفضل بن الربيع مستمر على وزارته[6] ، وكان في صحبته بطوس [7]، فقرر الأمور للأمين ، ولم يعرج على المأمون وهو بخراســان[8] حيث جمع العســكر وما فيه ورجع إلى بغداد[9] .

فلما تولى الأمين الخلافة (193-198هـ/809-813م) قدَّر للفضــــل جهوده في أخذ البيعة له فاستوزره[10] . وفوض أموره إليه[11] ، واستمر على وزارته مدة خلافته[12] .

---

(1) وفيات الأعيان ، 27/4 .

(2) هو : الفضـــل بن الربيع بن يونس – أبو العباس – وزير أديب حازم ، اســتحجبه المنصـــور ووزر للرشــيد والأمين ، توفي ســـنة 208هـ/824م . الخطيب : تاريخ ، 343/12-344 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،37/4-40 . ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص129 .

(3) ابن طباطبا : الفخري ، ص209 . وقد تولى حجابة المنصور والمهدي والهادي والرشيد . ابن العمراني : الأنباء ، ص74 .

(4) الخطيب : تاريخ ،133/12 . ابن طباطبا : الفخري ، ص209 .

(5) الفخري ، ص209 .

(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان ،38/4 . ابن طباطبا : الفخري ، ص209 . الأربلي : خلاصة الذهب ، ص113 .

(7) طوس: مدينة بخراسان فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله. ياقوت : معجم البلدان ، 49/4 .

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص277 . الخطيب : تاريخ، 343/12 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 38/4 . ابن طباطبا : الفخري ، ص209.

(9) ابن طباطبا : الفخري ، ص210.

(10) ابن طباطبا : الفخري ، ص210 . وأشــار إلى وزارة الفضــل بن الربيع كل من ابن قتيبة : المعارف ، ص384 . الطبري : تاريخ، 386/8 . ابن أعثم الكوفي : أحمــد بن أعثم (ت نحو 314هـ/نحو 926م) الفتوح ، ط1 ، بيروت ، دار الكتــب العلميــة ، 1406هـ/1986م ،432/8 . الخطيب : تاريخ ،113/12 . أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباســي والأندلســي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1972م ص94 .

(11) ابن أعثم : الفتوح، 433/8 . الخطيب : تاريخ ،133/12 ، 343 ، 344 .

(12) ابن عبدربه : العقد الفريد، 119/5 . الأربلي : خلاصــة الذهب ، ص173 . وقال الأزدي أن الأمين استوزر إسـماعيل بن صـبيح بعد اختفاء الفضل بن الربيع ، أخبار الدول ، ص153 . يؤكد ابن طباطبا أن الأمين لم يستوزر غير الفضل بن الربيع . الفخري ، ص215 . ويقول ابن قتيبة : أن إسماعيل بن صبيح كان قد تولى ديوان التوقيعات والرسائل للأمين وأنه كان كاتب سره ، المعارف ، ص384 . أيضاً الأربلي : خلاصة الذهب ، ص174 .

ويعتبر الفضــل بن الربيع من الوزراء القلائل الذين اختيروا لمنصــب الوزارة دون أن يكونوا من فئة الكُتَّاب ، ولكن لديه خبرة بأحوال الملوك وآدابهم ، مع علم وأدب أي أنه على معرفة بالأمور الإدارية والكتابية التي يحتاج إليها الوزير في تلك الفترة ، إلا أنه لم يكن متقدماً كثيراً في مجال الكتابة[1] .

وعندما تولَّى المأمون الخلافة (198-218هـ/813-833م) سار على نهج من سبقه من الخلفاء ، فاختار لوزارته كاتبه ووزيره قبل الخلافة الفضل بن سهل[2] ، وكان اتصال الفضل بالمأمون منذ وقت مبكر ، حيث كان أبوه سـهل يتقهرم[3] ليحيى بن خالد بن برمك ، وقد أسـلم هو وابناه الفضـل والحسن في أيام هارون الرشيد فاتصل الفضل والحسن ابنا سهل بالفضل وجعفرابني يحيى بن خالد ، فضم جعفر بن يحيى الفضل بن سهل إلى المأمون وهو ولي العهد[4] .

ويذكر الجهشـياري أن الفضــل بن سـهل نقل ليحيى بن خالد كتاباً من الفارسـية إلى العربية ، فأعجب بفهمه ، وبجودة عبارته ، فقال له : إني أراك ذكياً ، وستبلغ مبلغاً رفيعاً ، فأسلم حتى أجد السبيل إلى إدخالك في أمورنا والإحسان إليك ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الوزير ، أسلم على يدك ؛ فقال له يحيى : لا ، ولكن أضـعك موضـعاً تنال به حظاً من دنيانا ، ودعا بسـلام مولاه ، فقال : خذ بيد هذا الفتى ، وأمض به إلى جعفر ، وقل له يدخله إلى المأمون – وكان في حجر جعفر –

---

(1) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص66 .

(2) ابن الكازروني : مختصـر التاريخ ، ص137 . ابن طباطبا : الفخري ، ص218 . والفضـل بن سـهل السرخسـي – أبو العباس – اتصــل بالمأمون في صــباه ، وأسـلم على يده سـنة 190هـ/805م ، وكان مجوسـياً – وصـحبه قبل أن يلي الخلافة ، ولقبه بذي الرياستين ، ثم لما تولى الخلافة اتخذه وزيراً له ، وفي سنة 202هـ/818م قتل الفضل بن سهل . الخطيب : تاريخ ،339/12-343 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 41/4-44 . ابن العمراني : الأنباء ، ص103 الشكعة : موكب الأدب ، ص307 .

(3) القهرمان : هو المسـيطر الحفيظ على ما تحت يديه ، وهي فارسـية ، والقهرمان من أمناء الملك وخاصــته . ابن منظور : لسـان العرب ، 496/12 .

(4) الخطيب : تاريخ، 320/7 ، 339/12 . ابن خلكان : فيات الأعيان، 121/2 . وانظر : الجهشــياري الوزراء ، ص230 . ابن طباطبا : الفخري ، ص221. تنتسب عائلة بني سـهل إلى سـهل بن زاذا نفروخ من قرية السيب الأعلى بصـابر نيتا ، وكان سـهل من أبناء ملوك الفرس المجوس فأسـلم في أيام الرشـيد وقيل أنه أسـلم على يدي المهدي . الجهشـياري : الوزراء ، ص229 .= =القمي: محمد بن علي بن بابويه (ت 381هـ/991م) عيون أخبار الرضـــا ، مخطوط ، دار الكتب المصــرية رقم 5168 تاريخ ص221 . الخطيب : تاريخ 339/12 . سـبط ابن الجوزي : أبو المظفر شـمس الدين (ت 654هـ/1256م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان مخطوط دار الكتب المصرية رقم 9276م ، 114/6 .

حتى يُسلم على يده ، فأدخله جعفر إلى المأمون ، فأسلم على يده ، فوصله وأحسن إليه ، وأجرى عليه رزقاً مع حشمة ، ولم يزل ملازماً للفضل بن جعفر حتى أصيب البرامكة ، فلزم المأمون[1] .

ويقال أن يحيى بن خالد وصف الفضل بن سهل للرشيد وهو غلام ، وذكر أدبه وحسن معرفته ، فعمل على ضمَّه إلى ابنه المأمون بعد أن اختبره وأعجب بفهمه[2] .

ومهما يكن من أمر اتصال الفضل بن سهل بالمأمون ، فإن ذلك لا يعدُّ دافعاً أساسياً وراء اختياره للوزارة[3] . إنما كان الدافع من وراء اختيار المأمون للفضل بن سهل تمتعه بالصفات التي يرى ضرورة توفرها فيمن يختار لمنصب الوزارة[4] .

يقول ابن طباطبا : ((**كان الفضل سخياً كريماً ... شديد العقوبة ، سهل الانعطاف ، حليماً بليغاً ، عالماً بآداب الملوك ، بصيراً بالحيل ، جيد الحدس محصلاً للأموال**))[5] . ويشير الدينوري (ت 282هـ/895م) إلى سبب قرب الفضل من المأمون واختصاصه به بقوله : ((**قد جرب منه وثاقة رأي وفضل حزم**)) [6] . كما وصفه الخطيب بقوله : ((**أكرم الناس عهداً وأحسنهم وفاءً ووداً ،وأجزلهم عطاء وبذلاً ، وأبلغهم لساناً وأكتبهم يداً**))[7] ويروي سهل بن هارون بعض أقوال الفضل وتوقيعاته التي تدُل على قدرته البلاغية ويثني عليه بقوله : إن كلام الفضل ((**مما رأينا تخليده في الكتب ، ليؤتمَّ به ، وينتفع بمقول حكمته**))[8] .

---

(1) الوزراء ، ص230–231 . وأيضاً الخطيب : تاريخ ،340/12 .

(2) الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ط1 ، بيروت ، دار الجيل ، 1417هـ/1997م ، ص16 . القيرواني : زهر الآداب، 354/2 . ابن خلكان : وفيات الأعيان 41/4 .

(3) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص68 .

(4) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ،116/2 . الدينوري : الأخبار الطوال ، ص401 . الخطيب : تاريخ ،197/14 . ابن وادران : حسين بن محمد وادران ، تاريخ العباسيين أو دولة الرشيد من بني العباس وبنيه ، تحقيق المنجي الكعبي ،ط1،بيروت، دارالغرب الإسلامي ،1993م ، ص485 .

(5) الفخري ، ص218 . ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص282 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص70 .

(6) الأخبار الطوال ، ص395 .

(7) تاريخ ،340/12 .

(8) القيرواني : زهر الآداب ، 355/2 ، 356 ، 599 .

وعلى الرغم من أن المأمون قد راعى في اختياره الفضـــل بن ســـهل شـــروط الكفاءة التي كان يطمح أن تكون في وزيره إلا أن طموحات الفضل السياسية حالت دون استمراره في منصبه ، حيث قُتل سنة 202هـ/817م[1] .

يبدو أن المأمون لم يقطع صـلته بآل ســهل حيث بعث إلى الحســن بن ســهل يعزيه في أخيه الفضـل ، ويخبره أنه استوزره مكانه[2] ، ولقّبه بذي الكفايتين[3] ، وكان الحسن قبل توليه الوزارة قد تنقل في عدة وظائف إدارية من ذلك توليه ديوان الخراج سنة 196هـ/813م عندما كان المأمون في خراسان[4] . وفي سنة 198هـ/813م ولاه المأمون جميع ما افتتحه طاهر بن الحسين من البلدان[5] . وقدم الحسين بغداد سنة 199هـ/814م ، وكان إليه ولاية الحرب والخراج[6] فسلّم هرثمة بن أعين إليه أيضاً ما كان بيده من الأعمال[7] .

ويبدو أن اختيار الحســن بن ســهل للوزارة كان تألفاً من المأمون له وجبراً لمصــابه بقتل أخيه[8] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان المأمون مشـــغولاً بتثبيت دعائم دولته بعد انتقاض عدة مناطق منها ، حيث تصدى للقيام بأعماله بنفسه ، ولم يحتج لوزير فكان الحسن وزيراً بالتشريف[9]

---

(1) الطبري : تاريخ ،8/564-565 . الخطيب : تاريخ ، 343/12 . الأربلي : خلاصـــة الذهب ، ص205 . الذهبي : تاريخ دول الإســـلام ، ط1، حيدر آباد الدكن ،مطبعة دائرة المعارف النظامية ، 1337م ،98/1 . حســـن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص70-71 .

(2) الخطيب : تاريخ، 320/7 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 121/2 . وأشـار أيضـاً إلى وزارة الحسن بن سـهل . اليعقوبي : تاريخه، 470/2 . ابن عبدربه : العقد الفريد ،120/5 . ابن العمراني: الأنباء ، ص103. ابن الكازروني: مختصـر التاريخ ،ص137 . ابن طباطبا : الفخري ، ص220 . الدوري : العصر العباسي ، ص166 الشكعة : الأدب في موكب الحضارة ، ص309 . والحسن بن ســهل الســرخســي – أبو محمد – وزر للمأمون وكان أحد كبار القادة والولاة في عصــره توفي في ســرخس ســنة 236هـ/851م . الخطيب: تاريخ ، 319/7-223 . ابن خلكان : وفيات الأعيان، 120/2-123 .

(3) الصـابي : هلال بن المحسن (ت448هــــ/1056م) رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، ط2، بيروت ،دار الرائد العربي ،1406هـ/1986م ، ص130 . أي السيف والقلم .

(4) الطبري : تاريخ ، 424/8 .

(5) الطبري : تاريخ 527/8-528 . مســكويه : أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م) تجارب الأمم ، نشــره دي غويه ، بغداد ، مكتبة المثني ، 1869م ،418/6-419 .الصفدي :صلاح الدين بن أيبك (ت764هــــ/1362م) الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،ط1، بيروت ،دارا حياءالتراث العربي ،1420هـ/2000م ،26/12-28 .

(6) الطبري : تاريخ ، 528/8 . مسكويه : تجارب الأمم ،419/6 . الأربلي : خلاصة الذهب ، ص197 .

(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص72 .

(8) ابن طباطبا : الفخري ، ص220 .

(9) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص72 .

. يقول المسعودي : ((**لم يملك المأمون بعد الفضل بن سهل كُتَّابه أمره لقيامه بالملك واضطلاعه به ، ولم ير أحد أنه مفتقر إلى وزير يشـركه في تدبيره**)) [1] . ويبدو أن المسـعودي أراد التأكيد على اضطلاع المأمون بالحكم وأن وزراءه كانوا كُتَّاباًً في الدرجة الأولى[2] .

إضافة إلى ما سبق فإن المأمون راعى في اختيار الحسن بن سهل أيضاً صفات الوزير المتقدم في صـــناعة الكتابة[3] ، هذا مع ما اشـــتهر به من الذكاء المفرط ، والأدب والفصـــاحة وحســـن التوقيعات[4] ، غير أن فترة وزارة الحسن لم تدم طويلاً ، حيث أنه مرض في سنة 203هـ/818م ، ولزم منزله[5] ، وصرف عن الوزارة[6] .

ثم استوزر المأمون أحمد بن أبي خالد الأحول[7] ، وكان أحمد ينوب عن الحسن بن سهل لدى المأمون[8] ، ويكتب له في جملة من الكُتَّاب وصـــفوا بتقدُّمهم في صـــناعتهم[9] . كما كان أحمد يتولى فض الخرائط بين يدي المأمون[10] فعرض عليه المأمون الوزارة بعد أن أشـار عليه برأي دل على رجاحة عقله[11] ، فاعتذر أحمد عن الوزارة وقال : يا أمير المؤمنين اعفني من التســـمي بالوزارة ، وطالبني بالواجب فيها ، واجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوني لها صـــديقي ، ويخافني

---

(1) التنبيه والإشراف ، ص304 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص72 .

(3) القيرواني : زهر الآداب ،196/1، 255 .

(4) الزركلي : الأعلام ، 192/2 .

(5) الطبري: تاريخ ، 568/8. ابن خلكان:وفيات الأعيان ،123/2.ابن طباطبا:الفخري، ص321. الأربلي:خلاصة الذهب، ص207 .

(6) الكروي : نظام الوزارة ، ص201 .

(7) ابن خلكان:وفيات الأعيان ،123/2. ابن طباطبا:الفخري، ص221. الأربلي:خلاصـة الذهب، ص194 . وأشـار إلى وزارة أحمد بن أبي خالد أيضـاً : اليعقوبي : تاريخ ،470/2 . ابن العمراني : الأنباء ، ص103 . ابن الكازروني : مختصـر التاريخ ، ص137 . وهو أحمد بن أبي خالد الأحول الكاتب – أبو العباس – أصـله من الأردن تولى وزارتة المأمون وتوفي سـنة 212هـ/727م الذهبي : سير ،255/1-256 .

(8) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 . ابن طباطبا:الفخري، ص221.

(9) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 .

(10) الأصفهاني : الأغاني ،236/5 .

(11) القيرواني : زهر الآداب ،726/3 .

لها عدوي ، فما بعد الغايات إلا الآفات[1] ، فاستحسن المأمون جوابه ، وقال : لابد من ذلك . واستوزره[2] .

يدل ذلك على أن أحمد بن أبي خالد كان حكيماً ثاقب الرأي ، وأنه وجد عبرة فيما آل إليه حال بني سهل فرأى ألا يتظاهر بالسلطان[3] .

وتذكر بعض المصادر أن ثمامة بن أشرس عندما أراده المأمون للوزارة ، اعتذر إليه وأشار بتولية أحمد بن أبي خالد بدلاً عنه[4] ، مما يعطي للشورى دوراً في اختيار الوزراء[5] ، وقد وصف أحمد بن أبي خالد بأنه كان ((**جليل القدر من عقلاء الرجال . وكان كاتباً سديداً ، فصيحاً ، لبيباً بصيراً بالأمور**)) [6] .

وعندما توفي أحمد بن أبي خالد[7] ، استشار المأمون الحسن بن سهل فيمن يولِّيه الوزارة ، فأشار عليه بأحمد بن يوسف[8] ، وأبي عباد بن يحيى وقال : هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين ، فقال له : اختر لي أحدهما ، فاختار له أحمد بن يوسف ، ففوَّض المأمون إليه وزارته[9] ، وكان أحمد بن يوسف من خيرة الكُتَّاب وأجودهم خطاً[10] .

---

(1) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 . الثعالبي : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، تحقيق شاكر العاشور ، ط1 ، العراق ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، 1401هـ/1981م ، ص87 . القيرواني : زهر الآداب ،726/3 . ابن طباطبا: الفخري، ص221-222. الدوري : العصر العباسي ، ص167 .

(2) القيرواني : زهر الآداب ،726/3 . ابن طباطبا: الفخري، ص222.

(3) الكروي : نظام الوزارة ، ص201 .

(4) ابن طيفور : أحمد بن طاهر (ت 280هـ/893م) بغداد ، تصحيح محمد الكوثري ، د.م ، د.أ ، 1368هـ/1949م ، ص118 . ابن النديم : الفهرست ، ص207 . وقال القيرواني : « أن المأمون استشار سهل بن أحمد بن أبي خالد فرشحه للوزارة ». زهر الآداب ،726/3 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص74 .

(5) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص74 .

(6) ابن طباطبا : الفخري ، ص221 . يقول الذهبي : « كان جواداً ممدوحاً شهماً داهية سائساً » ، سير، 255/10.

(7) قال ابن طباطبا : توفي سنة 210هـ . الفخري ، ص222 . وقال الذهبي : في سنة 212هـ . سير ،256/10 .

(8) هو : أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح ، أبو جعفر الكاتب مولى بني عجل ، كان من أفضل كُتَّاب المأمون ، ومن أهل الكوفة . توفي سنة 213هـ/828م . الخطيب : تاريخ ، 216/5-218 . الزركلي : الأعلام ، 272/1 .ولمزيد من المعلومات عنه أنظر: الفصل الثالث بموضوع مشاهير بعض الكُتَّاب وإسهاماتهم الفكرية .

(9) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص137 . ابن طباطبا : الفخري ، ص223 . وقد ذكر في اختياره غير ذلك القيرواني : زهر الآداب، 483/2-485 . وقد أشار إلى وزارته أيضاً : المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 . ابن العمراني : الأنباء ، ص103 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص75 .

(10) الثعالبي : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، ص84-85. الخطيب : تاريخ، 216/5 . اليوزبكي : الوزارة ، ص65 .

وقد سبق له أن تولى ديوان الرسائل للمأمون[1] ، وكذلك ديوان السر وبريد خراسان وصدقات البصرة ، وكان المأمون معجباً بفصاحته ومقدرته الكتابية[2] ، يقول ابن طباطبا عنه: ((**كان كاتباً فاضلاً ، أديباً شاعراً ، فطناً بصيراً بأدوات الملك وآداب السلاطين**))[3].

يقول الخطيب البغدادي عن أحمد بن يوسف : ((**... كان من أفاضل كُتَّاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم ، وأجمعهم للمحاسن ، وكان جيد الكلام ، فصيح اللسان حسن اللفظ مليح الخط**)) [4] ، يقول القيرواني (ت 354هـ/1061م) : كان أحمد بن يوسف ((**عالي الطبقة في البلاغة ولم يكن في زمانه أكتب منه**)) [5] .

وبعد عزل أحمد بن يوسف استوزر المأمون القاضي يحيى بن أكثم[6] ، وكان من جملة العلماء والفقهاء ، فكان إليه تدبير المملكة والقضاء ، وقلَّما اجتمعا في شخص واحد[7] .

ويشير الثعالبي إلى اتصال ابن أكثم بالمأمون منذ وقت مبكر . وذلك عندما كان المأمون بمرو فاختص به واستولى على قلبه وصحبه إلى بغداد وأحَّله منه محل الأقارب وأقرب ، وكان متقدماً في الفقه وآداب القضاة ، وحسن العشرة عذب اللسان ، وافر الحظ من الجد والهزل ، وكان قد ولاَّه المأمون قضاء القضاة[8] ، وأمر أن لا يحجب عنه ليلاً ولا نهاراً ، وأفضى إليه بأسراره وشاوره في مهماته[9] .

---

(1) الأصفهاني : الأغاني ، 127/23 .

(2) ابن طيفور : بغداد ، ص128–129 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص75 .

(3) الفخري ، ص223 .

(4) تاريخ ، 216/5 .

(5) القيرواني : زهر الآداب ، 483/2 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص75 .

(6) ابن طيفور : بغداد ، ص139 . ولم تحدد المصادر سنة عزل أحمد بن يوسف عن الوزارة وقد سبقت الإشارة إلى أنه تولى الوزارة بعد وفاة أحمد بن أبي خالد الذي قيل أنه توفي سنة 210هـ وقيل سنة 212هـ وقد توفي أحمد بن يوسف على ما ذكره الخطيب سنة 213هـ – أي أنه لم يدم طويلاً في الوزارة – تاريخ ، 318/5 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص76 .

(7) الخطيب : تاريخ ، 191/14، 197 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 147/6–148 . اليوزبكي : الوزارة ، ص65 .

(8) قضاء القضاة : استحدث في عصر الدولة العباسية ، وهو يشبه وزير العدل اليوم ، وكان يقيم في حاضرة الدولة ، وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وكان الخليفة الرشيد يجله ويكرمه ، فدعاه قاضي القضاء . أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص121 .

(9) ثمار القلوب ، ص156 .لم يذكر صاحب الفخري يحيى ابن أكثم في عداد وزراء المأمون ويظهر أنه كان بمثابة مستشار للخليفة فيما يجري على أيدي الوزراء من الأعمال . اليوزبكي :الوزارة ، ص65 . وهو : يحيى بن أكثم بن محمد التميمي الأسدي المروزي – أبو محمد – قاضي رفيع القدر ،عالي الشهرة ،من نبلاءالفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب ، توفي سنة 242هـ/857م .ابن خلكان : وفيات الأعيان ،147/6–148 . الذهبي : سير ، 345/12 . الزركلي : الأعلام ،138/8 .

ويروى أن يحيى بن خاقان[1] أوصله بالحسن بن سهل ، وقربه من قلبه وأكبره في صدره حتى ولاه قضاء البصرة ثم استوزره المأمون ، وقيل بل إن سبب وصوله إلى المأمون ثمامة بن أشرس ، وذلك منذ أن تولى يحيى قضاء البصرة ، وكان يريد أن يرشحه لوزارة المأمون بعد أحمد بن أبي خالد[2] .

لقد تقلد يحيى بن أكثم عدداً من المناصب قبل توليه الوزارة ، فكان على ديوان الصدقات على الأضراء[3] ، كما تولى قضاء البصرة[4] ، وبغداد وقضاء القضاة[5] ، ومنذ اللحظة الأولى لاختياره في الإدارة اختبر المأمون علمه وعقله فوجده فوق ما يريد[6] وهذا ما يؤكده الخطيب البغدادي بقوله : ((**إن يحيى بن أكثم غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وكان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم ، وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذه بمجامع قلبه ، حتى قلده قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته ، فكان الوزراء لا يعملون في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم**)) [7] .

كما استوزر المأمون أبا عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي[8] ، وكان واحداً ممن أشار بهم الحسن بن سهل على المأمون لتولي منصب الوزارة بعد أحمد بن أبي خالد[9]، وقد وصف بأنه كان شديد الحدة سريع الغضب[10] ، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول بأنه : ((**لم يكن على**

---

(1) هو : يحيى بن خاقان الخراساني – مولى الأزد – أخو الفتح بن خاقان ، ووالد عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل الطبري : تاريخ ، 162/9، 185 . الجهشياري :الوزراء ، ص183 ,186 .

(2) ابن طيفور : بغداد ، ص139 .

(3) الخطيب : تاريخ ، 194/14 .والاضراء :الضُر الفاقة والفقر والمرض ،وذهاب عين أو ضنى . الفيومي : المصباح المنير، ص136 .

(4) ابن طيفور : بغداد ، ص139 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،148/6–149 .

(5) الخطيب : تاريخ ، 194/14، 197–198 .

(6) الطرطوشي : محمد بن الوليد (ت520 هـ /1126م) سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياتي، ط1، د.م ، رياض الريس للكتب و النشر،1990م ، ص412 .

(7) تاريخ ، 197/14–198 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 147/6–148 . ويقول ابن طيفور : « كان من حاله ونبله ومن فهمه ومن صيانته نفسه ما حرك المأمون على اجتنائه واختياريه » بغداد ، ص124 .

(8) ابن طباطبا : الفخري ، ص226 . وقد ذكر وزارته عقب أحمد بن يوسف . كما أشارت مصادر أخرى أن تولي ثابت بن يحيى الوزارة . المسعودي : التنبيه والإشراف ، 304 . ابن العمراني : الأنباء ، ص103 .

(9) ابن طباطبا : الفخري ، ص225 . وذكره المسعودي ضمن الكُتّاب المتقدمين في مجال علمهم . التنبيه والأشراف ، ص304 .

(10) ابن طباطبا : الفخري ، ص226 .

جانب من الكفاءة والمقدرة)) [1] ، على الرغم مما وصف به من الكتابة ، والحذق بالحساب[2] ، إضافة إلى نهوضه بأمور الأموال على أتمِّ ما يكون[3] . مما يرجح أن تمتع أبي عباد بالكفاءة هو الذي دفع المأمون إلى استيزاره[4] .

واستوزر المأمون بعد أبي عباد واحداً من الكُتَّاب المتقدمين هو عمرو بن مسعدة[5] ، ولكن كثيراً من المؤرخين لا يعده من الوزراء ، حيث سماه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً[6]. كما تمرس في الأعمال الإدارية واتصف بالبلاغة والكتابة، وقد تولَّى بلاد فارس وكرمان[7] ، وكان يتحدَّث عن نفسه فيقول : ((**كنت أوقِّع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي**)) [8] ، كما سبق له أن تقلَّد ديوان الرسائل للمأمون[9] .

أما عن تقدَّمه في مجال الكتابة والبلاغة فمن الأمور التي اشتهر بها ، يقول ابن النديم:((**كان بليغاً شاعراً مترسلاً ، وله كتاب رسائل كبير**)) [10] ، ويقول ابن خلكان : ((**كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها ، سديد المقاصد والمعاني**)) [11] .

وتظهر روايات المصادر مدى إعجاب المأمون ببلاغة عمرو بن مسعدة وذلك بذكر كتاب كان قد بعث به ابن مسعدة للمأمون يستعطفه على الجند يقول أحمد بن يوسف : ((**دخلت على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويصوبه ، فالتفت إلي**

---

(1) اليوزبكي : الوزارة ، ص65 .

(2) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 . ابن طباطبا : الفخري ، ص226 .

(3) الذهبي : سير ،199/10 .

(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص78 .

(5) هو : عمرو بن مسعدة بن صول – أبو الفضل – الصولي ، أحد الكُتَّاب البلغاء ، كان مذهبه في الإنشاء الإيجاز ، واختيار الجزل من الألفاظ ، وفي كتب الأدب الكثير من رسائله وتوقيعاته ، توفي سنة 217هـ/832م . الخطيب: تاريخ ،203/12-304. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3-478 . ولمزيد من المعلومات عنه انظر: الفصل الثالث بموضوع مشاهير بعض الكُتَّاب وإسهاماتهم الفكرية . وقد أشار إلى وزارته : المسعودي : التنبيه والأشراف ، ص304 . مروج الذهب ،417/3 . ابن النديم : الفهرست ، ص136 . التنوخي : الفرج بعد الشدة ،307/3 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3 .

(6) ابن الأبار : أعتاب الكُتّاب ، ص116 . اليوزبكي : الوزارة ، ص65 .

(7) القيرواني : زهر الآداب ، 1031/4 .

(8) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3 .

(9) ابن طيفور : بغداد ، ص129 .

(10) الفهرست ، ص178 .

(11) وفيات الأعيان ، 475/3 .

وقد لحظني في أثناء قراءته الكتاب ، فقال : أراك مفكراً فيما تراه مني ، فقلت : نعم ، وقى الله أمير المؤمنين المخاوف ! قال : لا مكروه إن شاء الله ، ولكني قرأت كتاباً وجدته نظير ما سمعت الرشـــيد يقوله عن البلاغة ، فإني ســـمعته يقول : البلاغة التباعد من الإطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو ابن مســـعدة إلينا . فإذا فيه : [كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانقياد على أحســـن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أعطياتهم واختلت أحوالهم] . ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه المســـألة في الإخبار ، وإعفائه سلطانه من الإكثار)) [(1)] .

وكان آخر وزراء المأمون أبو عبد الله محمد بن يزداد بن ســـويد ، الذي ظل يتولّى الوزارة حتى مات المأمون[(2)] ، وكان محمد بن يزداد أيضاً من البلغاء الفصحاء يقول عنه ابن النديـــم:((**كان بليغاً مترسلاً شاعراً ، وله من الكتب كتاب رسائل ،وكتاب ديوان شعر**))[(3)] .

ولما تولّى المعتصم الخلافة (218-227هـ/833-842م) استوزر كاتبه قبل الخلافة الفضل بن مروان[(4)] ، وكان قد تولى بعض الأعمال الإدارية قبل ذلك ، يقول عنه التنوخي (ت384هـ/994م) : وأنه كان من صـــغار الكُتّاب في الدواوين أيام الرشـــيد ، ثم تعطل لما وقعت الفتنة بين الأمين

---

(1) القيرواني : زهر الآداب ، 893/4-894 .وانظر : الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص22 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 272/4 . الخفاجي : أبو محمد عبدالله بن محمد (ت 466هـ/1073م) سر الفصاحة ، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ، د.م ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1389هـ/1969م ، ص203-204 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 478/3 .

(2) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 . ابن طباطبا : الفخري ، ص225-226 . وأشار إلى وزارته أيضاً ابن العمراني : الأنباء ، ص103 . ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص137 , ويقول المسعودي : وزر للمأمون بعد موت أبي مسعدة سنة 217هـ . مروج الذهب ،417/2 . هو : محمد بن يزداد بن سويد المروزي – أبو عبدالله – من أهل خراسان ، تأدب وبرع في كل شيء ، كان شاعراً فصيحاً من وزراء المأمون ، توفي سنة 230هـ/844م بسر من رأى . ابن طباطبا : الفخري ، ص226 . ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة ، القاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، د.ت 258/2 . الزركلي : الأعلام ، 143/7 .

(3) الفهرست ، ص138 . ابن طباطبا : الفخري ، ص226 .

(4) الطبري : تاريخ ، 19/9 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص308 . التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة،تحقيق عبود الشالجي ، د0م، د0أ ، 1391هـــ/1971م ، 47/8 . ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص141 . ابن طباطبا : الفخري ، ص231 . وأشار إلى وزارته أيضاً ابن عبدربه : العقد الفريد ، 121/5. ابن العمراني : الأنباء ، ص121 . والفضل بن مروان بن ماسرجس – أبو العباس – تولى الوزارة للمعتصم في مستهل شهر رمضان سنة 218هـ ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء ، له ديوان رسائل وكتاب جمع فيه الأخبار التي علم بها والمشاهدات التي رأها ، توفي سنة 250هـ/862م . الزركلي : الأعلام ، 151/5 .

والمأمون . وبعدها اتصل بالمعتصم وهو ولي عهد فاستكتبه ، وقلّده بعض أموره ثم تزايدت حاله عنده إلى أن جمع له أمره ورياسته ، ثم خلطه بخدمة المأمون – وهو إذ ذاك خليفة – فولاه ديوان الخراج والضياع إضافة إلى كتبة أخيه ، ولما استخلف المعتصم تمكن منه تمكناً تاماً واستوزره[1] . ويقول أبو زكريا الأزدي (ت 334هـ/945م) : أنه في سنة 217هـ/832م ولى المأمون الفضل بن مروان الدواوين والخاتم[2] .

ويرى ابن خلكان أن المعتصم رعى للفضل قيامه بأخذ البيعة له ببغداد عندما كان ببلاد الروم ، وقبل ذلك طول خدمته إياه قبل الخلافة ، فاستوزره لذلك حيث يقول : ((**أنه عندما توفي المأمون في بلاد الروم ، كان في صحبته المعتصم فأخذ الفضل بن مروان البيعة للمعتصم ببغداد ، واعتد له المعتصم بها يداً عنده ، وفوض إليه الوزارة يوم دخوله بغداد ... وخلع عليه ، ورد أموره كلها إليه ، فغلب عليه بطول خدمته وتربيته إياه واستقل بالأمور ، وكذلك كان في أواخر ولاية المأمون فإنه غلب عليه كثيراً**))[3] .

إن اختيار المعتصم الفضل بن مروان لوزارته يعد تحولاً خطيراً في تاريخ الوزارة العباسية ، حيث لم يكن الفضل على قدر من الكفاءة التي تمتع بها أسلافه من الوزراء[4]، غير أنه لم يكن بالسوء الذي نعته به ابن طباطبا حيث قال عنه : ((**كان عامياً لا علم عنده ولا معرفة ، وكان رديء السيرة جهولاً بالأمور**)) [5] .

فما من شك أن الفضل بن مروان كان أقل في المعرفة والعلم ممن سبقه في منصب الوزارة ، إلا أنه وصف بحسن معرفة خدمة الخلفاء ، كما أشير إلى أن له كتاباً ضمنه رسائله مما يدل على قدرته الكتابية والبلاغية[6] ، يقول عنه ابن النديم : ((**كان قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة**

---

(1) نشوار المحاضرة ، 47/8 .
(2) تاريخ الموصل ، ص408 ، ويقول عنه ابن النديم : « أنه خدم المأمون » . الفهرست ، ص141 .
(3) وفيات الأعيان ، 45/4 ، وأيضاً ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص513 .
(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص82 .
(5) الفخري ، ص231 .
(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص83 .

بخدمة الخلفاء ، وله من الكتب كتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها ورأها ، وكتاب رسائله)) [1] .

ثم غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه[2] ، واستوزر مكانه أحمد بن عمار بن شاذي[3] ، وكان المعتصم قد جعله زماماً على نفقاته الخاصة عندما أراد أن يغير وزيره السابق الفضل بن مروان[4] ، ويذكر ابن طباطبا أن الفضل بن مروان كان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم – وكان من أثرياء أهل بغداد ، كثير الصدقة – فلما نكب الفضل ، لم يقع نظر المعتصم على غير أحمد بن عمار فاستوزره ، وكان جاهلاً بآداب الوزارة[5].

وقد استمر أحمد بن عمار فترة من الزمن على وزارة المعتصم ، ثم تذكر المصادر حادثة جرت له مع المعتصم ، دلَّت على قلة معرفته ببعض آداب الوزارة ، على أثرها نحاه المعتصم عن منصبه ، حيث أدرك أنه لا يتمتع بالكفاءة اللازمة للوزارة ، ورأى الاستفادة من أمانته فجعله على الدواوين بدلاً من العرض عليه[6] فقد ورد على المعتصم كتاب من بعض عمّاله يذكر فيه ((**خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم أحمد بن عمار عن الكلأ ، وكان أحمد يتولى العرض عليه في الحضرة ، فلم يدر ما يقول . فدعا محمد بن عبدالملك الزيات وكان أحد خواصه وأتباعه فسأله عن الكلأ ، فأجابه وفصل في ذلك فقال المعتصم لأحمد بن عمار : انظر أنت في الدواوين وهذا يعرض الكتب ثم استوزره وصرف بن عمار صرفاً جميلاً**)) [7] .

---

(1) الفهرست ، ص141 .

(2) الطبري : تاريخ ، 18/9 ، قال أن ذلك سنة 220هـ وقيل 219هـ ، 20/9 . يوافقه في ذلك الذهبي حيث قال : في سنة 220هـ : تاريخ دول الإسلام ،103/1 ، وقال ابن خلكان : في سنة 221هـ . وفيات الأعيان ، 46/4 . وقال الأزدي : سنة 222هـ ، تاريخ الموصل ، ص424 .

(3) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص308 . ابن الكازروني : مختصرات التاريخ ، ص141. ابن طباطبا: الفخري ، ص231 . ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص114 . ابن وادران : تاريخ العباسيين ، ص548 .

(4) الطبري : تاريخ ، 20/9 .

(5) الفخري ، ص231 . كما قال عنه ابن خلكان بأنه « قليل المعرفة » وفيات الأعيان ، 45/4 .

(6) ابن طباطبا: الفخري ، ص232 .

(7) القيرواني : زهر الآداب ،841/3 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،94/5-95 . ابن طباطبا: الفخري ، ص232 . يقول الذهبي : « ورد كتاب بليغ من الأمير عبدالله بن طاهر فقال المعتصم لابن عمار : أجبه عنه سراً لا يعلم به أحدٌ ، فعجز واحتاج إلى كاتب وعرف ذلك المعتصم فصرفه » سير ، 165/11 .

يقول الثعالبي : إن المعتصـــم لما عزل أحمد بن عمار ((**أمر أن يتولى الأزمة على الدواوين فاستعفى**)) [1] .

والذي يتضح مما سبق أن المعتصم اختار أحمد بن عمار لأمانته ويبدو انه لم يراع فيه شروط الوزارة الأخرى كالكتابة والبلاغة[2] .

وهكذا عزل المعتصم أحمد بن عمار عن الوزارة ، وولى بدلاً منه محمد بن عبد الملك الزيات[3] الذي روي أنه كان أحد خواصه وأتباعه[4] ، كما يقول ابن خلكان : أنه كان ((**أول أمره من جملة الكُتَّاب**)) [5] ، وقد أثنت روايات المصـادر على ابن الزيات وأوضـحت مدى معرفته بآداب الوزارة ، وتقدمه في آداب شـتى ، مما يدل على أن اختياره للوزارة كان اختياراً موفقاً[6]،يقول الجهشـياري: ((**كان نادرة وقته عقلاً وفهماً وذكاء وكتابة وشـــعراً وأدباً وخبرة بآداب الرئاســـة وقواعد الملوك ، نهض بأعباء الوزارة نهوضـاً لم يكن لمن تقدمه من أحزابه وله ديوان شـعر**)) [7]ويقول الخطيب البغدادي: ((**كان أديباً فاضـــلاًعالماً بالنحو واللغة**))[8]واســـتمر محمد بن عبد الملك الزيات على الوزارة حتى وفاة المعتصم[9] .

(1) ثمار القلوب ، ص162 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص85 .

(3) ذكر وزارته للمعتصم ابن عبدربه : العقد الفريد ،121/5 . الأزدي : تاريخ الموصل ، ص429 . ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص141 . ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص114 . وقال وزر له في سنة 224هـ . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص308 . ابن العمراني : الأنباء ، ص110 . ابن طباطبا : الفخري ، ص232 . ابن واردان : تاريخ العباســيين ، ص548 . يقول اليعقوبي أنه وزر بعد الفضـل بن مروان . تاريخه ،478/2 . الطبري : تاريخ ،20/9 الخطيب البغدادي : تاريخ ، 332/2 . الذهبي : تاريخ دول الإسلام ، 103/1 .

(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص232 . وعن اتصاله بالمعتصم انظر الطبري : تاريخ ، 20/9 . القيرواني : زهر الآداب ، 841/3.

(5) وفيات الأعيان ، 94/5 .

(6) مصطفى : الوزارة ، ص168 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص85 .

(7) اليوزبكي : الوزارة ، ص130 . نقلاً عن كتاب « نصوص ضائعة من كتاب الوزراء » للجهشياري ، ص64 . ابن طباطبا : الفخري ، ص32 . حسن الحارثي :وظيفة الوزير الكتابية ، ص86 .

(8) تاريخ بغداد ، 342/2 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 94/5 .

(9) القيرواني : زهر الآداب ، 841/3 . ابن طباطبا : الفخري ، ص232 . الأربلي : خلاصة الذهب ، ص223 .

ولما تولى الواثق الخلافة (227-232هـ/842-847م) استوزر ابن الزيات الذي ظل في الوزارة حتى وفاة الواثق حيث لم يستوزر أحداً غيره[1] ، وتذكر المصادر سبب إبقاء الواثق لابن الزيات على الوزارة ما يدل على رجاحة عقل الواثق وحسن تصرفه ، ومدى تقدم ابن الزيات في أعمال الوزارة وآدابها ، فقد كان الواثق ساخطاً على ابن الزيات ، ذلك أن المعتصم كان قد أمر له بمال – وهو ولي العهد – فأشار عليه ابن الزيات بأن لا يعطيه ، فقبل المعتصم قوله ورجع فيما كان أمر به ، فحلف الواثق إن ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات ، فلما مات المعتصم وتولى الواثق الخلافة ، ذكر حديث ابن الزيات فأراد أن يعاجله فخاف ألا يجد مثله. فقال للحاجب: أدخل عليَّ عشرة من الكُتَّاب ، فلما دخلوا عليه اختبرهم فما كان فيهم من يرضاه فقال الحاجب : ((**أدخل من الملك محتاج إليه – محمد بن الزيات – فأدخله فوقف بين يديه خائفاً ... فقال الواثق : والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك وسأكفِّر عن يميني ، فإني أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثم كفَّر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور إليه**)) [2]

متابعة الخليفة وإطلاعه على أعمال الكُتَّاب :

كان الخليفة يحرص على أن يكون كُتَّابه على كفاءة عالية ، لذلك قام بمتابعة أعمالهم وعاقب كل من أساء وقصر منهم .

وقد احتفظت روايات المصادر بشواهد عدة لمحاسبة الكُتَّاب ومتابعتهم لذلك نجد أن ابن الأبار قدَّم لنا معلومات عن حياة عدد كبير من الكُتَّاب والوزراء في الدولة الإسلامية توضح مدى أخطاء هؤلاء الكُتَّاب وعفو الخلفاء عنهم ، ومعرفة الوسيلة التي تمكّنهم من أن يستعيدوا بها مكانتهم لديهم من رسالة يكتبوها إليهم أو قصيدة يمتدحوهم بها أو يعتذروا فيها عن أخطائهم ويعلنوا توبتهم وندمهم [3] .

---

(1) ابن طباطبا : الفخري ، ص232 ،234. وأشار إلى وزارته للواثق : ابن عبدربه : العقد الفريد ، 122/5 . ابن النديم : الفهرست ، ص136 . المسعودي : مروج الذهب ، 477/2 . القيرواني : زهر الآداب ، 841/3 . الخطيب : تاريخ ، 34/2 ابن العمراني : الأنباء ، ص113 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 101/5 . ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص144 .

(2) التنوخي : نشوار المحاضرة ، 17/8–19 . الصابي : رسوم الخلافة ، ص67 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 99/5 . ابن طباطبا : الفخري ، ص232–233 .

(3) اعتاب الكُتَّاب ، ص27 .

ومن أمثلة متابعة الكُتَّاب ومحاسبتهم ما رُوِي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ أنه وجد في كتاب لأبي موسى الأشعري لحناً ،فكتب إليه عمر أن قنع كاتبك سوطاً[1] ، كما رُوِي ((**إن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر الخطاب τ (بم الله) باءً وميماً وحذف الســـين . فأمر عمر بضربه فضرب ، فقيل : في أي شي ضرب فقيل : في سين . فضربت مثلاً**)) [2] . وقد أوصى عمرτ الكُتَّاب على إنجاز أعمالهم في مواعيدها بلا تأخير ولا تأجيل وذلك بقوله: ((**إن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم لغد ، فإنكم إن فعلتم تذاءبت عليكم الأعمال ، فلا تدرون بأيها تبتدون ، وأيها تأخذون**)) [3] .

لذلك وقع من الكُتَّاب تصـــحيف في كثير ما قرأوه في مجالس الخلفاء ، حتى أحصـــيت عليهم غلطات سقطوا بها في عصرهم وبقيت عار عليهم [4] . ومن ذلك ما رُوى في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله أن : ((**أحص المخنثين في المدينة ، فصـــحف الكاتب فقال : أخص ، فجمع كل من قدر عليه منهم فخصاهم جميعاً**)) [5] .

ولقد ســار خلفاء بني العباس على نهج من ســبقهم في متابعة الكُتَّاب ومحاســبتهم على كل ما يصدر منهم من تصرفات لا تليق بمكانتهم ، ومن ذلك محاسبة الخليفة أبو جعفر المنصور لكُتَّابه ومتابعتهم أنه قام بعض كُتَّاب ديوان الخراج بالتزوير في أعمال الديوان فأمر بإحضارهم وتقدم إليهم بالتأديب والجلد ، فضرب بعضهم أمامه وجيء بالآخر للعقوبة . فالتفت نحو المنصور وقال :

أطال الله عمرك في صلاح   وعزك يا أمير المؤمنينا

بعفوك استنجد فان تجدنـي   فإنك عصمة للعالمينا

ونحن الكاتبون وقد أسانا   فهبنا للكرام الكاتبينا

---

(1) الصـــولي : أدب الكُتَّاب ، ص 133 . ابن الأبار : إعتاب الكُتَّاب ، ص 126 . وجاء قريب من هذا الخبر عند الجاحظ ،البيان ،2/216-217 .

(2) الصولي : أدب الكُتَّاب ، ص 24 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص16 . محمود المقداد :تاريخ الترسل النثري ، ص322 .

(4) الصولي : أدب الكُتَّاب ، ص 50 - 51 . الأصفهاني :التنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط1 ،بغداد ،مكتبة النهضة ، 1387هـــ/1967م ،ص31 -53 . والتصحيف في اللغة : مصدر الفعل صحَّف يُصحف ومعناه أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته .الأصفهاني :التنبيه ، ص47 .

(5) الجهشـياري : الوزراء ، ص54 . بينما يرجع الصـولي هذه الحادثة إلى عهد سـليمان بن عبدالملك ، أدب الكُتّاب ، ص51–52 . ومثله فعل الأصفهاني : التنبيه ، ص47 .

فعفا عنهم ونهاهم أن يعودوا إلى مثلها [1].

وحُكي مرة أن المنصــور أثقل على كُتَّابه تفقده لأعمالهم ومراعاته لها ، فقالوا لطبيبه : لو عملت له شغل يشغله عنَّا [2] ، وأنكر ذات يوم على صاحب ديوان الخراج محمد بن جميل تقصيراً يستحق عليه العقاب فأمر بجلده على بطنه [3].

كما كان الهادي يتابع كُتَّابه ويحاســبهم على تقصــيرهم في أداء أعمالهم ، من ذلك مارواه الجهشـياري ((**أن الهادي سـخط على بعض كُتَّابه – ولم يسـم لنا الكاتب – فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده ؛ فقال له : يا أميرالمؤمنين ،إن اعتذاري فيما تقرعني به رد عليك ، وإقراري بما بلغك يوجب ذنباً على لم أجنه ،ولكنى أقول:**

فإن كنت ترجو في العقوبة رحمة ... فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر

فصفح عنه ، وأحسن إليه)) [4] .

ولما تولَّى الرشـيد الخلافة أهتم بمتابعة الكُتَّاب والاطلاع على أعمالهم فخصَّـص جزءِ من وقته يحاسبهم عما لزم من أموال الناس ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين [5].

ولما تولَّى الأمين الخلافة لم يكن على مســتوى الخلفاء الذين ســبقوه في متابعة أعمال الكُتَّاب والاهتمام بالدواوين والجهشياري يروي مدى إهمال الأمين للدواوين ، ويشرح كيف تم إحراق الدواوين قائلاً: ((**وعزم الأمين يوماً على الاصــطباح ، وصــنعت له الموائد فلما ابتدأ بالأكل دخل عليه إسماعيل بن صبيح فقال : يا أمير المؤمنين هذا هو اليوم الذي وعدتني فيه أن تنظر في أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال . وقد اجتمعت علي أعمال منذ سنة لم تنظر في شيء منها ، ولم تأمر فيها . وفي هذا دخول خلل في الأعمال فقال له محمد : أن اصــطباحي لايحول بيني وبين النظر....فأحضـر ما تريد عرضـه فاعرضـه علي وأنا آكل لأتقدم إليك فيه بما يحتاج إليه ، إلى أن يرفع الطعام ، ثم أتم النظر فيما يبقى ولا أسمع سماعا أوابرم الباقي وافرغ منه . فحضر**

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص 136 . ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الأول ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ،1405هـ/1984م ، ص261 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص 139.

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص 134 .

(4) الجهشياري : الوزراء ، ص 169 . ابن الأبار : إعتاب الكُتَّاب ، ص75 .

(5) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، 186/2 . ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص 249 .

كُتّاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم ، وأقبل إسماعيل بن صبيح يقرأ عليهم ، ومحمد يأمر وينهي بأحسن أمر ونهي وأشده ، وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء ، وكلما وقع في شيء وضع بالقرب من إسماعيل بن صبيح .... فما مشوا عشر أذرع حتى أقبل جماعة من النفاطين فضربوا تلك الكتب والأعمال بالنار وكان الفضل بن الربيع حاضرا ومحمد الأمين يضحك ولاينكر ذلك))[1] . يعلق أحد الباحثين المحدثين على هذه الرواية التي ذكرها الجهشياري قائلاً : ((**نجد في هذه الرواية كثير من المبالغة ولكن عمومها يدل على إهمال الأمين لحقوق الأمة الإسلامية وعدم النظر في أمر الخراج ، ودواوينه))**[2].

أما المأمون فحرص على متابعة الكُتَّاب وحثهم على الدقة في الكتابة وحذرهم من اللحن والإعجام في كتاباتهم[3]، ويروى الصولي أن وزير المأمون أحمد بن أبي خالد الأحول قد وقع منه تصحيف في أحد مجالس المأمون للمظالم فمرت به قصة عليها فلان البريدي فقرأها ((**الثريدي**)) ، فأمر المأمون أن يطعم ، وقال : أبو العباس جائع – يعني وزيره ابن خالد – فغذوه ثم قرأ فلان الحمصي فقال : الخبيصي ، فقال المأمون : ما في طعام أبي العباس خبيص فأطعموه[4] .

وعلى كل حالٍ فإننا نجد بعض الخلفاء قد عاقب كُتَّابه على سوء كتاباتهم ، ولكن لم تكن هذه العقوبات إلا محاولة للتنبيه على ضرورة ضبط الكتابة الخطية ضبطاً صحيحاً .غير أن بعض العقوبات كان فيها تجاوز وأن بعضها الآخر كان صحيحاً مقبول . بينما نجد البعض عاقبهم على تقصير صدر منهم أثناء أدائهم لأعمالهم لا تليق بمكانتهم كمسؤلين في الدولة[5] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص299–300 .
(2) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص256.
(3) ابن الأبار : إعتاب الكُتَّاب ، ص 126 .
(4) أدب الكُتّاب ، ص51 . الأصفهاني : التنبيه ، ص50–51.
(5) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص319 .

المبحث الثاني

علاقة الكُتَّاب بالوزير

التدرج التاريخي لوظيفة الوزارة :

تعتبر الوزارة وظيفة الوزير [1]، فقد كانت معروفة لدى الأمم التي سبقت قيام الدولة الإسلامية فقد قيل أن ملوك العرب قبل الإســلام في اليمن والحيرة والشــام يســمون من يوازرهم أعباء الملك الراهن لأنه مرتهن التدبير، والزعيم لأنه زعيم يصــــوب الرأي ، والكافي لأنه يكفي الملك مهمات الأمور، والكامل لأنه المفروض فيه أنه كامل الفضائل[2] .

ويشـــير الأبشـــيهي (ت 585هـ/1189م) إلى حاجة الملوك إلى الوزراء فيقول : ((**كما يحتاج أشـجع الناس إلى السـلاح ، وأفره الخيل إلى السـوط واحد الشـفار إلى المسـن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير**)) [3] .وقد قيل : ((**لا يصلح السلطان إلا بالوزراء والأعوان**)) [4] . وقال أبو الحسن بن سلام(ت544هـــ/1149م): ((**يصون الملك عن الامتهان ويرفعه عن التبذل في كل مكان**))[5] .

ويصف ابن خلدون الوزارة بأنها ((**أم الخطط السلطانية والرتب المملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة ، فطبيعة عمل الوزير أن يعاون الخليفة في شتى الأمور وهي بهذا الشمول تفوق المناصب الأخرى التي تخصصت كل منها لعمل معين كالكتابة والحجابة والجباية**)) [6] .

وقد دعا موسىυ ربه فقال : (**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**) [7]وقال تعالى مستجيباً لموسىυ:(

---

(1) ابن الخطيب السـلماني : أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 776هـ/1375م) الإشــارة إلى أدب الوزارة ، تحقيق ودراســة محمد كمال شبانه ، د.م ، د.أ ، د.ت ، ص37 . واليوزبكي : الوزارة ، ص19 . وقد قيل أن لفظ الوزارة تطلق على ثلاث معانٍ وهي : الوَزَربفتح الواو والزاي بمعنى الملجأ والحبل الذي يعتصم به لينجى من الهلاك . أما الثاني : من الوزر أي الحمل الثقيل لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله ، والثالث : من الأزر أي الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كما يقوي البدن الظهر . ابن منظور : لسان العرب ، 282/5-283 .

(2) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص294 . اليوزبكي : الوزارة ، ص19 .

(3) المستطرف في كل فن مستظرف ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر العربي ، 1997م ،121/1 . طاش كبرى زاده : أحمد مصطفى (ت 968هـ/1561م) : مفتاح ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مراجعة وتحقيق ، كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 1968م ، 414/1 .

(4) الأبشيهي : شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ/1446م) المستطرف ،121/1 .

(5) ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ،189/1 . ولمزيد من المعلومات عن مكانة الوزراء وأهميتهم لدى الملوك والخلفاء انظر : الثعالبي : تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي وابتسـام مرهون الصـفار ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1977م ، ص41-42 ، 99-103 . وابن سلام هو : أبو الحسن سلام بن عبدالله بن سلام الباهلي الأشبيلي ، كان من وزراء المعتمد بن عباد ، له كتاب « الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق » وقد توفي بشلب سنة 544هـ/1149م . ابن الأزرق : بدائع السلك ، 189/1 .

(6) مقدمة ، 203/1.

(7) سورة طه الآية 29- 32 .

وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً) [1]، أي أن الله تعالى شد عضد موسى بأخيه ليعينه في تحمل أعباء النبوة ، وكما قيل : فإن أعلى المناصب وأفضل الرتب النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وإن جميع الملوك والسلاطين يحتاجون إلى الوزراء حتى الأنبياء والرسل مع علو شأنهم وسمو سلطانهم فإنهم يحتاجون إليهم[2] .

وقد عرف الفرس الوزارة منذ عهد الدولة الساسانية إذ كانت ملوك آل ساسان يقيمون لاحتجابهم عن الرعية وسطاء يصرفون أمور الدولة ويرسمون سياستها ويعينون موظفيها ، وكان من أشهرهم (برزجمهر) وزير أنوشروان الذي عرف بحكمته وحنكته[3] .

كما عرف اليونان الوزارة أيضاً حيث اعتمد الاسكندر الأكبر في آرائه على أرسطوطاليس الذي عرف بالحكمة ، حيث كان يعتمد عليه في الرأي والمشورة أي يعتبر بمثابة الوزير له[4] . لقد ورد لفظ الوزير في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ρ : ((**إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق : إن نسي ذكّره ، وإن ذكر أعانه ؛ وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء : إن نسي لم يذكّره ، وإن ذكر لم يعنه**)) [5] كما ورد لفظ منصب الوزارة في لقاء المهاجرين بالأنصار يوم السقيفة ، عندما نهض أبوبكر الصديق τ وألقى خطبة له في الأنصار ، وقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء[6] ، وعن علي بن أبي

---

(1) سورة الفرقان لآية 35 .

(2) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية الإسلامية ، ص100 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، ط10 ، القاهرة ، دار المعارف 1966م ، 22/3 . الكروي : نظام الوزارة ، ص15 .

(4) الجهشياري : الوزراء ، ص95 والكروي : نظام الوزارة ، ص15. وكان حكماء اليونان يعرفون فضل الوزارة ويبرزون أهميتها من الشرائع والسنن ويختارون الوزراء من الأسر الشريفة والبيوت العريقة . اليوزبكي : الوزارة ، ص36 . ويعد منصب الوزير منصباً ارتبط بالخليفة وصار بمثابة المساعد له والمسؤول عن إدارة جميع المناصب الإدارية ، بالإضافة إلى أنه كان بمثابة الصديق للخليفة والمستشار له . جوزيف بورلو : الحضارة الإسلامية ، نقله إلى العربية ريمة الفوّال ، راجعه وقدّم له سهيل زكّار ، دمشق ، دار الكتاب العربي ، 1421هـ/2001م ، ص83 . نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، د.م ، دار المعرفة الجامعية ، د.ت ، ص47 . مصطفى الرافعي:حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ،ط2 ، د.م ، دار الكتاب اللبناني ،1968م ، ص120-121 .

(5) أبو داود : سنن أبي داود ، 131/3 رقم 2932 .الحسن بن عبدالله : آثار الأول في ترتيب الدول ، 144/1 .

(6) البخاري : الصحيح، 1341/3-1342 ، رقم 3467 . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، 7/1 . الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص26 .

طالب τ ، قال : قال رسول الله ρ : ((**أنه لم يكن نبي إلا أعطي سبعة نقباء وزراء نجباء ، وإني أعطيت أربعة عشر وزيراً نقيباً نجيباً**)) [(1)] .

إن لفظة الوزير التي ذكرت في الأحاديث الشريفة عن النبي ρ وعن الصحابة لم يقصد بها أن هناك منصباً للوزير قد تحددت مهامه بل كان معناه استعانة الأمير أو السلطان بمن يشدُّ أزره أو يعاونه في الحكم[(2)] .

مفهوم الوزارة في عهد النبي ρ :

كان النبي ρ يستعين في تصريف أمور الدولة وقضاء مصالح الناس بأصحابه رضوان الله عليهم[(3)] ، الأمر الذي دعا بعض الباحثين إلى قوله بأن هؤلاء الصحابة تولوا اختصاصات الوزير ولكنهم مع ذلك لم يتسموا بالوزراء [(4)] ، لأن وظيفة الوزير لم تكن معروفة لدى المسلمين لبساطة الإسلام وبعده عن أبهة الملك[(5)] .

والحق أنه ليس من المعقول اعتبار جلّ الصحابة رضوان الله عليهم قد قاموا باختصاصات الوزير، ولكن هناك البعض منهم من خصَّه ρ واستعان بهم ببعض الأمور، كأبي بكر الصديق τ وعمر بن الخطاب τ اللذين قال فيهما ρ : ((**000 وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر**)) [(6)] ، وقال ابن خلدون : كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره[(7)] . أما البعض الآخر من الصحابة فكانوا يقومون بمهام أخرى ككتابة الوحي والمدينات والعهود والمعاملات والكتابة إلى الملوك والكتابة بين الناس وغير ذلك من المكاتبات التي تخصَّ مصالح الدولة ، وعلى الرغم من تلك المهام التي قاموا بها لم يطلق عليهم مسمى وزير، لأنه لم يكن للمسلمين وزير متعين المرتبة للوزارة لبعد الإسلام عن مظاهر الملك [(8)].

مفهوم الوزارة في عهد الخلفاء الراشدين :

---

(1) ابن حنبل : المسند ، ص95 ،رقم 665 . وأيضاً الكتاني : التراتيب الإدارية ، ص19 .
(2) ابن خلدون : مقدمة ، 293/1 . الكروي : نظام الوزارة ، ص19 . مصطفى : الوزارة ص115 .
(3) بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص78 .
(4) الكروي : نظام الوزارة ، ص17 ، 23 . اليوزبكي : الوزارة ، ص21 .
(5) ابن خلدون : مقدمة ، 294/1 .
(6) الترمذي : سنن الترمذي 5/ 278– 279 . رقم 3761 .
(7) مقدمة ، 249/1 . حسن إبرهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص 13 . الكروي : نظام الوزارة ، ص16.
(8) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص93 .

كان أبو بكر الصديقτ يستشير الصحابة ويستعين بهم في تنفيذ المصالح العامة فقد أوكل أمر الأشراف على القضاء وتوزيع الصدقات إلى عمر بن الخطابτ ، كما أسند إلى علي بن أبي طالب τ الإشــراف على أســرى الحرب وشـؤونهم ، وكذلك فعل عمر بن الخطاب τ حين خصّ عليّاً τ ببعض أمور الدولة . وهكذا أيضاً شأن عثمان وعلي في خلافتهما[1] .

مفهوم الوزارة في عهد الأمويين :

عندما تولَّى بنو أمية الخلافة واتسعت الدولة الإسلامية احتاجوا إلى من يستشيرونهم ويستعينون بهم في أمور الدولة السياسية والإدارية ، فاتخذوا بعض المستشارين والمعاونين من الأمراء والولاة ، فأصـبحوا بمثابة الوزراء في العصـور الأخرى ، وكانوا ينظرون في شـؤون الحكم والإدارة والشـؤون المالية وديوان الجند[2] . ولم تظهر الوزارة في العصــــر الأموي بالصــــورة التي ظهرت عليها في العصـر العباسـي . فكان للخلفاء الأمويين كُتَّاب يتولون لهم الكتابة ، فكان الكاتب بمثابة أمين سـر الخليفة وصاحب ديوانه وسجلاته[3] .

وكان الكاتب من أبرز الموظفين في العصــــر الأموي وكان بمثابة الوزير إذ يعاون الخليفة في شؤون الدولة ويحفظ سره[4] ، وهؤلاء الكُتَّاب يمثلون النواة الأولى لفكرة الوزارة[5] .

ومن هذا يتضــــح لنا أن الوزارة قد تبلور مفهومها عند خلفاء بني أمية ، وإن لم تكن قد ظهرت خصائصها جلية ، وتقررت قواعدها في وضوح وتميز[6] .

ولذلك يقول ابن خلدون : ((**في دولة بني أمية ، حينما استحفل الملك بعد ذلك ، ظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب وإستئلافهم ؛ وأطلق عليه اسم الوزير. وبقى أمر الحسبان في الموالي والذميين . واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على أسرار السلطان أن تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ؛ ولم يكن بمثابة الوزير لأنه إنما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث**

---

(1) ابن خلدون : مقدمة ،294/1 . ابن الخطيب السلماني : الإشارة إلى أدب الوزارة ، ص47–48 . اليوزبكي : الوزارة ، 20–21 . مصطفى : الوزارة ، ص120–121 .

(2) ابن خلدون : مقدمة ، 295/1 . اليوزبكي : الوزارة ، ص21 . أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص93 .

(3) اليوزبكي : الوزارة ، ص22 .

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 135/1–137 .

(5) الشباني : نظام الحكم ، ص92 .

(6) ابن الخطيب السلماني : الإشارة إلى أدب الوزارة ، ص49 .

اللسان ؛ الذي هو الكلام إذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد . فكانت الوزارة لذلك أرفع رتبهم يومئذ وهذا في ســـائر دولة بني أمية . فكان النظر للوزير عاماً في أحوال التدبير والمفاوضـــات وســـائر أمور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالأهلية وغير ذلك)) [1] .

وعلى هذا الأساس فإنه يجوز من باب التشبه بالوزراء أن يطلق عليهم لقب الوزير إلا أن وظيفة وزير بالمفهوم الذي تحدَّد في العصر العباسي والعصور التالية ، لم تكن من الوظائف المعروفة في الدولة الأموية . فانقضت دولتهم دون أن يتخذ الخلفاء وزراء[2] .

علاقة الوزير بالدواوين في العهد العباسي :

لم تظهر الوزارة في ميدان أعمال الدولة الإسلامية ظهوراً ثابتاً إلا في العصر العباسي ، ومن ثم تعيَّنت مرتبة الوزير في الدولة ، وبذلك يكون المنصـــب الذي كان معروفاً لدى الأمويين بالكاتب والكتابة ، وقد تطور منصب الوزير والوزارة في خلافة بني العباس[3] .

والذي يظهر أن منصـب الوزير في بداية العصـر العباسـي لم يختلف عن منصـب الكاتب في أواخر العصـر الأموي[4] ، فالعباسـيون لم يعرفوا حينئذ نظام الوزارة وسـلطان الوزير ونفوذه بصـورة واضحة ، وإنما وضعوا الحجر الأساسي لهذه المؤسسة ، ثم نمت وتدرجت بعد ذلك ، حتى اتخذت شكلها الثابت في أواخر العصر العباسي الأول[5] .

وبـالتـالي فـإن ولاة الـدواوين كـانوا عـادة مـا يتم اختيـارهم من قبـل الوزراء إلا مـا كـان من بعض الدواوين التي حرص الخلفاء على اختيار ولاتها بأنفســهم ، وكذلك ما يحدث في بعض الأوقات من قيام أحد الخلفاء باختيار ولاة الدواوين بنفســه ، ويجري ذلك في العادة عقب القضــاء على نفوذ أحد الوزراء الذين كانوا يتمتعون بسلطات كبيرة[6] .

---

(1) مقدمة ، 295/1 .
(2) الكروي : نظام الوزارة ، ص25 .
(3) بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص79 . اليوزبكي : الوزارة ، ص21–22 . الباشا : دراسات ص40–41 .
(4) الدوري : النظم الإسلامية ، ص160 . بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص80 . الباشا : دراسات ، ص50
(5) الدوري : العصر العباسي الأول ، ص51–52 . الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة ، ص55 .
(6) حســن الحارثي: الرقابة الإدارية في الدولة العباســية منذ قيامها ســنة 132هـ حتى 247هـ ، رســالة دكتوراه ، قســم الدراســات العليا التاريخية والحضارية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، 1414هـ ، لم تنشر ، ص177 .

فالكُتَّاب هم عادة الوزراء وقد سبقت الإشارة إلى أن منصب الوزراء الذي استحدث في العصر العباسي كان امتداداً لوظيفة الكاتب في العصر الأموي ولم يختلف سوى مسمى الوظيفة[1] .

فكان لظهور منصب الوزارة الأثر العظيم على الدواوين وإدارتها حيث شملت سلطات الوزير الإشراف على معظم الدواوين ومتابعة أعمالها[2] . فأصبح من الضروري تعيين موظفين يعاونون الوزير في الأشراف على أعمال الدواوين وإدارة شئونها ، وقد عرف هؤلاء بالكُتَّاب[3]،بالإضافة إلى مباشرته لأهم شؤون المملكة ، من تنصيب العمال وعزلهم ومباشرة ميزانية الدولة في إيراداتها ومصروفاتها ، وربما ناب عن الخليفة أحياناً ، فتقلّد كافة السلطات . فصار يهيمن على كتابة الرسائل الرسمية مع قيامه بإبداء المشورة للخليفة[4] .

يقول ابن خلدون في هذا الصدد ((**فلما جاءت الدولة العباسية واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتقت ، عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة ، وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب ، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطته من قسم الاعطاءات في الجند . فاحتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه ، وأضيف إليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسل لصون أسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة . لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور. وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع إليه ، فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم**)) [5] .

فمنذ قيام الدولة العباسية والوزراء يتولَّون الدواوين فقد كان خالد بن برمك وزيراً أبي العباس السفاح يتقلّد الدواوين مع الوزارة[6] . ويبدو أن الوزير في هذه الفترة كان يتولى أغلب الدواوين لا

---

(1) مصطفى : الوزارة ، ص164 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير ، ص90 .

(2) الثعالبي : تحفة الوزراء ، ص84 . اليوزبكي : الوزارة ، ص50 .

(3) أحمد الشامي :الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، الدمام ،دار الإصلاح ، 1404هـ /1983 م،ص 174 .

(4) ابن الخطيب السلماني : الإشارة إلى أدب الوزارة ، ص49 . اليوزبكي : الوزارة ، ص50 . يحدد أبو يعلى الفراء اختصاصات الوزير وواجباته بقوله : « الوزير هو وسيط بين (الخليفة) وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر ، وينفذ ما ذكر، ويمضي ما حكم ، ويخبر بتقليد الولاة ، وتجهيز الجيوش والحماة ، ويعرض عليه ما ورد منهم وتجدد من حدث ملّم ليعمل فيه بما يؤمر به ، فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوالاً عليها ولا متقلداً لها . فإن شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص ، وإن لم يشترك فيه كان باسم الوساطة والسفارة أشبه» . الأحكام السلطانية ، ص31

(5) مقدمة ، 2/295-296 . مصطفى : الوزارة ، ص166 .

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص89 ، 94 .

كلها فمع تولي أبي سلمة الخلال الوزارة والإشراف على الدواوين[1] ، عهد أبو العباس السفاح إلى خالد بن برمك بتولي ديواني الجند والخراج[2] .

غير أن المنصور أسند إلى وزيره أبي أيوب المورياني الإشراف على جميع الدواوين[3] . ففي عهد المهدي العباسي أسند رئاسة الدواوين والشؤون الإدارية إلى الوزير، وشمل هذا الإشراف على الجيش وكان معنى هذا امتداد سلطات الوزراء الذين كان تعيينهم يتم وفقاً لكفاءاتهم الكتابية والإدارية[4] .فقد قلّد أبا عبيدالله وزارته ودواوينه[5] . ثم قلّد الوزارة بعد ذلك يعقوب بن داود حيث (سلَّم إليه الدواوين) [6] .

وفي عهد الهادي يقول المسعودي : ((**أن عمر بن بزيع تقلّد الوزارة وديوان الرسائل**))[7] ، ويشير الطبري أن وزارته كانت بعد الربيع بن يونس[8] . ويشير في موطن آخر أن عمر بن بزيع قد تولَّى دواوين الأزمة زمن المهدي مما أعطاه خبرة إدارية وكتابيه أهلته لتولي منصب الوزارة[9] .

وفي عهد الرشيد يقول الجهشياري: ((**كانت الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد مع الوزارة باستثناء ديوان الخاتم**[10]. **الذي لم يلبث أن تولاه بعد ذلك**))[11] ، كما يذكر الطبري أنه لما تولى الفضل بن مروان وزارة المعتصم ((**صارت الدواوين كلها تحت يده**))[12] .

وكان الوزراء يتقلدون عدة دواوين ، من ذلك أن المنصور عندما غضب على أبي أيوب المورياني سنة 153هـ/770م ((**قلّد الخاتم الفضل بن سليمان الطوسي وقلّد كتابة الرسائل والسر**

---

(1) ابن طباطبا : الفخري ، ص105 .

(2) الطبري : تاريخ ، 458/7 ، 460 ، 465 ، 467 . الجهشياري : الوزراء ، ص89 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص97 .

(4) ابن الخطيب السلماني : الإشارة إلى أدب الوزارة ، ص54 . مصطفى : الوزارة ، ص169 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص141 . ابن طباطبا : الفخري ، ص182 .

(6) ابن طباطبا : الفخري ، ص184 . عندما استوزر المهدي يعقوب بن داود أصدر كتاباً إلى الديوان ورد فيه أن أمير المؤمنين آخى يعقوب بن داود ، فلم يكن ينفذ شيء من كتب المهدي حتى يرد كتاب الوزير يعقوب معه إلى أمينه بإنفاذه . محمد كرد علي : الإسلام والحضارة ، ص209 .

(7) مروج الذهب ،326/3 .

(8) تاريخ ، 228/8 .

(9) تاريخ ، 189/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص176 . .

(10) الوزراء ، ص177 . الدوري : العصر العباسي الأول ، ص123 . سرور : الحياة السياسية ، ص212 .

(11) الطبري : تاريخ ، 235/8 .

(12) تاريخ ، 18/9-19 . الأزدي : تاريخ الموصل ، ص424 .

أبان بن صدقة وقلّد ضياعه صاعداً مولاه ، وقلّد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة ، وقلّد ديوان خراج الكوفة وأرضيها عمرو بن كيلغ ، وقلّد الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه)) [1] .

وعندما نكب الرشيد البرامكة قال : ((**أريد أن استعمل قوماً لم يعملوا معهم ؟ فقيل له : لا نجد أحداً لم يكن يخدمهم . فاختار أشفّ من وقع في نفسه من عيون أصحابهم ، فقلّد محمد بن أبان خراج الأهواز وضياعها ، وقلّد علي بن عيسى بن يزدا نيروذ خراج فارس وضياعها ، وولى الفيض بن أبي الفيض الكسكري خراج كسكر وضياعها ، وولى الخطيب بن عبدالحميد مصر وضياعها ... وأبا صالح بن عبدالرحمن ديوان الخراج بمدينة السلام ... وإسماعيل بن صبيح ديوان الخراج ثم الرسائل**)) [2] .

يتَّضح مما سبق أن الدواوين كانت تحت إدارة الوزراء ، وبالتالي فإن اختيار ولاتها كان عائداً إليهم ، وأن الخلفاء كانوا يباشرون اختيار ولاة الدواوين بأنفسهم في أعقاب سخطهم على أحد الوزراء وعزلهم إياه ، وكذلك عند حدوث ظرف آخر مشابه مثل عزل مجموعة من ولاة الدواوين لمخالفات وقعوا فيها فإنهم كانوا يقومون باختيار ولاة الدواوين بأنفسهم[3].

وكان ديوان الرسائل ضمن الدواوين المهمَّة التي يشرف عليها الوزير بحكم منصبه[4] ، حتى أصبح تغير واستبدال صاحب ديوان الرسائل مرتبطاً بتغير واستبدال الوزير[5] بل وربما باشر الوزير أمور ديوان الرسائل بنفسه ، وفي ذلك قال القلقشندي : ((**كان ديوان الإنشاء – الرسائل – تارة يضاف إلى الوزير فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه ، ويتولى أحواله بنفسه ، وتارة يفرد عنه بكاتب ينظر في أمره ، ويكون الوزير هو الذي ينفد أموره بكلامه ، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها ، وصاحب ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ، ويمشي على**

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص124-125 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص254 ، 256 ، 257 .
(3) حسن الحارثي : الرقابة الإدارية ، ص179 .
(4) ابن خلدون : مقدمة، 295/1-296 . بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص190 . صالح أحمد العلي : بغداد مدينة السلام ، العراق ، المجمع العلمي العراقي ، 1985م ، 201/1 .
(5) السامرائي : المؤسسات ، ص276 .

ما يلقى إليه من توقيعه ، وربما وقع الخليفة بنفســـه .. والأمر على ذلك تارة وتارة إلى انقراض الخلافة في بغداد)) [1] .

فعندما عجز عن القيام وحده بجميع ما عهد إليه من ســـلطات احتاج إلى فئة من الكُتَّاب ليقوموا بمسـاعدته[2] . فأصـبح هذا الديوان يضـمُّ مجموعة من الكُتَّاب يعملون فيه سـواء كان على رئاستها أو في مجالسها[3] .

وبعد أن استقر منصب الوزير وتركَّزت اختصاصاته أصبح الوزير يباشر بنفسه الإشراف على فض الكتب الواردة والتوقيع عليها وإحالتها بعد أخذ رأي الخليفة في الأمور الهامة إلى الدواوين ذات الاختصاص[4] .

وكان من ضمن اختصـاصـاته أيضـاً أنه يقوم بكتابة التواقيع للخليفة في حضـرته ، وكان البلغاء يتنافسون في تحصيل توقيعات جعفر البرمكي الذي كان يلي التوقيع للرشيد ليقفوا منها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أنها كانت تباع كل توقيع بدينار [5] .

ومن ضــمن الدواوين التي لها علاقة بالوزير ديوان الخاتم ، حيث كانت الكتب الموجهة من دارة الخلافة تمر به وتثبت فيه ، وتختم بخاتم الخليفة وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة ، وتمت مقابلتها للتأكد من صحتها[6] .

وبلغ من أهمية الخاتم أن كان الوزير في عهد بني العباس إذا تناوله ليختم به كتاباً وقف تعظيماً للخلافة وإجلال لاسم الخليفة[7] .

---

(1) صبح الأعشى ، 127/1 .

(2) الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة ، ص60-61 . الصالح : النظم الإسلامية ، ص303 .

(3) لمزيد من التفصيلات انظر مبحث علاقة الكُتّاب بالدواوين من هذا الفصل .

(4) السـامرائي : المؤسسـات ، ص282 . آدم متز : الحضـارة الإسـلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد عبدالوهاب أبوريده ، أعد فهارسه رفعت البدراوي ، ط4 ، القاهرة مكتبة الخانجي – بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1387هـ/1967م ، 153/1 . أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، 45 .

(5) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، 1399هـ/1979م ،206/1 ، آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 153/1 .

(6) السـامرائي : المؤسـسـات ، ص285 . قدامة : الخراج – المنزلة الخامسـة – ص215 – 216 . آدم متز : الحضـارة الإسـلامية 153/1-154 .

(7) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص288 . بطاينة : الحضـارة الإسلامية ، ص189 . ولما أراد هارون الرشيد أن يستوزر جعفر بن يحيى البرمكي بدل أخيه قال لأبيهما : « يا أبت ! إني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي » فكني له بالخاتم عن الوزارة . الجهشياري : الوزراء ، ص207 .

واسـتمر هذا الديوان إلى أواسـط بني العباس ثم ألغي وحوّلت أعماله إلى ديوان الرسـائل[1] والى نظر الوزراء والسلاطين[2] .

وخلاصـــة القول : أن من ضـــمن المهام التي تناط بالوزير الإشـراف على دواوين الدولة ، وهو أمر كان يتم على النحو التالي :

أولاً – إدارة الشئون المالية للدولة ، وهو ما يعرف في عصرنا الحاضر بوزارة المالية فقد كان الوزير يقوم بتنظيم وإدارة الدولة ونفقاتها : ((**فهو الذي يعمل الدخل والخراج ويفرض الضرائب أو يسقطها**)) [3] ، وكان الوزير يرســل المنشــورات إلى عامل الخراج ، وقد لجأ الخلفاء العباسـيون الأول إلى ذلك الإجراء لإخضــاع عملية جمع الخراج لهم فتصــبح تحت إشـرافهم ويتحكموا بذلك في مصــادر المال وأوجه إنفاقه[4] .

ومثل هذا العمل كان يتطلب من الوزير دراية واســـعة بإيرادات الدولة ومواردها الاقتصـــادية في مختلف الأقاليم والأمصار وتتجلى قدرة الوزير حينما يرى العجز في الميزانية بين الدخل والمنصرف ، فيتخذ التدابير اللازمة لتلافي الأمر وسد العجز[5] .

ثانياً – الإشـــراف على ديوان الرســـائل حيث كان الوزير يتولى كتابة الكتب التي تنفذ إلى العمال والولاة في الأقاليم التي يريد الخليفة إرسـالها لهم ولهذا كما يقول ابن خلدون : ((**جعل له النظر في القلم والترسل لصون أسرار السلطان**)) [6] .

ثالثاً – الإشـراف على إدارة الشـئون الحربية للبلاد ، فقد كان يتولى تنظيم الجيش وتزويده بالسـلاح والمؤن ، وكان في أغلب الأحيان يتولى قيادة الجيوش بدلاً من الخليفة ويأمر بالتعبئة العامة للحرب والدفاع لحماية البلاد وعلى هذا الأسـاس أصـبح الوزير يجمع في شـخصـيته بين السـلطتين المدنية والحربية أي أنه أصبح جامعاً: ((**لخطتي السيف والقلم**))[7].

---

(1) أحمد عبدالرزاق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1990م ص83 .
(2) ابن طباطبا : الفخري ، ص79 . شلبي : تاريخ الحضارة ، ص112 . حسن إبراهيم : النظم الإسلامية ، ص188 .
(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 117/1 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص287–288 . الكروي : نظام الوزارة ، ص34 .
(5) الكروي : نظام الوزارة ، ص34 .
(6) مقدمة ، 296/2 .
(7) مقدمة ، 296/2 .

وخير مثال على ذلك الفضــل بن ســهل وزير المأمون الذي أطلق عليه لقب ذي الرياســتين أي رياسة الحرب ورياسة التدبير [1] .

رابعاً – عقد مجلس للنظر في قضـايا الناس ومطالبهم كما فعل جعفر البرمكي وزير هارون الرشـيد الذي فصـل في يوم واحد في ألف قضـية خاصــة ، ووقع فيها توقيعات موجزة ، وبعد الفحص تبين أن واحداً من تلك الأحكام لم ينتقض ، وأن واحداً منها لم يكن ضد العدالة[2] . وهذا كلام مبالغ فيه إذ لايعقل أن يفصل في يوم واحد ألف قضية .

خامســـاً – تعيين الولاة . وأن الولاية التي تتم عن طريق الوزير نظراً لتعرض الأخير للعزل مما يترتب عليه عزل من عينهم[3] .

وكان مجلس الخليفة يسمى في العصر العباسي (ديوان العزيز) وكان الوزير يتولى رئاسة هذا المجلس ، ولذلك كان يلقب بلقب وزير ديوان العزيز ، وكان رؤسـاء الدواوين المختلفة يلقبون أحياناً بلقب الوزير ولكنهم على الدوام تـابعين لهذا الوزير الأكبر أو بعبارة أدق رئيس الوزراء الذي كان رأس الحكومة[4] .

ويتضـــح مما ســبق أن من تولَّى أمر الدواوين ربما انتهى بهم الأمر إلى تولِّي الوزارة ، فغالبية الوزراء كانوا يتولَّون بعضـاً من الدواوين قبل اختيارهم للوزارة ومن هؤلاء الوزراء كما سـبقت الإشـارة إلى ذلك خالد بن برمك ، عمر بن بزيع ، إبراهيم بن ذكوان ، الربيع بن يونس ، والفضـل بن الربيع ، والحسن بن سهل ، والفضل بن مروان وهناك من تولَّى الدواوين بعد الوزارة مثل معاوية بن يسار تولَّى ديوان الرسائل بعد عزله ، وأيضاً أحمد بن عمار تولَّى الدواوين بعد عزله[5] .

وقد سـبقت الإشـارة إلى أن العمل الأسـاسـي للوزراء هو الكتابة بين أيدي الخلفاء ، لذا نرى أن هناك روايات في بعض المصادر أسمت هؤلاء الوزراء كُتَّاباً[6] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص305-306 .

(2) مولوي : الإدارة العربية ، ص303 . الكروي : نظام الوزارة ، ص35 .

(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص25-27 . الكروي : نظام الوزارة ، ص36 .

(4) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص133 . الكروي : نظام الوزارة ، ص36 .

(5) حسن الحارثي : الرقابة الإدارية ، ص180 .

(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، 90 .

فالوزير خالد بن برمك وصف بأنه كان كاتب أبي العبّاس السفّاح[1] ، وكما وصف الوزير أبو أيوب المورياني بأنه كاتب المنصور[2] وأشير إلى أن الوزير الربيع بن يونس كان يتولى مهمة الكتابة للمنصور[3] .

يقول أبان بن صدقة : ((**كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور**)) [4] ، كما ورد اسم الربيع ضمن قائمة أسماء كُتّاب المنصور[5] ، ويذكر المسعودي وزراء المنصور – خالد بن برمك ، وأبو أيوب المورياني ، والربيع بن يونس – ثم يعقب بقوله : ((**وكتب له عدة غير هؤلاء**)) [6] – في إشارة إلى أنهم كانوا وزراء كُتَّاب[7] .

وورد اسم الوزير معاوية بن يسار ضمن كُتَّاب المهدي[8] ، ويصفه ابن خياط بأنه كان كاتباً للرسائل[9] ، ومع أن مجموعة من المصادر من بينها الطبري تذكر أن يعقوب بن داود كان وزيراً للمهدي ، إلا أن الطبري عند إيراده لأسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة ، يذكر يعقوب بن داود ضمن قائمة كُتَّاب المهدي[10] .

وأشير إلى مجموعة من وزراء الرشيد خالد بن برمك ، والفضل بن الربيع ، وإسماعيل بن صبيح بأنهم كُتَّاب[11] ، كما تذكر بعض المصادر أن إسماعيل بن صبيح تولى الوزارة للأمين[12] ، في

---

(1) الطبري : تاريخ ، 182/6 . ابن الأبار : أعتاب الكُتّاب ، ص65–67 .
(2) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 165/4 . الأربلي : خلاصة الذهب ، ص86 ، ويقول ابن خياط : إن أبا أيوب المورياني كان يتولى الرسائل للمنصور . تاريخ ، ص43 .
(3) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ،ص90 .
(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 299/2 .
(5) الطبري : تاريخ ، 183/6 .
(6) التنبيه والإشراف ، ص296 .
(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص90 .
(8) ابن الآبار : أعتاب الكُتّاب ، ص72 .
(9) تاريخ ، ص442 .
(10) تاريخ ، 183/6 .
(11) ابن الأبار: أعتاب الكُتّاب، ص99. والراجح أن إسماعيل بن صبيح لم يل وزارة الرشيد حسن الحارثي: وظيفة الوزيرالكتابية، ص91.
(12) القضاعي : عيون المعارف ، ص428 .

حين تذكر بعض مصادر أخرى أنه كان كاتباً له[1] ، بل أن المسعودي ينص على أن وزارة الأمين بعد وزيره الفضل بن الربيع كان يقوم بها (من حضر من كُتَّابه) [2] .

وأشارت عدة مصادر إلى أن وزراء المأمون كانوا كُتَّاباً[3] ، لا سيما أولئك الذين تولوا الوزارة بعد الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل[4] .

كما وصـف الطبري محمد بن عبدالملك الزيات الذي تولّى الوزارة للمعتصـم بأنه أصـبح وزيراً كاتباً[5] في حين نجد أن ابن العمراني عندما أفرد قائمة بأسماء كُتَّاب المأمون والمعتصم ، ضمتها نفس الأسماء التي أوردها في القائمة الخاصة بأسماء الوزراء[6] . ويقول ابن الأبار عن محمد بن عبدالملك الزيات أنه كتب للمعتصم ولابنه الواثق[7] .

ويذكر ابن عبدربه الأندلسـي جملة من الوزراء منذ عهد أبي العباس السـفاح وحتى عهد الواثق يشير إلى أنهم كانوا كُتَّاباً للخلفاء[8] .

ولم تذكر المصـادر في الغالب أشـخاصـاً كانت مهمتُّهم الكتابة بين أيدي الخلفاء غير الوزراء ، وإنما ذكرت بعض الأشخاص الذين تولوا الكتابة دون أن توضح حقيقة عملهم[9] . في حين أوردت أسماء بعض الكُتَّاب الذين هم في الواقع ولاة للدواوين[10] .

فيذكر الثعالبي أن عمارة بن حمزة كتب لأبي العباس السفاح والمنصور وتولّى لهما الدواوين[11] ، دون أن يطلق عليهم مسمَّى الوزارة ، كما تذكر المصـادر تولي بعض من أسمتهم كُتَّاباً أكثر من منصب إداري[12] .

---

(1) ابن قتيبة : المعارف ، ص384 . ابن أعثم : الفتوح ، 286/8 . ابن الأبار : أعتاب الكُتّاب ، ص103 .
(2) التنبيه والإشراف ، ص302 .
(3) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص304 ، أيضاً القضاعي : عيون المعارف ، ص346 .
(4) ابن طيفور : بغداد ، ص118 . الأصفهاني : الأغاني ، 127/23 . الخطيب : تاريخ ، 218/5 ، 203/12 .
(5) تاريخ ، 20/9 .
(6) الأنباء ، ص110 ، 103 ، أيضاً ابن الآبار : أعتاب الكُتّاب ، ص130 .
(7) أعتاب الكُتّاب ، ص133 .
(8) العقد الفريد ، 165/4 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 20/1 .
(9) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص93 .
(10) ابن خياط : تاريخ ، ص436 ، 442 ، 443 ، 447 ، 465 .
(11) ثمار القلوب ، ص159 .
(12) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص94 .

غير أن الجهشياري يذكر أن عمارة كان على ضياع مروان وآل مروان زمن السفاح[1] ، ونجد ابن النديم يشير إلى أن عمارة كان يكتب للمنصور ، واستمر في تولّي (الأعمال الكبار) إلى عهد المهدي [2] – دون أن يحدد ما هي تلك الأعمال –[3] .

ولو تتبعنا تاريخ الطبري نجده يذكر أن عمارة بن حمزة قد تقلّد عدداً من المهام ففي سنة 156هـ/772م كان ((**على كور دجلة والأهواز وفارس**)) **وفي سنة 157هـ/773م كان** ((**على الأهواز وفارس**)) وفي سنة 158هـ/774م كان ((**على ديوان خراج البصرة وأرضها**)) وفي سنة 159هـ/775م كان عمارة ((**على أحداث البصرة ... وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس**)) [4] .

يقول ابن خياط : أنه كان على أرض البصرة زمن المنصور [5] ، فلم تكن لعمارة بن حمزة مهمة واحدة يختصُّ بها ، وربما قصد الكتابة هنا تولّي أعمال الدواوين ، إذ كان يطلق على متولّي الدواوين اسم الكُتَّاب ، ومما لا شك فيه أن الكتابة بين يدي الخليفة لم تكن مهمة عمارة بن حمزة[6] .

ويذكر الجهشياري أن عبدالملك بن حميد – وهو أحد الكُتَّاب المتقدمين في صناعة الكتابة – تولّى للمنصور كتابته ودواوينه[7] ، وهذه المهمة هي التي كان يقوم بها الوزراء ، ولعل تكملة الرواية التي يذكر فيها الجهشياري أنه لما تثاقل عبدالملك وتعلل أمره المنصور باتخاذ من ينوب عنه إذا غاب عن حضرته ، فاتخذ أبا أيوب المورياني[8] ، وهذه إشارة واضحة تدل على ((أن

---

(1) الوزراء ، ص90 .
(2) الفهرست ، ص171 ، أيضاً ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 4/31–32 .
(3) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص94 .
(4) تاريخ ، 8/51 ، 53 ، 115 ، 123 .
(5) تاريخ ، ص436 .
(6) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص95 .
(7) الوزراء ، ص96 .
(8) الوزراء ، ص97 .

عبدالملك بن حميد كان يقوم بعمل الوزير دون أن يطلق عليه مسمى وزير[1] ، في حين نجد أن ابن خياط يقول ((**إن عبدالملك بن حميد كان على رسائل الفتوح زمن المنصور**))[2] .

وقد جاءت إشارات بتولّي كُتّاب للمنصور ، إلا أنها لم توضح عملهم الرئيسي الذي كانوا يقومون به ، هل هو الكتابة بين يدي الخليفة كما هو شـــأن الوزراء ، أو الكتابة على الدواوين ؟ ومن ذلك ما ذكره ابن النديم من أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب – كان يكتب للمنصـور وكتب للمهدي ... وكان ثقة مقدماً في صناعته بليغاً راوية ، كما أشار إلى تولّي شخصين آخرين الكتابة للمنصور ، وهما عبدالجبار بن عدي ، ومسعدة بن خالد ، وكلاهما من البلغاء[3]

ولا يمكن أخذ رواية ابن النديم السابقة للدلالة على أن عمر ابن مطرف كان يتولّى شؤون الكتابة بين يدي المنصـــور والمهدي ، ويشـــير ابن النديم في موطن آخر أن عمل عمر بن مطرف هو الإشـــراف على ديوان خراج المشـــرق منذ زمن المهدي وحتى عهد الرشـــيد[4] ، وهذا ما يؤيده الجهشـــياري حيث يقول: ((**كان أبو الوزير عمر بن مطرف يتقلّد للمهدي ديوان الخراج.......**))[5]. كما يقول : ((**أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب ... كان يتقلّد ديوان المشـــرق للمهدي وهو ولي عهد ، ثم كتب له في خلافته ، ولموسى ولهارون ، وأنه عمل في أيام الرشيد تقديراً عرضــه على يحيى بن خالد ، لما يُحمل إلى بيت المال بالحضـرة من جميع النواحي ، من المال والأمتعة ...**))[6] .

إضـــافة إلى ذلك ما يذكره ابن خياط من أنه في عهد المهدي كان ((**كاتب الديوان إبراهيم بن صالح ، فمات فولّى أبا الوزير عمر بن مطرف**))[7] ، أي أن ابن مطرف كان يتولّى الكتابة على ديوان الخراج[8] .

---

(1) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص95 .
(2) تاريخ ، ص436 .
(3) الفهرست ، ص181–184. حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص96 .
(4) الفهرست ، ص 184. حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص96 .
(5) الوزراء ، ص166 .
(6) الوزراء ، ص281 .
(7) تاريخ ، ص442 .
(8) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص96 .

وكان لأسرة الحصين بن قيس بن قينان بن متى عراقة في مجال الكتابة منذ العصر الأموي، فقد أمن المنصور الحصين فعمل في خدمته وخدمة المهدي – ولم يشر إلى أنه تولى الكتابة – ثم أنه بعد وفاة الحصين استكتب المهدي ابنه عمر [1] ، دون أن يوضح ما هي طبيعة عمله الكتابي[2] .

إن مسمى الكُتَّاب ظل يطلق على أشخاص كانوا يتولون مهاماً مختلفة في الدولة ، فالتخصُّص الوظيفي على أساس المسمَّيات لم يكن قد استقر بعد ، فقد ذكر أن المنصور عين كاتباً على الأضراء يختاره الأضراء بأنفسهم بعد أن عزل عنهم كاتبهم السابق لسوء سيرته[3] .

كما تشير المصادر أن المأمون لما عاد إلى بغداد قادماً من خراسان سنة 204هـ/819م خطر له تقليد الأعمال لأنصاره الذين قدموا معه من خراسان – فطالت عطلة كُتَّاب السواد وعماله[4] ، فالكُتَّاب يقصد بهم هنا من يقومون بتولِّي النواحي الإدارية في الديوان ، أما العمال فهم جباة أموال الخراج ، وهذا ما يتضح من نص الرواية[5] .

وهناك مجموعة من الكُتَّاب الذين ترددت أسماؤهم في المصادر كانوا في الواقع كُتَّاباً على الدواوين[6] ، غير أن ذلك لا يمنع وجود إشارات صريحة إلى تولي بعض الأشخاص مهمة الكتابة بين يدي الخلفاء ، وقد كان ذلك في فترات معينة في تاريخ الدولة العباسية ، استغنى فيها بعض الخلفاء عن الوزراء ،أحلّوا محلّهم كُتَّاباً يقومون بالمهمة ذاتها التي كان يقوم بها الوزراء.

فالكتابة بين أيدي الخلفاء كان يقوم بها الوزراء ، لذلك أطلقت عليهم روايات بعض المصادر مسمى كُتَّاب ، وقد يقوم بها أحياناً بعض الكُتَّاب دون أن يسمى أحد منهم وزيراً[7].

---

(1) نشوار المحاضرة ، 136/8 .

(2) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص97 .

(3) الخطيب : تاريخ ،145/11 . حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص 97 .

(4) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، 355/2-356 .

(5) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص97 .

(6) الطبري: تاريخ ، 182/6-86 . يستثنى منهم الوزراء الذين أورد أسماءهم ضمن هؤلاء الكُتّاب – حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ،ص97.

(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص98-99 .

المبحث الثالث

علاقـة الكُتَّـاب بالدواويـن

أصل كلمة ديوان :

اختلفت المصــادر بصــدد الاشــتقاق اللغوي لكلمة ديوان فهناك من يقول : أنها عربية من دوّن الشــيء , أي أثبته , وهناك من يرى أنها فارسـية معربة[1] والأصـل أن كسـرى الفرس نظر يوما إلى كُتَّاب ديوانه فراهم يحسـبون مع أنفسـهم , فقال : ديوانه أي مجانين , فسـمي موضـعهم بهذا الاسم , ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان . وقيل أيضـا أن ديوان الفارسية اسم للشياطين , فسمى الكُتَّـّاب باسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ، ثم سـمى مكان جلوسـهم باسـمهم فقيل ديوان[2] . وأن لفظة ديوان صـارت تعنى مجموع الصـحف أو الكتب أو السـجل الذي يكتب فيه اسماء المقاتلين ومقدار ما خُصِّص لهم من رزق وعطاء , كما صارت تعنى المكان الذي يجلس فيه الكُتّاب وتحفظ فيه السجلات[3] .

اقتضـت رعاية مصـالح الناس و الإشـراف على تصـريف أمورهم في الداخل وما يتصـل بها في الخارج أن تتخذ الوسـيلة إلى تحقيق ذلك ، وقد قام الرسـول عليه الصـلاة والسـلام ، باتخاذ الترتيبات والإجراءات التي تفي بحاجات الناس ومصـالحهم في المجتمع الجديد ، فاتخذ الرسـول ρ كُتَّاباً – كما أشرنا سـابقاً – يكتبون فيما يأتي من الوحي ، وما يعرض للرسول من حوائج وما يبعث به من الكتب للأمراء والرؤسـاء والملوك ، وما يقع بين الناس من المداينات والمعاملات وما يجري بينهم من مصالح في قبائلهم ومياههم ودورهم ، وما يصيب المسلمين من غنائم ، وما يؤدونه من صدقة ، وغير ذلك من الأغراض والمصالح [4] .

ويكون الرسول عليه الصـلاة والسـلام بما اتخذ من الكُتَّاب الذين استعان بهم في تصـريف الأمور قد وضــع نواة الجهاز الإداري للدولة الإسـلامية . إلا أنه لم يؤثر عنه أنه اتخذ الديوان بالمعنى

---

(1) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص188 ، وأيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ،123/1-124 .
وقد ذكر الزبيدي أن للديوان خمسة معان ذكرها مفردة: « الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ، ومجموع الشعر » تاج العروس ، 204/9.

(2) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص199 . البطليوسي : الاقتضـاب ، ص100 ، كذلك روي عن عبدالله بن عباس رضـي الله عنهما أنه قال : « إذا قرأتم شـئياً من القرآن ولم تعرفوا عربيته فاطلبوه من شـعر العرب فإنه ديوانهم » البطليوسـي : الاقتضـاب ص100 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 123/1 .

(3) ابن منظور : لسان العرب ، 166/13. حسن : النظم الإسلامية ، ص186 . عبد الشافي عبداللطيف : العالم الإسلامي في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م) ، ط2 ، د.م ، د.أ ، 1414هـ/1993م ، ص650 .

(4) الجهشياري : الوزراء ، ص 12- 14 . بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 181 .

الذي صـار الديوان يحمله من بعد من مثل وجود موظفين منقطعين ومرتزقين يعملون في الديوان حتى تعطي الاسـتمرارية في خدمته ومواصـلة القيام بوظائفه تحديداً واضـحاً وإطاراً مسـتقلاً للديوان[1] .

بدء تدوين الدواوين :

لم يكن على عهد رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام ، وعهد أبي بكرτ ديوان لإحصـاء الأموال وضـبط العطاء ، فلما جاء عهد عمرτ كثر المال ، واتسـعت البلاد ، وكثر الناس ، فدونت الدواوين لوجود الحاجة إلى ذلك ؛ فكان عمرτ أول من وضـع الدواوين في الدولة الإسـلامية (ديوان الجند والعطاء) [2]، وعبر الماوردي عن أهمية خطوة عمر بن الخطاب في اسـتحداث الديوان لكونه موضـع لحفظ ما يتعلق بحقوق السـلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[3].

واختلف الكثير في سبب وضعه له ، فقال البعض :

سببه أن أبا هريرةτ قدم عليه بمال البحرين فقال له عمر: ماذا جئت به ؟ فقال : خمسمائة ألف درهم[4] ، فاسـتكثره عمر فقال له : اتدري ماتقول ؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات ، فقال عمر أطيب هو ؟ فقال لاأدري ؟ فصـعد عمر المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شـئتم كلنا لكم كيلاً، وإن شـئتم عددنا لكم عدّاً ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : قد رأيت الأعاجم يدوّنون ديواناً لهم فدوّن أنت لنا ديواناً[5] .

---

(1) بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 181 –182 .

(2) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص 108 .

(3) الأحكام السلطانية ، ص199 .

(4) هناك بعض المصـادر تشـير إلى أن المال الذي قدم به ابو هريرة τ من البحرين كان (ثمانمائة ألف درهم) . ابن الجوزي : مناقب أمير المؤمنين ، تحقيق علي محمد عمر ، ط1 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1417هـ / 1997م ، ص113 ، وأيضـاً العسكري : الأوائل ، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري ، الرياض ، دار العلوم ،1401هـ /1981م ، ص242.
أما أبو يوسـف فيرى أن مجموع المال الذي قدم به ابوهريرة قدره « عشـرة الآف ألف » الخراج،تحقيق محمد إبراهيم البنا ، د.م ، دار الإصـلاح ، د.ت ، ص105–106.بينما يرى اليعقوبي أن المبلغ كان (سـبعمائة ألف درهم) تاريخه ،153/2 . السلومي : ديوان الجند ، ص95.

(5) البلاذري : فتوح البلدان ، ص435–436. الجهشياري : الوزراء ، ص16–17.

وقال آخرون : بل ســـببه أن عمر بعث بعثاً وكان عنده الهرمزان[1] فقال لعمر : هذا بعث قد اعطيت أهله الأموال فان تخلف منهم رجل فمن أين يعلم صـــاحبك به فاثبت لهم ديوانا فســـأله عمر τ عن الديوان ففسر له[2] .

وقال البعض الآخر : ((**أن عمر τ اسـتشـار المسـلمين في تدوين الديوان فقال له علي بن ابي طالب τ : تقسم كل سنة ماجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا . وقال عثمان بن عفان τ : أرى مالا كثيرا يتبع الناس ، فإن لم يحصـــــلوا حتى يعرف من اخذ ممن لم يأخذ خشـيت أن ينتشـر الأمر فقال خالد بن الوليد[3] قد كنت بالشـام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ....**))[4].

ولعل هذه الرواية الأخيرة أوضـح في سبب التدوين ، يرشـحها ما ذكره ابن تيمية إذ يقول: ((**ولم يكن للأموال المقبوضــة والمقســومة ديوان جامع على عهد رســول الله ρ وأبي بكر τ ، بل كان يقســم المال شـيئياً فشـيئاً ؛ فلما كان في زمن عمر بن الخطاب τ كثر المال ، واتســعت البلاد ، وكثر الناس ، فجعل ديوان العطاء للمقاتلة وغيرهم**)) [5].

---

(1) الهرمزان : وهو أحد قادة يزدجر ، وقد أسلم وعاش بالمدينة ، وكان من القريبين لعمر بن الخطاب ، وقد أتهم بالمشاركة في قتل عمر بن الخطاب فقتله عبد الله بن عمر في الليلة التي قتل فيها أبوه . الطبري : تاريخ ، 4/88-89 . ابن كثير : البداية والنهاية ، 88/7.

(2) الجهشياري : الوزراء،ص17. الماوردي : الأحكام السلطانية ،ص199.ابن خلدون:مقدمة ، 301/1.

(3) يبدو أن الذي أشار على عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين هو الوليد بن هشام بن المغيرة كما ورد في الطبري : تاريخ ، 209/4 بينما الماوردي والنويري وابن خلدون يذكرون ان الذي اشـار على عمر τ بتدوين الدواوين (هو خالد ابن الوليد) مقدمة ، 614/2 . وابن خلدون لا يفصل الحديث عن الدواوين اذ لايعتبرها من غرض الكتابة . 2 /616 . النبراوي : تاريخ النظم ، 103.

(4) الأحكام السلطانية ، ص199. نهاية الأرب ، 197/8 .

(5) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص 109 .

ولما اســـتقر رأى عمر بن الخطاب τ على تدوين الديوان طلب من عقيل بن أبي طالب[1] ، ومخرمة بن نوفل[2] , وجبير بن مطعم[3] . وكانوا من شـــباب قريش وكُتَّابها ، وأمرهم أن يكتبوا الناس على منازلهم ؛ فكتبوهم على ترتيب الأنســاب مبتدأ من قرابة رســول الله ρ وما بعدها الأقرب فالأقرب ، وحسب السابقة في الإسلام وحسن الأثر ، وعند انقراض أهل السابقة روعي في التفضيل التقدم في الشجاعة والبلاء والجهاد [4].

وهكذا نرى بأن الكُتَّاب الأوائل لديوان الجند والعطاء كانوا يختصون بالكتابة والنسب [5]، ويرى بعض المؤرخين أن اســتحداث عمر τ للديوان إنما أراد به أن يجعل من العرب أمة عســكرية ليوجهها للجهاد في سبيل الله ، فأراد أن يخصص للمقاتلة رواتب وأعطيات من بيت المال تكفيهم مؤونة العمل ، بأن يحفظ ســجلاً بأســماء المحاربين وأهليهم فكوَّن ديوان الجند وإن أطلق عليه آنذاك اسم الديوان لأنه كان الديوان الوحيد [6].

ولم يسجل عمر بن الخطابτ جميع العرب في الديوان ، كما لم يفرض لهم جميعاً العطاء بل سجل أهل المدينة وهم نواة الأمة الإسلامية ثم القبائل التي اشتركت في الفتوحات ومن لحق بهم من القبائل لتعزيز قوة المسلمين العسكرية ، ولم يدخل أهل مكة في الديوان لعدم اشتراكهم في الفتوحات ، كما لم يدخل الأعراب الذين بقوا في الجزيرة ولم يشــتركوا في الحرب ، بل كان يوزِّع على المحتاجين منهم من أموال الصدقات والزكاة [7].

---

(1) هو : عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف الهاشـمي القرشـي،كنيته ابوزيد ، صـحابي ، وهو أخو علي وجعفر لأبيهما وكان أسن منهما ، أسلم بعد الحديبية ، توفي سنة60هـ/680م وقيل أول أيام يزيد . ابن سعد : الطبقات ،4 /28 . الصـفدي: نكت الهيمان في نكت العميان وقف على طبعة أحمد زكي بك ، مصـر ، المطبعة الجمالية 1329هـ/1911م ، ص200–201 . الزركلي : الأعلام ، 5/39–40 .

(2) هو : مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري القرشي ، أبو صفوان ، صحابي ، من مسلمة الفتح : احد الأربعة الذين يؤخذ عنهم علم النسب وشهد حنيناً وهو أحد المؤلفة قلوبهم توفي في المدينة سنة 54هـ/674م . عبدالبر : الاستيعاب 8/53–54 ابن الأثير : أسد الغابة ، 5/125–126 . الزركلي : الأعلام ،8/72 .

(3) هو : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشـي ، أبوعدي ، صـحابي كان من علماء قريش وسـاداتهم ، مات بالمدينة سنة 95هـ/679م ابن الأثير : أسد الغابة ، 1/323–324 . ابن حجر الإصابة ، 2/65–66.

(4) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص200 .

(5) السلومي : ديوان الجند ، ص 199 .

(6) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 135 .

(7) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 135 .

أما زمن تدوين الدواوين فتذكر بعض المصـــادر التاريخية أنه كان في سـنة 15هـ/636م[1]، وتجعل روايات أخرى زمن التدوين في أوائل سنة 20هـ/640م [2].

وكان عمر بن الخطاب τ يميل في التنظيم الإداري إلى المركزية ولذلك ربط الجند بالمركز (العاصـمة) حين أنشـأ ديوان الجند ، وصـاروا يطلقون اسم الديوان على ديوان الجند نفسه لأنه كان الوحيد في زمن عمر τ [3] .

لقد أبقى عمر τ الدواوين التي كانت موجودة في البلاد المفتوحة في العراق وفارس والشـــام ومصر وبقيت تستعمل لغاتها المحلية كالفارسية في العراق وفارس والرمية في الشام والقبطية في مصـــر ، واســتمرت كذلك إلى خلافة عبد الملك بن مروان حيث تم في عهده تعريب الدواوين ، وأتم الوليد بن عبد الملك تعريب الدواوين الأخرى في الأقاليم الإسلامية[4].

وخلاصـــة القول : فقد ظهرت الدواوين في الدولة الإســلامية نتيجة للحاجة إليها في مجالات التنظيمات المالية والعســـكرية والإدارية ، لذلك فأن تاريخ نشـــأتها لم يكن موحداً ، إذ ظهرت بعضـها في وقت مبكر من عصـر الراشـدين في حين نشـأ البعض الآخر في العصـر الأموي ، وتأخر ظهور قسـم ثالث إلى العصــر العباســي ، ولمّا كانت نشــأة الدواوين وتطورها تعبر عن الاســتجابة لتطور المجتمع ، وتعقد أجهزته ، فقد كان ظهورها في بداية الأمر بســيطاً ومحدود المقومات ، غير أنها ســرعان ما كانت تتطور وتتوســع اختصــاصــاتها وتتعقد أجهزتها وتتعدد مجالسها ومقوماتها ، لذلك فإن الصفة الملازمة لها كانت صفة الاستمرار والتطور .

والمتتبع لحركـة التنظيم الإداري للـدولـة الإســـلاميـة يلحظ ظهور نوعين مختلفين من هذه الدواوين :

---

(1) الطبري : تاريخ ،613/3 . ويذكر الطبري في موطن آخر أنه في نهاية مرويا ته لسـنة عشـرين للهجرة قوله عن الواقدي (وفي هذه السنة – أعني سنة عشرين – دون عمر رضي الله عنه الدواوين) تاريخ ، 112/4 .

(2) البلاذري : فتوح البلدان ، ص436 . اليعقوبي : تاريخه ، 153/2 . الماوردي : الأحكام السـلطانية ، ص 200 . ابن كثير : البداية والنهاية ، 101/7 . والراجح أنه في عام عشرين للهجرة . بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 184 .

(3) الصالح : النظم الإسلامية ، ص 313 . اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 136 .

(4) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية، ص136 .

النوع الأول : الدواوين المركزية : التي أنشـأها العرب المسـلمون في عاصـمتهم الأولى ثم انتقلت إلى العواصم الإسلامية (الكوفة ، ودمشق ، والهاشمية ، ثم بغداد) . وكانت منذ نشأتها تستخدم اللغة العربية .

النوع الثاني : الدواوين الإقليمية : وقد تعرف بالمحلية التي هي اسـتمرار للدواوين التي كانت تشـكل جزءاً من الإدارة القائمة في تلك الأقاليم منذ عصـر ما قبل الإسـلام وأبقاها الفاتحون المسلمون على وضعها أول الأمر ، ولذلك بقيت تستعمل اللغات المحلية . وفي حالات استثنائية قامت دواوين مؤقتة ، إلا أنها كانت تضمحل وتزول بزوال الأسباب التي استلزمت أنشأها [1].

الدواوين في العصر الأموي :

لما اسـتتب الحكم للأمويين واقتضـت الحاجة إلى تطوير طبيعة الدواوين المختلفة الموجودة ، إلى إحداث دواوين جديدة تتناسـب مع حاجة الدولة لتنظيم شـؤونها المختلفة واسـتحدث الأمويون دواوين جديدة بصورة تدريجية ، ولكنها لم تصل درجة التنظيم والاستقرار إلا في العصر العباسي [2].

وأهم هذه الدواوين :

1- **ديوان الجند (الجيش) :**

وهو الديوان الذي وضـع أسـاسـه الخليفة عمر بن الخطاب τ لحفظ أسماء الجند وأوصـافهم وأنسابهم وأجناسهم ومقدار عطاء كلٍّ منهم وموعد استحقاقه[3] ، وكان ذلك يتطلب عدداً غير قليل من الكُتَّاب الذين ينفذون هذه السـجلات ويعدونها[4] ، فنجده اسـتكتب عند تأسـيس الديوان عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، كما اسـتكتب زيد بن ثابت ومعيقيب بن أبي فاطمة في ديوان الجند في العاصـمة ، أما في الأمصـار فقد كان

(1) عبد الشـافي عبد اللطيف : العالم الإسـلامي ، ص 561 . بهيج ملا حويش : موسـوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا ، الحضـارة الإسلامية ، 11/ 3202 .

(2) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية، ص136 .

(3) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص 122-123 .

(4) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص 56 .

عبد الله بن خلف الخزاعي وأبو طلحة الطلحات يكتبان على ديوان البصـــرة ، أما في الكوفة فقد عين أبا جبيرة بن الضحاك الأنصاري كاتباً على الديوان فيها [1].

وقد تطورت طبيعة هذا الديوان ، فبعد أن كان يتولّى الإنفاق على الجند ومن شـملهم العطاء ، أصبح في العصر الأموي يقوم بوظيفة إحصاء أسماء الجند وتسجيل مقدار أعطياتهم [2].

ويذكر قدامه بن جعفر أن هذا الديوان كان يتألف من المجالس التالية [3]:

1- مجلس الإنشاء .

2- مجلس التحرير .

3- مجلس النسخ .

4- مجلس الاسكدار [4] .

5- مجلس التقدير [5] .

6- مجلس المقابلة .

7- مجلس الإعطاء والتفرقة .

وكانت المجالس الثلاثة الأولى تختصُّ بالأمور الكتابية المتعلقة بديوان الجند [6]. كمجلس الإنشاء الذي عرفه الخوارزمي (ت240هـــ/854م) بأنه المجلس الذي ((**يعمل على إنشاء المكاتبات ثم تعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أويقرَّها على حالها**)) [7] ، ثم بعد ذلك مجلس التحرير الذي يتولّى تسلُّم الكتب المحالة إليه ليتولّى نسخها ((**بنقل الكتاب من سواد النسخة إلى بياض نقي**)) [8] ، قبل أن يحيلها إلى مجلس

---

(1) خليفة خياط : تاريخه ، ص 130 .

(2) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 136 .

(3) الخراج ، ص 21 . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص255 .

(4) الاسكدار : لفظة فارسية وتفسيرها (إذكوداري) أي من أين تمسك ، وهو مدرج يكتب فيه عدد الخرائط ، والكتب الواردة والنافذة وأساس أربابها . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 113 .

(5) وردت التسـمية في المصـــادر بالراء والدال المعجمتين في وسـطها والاختلاف في أن المعنيين يصـلحان للدلالة على عمل هذا المجلس،فقد يكون المقصـود إثبات مبالغ الاستحقاقات الواجبة للإطلاق أو الصـرف وقد ورد عند آدم متز(بالراء المعجمة) في حين قرأها السامرائي بالدال . قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة ، ص136. السلومي : ديوان الجند ، ص214 .

(6) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص 255 .

(7) مفاتيح العلوم ، ص 121 .

(8) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 121 . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص 255 .

النسـخ المكلَّف باسـتنسـاخ أصـول الكتب الواردة إليه على عددٍ من النسـخ المتطابقة[1] ، ويشير ابن مماتي إلى أن وظيفة الناسخ يتولاها عادة كاتب حسن الخط يقوم بعملية النسخ وربما احتيج إلى أكثر من كاتب واحد في هذا المجال [2] ، وهناك وظيفة يظهر إنها تتصـــل بإعمال هذا المجلس وهو كاتب الإثبات حيث يجري التأكد من ((**نســـخ الكتب بأعيانها وجوامعها ونكتها**)) [3] . وبعد أن يحتفظ متوليه بإحداها يحمل الباقي مع الأصل إلى المجلس الرابع (الاســكدار) الذي يقوم بتنظيم الأوامر والكتب الواردة والصـــادرة عن الديوان بعد عرضـها على متولِّيه . كما يقوم بعمل خلاصـات (جوامع) بما يرد أو يصـدر من الديوان لعرضها على الخليفة أو الوزير في وقت الحاجة [4]. أما بقية المجالس الأخرى فتعتبر من المجالس الأسـاسـية في الديوان حيث تهتم بالأمور الإدارية والحسـابية لديوان الجند .

2- **ديوان بيت المال :**

يمثِّل ديوان بيت المال أوَّل ديوان وجد في الدولة الإسلامية إلا أن مسماه بديوان بيت المال لم يتبلور إلا في الدولة العباســية ، فقد كان يعرف باســم ديوان العطاء وأحيانا ديوان الجند وأحيانا كان يعرف باسم الديوان[5] .

وكان سبب وضـعه أن أبا هريرة τ قدم بمال معه من البحرين ، فأشـار بعض الصـحابة على الخليفة عمر بن الخطاب τ بإنشـاء الديوان ومن ثم نشـأ ديوان لبيت مال المسـلمين في عصـر الخليفة عمر بن الخطاب τ [6] .

---

(1) قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة ، ص 135 . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص 255 .

(2) قوانين الدواوين ، ص 302 .

(3) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 121 .

(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص 255-256 .

(5) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص121.

(6) البلاذري: فتوح البلدان ، ص435-436 . الجهشـياري: الوزراء،ص16-17.الماوردي : الأحكام السـلطانية ص87-89. السيوطي : الوسائل إلى معرفة الأوائل ، تقديم وتعليق محمد زينهم عزب ، ط1 ، القاهرة ، دار الأفاق العربية 1423هـ/2003م ، ص187. وقيل السيوطي أن أول من اتخذ بيت المال هو أبوبكر الصديق τ ، ص187.

ولم يكن هناك ديوان لبيت المال في عصر الرسول ρ , ولا في عصر أبي بكر الصديق τ لقلة موارد الدولة الناشئة يومئذ وقيام الرسول عليه الصلاة والسلام بتوزيع المال الذي يرد على مستحقيه[1] .

قال أبو هلال العسكري : ((**آخر مال أتى للنبي ρ ثمانمائة ألف درهم من البحرين ، فما قام من مجلسه حتى امضاه , ولم يكن له بيت مال ولا لأبي بكر وأول من اتخذه عمر**))[2] .

والغرض من هذا الديوان هو محاسبة صاحب بيت المال على مايرد عليه من الأموال وما يخرج من ذلك في وجوه النفقات والإطلاقات [3] .

وعلى ذلك فقد كان يثبت في سجلاته جميع أصول الأموال في الدولة ، وكان يفرد لكل صنف سجل خاص به ، وما كان يجتمع من هذه الأموال فعلاً ، فقد أفرد لكل صنف من أصناف الواردات خزائن أو دواوين فرعية لحفظها وضبطها[4]

ويتألف ديوان بيت المال من المجالس التالية:

مجلس الخزانة , ومجلس الاهراء , ومجلس خزانة السلاح ، ومجلس الإنشاء والتحرير ، ومجلس النسخ[5] .

1- يتولّى مجلس الخزانة : الإشراف على ما يتعلّق بالأموال النقدية والأقمشة .
2- أما مجلس الأهراء : فهو يشرف على ما كان يرد من الغلال إلى بيت المال .
3- ومجلس خزانة السلاح : يختصُّ بالإشراف على مايرد على بيت المال من السلاح والذخائر وما يستفيد منها .
4- أما مجلس الإنشاء والتحرير والنسخ : فيختصًا بالأمور الكتابية المتعلِّقة بديوان بيت المال كإنشاء الكتب تحريرها ونسخها وحفظ نسخ منها[6] .

---

(1) ابن الجوزي : سيرة عمر بن الخطاب ، ص113.
(2) الأوائل ، 1/243-244.
(3) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص36 . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص244.
(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص244.
(5) الشباني: نظام الحكم والإدارة ، ص122-123.
(6) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص244-245. الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص122-123. ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية ، ط1 ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، 1405هـ/1985م ، ص286 .ومن فائدة حفظ النسخ

3- ديوان الخراج :

يعتبر ديوان الخراج من أهم الدواوين المالية في الدولة الإسـلامية ، ويعتبر بمثابة حامل أثقال البلاد فهو كافل دخل الدولة , وعامل نموها[1] .

ولقد ذكر المؤرخون روايات عدة مفادها أن عمر بن الخطاب τ قد أوجد هذا الديوان وذلك بعد اتساع الرقعة الإسلامية ، وما رآه τ من إبقاء الأرض بيد أصحابها مع فرض مبلغ من المال عليها . ومن هنا فقد كانت مهمة هذا الديوان تسـجيل جميع الأراضـي فكان في كلِّ إقليم ديوان خراج خاص به يقوم مقام خزانة الدولة وضـبط حسـاباتها وتسـجيل ما ينفق منها مع الموازنة بين الواردات والنفقات[2] .

ووظيفته عند ابن خلدون جزء عظيم من الملك بل هي ثالثة أركانه[3] , لأن الملك لابد له من الجند والمال وكان لأهميته يقتصـــر في تســـميته ، مع أن الدواوين كانت قد كثرت , على لفظ الديوان من غير إضــافة إلى لفظ الخراج ، ومما يلاحظ أن ديوان الخراج ، وديوان الجند كانا في عهد بني أمية عملاً واحداً[4] .

وقد تطور هذا الديوان تطورا كبيراً في عهد العباسـين الأوائل ، فأولى الخلفاء العباسـيون هذا الديوان عنايتهم البالغة إذ أن مالية الدولة تعتمد على هذا الديوان اعتماداً كلياً ، وقد أدخلت عليه تعديلات هامة ، وخاصة في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل[5].

تفادياً للتلاعب في أموال الدولة ، ولكي يتأكد المسؤول عن صـحة تأثيرها في ديوان بيت المال من أجل ضـبط الحسابات فيه ، وعدم إفسـاح المجال لاختلال هذا الديوان ، فقد كانت لصـاحب ديوان بيت المال (علامة) أو (ختمة) يختم به على الصـكاك والكتب والطلاقات وهذه الاشـــارة مطلوبة كشـــرط لقبول تلك الكتب . قوانين الدواوين ، ص306 . النويري : نهاية الأرب ، 218/8-219. السامرائي :المؤسسات الإدارية ، ص245. ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص286-287.

(1) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص239.

(2) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص113.

(3) مقدمة 301/1-303.

(4) بطاينة : الحضارة ، ص191.

(5) أمام : نظم الحكم ، ص130.

فعندما تولَّى أبو العباس الســـفاح أســـند إدارة هذا الديوان مع غيره من الدواوين الأخرى إلى وزيره أبي ســـلمه الخلال حينما ((**فوض إليه الأمور وســـلم إليه الدواوين**))[1] ، ولمَّا قتل أبو سلمه أسند إدارته إلى خالد بن برمك الذي جعل له السفاح ديوان الخراج وديوان الجند [2] .

وســبق لخالد بن برمك – تقلّد ديوان الخراج – عندما كان في عســكر قحطبة بن شــبيب[3] حيث تقلّد خراج كل ما افتتحه قحطبة من الكور ، وتقلّد الغنائم وقسمها بين الجند ، فقسَّط الخراج وأحسن إلى أهله[4] .

ولم يحدث تطوَّر لديوان الخراج في عهد السفاح , سوى ماقام به خالد بن برمك من استحداث عمل دفاتر في عمل الدواوين بدلاً من الصحف[5] .

أمَّا في عهد أبي جعفر المنصـــور فقد أجريت إصـــلاحات واســـعة على الخراج ، فقد أمر المنصور بتعديل السواد وقلد ذلك حماد التركي ، يقول الجهشياري : ((**وقد قلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة والأهواز وكور فارس ، وتوفى المنصـــور وعمارة يتقلد ذلك**))[6]، بينما يذكر الثعالبي أن عمارة بن حمزة كتب لأبي العباس الســـفاح والمنصـــور وتولى لهما

---

(1) ابن طباطبا: الفخري ، ص155.

(2) الجهشياري :الوزراء ، ص89.

(3) هو : قحطبة بن شبيب الطائي ، قائد شجاع ، صحب أبا مسلم الخراساني وناصره في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي العباسي فيمن استجاب له بخراسان ، توفي سنة132 هـ/749م. الزركلي : الأعلام ،191/5.

(4) اليعقوبي : تاريخه ، 243/2. الجهشاري : الوزراء ، ص87.

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص89. لقد وقع كثيراً من الكُتّاب المتقدمين في خطأ شائع ذلك أنهم ذكروا بأن أوَّل من اتخذ الدفاتر في الديوان هو خالد بن برمك ، وأن ذلك جرى في بداية الخلافة العباسـية. الجهشـياري : الوزراء ، ص89. العسـكري : الأوائل ، ص273. وهذا وهم. السلومي : ديوان الجند ، ص203. فقد سبقت الإشارة إلى أن استعمال مصطلح دفتر قد حصل في مرحلة مبكرة في التاريخ الإســـلامي ، فقد رد عمر بن الخطاب τ على بني عمومته من بني عدي عندما أرادوا التأثير عليه في إبقاء إقتراح كتاب الديوان الأوائل في تقديم بني عدي لقرابتهم من أمير المؤمنين ، فحاولوا دفع = =الخليفة إلى إقرار مقترحات اللجنة وقد رد عليهم الخليفة بقوله : بخٍ بخٍ بني عدي أردتم الأكل على ظهري وأن أهب حســـناتي لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن أطبق عليكم الدفتر. ابن ســعد : الطبقات 212/3–213. البلاذري : فتوح البلدان ، ص436–437. مما يشـير إلى وضــوح المعنى وإلى أن استعمال اللفظ كان سارياً منذ تأسيس الديوان كما أن النصوص المتوفرة تؤكد استمرار استعمال هذا المصطلح خلال الفترة التالية فقد أورد ابن عبدالبر بأن عمر بن عبدالعزيز قد أمر ابن شـهاب بجمع السـنن قال ابن شـهاب : (فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض عليها له سلطان ودفتراً) نقلاً عن د . عبدالعزيز السلومي : ديوان الجند ، ص203–204.

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص134.

الدواوين[1] ، غير أن الجهشـــياري يذكر في موطن آخر أن عمارة كان على ضـــياع مروان وآل مروان زمن السفاح[2] .

ونجد ابن النديم يشير إلى أن عمارة كان يكتب للمنصور واستمر في تولَّي ((الأعمال الكبار)) إلى عهد المهدي[3] دون أن يحدد ماهي تلك الأعمال[4] .

في حين نجد أن الطبري يذكر أن عمارة كان سنة (156هـ/772م) ((على كور دجلة والأهواز و فارس)) ، وفي سـنة (157هـ/773م) كان ((على الأهواز وفارس ، وفي سـنة 158هـ/ 774م على ديوان البصرة وأراضيها)) وفي سنة (159هـ/ 775م) كان عمارة ((على أحداث البصرة.... وعلى كور دجلـة ، وكور الأهواز وكور فـارس))[5] ويقول ابن خيـاط ((إنـه كـان على أرض البصرة زمن المنصور))[6] .

فلم تكن لعمارة بن حمزة مهمة واحدة يختص بها ، وربما قصد بالكتابة هنا تولَّي الدواوين , إذ كان يطلق على متولي الدواوين اســم الكُتَّاب[7] . وكان يتولَّى الخراج للمنصـــور , أبو أيوب المورياني الذي قلده الدواوين مع الوزارة ، وظل كذلك حتى عزله المنصـــور[8] , وتقلد له أيضـــا على الخراج محمد بن جميل , وقد أنكر عليه المنصور ذات يوم تقصيراً يستحق عليه العقاب ، فأمر بجلده فجلد على بطنه[9] . كما مر بنا سابقاً .

---

(1) ثمار القلوب ، ص159.
(2) الوزراء ، ص90.
(3) الفهرست ، ص131. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 4/31-32.
(4) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص94.
(5) تاريخ ، 8 / 51،53،115،123.
(6) تاريخ ، ص436.
(7) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص95.
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص124.
(9) الجهشياري : الوزراء ، ص134.

وعند ما تولَّى المهدي الخلافة فوض إلى وزيره أبي عبيدالله معاوية بن يســـار تدبير المملكة وسلَّم إليه الدواوين ، وكان مقدماً في صنـاعته فاخترع أموراً منها : أنه نقل الخراج من المسـاحة إلى نظام المقاسمة،وقد تم وضع هذا النظام سنة160هـ/777م[1] .

لقد ذكر ابن النديم أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب كان يكتب للمنصـور وكتب للمهدي وكان ثقة مقدما في صـــناعته بليغا راوية ..... يذكر ابن النديم أيضـــا في رواية أخرى أن عمل ابن مطرف هوا لإشراف على ديوان خراج المشرق منذ زمن المهدي وحتى عهد الرشيد [2] ، وهذا مايؤيِّده الجهشـياري حيث يقول : ((**أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب .... كان يتقلد ديوان المشرق للمهدي وهو ولي عهده ثم كتب له في خلافته ولموسى ولهارون** ، .....))[3] .

ويضـيف ابن الخياط أنه في عهد المهدي كان ((**كاتب الديوان إبراهيم بن صـالح فمات فولَّى أبا الوزيرعمر بن مطرف**))[4] ، أي أن ابن مطرف كان يتولى الكتابة على ديوان الخراج))[5].

وقد جرت منذ العهد العباســـي تنظيمات كثيرة تناولت جهاز الدواوين بعامة وديوان الخراج بخاصـــة ، فعندما وضـــعت دواوين الأزمة في خلافة المهدي عام 162هـ/778م[6] ، جعل لكل ديوان زماماً وله رجل يضــبطه ، وضـــع لديوان الخراج ((زمام ديوان الخراج))[7] لضـــبط أمور الخراج وتيسـير شـؤونه وصـير المهدي عام (163هـ/780م) ابنه هارون الرشـيد على أذربيجان وأرمينية والجزء الغربي من الدولة الإسلامية ، وجعل موسى بن ثابت كاتباً على خراجه[8] .

أما في عهد الهادي فإن عهده لم يطل به أكثر من سنة ، ولذلك فإنه لم يدخل تعديلات تذكر على النظام الذي كان سـائدا من قبل وقلد محمد بن جميل ديوان خراج العراقيين ، وولى عبيدالله

---

(1) الجهشـياري : الوزراء ، ص127 . ابن طباطبا : الفخري ، ص164. وكان السـبب في وضـع هذا النظام ما كانت تقتضـيه أوضـاع الدولة في العهد العباسـي حيث انخفاض الأسـعار التي تنتجها الأراضـي الخراجية وقلة النقود . أنور الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص 184 .

(2) الفهرست ، ص141.

(3) الوزراء ، ص166،281.

(4) تاريخ ، 442.

(5) حسن الحارثي : وظيفة الوزير الكتابية ، ص96.

(6) الطبري : تاريخ ، 142/8. الجهشياري : الوزراء ، ص146. المسعودي : مروج الذهب ،2/ 326.وسوف نتحدث عنه بشكل مفصل فيما بعد .

(7) الطبري : تاريخ ، 148/8. بطاينة : الحضارة ، ص194.

(8) الطبري : تاريخ ، 148/8.

بن زياد بن أبي ليلى ديوان خراج الشام ومايليها[1] ونظرا لقصر مدة خلافته ، فإن المصادر لم تعطينا تفصيلات وافيه لأعمال الخراج في عهده[2] .

أما في عهد هارون الرشيد , فقد كان بحق عصر النهضة الاقتصادية الكبرى التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة العباسية ، وقد أدخلت الكثير من الإصلاحات على الخراج في عهده[3].

كان يحيي بن برمك أول وزير للرشيد – كما مر بنا – حيث أصبحت الدواوين تحت إشرافه فأخذ يحيي في مباشرة الأمور , ثم وصفه ابن طباطبا بقوله: ((**فنهض يحيي بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض , وأظهر رونق الخلافة وتصدى لمهمات المملكة ضابطا لما تحت يده قوياً على الأمور ....))**[4].

ولقد أصدر هذا الوزير تعينات في ولاية الخراج منها أنه : أصدر أوامره إلى ثابت بن موسى على ديوان خراج العراقيين , وخراج الشام[5] .

وقد نجح البرامكة في تدبير أمور الدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد ونجحت سياستهم المالية , وأن قائمة الخراج التي أوردها الجهشياري لأكبر دليل على حسن السياسة والتدبير , وقال جعفر بن يحيى : ((**الخراج ، عمود الملك ، وما استفزر بمثل العدل ، ولاستنزر بمثل الظلم))**[6].

وقد وزر البرامكة لهارون الرشيد سبعة عشر عاما وكانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم ((يحيى بن خالد)) ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة[7].

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص167. أمام : نظم الحكم ، ص133.
(2) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص248. أمام : نظم الحكم ، ص133.
(3) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص249. أمام : نظم الحكم ، ص133.
(4) الفخري ، 197.
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص177. ضيف الله الزهراني: موارد بيت المال ، ص267.
(6) ابن ربه : العقد الفريد ، 17/1. ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص267.
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص178.

ولكن البرامكة أساءوا استعمال السلطة التي منحت لهم باستغلال أمور الرعية مما أدى إلى نكبتهم في نهاية الأمر وصار الرشيد قابضاً على زمام الأمور في الدولة والأموال بين يديه[1].

وبموت الرشـــيد بدأت الدولة في الانهيار المالي أبان الفتنة بين الأمين والمأمون وتعطلت أعمال الدواوين ولم يكن الأمين يولى اهتماماً كبيراً لأعمال الدواوين[2]، حيث كانت الدواوين تبقى لمدة سنة لم ينظر فيها بل إنها احترقت وهو ينظر إليها ولم ينكر[3] .

أما عهد المأمون فلم يكن أحســن حال من عهد الأمين حتى ســنة 204هـ/ 916م ومن بعد تلك السـنة نهضـت الحياة الاقتصـادية حيث عاد ديوان الخراج مع الدواوين الأخرى إلى مباشـرة العمل واستأنف نشاطه من جديد [4].

استمرت السياسة الخراجية التي كانت سائدة في عصري المعتصم والواثق أيضاً [5].

أما العلاقة بين الكُتَّاب والدواوين تظهر في مجالس الديوان وطبيعة أعمالها ، لذلك فإن ديوان الخراج يتألف من عدة مجالس ، وقد أنشئت من جراء تعقد الحياة الاقتصادية في الدولة العباسية ، ولم ترد هذه المجالس في جميع الكتب وإنما وجدت عنها إشـارات بسـيطة[6] وهذه المجالس إما أن تكون كتابية مثل مجلس الإنشاء والتحرير ومجلس النسخ – وسوف نتحدث عنه لاحقا – وإما إدارية مثل مجلس الاسكدار ومجلس الأصل ومجلس التفصيل ، أما الصنف الثالث من المجالس فهي حسابية وتتمثل في مجلس الحساب ومجلس الجهبذة[7] ومجلس الجيش[8].

فمجلس الإنشـاء والتحرير يقوم بنفس الإعمال التي كان يقوم بها في ديوان الجند ، فهو يعتبر جهازاً أسـاسـيا لكل ديوان من دواوين الدولة . حيث يقوم هذا المجلس بإنشـاء وتحرير الكتب التي

---

(1) أمام : نظم الحكم ، ص135.

(2) أمام : نظم الحكم ، ص135.

(3) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص162. الجهشياري : الوزراء ، ص299–300 .

(4) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص 267–268 .

(5) أمام : نظم الحكم ، ص 137 .

(6) مثال ذلك قدامة بن جعفر : الخراج ، الجهشياري : الوزراء والكُتَّاب ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ، نشوار المحاضرة . ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص286.

(7) الجهبذة : هو كاتب يرسم الاسـتخراج والقبض وكتب الوصـولات وعمل المخاريم وتواليها ، ويطالب بما يقتضـيه تخريج ما يعرفه من الحساب اللازم له لا الحاصل . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص9 .

(8) ولمزيد من المعلومات عن المجالس الإدارية والحسابية لهذا الديوان أنظر :السامرائي: المؤسسات الإدارية، ص196–198.

تصدر عن ديوان الخراج , أما مجلس النسخ يختصُّ بنفس الاختصاصات التي يمارسها نفس المجلس في بقية الدواوين وهي استنساخ عدة صور مطابقة للكتاب الصادر عن ديوان الخراج ، والناسخ: كاتب يقوم برسم نسخ التوقيعات والمكاتبات الصادرة والواردة وهذا مايسمى عندنا اليوم بالاتصالات الإدارية (1) .

لم يعرف عدد موظفي ديوان الخراج ولكن عددهم قد ازداد بازدياد أهمية الديوان (2) . فقد كان يعمل في هذا الديوان عدد من الكُتَّاب الذين يباشرون أمور السجلات وموظفون يقومون بجباية الضرائب من نواحي الأقاليم , فديوان الخراج كان يضم الهيئات التالية :

1- المجالس الإدارية المتعددة .
2- العمال الذين يقومون بجباية الضرائب .
3- المشرفين على عمال الجباية .
4- عدداً كبيراً من المختصين بشؤون الإرواء.
5- مهندسون مختصون ببناء السدود والقنوات .
6- لجاناً تدرس المنازعات التي تحصل حول الأراضي أو مياه الإرواء.
7- مساحين يقومون بمسح الأرض وتحديد الجزء المزروع منها ويقدرون كمية الإنتاج منها .

هؤلاء هم موظفو الديوان ومن ضمنهم الكُتَّاب ، هيئة إدارية متكاملة يكمل بعضهم البعض ، وكان الخليفة يتشدد في اختيار من ينضم إلى هذا الجهاز الإداري ، وليس كل إنسان يصلح أن يمثل هذا الديوان وإنما كل من تتحقق فيه الشروط يحق له الانخراط في وظيفة ديوان الخراج(3) .

4- ديوان الرسائل :

كان النبيρ ، بحكم أميته ، في حاجة إلى من يكتب له في جميع الميادين يضطر عادة فيها إلى الكتابة ، لذا فقد اختار عدداً من أصحابه الذين يتقنون الكتابة جيداً ليكونوا له كُتَّاباً , حتى

---

(1) السامرائي: المؤسسات الإدارية ، ص196-197. الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص114-115. ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص268-269.

(2) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص204. ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ،ص275.

(3) ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال ، ص275-276.

أن بعض هؤلاء الكُتَّاب كان يعرف بنوع واحد من الكتابة دون غيره ، وقد سبق الإشارة إليهم . وقد كانت أنواع الكتابات التي تصدر عن هذه المجموعة من الكُتّاب كثيرة منها :الإقطاع ، والمعاهدات , والاتفاقات , والأمان , والصلح , والمهادنات ، والمقاسم ، والمغانم , والسنن , والفرائض والديات ، والصدقات ، وصكوك البيع والعتق والفداء , والمداينات .... إلى غير ذلك . ولعل أهم هذه الكتابات كانت كتابة الرسائل , ويؤكد ذلك أن ديوان الرسائل فيما بعد حين أخذ شكله الواضح المنظم , كان يخوض في أكثر تلك الكتابات المذكورة إلا أنه لم يسم بديوان الرسائل , لكونها أبرز نشاطاته وأخطرها بل وأكثرها أيضا .

وقد استمرت ظاهرة كتابة الرسائل والأنواع الكتابية الأخرى على ماهي عليه من عفوية إلى أواخر فترة الخلفاء الراشدين[1] .

وقد ذكر القلقشندي أن ديوان الرسائل ((**أَوَّلُ ديوان وضع في الإسلام ، ذلك لأن النبيρ كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ψ ويكاتبونه , إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسله بكتبه**))[2].

فديوان الرسائل في العصر الأموي أصبح يحِّرر رسائل الخليفة ومراسلاته في الداخل ومكاتباته مع العمال والأقاليم[3] . وقد اختار معاوية على هذا الديوان كاتباً من أشهر كُتَّابه وهو عبيدالله بن أوس الغساني[4] وكان من أقربائه ومن عظماء قبيلته . وكان لصاحب هذا الديوان الإشراف على الولايات وعلى الرسائل من الولاة . وكان في كل ولاية من الولايات ديوان للرسائل يشرف عليه الوالي أو من ينوب عنه[5] .

---

(1) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص45–46.

(2) صبح الأعشى ، 91/1 . لقد ألفت كتب اهتمت بفنون الكتابة وشرح مهمات وأعمال ديوان الرسائل وواجبات ومسؤليات ومتطلبات العاملين في هذا الديوان ، ومن هذه الكتب على سبيل المثال : صبح الأعشى للقلقشندي و قانون الرسائل للصيرفي ، رسوم دار الخلافة لهلال الصابئ ، وغير ذلك من الكتب والمصنفات التي عالجت مسؤليات وواجبات ديوان الرسائل . الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص128. حسن محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط5 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ص151 .

(3) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص30 ، زمرية عبدالوهاب الخيرو: إدارة العراق في صدر الإسلام ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1398هـ/1978م ، 155. ثابت الراوي : العراق في العهد الأموي ، ص59.

(4) الجهشياري : الوزراء ، ص24.

(5) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص30.

فقد كان في البصرة في عهد زياد ديوان للرسائل يشرف عليه عبد الله بن أبي بكرة وجبير بن حيه[1] .

وكان زياد يراقب كُتَّاب ديوان الرسائل مراقبة شديدة ويختارهم من الذين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ، ثم تعددت اختصاصات ديوان الرسائل وكثر عدد من يعملون فيه فاصبح هناك كُتَّاب رئيسيون يقومون بالانشاء وآخرون يساعدونهم في التلخيص والتبييض وأصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولَّى الإشراف عليها الخازن . فكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في سجلات أو مغلفات خاصة يقال لها أضابير وكانت الرسائل الصادرة عن هذا الديوان تختم بخاتم الخليفة[2] .

يقول حسين نصار في ذلك ((**لا يمكننا تصديق هذا الخبر ، بل نقول أن هذا الديوان لم يوجد حتى في عهد الخلفاء الراشدين أنفسهم**))[3] ، يؤيد هذا الرأي محمود المقداد حيث قال : ((**إذا نظرنا إلى هذا الديوان من الناحية الوظيفية التي كانت تؤدى في زمن النبّي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين على خير وجه ، فقد كان معروفاً حيث أن الولاة والعمال في عهد النبّي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين كانوا هم الذين يكتبون رسائلهم بأنفسهم , وهم الذين يجيبون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه , ولم يكن إلى جانبهم كُتَّاب منقطعون إلى كتابة مثل هذه الرسائل أو دواوين منظمة**))[4] .

وذكر صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى أنه ((**وعلى الرغم من أن بداية التراسل تعود أصلاً إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلى أيام الخلفاء الراشدين من بعده ، الذين كانوا يتبادلون الرسائل مع الملوك والحكام وغيرهم من عمال الولايات والاقاليم ، الا أننا لا نجد وجوداً لهذا الديوان قبل عصر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان**))[5] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص26.
(2) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص30. أحمد عبدالرزاق ، الحضارة الإسلامية ، ص84.
(3) نشأة الكتابة ، ص48 .
(4) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص48.
(5) أحمد عبدالرزاق :الحضارة الإسلامية ، ص84.

بدليل أن الجهشـياري والطبري لم يشـير إليه قبل زمن هذا الخليفة[1] ، ربما لأن هذه الوظيفة كانت غير ضرورية للدول العريقة في البداوة على قول ابن خلدون[2] .

يقول حسـين نصّـار : ((**وما يكاد يهلُّ العصـر الأموي حتى نرى عبارة جديدة تظهر عند الجهشـياري وهي وصـف عبيدالله بن أوس بأنه كان يكتب لمعاوية على الرسـائل[3] ، ويقول أيضاً عن زياد بن أبيه ويكتب له على الرسائل عبد الله بن أبي بكرة وجبير بن حية**))[4] .

وقد رجح أن الكاتب في ذلك العصـر كان يكتب على ديوان الرسـائل ، حيث رجح أن معاوية انشـأ ديوان الرسـائل فيما أنشـأ من دواوين ، ومما يؤيد ذلك أن هذه العبارة ظلت تسـتعمل بعد انشـاء ديوان الرسـائل بزمن ، إذ أطلقها الجهشـياري في عهد عبد الملك بن مروان على ديوان الرسـائل أبو الزعيزعة مولاه[5] . كذلك كان يكتب لمصـعب ابن الزبير عبد الله بن أبي فروه[6] ، وكتب ليزيد بن المهلب يحيى بن يعمر[7] , وأطلقها الجهشياري أيضا في عهد هشام بن عبدالملك على رشدين كاتب يوسف بن عمر والي العراق[8] .

ويضـيف حسـين نصّـار فيقول : على الرغم من إيقاننا بوجود ديوان الرسـائل قبل ذلك العهد كما سيتضـح فيما بعد . وقد ظلوا يستعملون أيضـا عبارة ((وكان يكتب لفلان)) بعد إنشـاء ديوان الرسـائل[9] ويؤيد ذلك أيضـا أن لفظ ((على)) يرتبط عند الجهشـياري في أغلب الأحيان بلفظ ((ديوان)) ثم يصـرِّح الجهشـياري بوجود الديوان تصـريحا لا غموض فيه في عهد عبد الملك بن مروان ، إذ يقول: ((**وكان يكتب لعبد الملك على ديوان الرسـائل أبو الزعيزعة مولاه**))[10]

---

(1) حيث قال الجهشـياري(وكان يكتب لعبدالملك على ديوان الرسـائل أبوالزعيزعه مولاه..) الوزراء ، ص35. ويقول الطبري أيضـاً: (وكتب على الرسائل أبوالزعيزعه مولاه..) تاريخ ،180/6.

(2) مقدمة ، 242/2.

(3) الوزراء ، ص24. نشأة الكتابة ، ص72.

(4) الوزراء ، ص24. نشأة الكتابة ، ص73.

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص35. نشأة الكتابة ، ص73.

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص44. نشأة الكتابة ، ص73.

(7) الجهشياري : الوزراء ، ص41. نشأة الكتابة ، ص73.

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص64. نشأة الكتابة ، ص73.

(9) الجهشياري : الوزراء ، ص64. نشأة الكتابة ، ص73.

(10) الجهشياري : الوزراء ، ص35. نشأة الكتابة ، ص73.

ويصرح أيضا بأن سليمان بن سعد الخشنى كان يتقلَّد لعبد الملك ديوان الرسائل[1] ، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يصرِّح الجهشياري بوجود ديوان للرسائل لدى الولاة ، أمثال الحَجّاج بن يوسف الثقفي[2] ، ويزيد بن المهلب[3] ولعلَّ تعدد هذه الدواوين يرجح وجودها من قبل هذا العهد بزمن كاف ، مما يدلنا على ظهورها في عهد معاوية بن أبي سفيان[4] .

وهكذا نرى أن ديوان الرسائل ظهر في أوائل العصر الأموي ، في أيام معاوية بن أبي سفيان وتطور سريعاً حتى انتشر في الولايات المختلفة فكان هناك ديوان العراق[5] ، وديوان خراسان[6] في عهد عبدالملك بن مروان ونرى أيضا أن أوائل الكُتَّاب الذين تقلَّدوا هذا الديوان كانوا عرباً خلصاً مثل عبيد الله بن أوس[7] ، وعبد الله بن أبي بكرة[8] . ويحيي بن يعمر[9] ، وقبيصة بن ذؤيب[10] ، وروح بن زنباع[11] ويدل هذا على أن ديوان الرسائل عربي النشأة ، إذ يطلب فيها الخلفاء الفصاحة والإجادة اللتين لم تتوفر للأعاجم في ذلك . وأصبح الأعاجم ينافسون العرب في هذا الميدان بعد ذلك حيث ترى أبا الزعيزعة مولى عبدالملك بن مروان على ديوانه ولا يزال الأمر في تطور حتى نرى ديوان الرسائل في يد الموالي في عهد هشام بن عبد الملك إذ يتقلَّده مولاه سالم وابنه وتلاميذه الذين يعتبروا عبدالحميد الكاتب , وهو من الموالي أيضا ، أنبغهم . فديوان الرسائل نشأ نشأه عربية خالصة ، ولكنه في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية على يد هؤلاء الموالي الذين أتقنوا اللغة العربية ، وعبروا بها شعراً ونثراً[12] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص40. نشأة الكتابة ، ص74.
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص42. نشأة الكتابة ، ص74.
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص41. نشأة الكتابة ، ص74.
(4) نشأة الكتابة ، ص74.
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص42. أشرف محمد موسى : الكتابة العربية الأدبية العلمية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1978م ، ص32 .
(6) الجهشياري : الوزراء ، 63ص . نشأة الكتابة ، ص74.
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص24. نشأة الكتابة ، ص74.
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص26. نشأة الكتابة ، ص74.
(9) الجهشياري : الوزراء ، ص41. نشأة الكتابة ، ص74.
(10) الجهشياري : الوزراء ، ص34. نشأة الكتابة ، ص74.
(11) الجهشياري : الوزراء ، ص35. نشأة الكتابة ، ص74.
(12) حسين نصار : نشأة الكتابة ، ص74-75. أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي ، ط5 ، د.م ، دار نهضة مصر ، ص411 .

وكان يســمَّى أحيانا بديوان الإنشــاء[1] . حيث كان الديوان مشــهوراً بديوان الرســائل و لقِّب متوليه بصـاحب ديوان الرسـائل ، أو متولِّي الرسـائل ، وربما قيل صـاحب المكاتبات ، أو متولِّي ديوان المكاتبات ، وحيث كان الديوان مشــهوراً بديوان الإنشــاء ...لُقِّب متوليه بصــاحب ديوان الإنشاء[2] .

وقد بدأت عناية العباسـيين بهذا الديوان منذ بداية حركتهم في خراسـان , فقد أنشـأ أبو مسـلم ديوانا للرســائل عهد به إلى أسـلم بن صــبيح[3] ولكن قواعد تنظيم هذا الديوان اسـتقرت في عهد المنصــور[4] ، وقد أشــار الجهشـياري إلى ذلك حيث قال : **((أن أبا مســلم لما اظهر الدعوة بخراسان ، وغلب على ما غلب عليه من البلاد ... قلد كتابة الرسائل أسلم بن صبيح[5] . وفي هذا العهد كان الذي يتولى ديوان الرسائل هو الوزير نفسه))**[6] .

وكان ديوان الإنشــاء – كما مر بنا – يضــاف تارة إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه ، ويتولَّى أحواله بنفسه وتارة يفرد عنه بكاتب ينظر في أمره ، ويكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بكلامه[7] .

وقد تولَّى الكتابة للسـفاح خالد بن برمك واتخذ خالد دفاتر بدلاً من الصـحف التي كانت تثبت فيها أعمال الدواوين[8] .

أما المنصـور فقد كان يكتب له عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان[9] . وتولَّى الكتابة للمهدي وزيره ونائبه قبل الخلافة أبو عبيد الله معاوية بن يسار [10] .

---

(1) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص275.
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/ 137 .
(3) أمام : نظم الحكم ، ص161–162.
(4) حسن محمود أحمد الشريف : العالم الإسلامي ، ص150.
(5) الوزراء ،ص85.
(6) أنور الرفاعي : النظم الإسـلامية ، دمشـق ، دار الفكر ، 1392هـ/1973م . ص83. وفي كتاب الوزراء والكُتّاب للجهشـياري صـور لنشـرات الرسـائل التي كانت توجه للعمال والرعية ، ص72 ، 73 ، 84 ، 85 ، 111 ، 141 ، 178 ، 179 ، 202 ، 221 ، 253 ، 256 ، 265 ، 276 ، 277 ، 279 ، 289 ، 291 ، 293 ، 304 ، 308 .
(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، 93/1.
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص89.
(9) الجهشياري : الوزراء ، ص96.
(10) ابن طباطبا : الفخري ، ص182.

أما الهادي فقد ولَّى عمر بن بزيع ديوان الرسائل[1] ، وتولَّى ديوان الرسائل للرشيد يحيى بن خالد البرمكي حيث كانت الدواوين كلها إليه مع الوزارة إلا ديوان الخاتم[2] .

ولما أفضى الأمر لمحمد الأمين قلَّد يحيى بن سليم ديوان الرسائل[3] وتولَّى الكتابة للمأمون وزيره الفضل بن سهل [4] الذي سمي ذو الرياستين وتولَّى الرسائل للمعتصم الفضل بن مروان[5].

وكما مر بنا سابقاً أن قواعد تنظيم هذا الديوان استقرت في عهد المنصور , عهد التنظيم الشامل والتطور الحقيقي لنظام الخلافة العباسية ، ففي بغداد أفرد مكانا خاصاً لهذا الديوان بل جعله قريباً من قصره[6] وعهد به إلى أبان بن صدقة ، ولم يتوقف تطور هذا الديوان في عهد المهدي ، وأصبح باستطاعة من يتولاه أن يستخلف عليه من يريد ، كما فصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة[7] ، لأن ديوان رسائل الدولة بدأ يخضع لإشراف الوزراء المباشر ، وخاصة وزراء التفويض ثم مضى التطور قدماً في عهد الرشيد إذ أدخل تعديلات على المكاتبات الرسمية فأصبحت تصدر بالثناء على الله عزّ وجلَّ والصلاة على الرسول . ولم تفتر العناية بهذا الديوان الهام حتى آخر عهد الواثق. وأصبح أكثر تألقاً . وكان ديوان الرسائل لا يتولاه إلا خير الكُتَّاب[8] .

وقد ألَّف القلقشندي لمن يرشحون أنفسهم لمنصب ديوان الرسائل كتاباً قيماً ذكر فيه تاريخ هذا الديوان وتفاصيل العلوم والمعارف التي ينبغي لصاحبه أن يعلمها . حيث قال :((**ليس في منزلة خدم السلطان والمنصرفين في مهماته أخص من كاتب الرسائل فانه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهماته واطلاعه على حوادث ديوانه فهو لذلك لايثق بأحد من خاصته ثقته به ...**))[9] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص35. نشأة الكتابة ، ص73.
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص167.
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص289.
(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص221.
(5) ابن الأثير : الكامل ، 236/5.
(6) اليعقوبي : البلدان ، ص8.
(7) حسن محمود أحمد الشريف : العالم الإسلامي ، ص150.
(8) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ط5، مكتبة النهضة المصرية ،1351هـ/1933م ،168/1-169.
(9) الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص84 .

وكان لصاحب ديوان الرسائل كاتب يرتب الكتب التي ينظرها مجلس المظالم ويلخِّصها ، فإذا رجعت عرضـت على الخليفة . وهناك كُتَّاب آخرون مختصـون بمكاتبات كبار رجال الدولة , وفريق آخر كان يعكف على كتابة المناشـير وكتب التقليد والولاية ومراجعون يقرأون ويتصـفحون كل ما يكتب في الديوان .أما الخطاطون فمهمتهم نسـخ الكتب بعد صـياغتها ومراجعتها ولهذا الديوان أرشـيف يتولاه الخازن وهو يحفظ أصـول المكاتبات التي ترد إلى الديوان ومعها نبذة مختصرة عما تم بشأنها وما صدر عن الديوان عنها[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن ديوان الإنشاء يتألف من عدة مجالس وهي :

مجلس الإنشـاء والتحرير , ومجلس النسـخ , ومجلس الإسـكدار , ومجلس الخازن , والمحفوظات [2] .

وبالنسبة للمجالس الثلاثة : الانشاء والنسخ والاسكدار كانت تقوم بنفس الاختصاصات التي تتولاَّها المجالس في الدواوين الأخرى إلا أن مجلس الإنشـاء والتحرير يمثِّل الإدارة الرئيسـية لنشاطات الديوان . حيث أن الأعمال تتركز في القيام بالمكاتبات وتحريرها بالنسبة للصادر عن دار الخلافة واستقبال المكاتبات الواردة والقيام بعمل مختصر لها[3] .

ومما هو جدير بالقول أن الرسائل لم يقتصر أمرها على مجَّرد كتابتها على يد كاتب الرسائل ومن كان يعاونه من الكُتّاب الذين يعملون معه في ديوان الرسـائل وأنما شـارك في ختمها بخاتم الخليفة وفي توثيقها ثم إرسالها إلى أصحابها ديوان الخاتم وديوان البريد[4] .

5- **ديوان الخاتم :**

---

(1) حسن محمود أحمد الشريف : العالم الإسلامي ، ص153 . أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص30.

(2) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص129.

(3) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص129.

(4) أحمد الدراج : صـناعة الكتابة ، ص29-30.((وهكذا نرى أن مهمات رئيس ديوان الإنشـاء تتعدى الكتابة إلى الأمور الإدارية والسياسية , فهو يقوم بعمل عدة وزارات وإذا كان رئيس ديوان الإنشاء وزيراً تعددت مسؤولياته وأصبح يمثل الحاكم في أكثر أموره ، إن لم يكن فيها كلها))عائض الحارثي : ديوان الإنشاء , ص85 .

عرف ختم الرسـائل بعد طيّها أولفَّها أو حزمها عند الأمم القديمة في الحضـارة الإسـلامية كالمصـريين القدماء , والفرس وغيرهم . ويروى أن أوَّل من ختم الرسائل عند العرب في الجاهلية عمرو بن هند , بعد ما بلغه خبر ما فعل المتلمس بصحيفته المشهورة[1] .

وكان النبيρ أول من اتخذ الختم في الإسـلام الا أن المرء يقع في اللبس بين نوعين من الختم : الأول : الختم الذي يكون في أخر الرسالة ، والثاني: الختم الذي يقع على حزام الرسالة بعد لفها أو طيِّها ليكون مانعاً من فضـها والاطلاع على مافيها من أسـرار أو تغيير شـيء فيها بالتزوير ، ولا يفضُّ هذا الختم إلا من أرسلت إليه الرسالة حتى إذا فضـها أحد غيره ظهر ذلك عليها[2] .

ووظيفة الختم في النوعين إنما هي واحدة ويتبين مما وصـل من أخبار أن النبيρ كتب رسائل إلى الملوك والأمراء في أواخر سنة 6ﻫ يوم الحديبية ، وانطلق رسله بها في مطلع سنة 7ﻫ . وهو يدعوهم فيها إلى الإسلام . فقيل له : ((**يا رسول الله ، إن الملوك لايقرأون كتابا إلا مختوما ، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، وختم به الكتب**))[3].

وقد أشار ابن خلدون إلى نوعي الختم في الرسائل القديمة , فقال : ((**يحتمل أن يكون الختم بهذا الشكل بغمسه في المداد أو الطين ووضعه في الصفح فتنتقش الكلمات فيه**)) ثم قال : ((**ويحتمل أن يختم به في جسـم لين فتنتقش فيه حروفه ، ويجعل على موضـع الحزم من الكتاب إذا حزم**))[4] .

---

(1) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص47. قيل كان للأكاسرة أربعة خواتيم ، فكان على خاتم الحرب والشرط : الإناة ، وعلى خاتم الخراج والعمارة : التأييد ، وعلى خاتم البريد : الوحاء ، وعلى خاتم المظالم : العدل. الجهشياري : الوزراء، ص2. ويروى أن كسرى كان له تسعة خواتيم كل منها مخصص لمجال من المجالات .المسعودي : مروج الذهب ،278/1-279. محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص47.

(2) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص47.

(3) ابن سعد : الطبقات ،258/1. البلاذري : فتوح البلدان ، ص447-448 ، الصولي : أدب الكُتّاب ، ص 144. الطبري : تاريخ ، 277/3.

(4) مقدمة ، 324/1 .

ولا نعرف أي الختمين كان النبيρ يستعمل في رسائله ، فإذا كان يستعمل النوع الثاني أي الختم الخارجي , فلماذا روى لنا القدماء أن معاوية كان أول من إتخذ ديوان الخاتم بعد حادثة التزوير التي جرت في خلافته . فإن كان هذا الخبر دل ذلك على وجه الترجيح ، على أن جميع كتب النبي ρ كانت مختومة من الداخل فقط , وأنها بقيت من الخارج مفتوحة يمكن للمرء أن يطلع على مضمونها بكل حرية[1] , ونغلّب أن تكون هذه الطريقة متبعة حتى وقعت تلك الحادثة زمن معاوية ، فاضطر إلى ختم الرسائل ختما ثانيا من الخارج بعد حزمها منعاً لفضها وإحداث أي تغيير فيها أو تزوير . وإذا لم يكن هذا الخبر صحيحاً ، فإننا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين ، كانوا يختمون على وجه الإجمال من الداخل . وهكذا نرى أن الخاتم زمن النبي وخلفائه الراشدين لم يكن له ديوان منظم ولا إدارة مختصة به , إذ كان ختم الرسائل في زمنهم بسيطاً إلى أبعد الحدود ويتم بطريقة يسيرة [2] .

ويبدو لنا أن خواتم الخلفاء ، منذ فَقد خاتم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين من خلافة عثمانτ في بئر أريس[3] , نقشت على الأرجح نقوشاً خاصة بكل منهم ، تمييزاً لكتبهم من كتب غيرهم من الخلفاء[4] , فكان نقش خاتم عثمان τ مثلا : ((آمنت بالذي خلق فسوى))[5] , ((وقيل : لتصبرن أو لتندمن))[6] , ونقش خاتم عليτ ((الملك لله الواحد القهار))[7] ونقش خاتم الحسن بن علي ((لا إله إلا الله الملك الحق المبين))[8].

فلما جاء عهد معاوية τ رتَّب وظيفته[9] , واتخذ له الديوان وكان سبب ذلك أنه كان قد أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن أبيه عامله على الكوفة , ففتح عمرو

---

(1) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص49.

(2) محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري، ص50.

(3) الطبري : تاريخ ، 277/3. ابن خلدون : مقدمة323/1. ابن كثير البداية والنهاية ،155/7 .

(4) محمود المقداد : تاريخ الترسل النثري ، ص50.

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ،354/6.

(6) القلقشندي : صبح الأعشى ،354/6.

(7) القلقشندي : صبح الأعشى، 354/6.

(8) القلقشندي : صبح الأعشى ،354/6

(9) بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص189.ويروي البلاذري(أن زياد أول من أحدث ديوان الخاتم وديوان الزمام) فتوح البلدان ، ص45. الطبري : تاريخ ،206/2. وكذلك يروي اليعقوبي :(أن زياد أول من دون الدواوين ووضع النسخ للكتب)

الكتاب وصـير المائة مائتين . فلما دفع زياد حسـابه أنكرها معاوية ، وطلبها من عمرو وحبسـه حتى قضـــاها عنه أخوه عبدالله بن الزبير . لذلك أتخذ معاوية ديوان الخاتم[1] , وجعل عليه عبد الله بن محصن الحميري[2] ، وقيل بل أسنده إلى عبدالله بن أوس الغساني[3] ، وأمر بختم الكتب وحزمها ، وكانت لاتحزم من قبل ، وذلك حتى لايعلم أحد بما تحتويه من أســـرار , وحتى لا تتعرض للتزوير والتعديل[4] .

وأصـــبح هذا الديوان يضـــم عدداً من الكُتَّاب القائمين على أنفاذ كتب الخليفة وأوامره والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم[5] .

وقد قيل أن كتب الخليفة تمر بهذا الديوان وتثبت فيه لأن لختم الخليفة من الموقع ما ليس لغيره ، وكان ذلك متبعاً عند الفرس فإذا أمر الملك بأمر رفعه صاحب التوقيع بين يديه . وأثبت في تذكره عنده ثم يختم ويرفع إلى صاحب العمل ، أي أنه يختم في حضرة الملك [6]

وأوَّل من اسـتأنف العمل بهذا الديوان وبهذه الطريقة زياد بن أبيه عندما كان والياً على العراق أما الخاتم نفسه فقد كان زياد قد أقام فترة طويلة على ولاية العراق امتدت إلى اثنتي عشرة سنة ، فأكتســب خبرة واســعة واطلع على نظم الفرس مما دفعه إلى تطوير الدواوين ، وخاصـــة ديوان الخاتم فأمر الكتب بنســـخ المكاتبات بعد ختمها ، وأقام على هذا الديوان موظفين من العرب والعجم[7] .

تاريخه ،222/2 ويظهر أن اليعقوبي يقصد بالدواوين ديوان الخاتم ، ولما كان زياد يحكم في عهد معاوية فقد نسب للخليفة ، وعلى كل حال فان أحداث هذا الديوان كانت خطوة تطورية في تنظيم شـــؤون الدولة ، وأن ديوان الخاتم لم يكن في العاصمة فقط بل في كل مصر من الأمصار الإسلامية . الخيرو : إدارة العراق ، ص154.

(1) الطبري : تاريخ ، 330/5. الجشياري : الوزراء ، ص24–25. ابن طباطبا : الفخري ، ص107. ابن خلدون : مقدمة 323/1. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص201. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضـارة ، ص112 بطاينة : الحضـارة الإسـلامية , ص188. ((وكان في هذا الديوان تثبت فيه أوامر الخليفة ثم تختم وتحزم بخيط أو يختم بالشمع))أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص31.

(2) ابن طباطبا : الفخري ، ص79 . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص134. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص112. ابن الأثير : الكامل ،125/3.

(3) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص187.

(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص 79 . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص134.أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص112 .

(5) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص31.

(6) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص55. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص285. آدم متز : الحضـارة الإسـلامية ، 153/1–154.

(7) أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص44. الرواي : العراق في الدولة الأموية ، ص60.

وظلَّ ديوان الخاتم يعدَّ من أهم الدواوين منذ أيام معاوية بن أبي ســـفيان[1] وحتى أواســـط العصـــر العباســـي الأول ، وقد بلغ من أهمية الخاتم أن الوزير في عهد بني العباس إذا تناوله ليختم به كتاباً وقف تعظيماً للخلافة وإجلالا لاسـم الخليفة[2] ، واسـتمر هذا الديوان إلى أواسـط بني العباس , ثم ألغي وحولت أعماله إلى ديوان الرسـائل[3] ، أو إلى نظر الوزراء والسـلاطين[4] .

ولم يحدث العباسيون تطوراً يذكر لهذا الديوان عما كان عليه في السابق ولكنهم حافظوا عليه لما له من أهمية كبرى في المراسـلات الرسـمية للدولة ، وذلك حتى لا يسـتغل ضـعاف النفوس مراســلات الخلفاء ويحدثوا فيها تزويراً ، قد ينجم عنه مالا تحمد عقباه . إذا لم تكن المراســلات الرسمية مختومة بخاتم الخلافة[5] .

وكان لكلِّ خليفة من خلفاء بني العباس نقش معروف على خاتمه , فالسفاح كان نقش خاتمه ((الله ثقة عبدالله وبه يؤمن))[6] ، أما المنصـور فقد كان نقش خاتمه أيضـا ((الله ثقة عبدالله وبه يؤمن))[7] , والمهدي كان نقش خاتمه ((حسـبي الله))[8] وفي بعض الروايات الأخرى ((الله ثقة محمد وبه يؤمن))[9] ، والهادي كان نقش خاتمه ((الله ربي))[10] ،أما
هارون الرشـــيد فقد كان نقش خاتمه ((العظمة والقدرة لله))[11] وكان نقش خاتم الأمين ((محمد واثق بالله))[12] ، أما المأمون فقد كان نقش خاتمه ((سل الله يعطيك))[13] ، أما المعتصم فنقش

---

(1) الطبري : تاريخ ،330/5. الجشـياري : الوزراء ، ص25. ابن طباطبا : الفخري ، ص107 . ابن خلدون : مقدمة ،324/1 . الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص85.
(2) حسن إبراهيم : النظم الإسلامية ، ص188. بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 189 .
(3) أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية ، ص83.
(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص79. شلبي : تاريخ الحضارة ، ص112. حسن إبراهيم : النظم الإسلامية ، ص188.
(5) أمام : نظام الحكم ، ص146.
(6) القلقشندي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط1 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1964م ، 171/1.
(7) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 114/5. ابن كثير : البداية والنهاية ، 128/10.
(8) القلقشندي : مآثر الأنافة ، 184/1 .
(9) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 115/5.
(10) القلقشندي : مآثر الأنافة ، 190/1.
(11) القلقشندي : مآثر الأنافة ،193/1.
(12) القلقشندي : مآثر الأنافة ، 204/1.
(13) القلقشندي : مآثر الأنافة ،210/1.

خاتمه ((الله ثقة أبي إسحاق ابن الرشيد وبه يؤمن))[1] ، أما الواثق فنقش خاتمه ((الله ثقة الواثق))[2] .

وكان فيه نواب مهمتهم نسخ أوامر الخليفة وإيداعها في هذا الديوان بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع ، ثم تختم بخاتم صاحب الديوان[3] .

6- ديوان التوقيع :

كان صاحب هذا الديوان يقوم بالتعليق على الطيات , أو الرقاع التي كانت ترفع إلى الخليفة ، وذلك بعد أن يكون الوزير قد تحرى الأمر وعلَّق ذلك على الطلب بشرح اعتمد فيه على ما أتاه عنه من الدواوين . وبعد اطلاع الخليفة على المسألة كان صاحب ديوان التوقيع يقوم بصياغة رأي الخليفة عليها في أبلغ ما يستطيع من الكلام وأجزله ويدوّن ذلك على الطلب . ثم يحيله إلى كاتب التوقيع الذي كان يقوم بتثبيت التوقيع عنده[4] .

لقد كان هذا العمل في البداية يقع ضمن اختصاصات صاحب ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء كما كان يعرف أحيانا ثم أفرد له هذا الديوان[5] .

فالخليفة أو الإمام هو الذي يوقع في السجلات وتكتب توقيعاته في الرسائل في الثلثين من الطومار سواءً أكان ذلك إلى رئيس أو إلى رعية . أما الوزير فإنه كان إذا أراد الكتابة إلى الخليفة فإنه كان يكاتبه من نصف طومار في أمور العامة الديوانية , أما الخاص الذي كان يكتبه بخطه , أو كان يكتب بين يديه بإملائه ففي خمسين . وكانوا يكاتبونه في مثل ذلك في الخاص والعام إلا من كان منهم في أدنى الطبقات فإنه كان لايكاتب إلا في النصف في الحالتين[6] .

---

(1) القلقشندي : مآثر الأنافة ،219/1.

(2) القلقشندي : مآثر الأنافة ،225/1. ويذكر ابن عبد ربه أن نقش خاتمه (محمد رسول الله) ونقش آخر الواثق بالله . 122/5

(3) الخربوطلي : الحضارة العربية ، ص28-29.

(4) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص53 .السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص283. الشباني : نظام الحكم والإدارة , ص131. أحمد الدراج: صناعة الكتابة ، ص44. النبراوي : تاريخ النظم ، ص117.

(5) السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص283.

(6) السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص284.

ويبدو أن الحاجة إلى تخصُّص من يعمل في التوقيعات ، قد أدت إلى ظهور ما يعرف ((بديوان التوقيع)) وإفراده عن ديوان الرسائل والإنشاء وكان الوزير في عهد بني العباس يقوم بكتابة التواقيع للخليفة بحضوره . وكان البلغاء يتنافسون في الحصول على توقيعات بعض الوزراء مثل جعفر البرمكي ، حتى قيل أن التوقيع كان يباع بدينار ، حيث كان جعفر في عهد الرشيد على ديوان التوقيع ، لذا فإن الفصل في أمر الرقعة يكتب على الرقعة نفسها توقيعا من الخليفة أو كاتبه[1] .

لذا أصبح ديوان التوقيع يحتاج كغيره من الدواوين إلى عدد من الكُتَّاب إلى صاحب ديوان ، وإلى كاتب للإنشاء ، وآخر للتحرير ، وثالث للنسخ ، حيث كان لايمكن أن يستغني أي ديوان عن أمثال هؤلاء الكُتَّاب[2] . وقد بلغت هذه التوقيعات أقصى مايمكن أن تبلغه من الاختصار والبلاغة[3] . أما عن الصلة بين التوقيع على القصص والكتابة فيوضحها ابن خلدون بقوله: ((**ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان أو الخليفة في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقاه عن السلطان بأوجز لفظ وأبلغه**))[4] .

وقد قيل أن ديوان التوقيع حلَّ محل ديوان الخاتم في أول العهد العباسي , وعرفت الأوامرالصادرة عن هذا الديوان باسم التوقيعات ، ولكن هناك مصادر أخرى تذكر ديوان الخاتم

---

(1) ابن خلدون : العبر ، 206/1 ، وأيضاً مقدمة ، 305/1. آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 135/1. أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص45. ويقول د.شوقي ضيف أن التوقيعات هي عبارات موجزة بليغة , تعوّد ملوك الفرس ووزراءهم ، أن يوقعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم , وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع , وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتاب ويتحفظونها ، وقد رسموا الشكاوي والظلامات بالقصص لما تحكى من قصة الشاكي وظلامته ، ويسمونها بالرقاع تشبيهاً لها برقاع الثياب . تاريخ الأدب ، 489/3-490.وأوردت الكتب الأدبية توقيعات كثيرة أثرت لكل خليفة عباسي وكل وزير خطير ، لمزيد من المعلومات حول ذلك أنظر : العقد الفريد ، 211/4-215.

(2) قدامة بن جعفر: المنزلة الخامسة ، ص210-211. السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص284.

(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 135/1. أحمدالدراج : صناعة الكتابة ، ص44 ، وعن توقيعات الخلفاء أنظر: جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، 254/1-257 محمد رياض العشيري ، صور من الحياة الإسلامية في فن التوقيعات ، مجلة الفيصل ، العدد33 ، ربيع الأول ، 1400هـ ، ص134-137.

(4) مقدمة ، 305/1.

في عهد المأمون مما قد يســـتنتج أن ديوان الخاتم بقى قائماً مع إحداث ديوان التوقيع لمدة من الزمن ثم حلَّ الثاني محلَّ الأول[1] .

7- **ديوان الفض:**

من المرجح أن أصل الديوان كان شعبة من ديوان الرسائل[2] , إذ أن العمل الأساسي له كان استلام الرسـائل والتقارير الواردة ، حيث كان المسـئولون فيه يقومون بفضـها وتصـنيفها وعمل خلاصات لكل منها ورفعها للخليفة ، بعد تأشير ذلك في سجلات خاصة[3]. وبعد اطلاع الخليفة على خلاصـاتها كان يوقع بما يراه مناسبا . يشير قدامه أن ((**هذا الرسم كان الأمر جاريا عليه في الأوقات التي كانت الخلفاء فيها تتولى النظر في الكتب بأنفسها**))[4] .

وبعد أن استقر منصب الوزير وتركزت اختصاصاته , أصبح الوزير يباشر بنفسه الإشراف على فضَّ الكتب الواردة والتوقيع عليها وإحالتها بعد أخذ رأي الخليفة في الأمور المهمة إلى دواوين ذات الاختصاص ، لهذا أصبح المتولّي لهذا الديوان كاتباً للوزير يلتزم بالحضور إلى داره من أجل تنفيذ أوامره بالتوقيع والإحالة[5] .

يحتاج ديوان الفضّ إلى كاتبٍ يتولّى تصنيف الكتب الواردة إلى الديوان بحسب تقسيم الدواوين والأعمال ، وإلى كاتب يتولّى إعداد خلاصـــة بكلّ كتاب مما كان يرد الديوان يرفقها به لتســـهيل عرضـها على الخليفة أو الوزير ، كما كان يحتاج إلى ناسـخ لنسـخ ماكان يراد نسـخة من الكتب التي كان يراد الاحتفاظ بنسخة منها أو تعميمها على دواوين الدولة المختلفة[6] .

8- ديوان البريد :

---

(1) الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص86. أحمد الدراج : صناعة الكتابة ص126-127.
(2) السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص282. الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص131.
(3) ابن الصيرفي : قانون الرسائل ، ص108. السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص281.
(4) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص85. السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص281.
(5) ادم متز :الحضارة الإسلامية ، 154/1. السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص284. أحمد الدراج : صناعة الكتابة ، ص45.
(6) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص85 . السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص282 .

يعتبر هذا الديوان من أهمِ الدواوين التي لها دوراً في خلق الاتصال بين أجزاء الدولة الإسلامية ، والبداية التاريخية لهذا الديوان كانت في عهد معاوية بن أبي سفيانτ ، فقد انشأ نظاماً للبريد , فكان أوَّل من أنشأه في الدولة الإسلامية[1] .

وفي عهد الخليفة عبدالملك أدخلت على البريد تحسينات كثيرة لأهميته في تأمين الموصلات والأخبار بين الخليفة والولاة فقد قال عبد الملك بن مروان مرة لأحد رجاله : ((**وليتك حجابة بابي إلا عن أربعة : المؤذن فانه داعي الله فلا حجاب عليه . وطارق الليل فشـــر ما أتي به ولو وجد خيراً لنام . والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنة إذا حبس البريد ساعة . والطعام إذا أدرك**)) [2].

ومهمة صاحب ديوان البريد تتمثل في عرض كتب أصحاب البريد و الأخبار في جميع النواحي على الخليفة أو عمل جوامع لها مع الإشراف على أعمال الموظفين التابعين للديوان[3] .

ولم يكن منصب صاحب ديوان البريد في العاصمة من المناصب الميسورة المنال , فكان لابد من توافر صفات معينة بجانب الكفاءة وسعة الاطلاع ، إذ كانت لا تنحصر مهمة صاحب الديوان في إرسال واستلام الرسائل الرسمية من الخليفة وإليه ، وإنما كانت تشمل الإشراف على جميع السلطات في مختلف أجزاء الدولة [4]. يقول التنوخي: ((**وللبريد في الحضرة ديوان خاص يتولاه الثقة المؤتمن بجمع صـــاحبه جميع الرســائل التي ترد من الأطراف ويطالع بها فور وصولها**))[5].

وفي فترة حكم الخليفة المنصور وهي الفترة التي وضح فيها مكانة ديوان البريد ، حيث استخدمه لكشف حركات التمرد والثورة ووأدها في المهد ، فكان عمّال البريد يبلغون السلطة بما يجري في الأقاليم فيقومون بالمواجهة الحازمة ، ولم يقتصر عمّال البريد على مساعدة الخلفاء بالكشف عن الحركات المناوئة بل إن مهمتهم اتسعت فصار من واجباتهم موافاة السلطة بأحوال السلع

(1) العسكري : الأوائل ، ص19 . الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص125.
(2) أنور الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص 92 .
(3) قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة ، ص257. ادم متز : الحضارة الإسلامية ، 151/1. السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص268.
(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية , ص268 .
(5) الفرج بعد الشدة ، 303/1. أمام : نظام الحكم ، ص139.

وأســـعارها[1] ، حيث كانت ولاة البريد في الآفاق كلها يكتبون كلِّ يوم إلى المنصـــور مدة خلافته بسـعر القمح والحبوب والأدم ، وبسـعر كلِّ مأكول وبكل ما يقضـى به القاضـي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي ، وبما يرد بيت المال من المال[2].

لقد كانت المكاتبات الرســمية يحملها بريد الأقاليم إلى ديوان البريد الرئيســـي في بغداد حيث تسلَّم إلى الدواوين المختصة[3].

وتظهر العلاقة بين ديوان البريد والكُتَّاب في المجالس التي يتألف منها الديوان وهي: مجلس الإنشـاء والتحرير ، ومجلس النسـخ ، ومجلس الاسـكدار ، ومجلس السـكك والطرق ومجلس ولاة البريد والأقاليم . أما بالنسـبة لمجلس الانشــاء والتحرير ، ومجلس النسـخ ، فإنها تشـبه مهمات المجالس المشابهة لها في بقية الدواوين [4] .

9- ديوان النفقات :

كان أكبر مهام هذا الديوان النظر في مصـــروفات الدولة [5] . فقد أختصَّ بنفقات الخليفة من تأمين الرواتب وبناء وإصـــلاح القصـــور وملحقاتها وشـــراء المواد الغذائية والخيول ، وما يطلبه سـكان القصـور من ملابس وأدوات وأثاث [6]. ذكره الجهشـياري لأول مرة عند حديثه عن خلافة ســـليمان بن عبد الملك حيث ذكر أن عبد الله بن عمرو بن الحارث مولى بني عامر كان يكتب للخليفة ســـليمان بن عبد الملك على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق ، فإن من المحتمل أن تعود نشأته إلى ما قبل الفتح الإسلامي[7].وذكر خليفة بن خياط أن أيوب أبا سمير مولى بني

(1) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص125. -126.

(2) الطبري : تاريخ ، 69/8. وفي عصر هارون الرشيد عهد بهذا الديوان إلى جعفر البرمكي. الجهشياري : الوزراء ، ص204.

(3) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص126.

(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص269. الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص126.

(5) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص230.

(6) الرفاعي : النظم الإسـلامية ، ص89-90. عبدالكريم الحتامله : البنية الإدارية للدولة العباسـية ، ط1 ، عمان-الأردن، جمعية عمال التعاونية ، 1406هـ/1985م ، ص49 .

(7) الوزراء ، ص 49 . موسوعة الزاد ، 11/ 3205 .

فهر كان يكتب للخليفة المهدي على الديوان نفســه [1]. وهذا يشـير إلى اسـتمرار العمل بالديوان في عهد بني العباس ، كما يشير إلى صلة ديوان النفقات ببيوت المال[2].

وقد قيل : أن نمو واتســاع هذا الديوان لم يتم إلا في العهد العباســي ، وكان يطلق عليه في الســابق ((ديوان العطاء)) وأحياناً كان تابعاً لديوان الجند ، ولكن اتســاع أعمال الدولة وكثرة الدواوين وتعدُّد المصــروفات أدى إلى إيجاد ديوان النفقات الذي كان يهتم بنفقات الخلافة وحاجاتها ونفقات الدواوين المركزية وكذلك المصــالح العامة في بغداد ، وفي اقتصــاره على ذلك يعود إلى طبيعة النظام الإداري الذي يقوم على فكرة اللامركزية ، فقد كانت فروع ديوان الخراج في الأقاليم تتولى مهمات وواجبات هذا الديوان بالنسبة لأقاليمها[3] .

<u>وهذا الديوان ينقسم إلى المجالس الآتية[4] :</u>

1- مجلس الجاري .
2- مجلس الإنزال .
3- مجلس الكراع .
4- مجلس البناء والمرمة .
5- مجلس الحوادث .
6- مجلس الإنشاء والتحرير[5]. وهذا ما يهمنا في هذا المبحث .

تتشابه عمل هذا المجلس مع أعمال المجالس الأخرى في الدواوين _ كما مر بنا سابقاً _ وأن مجلس الإنشاء والتحرير كان ينشأ ويحرر الكتب التي كانت تصدر عن ديوان النفقات بحسب

---

(1) تاريخه ص442.
(2) بطاينة : الحضارة ، ص203.
(3) الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص119. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص230.
(4) ولمزيد من المعلومات عن تلك المجالس أنظر : قدامة بن جعفر : الخراج ، ص33-35. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص230.-237. النبراوي : تاريخ النظم ، ص115-116. بطاينة : الحضارة ، ص203. عبدالكريم الحتاملة : البنية الإدارية ، ص49-55.
(5) قدامه بن جعفر : الخراج ، ص 35 . آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 149/1 . بطاينة : الحضارة ، ص 237 . الشباني : نظام الحكم والإدارة ، ص119. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص237.

المعلومات أو الحســابات التي يحيلها المجلس المختصُّ بذلك في هذا الديوان ، وينبغي أن يكون الكاتب الموكل بهذا الديوان متمكنا من اختيار اللفظ الذي يؤدي تمام المعنى المقصود بدقة[1].

7- مجلس النسخ [2]:

وقد تقدم ذكر اختصاصات هذا المجلس في غير هذا الديوان فاختصاصاته متشابهه في كل الدواوين ، وكان الغرض منه استنساخ عدة صور متطابقة للكتاب الصادر عن الديوان والاحتفاظ بإحداها وإرســال أصــل الكتاب إلى الجهة ذات العلاقة وإرســال صــور منه إلى الجهات ذات العلاقة[3] .

8. مجلس بيت المال[4] .

10- ديوان المستغلات :

وكان هذا الديوان يدير ممتلكات الدولة وأموالها غير المنقولة كالأراضـــي والأبنية والعمارات .[5]

11- ديوان الصدقات :

مهمته النظر في موارد الصدقات والزكاة وفي تحديد مستحقيها وكيفية توزيعها حسبما جاء في القرآن[6] (**إِنَّمَا الصَّــدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَــاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابنِ السَّبِيلِ**) [7].

12- ديوان الطراز :

وهو الذي يقوم بإنتاج الملابس والأزياء الرسمية والأعلام وشارات الدولة وهو ما يصح تسميته بمعامل الطراز الخاصة ، ويقال إنه نشأ في خلافة عبد الملك بن مروان على أن الجهشياري

---

(1) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص237.

(2) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص35. السامرائي : المؤسسات الإدارية ،ص237. النبراوي : تاريخ النظم ، ص116. الحضارة الإسلامية ، ص203.

(3) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص237.

(4) ولمزيد من المعلومات عن هذا المجلس أنظر : قدامه بن جعفر : الخراج ، ص35. الســامرائي : المؤســســات الإدارية ، ص237. غير أن آدم متز لم يشر إلى هذا المجلس : السامرائي: المؤسسات الإدارية ، ص237. عبدالكريم الحتاملة : البنية الإدارية ، ص56.

(5) الجهشياري : الوزراء، ص 47. بطاينة :الحضارة الإسلامية، ص 203 . اليوزبكي: دراسات في النظم العربية ، ص 139.

(6) الجهشياري : الوزراء، ص 60 . بطاينة : الحضارة الإسلامية، ص 202 . اليوزبكي: دراسات في النظم العربية، ص 139.

(7) سورة التوبة الآية 60 .

يشير إليه في خلافة هشام بن عبد الملك [1] ، وكان الخلفاء يقلّدون هذه الوظيفة لخواص دولتهم وثقات مواليهم ، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر في أمور الصياغ والآلة والحاكة في دور الطراز لإجراء رزقهم والإشراف على أعمالهم [2].

ومن المعروف أن هذه الدواوين الآنفة الذكر تحتاج إلى مجموعة من الكُتَّاب سواء على رئاستها أو مجالسها – كغيرها من الدواوين الأخرى – يقومون بتصريف الأمور الكتابية والحسابية والإدارية .

تعريب الدواوين :

أن تعريب الدواوين لم يتم إلا في عهد عبد الملك إلا أن الفكرة قديمة وجدت منذ عهد عمر τ[3]، ذكر صاحب كتاب إعتاب الكُتَّاب أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمرτ أن المال كثر من يأخذه ، فلسنا نحصيه إلا بالأعاجم ، فاكتب إلينا بما ترى ؛ فكتب إليه عمر : ((**لاتعيدوهم في شيء سلبهم الله إياه ، واخشوهم على دينكم ، وأنزلوهم حيث أنزلهم الله ، وتعلَّموا فإنما هي الرجال**)) [4].

وكانت الدواوين الأولى (الجند وبيت المال) تكتب باللغة العربية منذ نشأتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ . أما الدواوين التي وجدت في البلاد المفتوحة فقد أبقاها العرب على حالها ، وهي المختصة بالجباية وحساباتها فظلت حتى عهد عبد الملك بن مروان[5] ، يقول الجهشياري في ذلك : ((**ولم يزل إلى عهد عبد الملك بالكوفة والبصرة ديوانان : أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم ، وهذا الذي كان عمر رسمه ، والآخر لوجوه المال بالفارسية وهو ديوان الخراج وكان بالشام مثل ذلك أحدهما بالرومية وهو ديوان الخراج . والآخر بالعربية وهو ديوان**

(1) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 140 .
(2) بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 202 .
(3) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص 24 .
(4) ابن الأبار : إعتاب الكُتَّاب ، ص 51 .
(5) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 140–141 . أحمد عبدالرزاق : الحضارة الإسلامية ، ص 79 .

الجند)) [1] . ويبدو أن تعريب الدواوين المالية كان يقصد منه ضبط أعمالها والإشراف عليها منعاً من الغش والتزوير [2].

وكان لعبد الملك بن مروان فضل كبير في تطوير الدواوين وتعريبها ، فقد حدث في عهده أن عُرِّبت من اللغات الرومية والفارسية والقبطية إلى العربية سنة (81هـ/700م) [3].

وتذكر المصادر عن سبب ذلك ، أن سرجون بن منصور النصراني كان يتقلَّد الديوان لعبدالملك في الشام ، فأمره عبد الملك يوماً بشيء فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه وحثه فيه ، فرأى منه تفريطاً وتقصيراً ، فقال عبد الملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشني : – وكان يتقلَّد له ديوان الرسائل – أما ترى دلال سرجون علينا ؟ وأحسبه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته ، فما عندك حيلة ؟ قال : لو شئت لحولت الحساب إلى العربية ، قال : أفعل فحوله ، فرد إليه عبدالملك جميع دواوين الشام [4].

وفي العراق كان يتقلَّد الديوان زاذان بن فروخ وينوب عنه صالح بن عبد الرحمن[5] ، وكان الحجاج يميل إلى صالح ، فقال صالح لرئيسه يوما : إني لست آمن أن أزيلك عن محلك لتقديم الحجاج أياي وأنت رئيسي . فقال زاذان : لاتفعل فإنه أحوج إلي مني إليه ......قال : فكيف ذلك ؟ قال : لايجد من يكفيه الحساب ، فقال صالح : أني لو شئت حولته بالعربية . قال :

---

(1) الوزراء ، ص 38 .

(2) سير أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1961م ، ص166 . اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 141 .

(3) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 196–197 . الجهشياري : الوزراء ، ص 38–40 . العسكري : الأوائل ، 354/1 . ولمزيد من المعلومات عن تعريب الدواوين أنظر: ابن خلدون : مقدمة ، 302/1 . السيوطي: الوسائل في معرفة الأوائل ، ص 104. عبد الواحد طه: العراق في عهد الحجاج من الناحية السياسية والإدارية ، ط1 ، الموصل ، جامعة الموصل ، 1405هـ/ 1985م ، ص 135–147 .

(4) البلاذري : فتوح البلدان ، ص196–197 . الجهشياري : الوزراء ، ص 40 . ابن خلدون : مقدمة ، 302/1 .

(5) هو : صالح بن عبد الرحمن التميمي بالولاء ، أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق كان يجيد الإنشاء في اللغتين ، قتل على يد ابن هبيرة سنة 103هـ/722م . الجهشياري : الوزراء ، ص 38، 39 ، 49 ، 58 ، 64 ، 65 . ابن الأزرق : بدائع السلك ، 1/ 286 .

فحول منه سطراً ، فحول منه شيئاً كثيراً ، فقال زاذان لأصحابه : ((**التمسوا مكسباً غير هذا**))
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول ((**لله در صالح ما أعظم منته على الكُتَّاب**)) [1].

وفي عام 87هـ/705م تم تعريب دواوين خراج مصر في إمارة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكانت تكتب قبل ذلك بالقبطية ، فصرف عبدالله بن أشناس وجعل عليه ابن يربوع الفزاري [2].

أما خراسان ، فبقيت الدواوين تكتب بالفارسية إلى عهد هشام بن عبد الملك عندما قام الكاتب إسحاق بن طليق بنقل ديوان خراسان من الفارسية إلى العربية في سنة 124هـ/742م ، أثناء ولاية نصر بن سيار عليها [3].

أن تعريب الدواوين لم يتم إلا في عهد عبد الملك إلا أن الفكرة قديمة وجدت منذ عهد عمر τ [4]، ذكر صاحب كتاب إعتاب الكُتَّاب أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر τ أن المال كثر من يأخذه ، فلسنا نحصيه إلا بالأعاجم ، فاكتب إلينا بما ترى ؛ فكتب إليه عمر : ((**لاتعيدوهم في شيء سلبهم الله إياه ، واخشوهم على دينكم ، وأنزلوهم حيث أنزلهم الله ، وتعلَّموا فإنما هي الرجال**)) [5].

وعلى كل حال فإن حركة التعريب ساعدت على انتشار الخط العربي واللغة العربية التي صارت لساناً حضارياً في جميع أمصار الإسلام . كما ساعدت أيضاً على تقلص نفوذ غير العرب من المسلمين وأهل الذمة ، الذين اضطروا إلى التخلي عن مناصبهم في الديوان لمن يجيد العربية بعد نقل المصطلحات به من الفارسية واليونانية والقبطية والبربرية إلى العربية ، وقد مهد ذلك لظهور طبقة جديدة من الكُتَّاب . منذ ذلك الوقت ، وأصبح من الضروري وجود كاتب في كل إقليم وولاية لضبط أمورها الإدارية والمالية على وجه الخصوص [6].

---

(1) البلاذري : فتوح البلدان ، ص 197 .الجهشياري : الوزراء ص 38 . بن خلدون : مقدمة ، 302/1 . أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية ، ص 79 .

(2) الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م) الولاة وكُتَّاب القضاة ، تهذيب وتصحيح رفن كست ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، د .ت ، ص 58-59 . وأيضاً المقريزي : الخطط ، 264/1 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص 67 . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت ، ص 367-368 .

(4) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص 24 .

(5) ابن الأبار : إعتاب الكُتَّاب ، ص 51 .

(6) أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية ، ص 79-80 .

الدواوين التي نشأت في العصر العباسي :

حين وصل العباسيون إلى الحكم ، واستقر حكمهم جرى نقل سجلات الدواوين ووثائقها من دمشق إلى الكوفة ، وأعاد العباسيون تنظيم وتطوير الدواوين بحسب ظروفهم ، ولاشك في أن ظهور منصب الوزير كان له أثره على الدواوين وإدارتها حيث شملت سلطات الوزير الإشراف على معظم الدواوين ومتابعة أعمالها . كما جرى استحداث دواوين جديدة . غير أن ذلك تم بشكل تدريجي أيضاً وحسب ما تقتضيه أحوال الدولة وسياسة الإدارة فيها ، فقد ظهرت بعض الدواوين الجديدة في صدر الدولة العباسية [1]. ومنها :

1- **ديوان المصادرات :**

أنشأ المنصور ديوانا خاصاً لحفظ أسماء من صودرت أمولهم ومقدار ما صودروا عليه ، وسمي بديوان المصادرات ، ويبدو أن المصادرة كانت من أموال وضياع بني أمية التي صودرت منذ أبي العباس السفاح [2].

2- **ديوان المظالم :**

كان الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده يستمعون إلى شكاوي الناس وينصفونهم في كل وقت تعرض عليهم هذه الشكاوي ، ولكن بعد مقتل علي بن أبي طالب والاعتداء على معاوية بن أبي سفيان احتجب الخلفاء وخصصوا أوقاتاً محدودة للنظر في المظالم ، كما فعل الخليفة عبد الملك بن مروان حيث كان أول من أفرد يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين ، وسار على نهجه الخليفة عمر بن عبد العزيز [3] . وهو من الدواوين التي أنشئت في عهد الدولة العباسية ، وخاصة أول خلافة المهدي ، وقد انشئ لمعرفة ماتشكو

(1) موسوعة الزاد ،11/ 3205 . اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 144 .
(2) ابن طباطبا : الفخري ، ص 115 . بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 205 .
(3) الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص 89 .

الرعية من ظلم بعض ولاتها وجورهم وتعسفهم فتقدم الشكاوي والدعاوي إليه [1]. وكان بمثابة محكمة استئناف عليا يلجأ إليه المتقاضون إذا اعتقدوا أن القاضي لم يحكم بينهم بالعدل . كما يلجأ إليه المتظلمون من تعدى الولاة أو جباة الأموال أو كُتَّاب الدواوين أو من أحد أبناء الخليفة أو الأمراء [2].

لذا حدَّدوا خلفاء بني العباس وقتاً خاصاً للنظر في مظالم الرعية ، ولمَّا استبانوا للنظر في المظالم جلس لها الوزراء والسلاطين ، وصار النظر في المظالم إليهم [3].

ويحتوي هذا الديوان على مجموعة من الكُتَّاب منهم[4]:

1. صاحب الديوان: كان يتولَّى عمل خلاصات لكل ماكان يقدم من الشكاوي والظلامات لكي يعرضها على الخليفة ، فإذا قعد الخليفة للناس وكان ممن له صبر على تأمل القصة والتوقيع عليها ، فعل وإلا علَّق وربط صاحب الديوان عليها رقعة ، فيها مجموعها لينظر في المجموع ويوقع على القصة بما يوجبه الحكم[5] .فإذا انقضى مجلس النظر في ديوان المظالم ، أخذ صاحب الديوان جميع الشكاوي التي صدر بها الحكم مع خلاصتها في سجل خاص ، وأثبت اسم كل صاحب ظلامة بإزائها ، مع الحكم الذي صدر بشأنها ، حتى لا يجري في أوراق الظلامات التي يسلمها إلى أصحابها بعد ذلك أي تلاعب أو تزوير ، وكان إذا تكررت مراجعات المتظلم ، كان على صاحب الديوان أن يؤشر ذلك بإزاء الظلامة الأولى في سجله ، حتى إذا طولب بإخراج حالة من ديوان المظالم ، وجد أمره كله منسوقا مجموعا في موضع واحد وإخراجها من غير كلفة[6] .

---

(1) الرفاعي : النظم الإسلامية . ص89 . الصالح : النظم الإسلامية ، ص317. حمدي عبدالمنعم : ديوان المظالم نشأته ، وتطوره واختصاصه ، ط1 ، القاهرة ، دار الشروق ، 1403ه/1983م ، ص122-124.

(2) أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، ص 113 .

(3) النبراوي : تاريخ النظم ، ص130. الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص89.

(4) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص264.

(5) قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة ، ص237. حمدي عبدالمنعم : ديوان المظالم ، ص140.

(6) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص64.

وكان من واجب صـــاحب الديوان بالإضـــافة إلى ماتقدم الإشـــراف على ســـير العمل في الديوان وتنظيمه وتوزيع الأعمال بين المنتسبين إليه من الكُتّاب[1] .

2. كاتب تثبيت: وكان يتولَّى تثبيت ورود الظلامات في سجل خاص والموضع الذي تتحصر والمدعي ، والمدعي عليه ، ثم إحالتها إلى صاحب الديوان[2] .

3- كاتب نسخ: وكان يعهد إليه بأمر استنساخ خلاصات الشكاوي أو القصص بأعيانها حرفاً حرفاً حسب رأي صاحب الديوان[3].

4- كاتب إنشـــاء: وكان هذا الكاتب يتولَّى أمر إنشـــاء الكتب التي كان يراد توجيهها إلى المؤسسات المختلفة ، وكان من الممكن أن يحل هذا الكاتب محل صاحب الديوان في عرض الظلامات وخلاصاتها على الخليفة عند الحاجة[4] .

5- كاتب تحرير: كان هذا الكاتب يتولى تحرير الكتب التي كانت تصدر عن الديوان بشأن أي قضـية كان الديوان يحتاج في أمرها توجيه كتب إلى كل من: ((**أصـحاب الدواوين ، أصـحاب المعونة أو القاضي،أو من جرى مجراهم**))[5] .

3- **دواوين الأزمة :**

الزمام: جمعه أزمة وزمه فانزم : شـــده[6] وربطه ، يقال هو زمام قومه أي مقدمهم وصـــاحب أمرهم ، وهو زمام الأمر أي به يقوم الأمر وألقوا إليه زمام الأمر أي تركوا له أن يحكم ويقضي بما شاء[7] .

---

(1) السامرائي:المؤسسات الإدارية،256.
(2) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص64. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص265 .
(3) قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة ، ص237. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص265.
(4) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص64. السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص265.
(5) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص64. الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص86-104 . السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص265-266.
(6) الفيروز آبادي : القاموس المحيط ،127/4.
(7) لويس معلوف: (وآخرون): المنجد في اللغة والإعلام ، ص10.

وعن نشـــأة دواوين الأزمـة وديوان زمـام الأزمـة يقول الطبري: في ســـنـة 162هـ /778م وضــــع المهدي دواوين الأزمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه , فولَّى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان زمام العراق [1] .

وفي سنة 168هـ / 784م ولَّى المهدي علي بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع . وذكر أحمد بن موســـى بن حمزة عن أبيه ، قال: أوَّل من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي ، وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر ، فإذا هو لا يضـــبطها إلاّ بزمام يكون له على كل ديوان،فاتخذ دواوين الأزمّة ، وولَّى كل ديوان رجلاً ، فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل بن صبيح ، ولم يكن لبني أمّية دواوين أزمة[2].

غير أن الجهشـياري يشـك في صـحة الرواية التي تذكر أن دواوين الأزمّة . أحدثت في عهد المهدي ، في حين أنه يؤيد الرواية التي تذكر أن المهدي هو الذي اســتحدث ديوان زمام الأزمَّة ، حيث يقول : أن المهدي ((**قلَّد عمر بن بزيع دواوين الأزمة في سنة اثنتين وستين ومائة ، وقد قيل أن المهدي أول من أحدثها**))[3] ، ثم يقول بعد ذلك ((**قلَّد المهدي علي بن يقطين الأزمة على عمر بن بزيع وتضـعضـعت حال عمر بن بزيع وذلك في سـنة ثمان وسـتين ومائة فصـار على زمام الأزمة ، وأحســـب أن من ذكر أن المهدي أوَّل من أحدث الأزمة انما أراد أزمة على الأزمة**))[4] .

والذي يظهر صـــحة ما ذهب إليه الجهشـــياري من أن دواوين الأزمَّة كانت قائمة قبل خلافة المهدي وإنما عين المهدي من يتولاها في عهده وزاد من اهتمامه بها ، والديوان الذي اســـتحدثه المهدي هو ديوان زمام الأزمَّة[5] .

---

(1) تاريخ ، 142/4.
(2) الطبري : تاريخ ، 167/8.
(3) الوزراء ، ص146.
(4) الوزراء ، ص166.
(5) حسن الحارثي : الرقابة الإدارية ، ص489.

فقد ذكر البلاذري أن زياد بن أبيه كان أول من اتخذ من العرب ديوان الزمام[1] كما يذكر ابن الخياط أن أبا جعفر المنصور عين إسحاق بن صالح بن مخلد على زمام الجند[2].

وقد كانت دواوين الأزِمَّة وديوان زمام الأزمة تقوم بعدة مهمات منها :

1- أن ديوان الزمام أو الأزمة يشبه ديوان المحاسبات [3] ، أو قلم مراقبة الحسابات [4].

2- الإشـــراف على أعمال الدواوين الكبيرة ومراقبة الناحية المالية منها خاصـــة[5] ، أي أنه كان يشرف على ضبط الحسابات المالية والتدقيق فيها ، فصاحبه يشبه وزير المالية في عصرنا الحاضر فانه يجمع الواردات والمصروفات ويقيم الموازنة بينهما[6]. فأمر العمل في هذا الديوان فهو جار ، على نحو ما ذكر من أمر الدواوين المتقدم ذكرها فهو يحتاج إلى عدد من الكُتَّاب يعملون فيه ســواء على رئاســته أو في مجالســه ، لذا يحتاج إلى صــاحب ديوان ، وإلى كاتب للإنشــاء وآخر للتحرير وثالث للنســخ ، حيث لايمكن أن يستغني أي ديوان عن أمثال هؤلاء الكُتَّاب .

4- ديوان الصوافي والضياع

استحدث الرشيد في عهده دواوين جديدة أهمها ديوان الصـوافي ، ومهمته النظر في أمور الأراضـــي التابعة للدولة ، كما اســتحدث أيضـــاً ديوان الضـــياع ، ومهمته إدارة ضـــياع الخليفة الخاصة وأسرته ، وهي ضياع واسعة منتشرة في أرجاء الدولة العباسية[7] .

وعلى كل حال فإن هذه الدواوين كانت بحاجة ماسـة إلى وجود الكُتَّاب يقومون بتصـريف الأمور الكتابية والحسابية والإدارية لهذه الدواوين .

5- ديوان الجهبذة :

---

(1) الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص88. نقلاً عن البلاذري ، فتوح البلدان ، ص450.

(2) تاريخ ، ص436. يرى بعض الباحثين أنه من الخطأ إطلاق ديوان الزمام على ديوان الأزمة ذلك أن ديوان الازمة كان مقره العاصـمة . وديوان الزمام كان منتشـراً في الولايات . حسـيني : الإدارة العربية ، ص31-32. الرفاعي : النظم الإسـلامية ، ص89. حسن الحارثي : الرقابة الإدارية ، ص490.

(3) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص193 . أبو زيد شلبي : الحضارة ، ص114.

(4) حسن الحارثي : الرقابة الإدارية ، ص491.

(5) أمام : نظم الحكم ، ص166.

(6) ضيف الله الزهراني : بيت المال ، ص291. الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص89.

(7) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 145 . بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 205 .

أنشـــــى هذا الديوان في عهد الخليفة المأمون ويظهر أنه يتفرع من ديوان بيت المال ، ومهمته تدقيق حســـابات بيت المال وتدقيق نوعية موارده[1] ، وكان لهذا الديوان كُتَّاباً اختصـــوا بتصـــريف الحســـابات والأمور المالية يطلق عليهم الجهابذة ، وتجدر الإشـــارة إلى أنه كان على رئيس ديوان الجهبذة ، تقديم خلاصة شهرية لحسابات بيت المال ، كانت تعرف بالختمة كما كان عليه إعداد خلاصـــة ســـنوية بالواردات والمصـــروفات والمتبقي من المال كانت تعرف بالختمة الجامعة [2].

6- **ديوان الموالي والغلمان :**

عندما أكثر المعتصـــم من اســـتخدام الغلمان الأتراك وقد حمله كثرتهم ورغبته في ابتياعهم إلى إحداث ديوان الموالي والغلمان ويبدو أن هذا الديوان ينظر إضـــــافة إلى ذلك في شـــــؤون الجواري والموالي المتصلين بالبلاط [3].

ومن المعروف أن هذا الديوان في حاجة إلى وجود كُتَّاب يقومون بتصـــــريف الأمور الكتابية والإدارية والحسابية المتصلة بالديوان .

(1) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 145 . موسوعة الزاد ، 3207/11 .

(2) السامرائي : المؤسسات الإدارية ، ص 254 .

(3) اليوزبكي : دراسات في النظم العربية ، ص 145 . بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص 205 .

الفصل الثالث

شؤون الكُتَّاب الاجتماعية ودورهم الحضاري

وفيه ثلاث مباحث :

- المبحث الأول : رواتبهم وثرواتهم وزيهم ومجالسهم .
- المبحث الثاني : أخلاقهم وآدابهم .
- المبحث الثالث :دورهم الحضاري .

المبحث الأول

رواتب الكُتَّاب وثرواتهم وزيهم ومجالسهم

أولاً : رواتب الكُتَّاب :

يراد برواتب الكُتَّاب: ما يتقاضـوه من مرتب شـهري من بيت المال لقاء عملهم في وظيفة الكتابة

.

وقد كان الكُتَّاب في أول أمرهم يقومون بأعمال كتابية لا يأخذون على ذلك أجراً معلوماً ، وإنما كان عملهم نوع من التطوع . فقد كان أكثر من الكُتَّاب في عهد رسـول الله ρ والخلافة الراشـدة متطوعين لا محترفين ، وكان أكثرهم من كبار الصحابة ((فهم الخلفاء الراشدون فيما بعد)) والقادة والولاة والعمال رضـي الله عنهم ، وأبنائهم ومن التابعين لهم أي ممن تخرجوا على يد النبي ρ [1] . وكانوا يعتبرون الكتابة بين يديه شرفاً عظيماً ، يتنافسون عليه[2] .

وبعد ذلك أصـبحت الدولة تقوم بصـرف الرواتب والأرزاق للكُتَّاب أسـوة بغيرهم ممن يقومون بالوظائف العامة في الدولة . ففي عهد بني أمية صـرفت الرواتب والأرزاق للكُتَّاب ، وتدرجت على حسب مراتبهم[3] .

ولعل بعض المصادر تعطينا فكرة عن أقل أجر ، و أكبر أجر تقاضاه الكُتَّاب في ذلك العصر. فكان أقل أجر درهمين في اليوم دفعا إلى زياد بن أبيه ، وهو غلام ابن أربعة عشـر سـنة . عندما قاتل عتبة بن غزوان أهل مدينة الفرات . فلما فتح الله على المسـلمين تلك المدينة أصـابوا غنائم كثيرة لم يكن فيهم أحد يكتب ويحسب إلا زياد فجعل له كل يوم درهمان[4] .

أما أكبر أجر فتقاضـاه يزيد بن أبي مسـلم – أخو الحجاج في الرضـاعة – كان يتقلَّد للحجاج ديوان الرسائل ، فكان يجري له في كل شهر ثلاثمائة درهم[5] .

ويتَّضـح من خلال ذلك أن أدنى حد لرواتب الكُتَّاب جاء فيما تيسـر من روايات المصـادر في ذلك العصـر ، هو درهمين في اليوم أي 60 درهماً في الشـهر ، وأعلى حد هو ثلاثمائة درهم في الشهر [6] .

---

(1) المقداد : تاريخ الترسل االنثري ، ص45 ، 317–318 .
(2) عيسى : كُتّاب الوحي ، ص65 .
(3) خماش : الإدارة ، ص314 .
(4) البلاذري : فتوح البلدان ، ص338 . الطبري : تاريخ ،597/3 . خماش : الإدارة ، ص314 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص42 . الطبري : تاريخ ، 96/8 .
(6) خماش : الإدارة ، ص314 .

وعندما تولّى زياد بن أبيه العراق ، اهتم بدفع الرواتب في أوقاتها[1] ، ورفع مقدارها لكي يؤمن للكُتّاب عيشاً ملائماً يسد حاجياتهم وطموحاتهم ، فكان في عهده يتقاضى رؤساء الكُتّاب ثلاثمائة درهماً شهرياً ، أما صغارهم فيأخذون ثلاثين درهماً شهرياً[2] ثم رفع زياد رؤساء الكُتّاب إلى ألف درهم شهرياً[3] .

ويذكر الطبري نقلاً عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق أن أرزاق الكُتّاب استمرت في أيام بني أمية وبني العباس حتى عهد المأمون من الثلاثمائة إلى ما دونهما[4] .

ومع قيام الدولة العباسية ارتقى هؤلاء الكُتّاب إلى منصب الوزارة ، إذ أصبحت وظيفة الوزير وظيفة رسمية[5] . وقررت لهم رواتب تدفع في كل شهر . ولكن المصادر لم تعطِ معلومات وافية عن رواتب الوزراء في العصر العباسي غير بعض الإشارات النادرة التي يرد فيها مقدار الرواتب والصلات التي منحت لبعض الوزراء[6] .

قُدّرت هذه الرواتب في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور بثلاثمائة درهم لرؤساء الكُتّاب يقول الطبري:((**كانت أرزاق الكُتّاب والعمّال في زمان أبي جعفر المنصور للرؤساء ثلاثمائة درهم**)) وبقيت كذلك حتى خلافة المأمون ثم ارتفعت بتولّي الفضل بن سهل الوزارة فكان أوّل من سنّ زيادة الرواتب[7] . ولكن لم يكن هناك أي إشارة عن تلك الزيادة[8] .

---

(1) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 55/1 .

(2) رمزية عبد الوهاب الخيرو: إدارة العراق ، ص118-119 .

(3) رمزية عبدالوهاب : إدارة العراق ، ص119 .

(4) تاريخ ، 95/8-96 .

(5) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص370 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 113/5 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص293 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،195/2-196 . ابن طباطبا : الفخري ، ص153 . السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص97 .

(6) ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة 132هـ-334هـ ، ط1 ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986 ، ص273 . الرفاعي : النظم الإسلامية ، ص60 .

(7) تاريخ ، 95/8 ، وأيضاً الجهشياري : الوزراء ، ص 126 . يشير العلي إلى أن الطبري عند قوله : ((أول من سن ...)) يدل على أنه جرت بعد ذلك زيادات تاليه ، بغداد ، ص214 .

(8) بطاينة : الحضارة الإسلامية ، ص210 . العلي : بغداد ، ص213-214. ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص365 .

ويضـــيف التنوخي أيضـــاً أن راتب الكاتب في ديوان الجند زمن المأمون ثلاثة آلاف درهم في السنة ، وأورد أيضاً بأن أرزاق الكُتَّاب في بداية حكم المأمون كانت ثلاثين درهماً في الشهر [1].

فلم تكن هذه فيما يبدو بالكبيرة رغم نفوذ الكُتَّاب الكبير في العصر العباسي ، كما كانت متفاوتة بين كبار الكُتَّاب وصــغارهم ، وبين ديوان وآخر أيضــاً . وأكثر الدواوين رواتباً كانت الدواوين التي تتعامل بأمور المال والخراج ، وكان التفاوت في المرتبات فيما يظهر كبيراً جداً[2].

والذي يبدو أن رواتب صــغار الكُتَّاب في الدواوين كانت تتراوح ما بين عشـرة دراهم حتى ثلاثين درهماً في الشـهر ، التي يعدل ما بين ثلث درهم إلى درهم في اليوم ، وهو ما يعادل أجر عامل من عمّال بناء بغداد زمن المنصـور ، بينما كبار الكُتَّاب تصـل رواتبهم إلى ثلاثمائة وثلاثين درهماً في الشهر [3] .

ويروي الجهشياري أن قاضـي البصـرة سوار بن عبدالله في عهد الخليفة المنصـور كان له كاتبان يتقاضـــى أحدهما أربعين درهماً ، والآخر عشــرين ، فكتب يطالب بمســاواة الرواتب راجياً أن يرفع راتب الكاتب الصـغير إلى أربعين ، ولكن على عكس ما توقع تماماً فقد أنقص راتب الكاتب الأعلى إلى ثلاثين ورفع راتب الكاتب الأصغر إلى نفس المقدار الأخير [4] .

أما بالنســبة للوزراء الذين عملهم الكتابة أصــلاً ، كانت رواتبهم مرتفعة ، فتشــير بعض روايات المصــادر إلى أن البرامكة كانوا يتقاضــون في عهد هارون الرشـيد رواتب مقدارها (12.000.000 درهم) اثنا عشـر مليون درهم كرواتب تكتب في السـجلات سنوياً[5] ، ولكن هذه المصـادر لم تحدِّد مبلغ رواتب كل واحد منهم على حدة[6] .

---

(1) الفرج بعد الشـــدة ، 204/2 ، 255 ، ولكن لم يحدد مقدار الزيادة فيما بعد . ضـــيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص365 . الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة الإسلامية ، ص64 .

(2) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ،540/1-541 .

(3) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، 541/1 . مولوي : الإدارة ، ص335 .

(4) الوزراء ، ص113 . مولوي : الإدارة ، ص336 .

(5) ابن قتيبة : الإمامة والســياســة ، 202/2 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 61/5-62 . ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1678م) ، شـــذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، د.ت 315/1 . الدوري : العصر العباسي ، ص132-133 .

(6) ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص275 .

ويقدر راتب الفضـــل بن ســـهل عندما تقلد للمأمون الوزارة بنحو (3.000.000 درهم) ثلاثة ملايين درهماً في السنة[1] .

والذي يظهر أنه في عهد كل من المهدي والرشـــيد والأمين كانت رواتب موظفي الدولة ســـواء كانوا رؤســـاء أو كُتَّاب أو عمّال ، مثلما كانت عليه أيام الخليفة المنصـــور حتى تولى المأمون الخلافة فارتفعت الرواتب[2] .

ولم تكن هذه الرواتب مصدر الرزق الوحيدة للكُتَّاب بل كانت هناك الصـلات والهدايا والمنح من الخلفاء والعمّال وغيرهم من موظفي الدولة التماسـاً لرضـاهم فقد كانت تشـكل أحياناً عند بعضــهم أرقاماً كبيرة[3] .

فقد كان بعض خلفاء بن العباس يقطعون وزراءهم الإقطاعيات بدلاً من المرتبات حيث بلغت إيراداتها أحياناً (170.000 دينار) مائة وسبعين ألف دينار[4] .

وقد وصل المهدي يعقوب بن داود بمبلغ (100.000 درهم) مائة ألف درهم[5] . ووصل الخليفة الهادي يحيى بن خالد بن برمك صاحب ديوان الخراج بمبلغ (20.000 دينار) عشرون ألف دينار[6] ، ووصـل الرشـيد صـاحب ديوان الإنشـاء عمرو بن عثمان بمبلغ (1000 دينار) ألف دينار[7] ، وأجرى على يعقوب بن داود في كل سـنة مبلغ (500.000درهم) خمسـمائة ألف درهم[8] ، ووصـل المأمون الحســن بن رجاء كاتب ديوان الخراج بمبلغ(100.000درهم) مائة ألف درهم[9] ، ووصـــل

---

(1) الطبري : تاريخ ، 424/8 . ابن الأثير : الكامل ، 15/5 . جرجي زيدان : تاريخ التمدن ،139/2 .

(2) الطبري : تاريخ ، 954/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص126 .

(3) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ،541/1 . وقد ذكر أن أحمد بن نهيك كاتب عبدالله بن طاهر رافقه حين ولي غرب الدولة من قبل المأمون . وحين كانا في دمشــق قدم أحمد لعبدالله بطريق الخطأ ، بدلاً من بعض الأوراق التي طلبها كشـفاً بالهدايا التي تلقاها من الناس أثناء السفر فإذا هي سبعون ألف دينار واضطرب ابن نهيك حين اكتشف خطأه ، ولكن ابن طاهر استدعاه وسمح له بها بحجة أن عليه نفقات كثيرة ، وأعطاه فوقها ألف درهم . شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، 541/1-542 .

(4) آدم متز: الحضارة الإسلامية ،155/1 . اليوزبكي : الوزارة ، ص45 .

(5) الطبري : تاريخ ، 119/8 . ابن الأثير : الكامل ، 438/5 . ابن خلدون : العبر ، 438/5 .

(6) الجهشياري : الوزراء ، ص170 .

(7) ابن الداية : أحمد بن يوســف الكاتب (ت 340هـ/951م) كتاب المكافأة وحســـن العقبي ، حرره علي محمد عمر ، ط2، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1421هـ/2001 ، ص113 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص368 .

(8) ابن خلكان : وفيات الأعيان ،26/7 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص275 .

(9) البيهقي : إبراهيم بن محمد (ت 470هـ/1077م) المحاسن والمساوئ ، قدم له وحققه محمد سويد ، ط1 ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1408هـ/1988م ، ص490 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص368 .

المأمون كذلك أحمد بن يوسف كاتب ديوان الخراج بمبلغ (500.000 درهم) خمسمائة ألف درهم[1]، وأقطع المأمون أيضاً الفضل بن سهل إقطاع السيب بأرض العراق[2] ، ووصل المأمون عمرو بن مسعدة بمبلغ (80.000000 دينار) ثمانين ألف ألف دينار[3] ، وهذا المبلغ إجمالي الرواتب وصلات عمرو بن مسعدة التي وصلته من المأمون خلال وزارته التي استمرت سنتين فقط (215-217هـ)[4] . وكذلك أشارت بعض المصادر إلى أن المأمون كان يجري على أحمد بن أبي خالد الأحول كل يوم لمائدته ألف درهم كي لا يشره إلى طعام أحد من بطانته[5] .

يقول الثعالبي : أن أحمد بن عمار بن شاذي – أحد وزراء المعتصم – كان يتقاضى راتباً قدره (10.000 دينار) عشرة آلاف دينار[6] .

ولا شك في أن مثل هذه الصلات كانت تشكِّل دخلاً إضافياً لموظفي الدولة ، إلا أن يد الخيانة امتدت إلى أموال الدولة ، فعمل بعض الكُتَّاب على نهب واختلاس الأموال . فقد ذكر أنه في سنة 229هـ/842م حبس الواثق فئة من الكُتَّاب وصادر جميع أموالهم وأعادها إلى بيت المال[7]. حيث بلغت جملة المصادرات (1.722.000 دينار) مليون وسبعمائة واثنين وعشرين ألف دينار[8].

ثانياً : ثـــرواتهـم :

لم تظهر ثروات الكُتَّاب بشكل واضح في الدولة الإسلامية الأولى ، وإنما ظهرت بعد ذلك على يد كبار الكُتَّاب وهم الوزراء في العصر العباسي بصورة أوضح وتوفرت لهم أسباب الهناء والثراء ورغد العيش ،وذلك نتيجة ارتباطهم بالخليفة منذ أن كان ولياً للعهد وحسن علاقتهم به ، أدى فيما

---

(1) ابن طيفور : بغداد ، ص236 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص368 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص306 . السيب : كورة من سواد الكوفة وهما سيبان أعلى وأسفل . ياقوت : معجم البلدان ، 293/11 .
(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 227/2 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص277 .
(4) الخطيب : تاريخ ، 203/2 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص277 .
(5) ابن الأبار :إعتاب الكُتَّاب ، ص109 . الكروي : نظام الوزارة ، ص204 .
(6) ثمار القلوب ، ص161-162 .
(7) الطبري : تاريخ ،128/8 . ابن الأثير : الكامل 269/5 .الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية : ، ص252 . شاكر مصطفى : دولة بني العباس ،542/1 . الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضارة الإسلامية ، ص64-65 . حمدي بن عبدالمنعم : ديوان المظالم ، ص127-128 .
(8) الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية ، ص252 .

بعد إلى ارتقائهم سؤدد الوزارة وتمتعهم بالمنزلة الرفيعة ورفاهية العيش ، يقول صاحب كتاب مواد البيان في ذلك : ((**ليس من الصنائع ما يلحق بصناعة الكتابة ، ولا يساويها ولا ما يكسب ما تكسبه من الفوائد والمعاون ، مع حصول الرفاهية والترفع عن دناءة المكاسب ولا ما يوصل إليه من الحظوة ورفاهية العيش ، ومشاركة الملوك في اقتناء المساكن الفسيحة ، والملابس الرقيقة ، والمراكب النبيلة ، والدواب النفيسة، والخدم المستحسنة ، وغير ذلك**)) [1] .

فبالإضافة إلى هذه المرتبات التي كانوا يتقاضونها شهرياً ، فقد منحت لهم الضياع والأراضي والعقارات التي كان يهبها الخليفة لهم ، أو تلك التي يحصلون عليها بطريقة غير مشروعة .وقد يصل ريع هذه الإقطاعات لبعض الكُتَّاب إلى أكثر من خمسين ألف دينار في السنة[2] وكثيراً ما منح الوزير في العصر العباسي الأول حياً من أحياء بغداد ، فقد اقطع خالد بن برمك بحي باب الشماسية ، حيث أقيمت سويقة[3] تحمل اسمه ، وقد أقطع المنصور أيضاً الربيع بن يونس حيين من أحياء بغداد كلف بتنظيمها ، وأقام الربيع حوانيتاً وأسواقاً في أحداهما وسكن في الآخر بالقرب من دار المهدي[4] .

ولم يعرف في الغالب مقدار عائدات كل ذلك ، وقد تمكن بعض هؤلاء الوزراء من تكوين ثروات مصدرها أملاكهم الشخصية ومخصصاتهم الوزيرية ، وخير من يمثل ذلك ثروات البرامكة[5] .

فلقد امتلك البرامكة الضياع وأسرفوا في العطايا والهبات حتى أوغلوا صدر الرشيد ونافسوه في الأبهة والجاه[6] ، يقول الأصفهاني عن ازدياد نفوذ البرامكة : ((**أن في دولة الرشيد دولة أخرى ملوكها البرامكة**)) [7] .

---

(1) علي بن خلف : مواد البيان ، ص38 عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ،ص67.

(2) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ،ص67 .

(3) سويقة : سوق يقع عادة خارج سور المدينة ، وربما تعاطى فيه التجار بيع الجملة ، يضم عدداً محدوداً من الدكاكين ، ويخصص لنوع معين من التجارة ، وقد تضم السويقة مساكن إلى جانب الحوانيت . عبدالرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ، ط1 ، بيروت ، د.أ ، 1408هـ/1988م ، ص231 .

(4) الكروي : نظام الوزارة ، ص243 .

(5) الكروي : نظام الوزارة ، ص243–244 .

(6) الكروي : نظام الوزارة ، ص113 .

(7) الأغاني ، 39/4 .

فبعُد صيتهم وضرب المثل في كرمهم وشغلوا مراتب الدولة ، واستأثروا بالمناصب العليا فيها ، فانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وكان ذلك من عوامل نكبتهم[1] .

يؤيد ذلك ابن خلدون بقوله : ((**إنما نكب البرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال ، فلا يصل إليه فغلبوه على أمره ، وشاركوه في سلطانه ، فعظمت آثارهم ، وبعُد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم .. من وزارة وقيادة وكتابة وحجابة وسيف وقلم ... وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ... واستولوا على القرى والضياع ..**))[2] .

ذكر الجهشياري أيضاً أن ((**البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته ، وما يحتاج إليه هو وعياله ، وأنه طلب من جعفر دراهم قليلة فاعتذر له**))[3] . مع العلم أن واردات الدولة بلغت في عهد الرشيد ما يقرب من 531 مليون درهم[4] .

لقد نافس البرامكة الرشيد في مظاهر العظمة والجاه ، وفيما يمتلكه من قصور وضياع فقد أنفق جعفر البرمكي على بناء داره عشرين مليون درهماً[5] ، يقول الجهشياري : ((**أن لجعفر بركة في داره أخفى فيها أربعة آلاف دينار ، وزن كل دينار مائة دينار ودينار ، وقد كتب على أحد جانبي كل دينار**))[6] :

وأصفر من ضرب دار الملوك	**يلوح على وجهه جعفرُ**
يزيد على مئة واحدٌ	**إذا ناله معسر ييسرُ**

---

(1) اليوزبكي : الوزارة ، ص68 .

(2) مقدمة ، 16-15/1 .

(3) الوزراء ، ص249-250 . ويقول في موطن آخر : أن الرشيد قال ليحيى : « طلب منك ألف ألف درهم ، وكان قد ورد من مال فارس ستة ملايين درهم فاعتذرت بأنك لا تستطيع الصرف من هذا المال ، فاحتلت أنا بقرض تولاه يونس ، وأخذت أنت منها ألف ألف وخمسمائة درهم فوزعتها في أعمالك ». الوزراء ، ص243. وأيضاً العصامي : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت 1111هـ/1699م) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د.ت ، 280/3-281 .

(4) اليوزبكي : الوزارة ، ص69 .

(5) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 61/5-62 . ابن الأثير : الكامل ، 62/6 .

(6) الوزراء ، ص241 .

وقد عاش البرامكة في حيٍّ خاص بهم لا يخالطهم فيه أحد ، وهو أشبه بمدينة عامرة بالقصور الفخمة[1] . يقول الدميري (ت 808هـ/1405م) : ((**كان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر**)) [2] .

ويذكر الخطيب البغدادي أنه وجد في خزانة لجعفر بن يحيى في جرة ألف دينار في كل دينار مائة دينار ودينار ، كما أنه أمر أن تضرب له دنانيراً في كل دينار ثلاثمائة دينار [3] .

وقد أغدق البرامكة الأموال على الشعراء ، حيث امتدحهم أبو نواس فقال[4] :

إن البرامكة الكرام تعلموا　　　　فعل الجميل وعلموه الناسا

وقيل فيهم أيضاً[5] :

يا طالب الجود والمعروف مجتهداً　　　　اعهد ليحيى حليف الجود والكرم

ولم تكن الهبات والعطايا تمنح للشعراء فحسب بل لغيرهم[6] فيروي الطبري : ((**أنه لما خرج إبراهيم بن جبريل ، وكان على شرطة وحرس – الفضل بن يحيى – فوجهه إلى كابل فافتتحها ، وغنم غنائم كثيرة بلغت سبعة ملايين درهم وكان عنده من مال الخراج أربعة ملايين درهم ، فلما قدم بغداد استزاره الفضل وأعد له الهدايا والطُّرف وآنية الذهب والفضة ، فأبى الفضل أن يسأل منها شيئاً ، وقال له هذا المال من مال الخراج ، فقال : هو لك ، فأعاد عليه فقال : أما لك بيت يسعه**)) [7] .

وكان يحيى البرمكي إذا ركب يعد صرراً في كل صرة مائتا درهم ، يمنحها لعامة الناس في الأسواق والطرقات[8] .

---

(1) جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأميرية ، 1355هـ/1936م ، ص162 . حيث بنى يحيى بن خالد قصر الطين وبنى جعفر والفضل قصرين يعرفان بهما . فاروق عمر : العباسيون الأوائل ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1392هـ/1973 27/2 .

(2) حياة الحيوان الكبرى ، ط3 ، مصر ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1376هـ/1956م ،128/2 .

(3) تاريخ ، 156/7 . ابن كثير : البداية والنهاية ، 254/7 . الدوري : العصر العباسي ، ص133 .

(4) الأصفهاني : الأغاني ، 111/5 .

(5) اليوزبكي : الوزارة ، ص70 .

(6) اليوزبكي : الوزارة ، ص72 .

(7) تاريخ 259/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص192 .

(8) ابن خلكان : وفيات الأعيان 223/6 . ابن طباطبا : الفخري ، ص240 .

وكان ابنه جعفر يحمل الدنانير مع خادمه إذا زار صـديقاً أو أديباً من خاصـته أو مجلسـاً فيه السنة تنطق بالخير والشر ليشريهم بعطائه وكرمه[1] .

وبالغ البرامكة في إنفاق الأموال على أعوانهم فاتخذ الفضل جنداً من خراسان سماهم العباسية وبلغ عدتهم خمسمائة ألف رجل ، وفرق فيهم كثيراً من الأموال ، ولما عاد الفضل من خراسان إلى بغداد خرج الرشيد للقائه هو وبنو هاشم ، وسائر الناس ، فجعل يصل الرجل بمليون أو بخمسمائة ألف درهم كما أغدق على الشعراء أيضاً[2] . وقد وهب الفضل لبعض الأدباء عشرة آلاف دينار ووهب لطباخه مائة ألف درهم ، ودخل يوماً بعض الأكابر على الفضل فشكا إليه الرجل ديناً عليه ، وسـألـه أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين فقال له : وكم دينك ؟ قال : ثلاثمائة ألف درهم ، فخرج الرجل من عنده ، فلما رجع إلى منزله ، فإذا المال قد سبقه إلى داره[3] .

ومن هبات البرامكة لصنعائهم وأنصارهم ما رواه الجهشياري من أن إبراهيم الموصلي ذهب إلى يحيى يسأله أربعة آلاف دينار ليشتري ضيعة مجاورة لأرضه ، فدبر أمراً حتى جعله يقبض ثمانين ألف دينار من بعض طلاب المناصب بحضرته ، وكان يريده أن يستولي على مائتي ألف دينار ، وأمر يحيى أن يفرق في الناس خمسمائة ألف درهم باسم ولده الصغير إبراهيم ليجعل له مناً في أعناق الرجال ويحببه إلى الناس[4] .

ومدح مروان بن أبي حفصة[5] الفضل بن يحيى بأبيات عند خروجه إلى خراسان فأمر له بمائة ألف درهم وسمع الشاعر يقول أن مجموع ما وصله في قدمته هذه سبعمائة ألف درهم [6].

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان 1/328-332 . اليوزبكي : الوزارة ، ص72 .

(2) الطبري : تاريخ 8/257 . مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت 3/296 .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية 7/269 . اليوزبكي :الوزارة ، ص72 .

(4) الوزراء ، ص180 .

(5) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، شاعر ، نشأ في العصر الأموي ، وأدرك زمناً من العهد العباسي ، وكان رسم بني العباس أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم ، توفي ببغداد سنة 723هـ/798م . الزركلي : الأعلام ،7/208 .

(6) الطبري : تاريخ ، 8/257-258 .

يذكر ابن خلكان أن جعفر البرمكي اشـــترى جارية بأربعين ألف دينار فقالت لبائعها : أذكر ما عاهدتني عليه أنك لا تأكل لي ثمناً فبكى مولاها وقال : اشهدوا أنها حرة ، وقد تزوجتها ، فوهب له جعفر المال ، ولم يأخذ منه شيئاً[(1)] .

وقد نافس البرامكة الرشـيد وتشـبهوا به وبأولاده في الكرم والعطاء فلما حج الرشـيد ، وأولاده حج معه يحيى وأولاده ، جلس الرشـــيد ويحيى في المدينة المنورة ، فأعطيا الناس، وجلس الأمين ومعه الفضل فأعطيا الناس ، ثم جلس المأمون وجعفر فأعطيا الناس أيضاً فكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الأعطيات الثلاث ، وفي ذلك يقول الشاعر[(2)] :

أتـانـا بـنـو الأكمـال من آل بـرمـك فيـا طيـب أخبـار ويـا حسـن منظر

إذا نـزلـوا بـطـحـاء مكـة أشـــرقـت بيحي وبـالفضـــل بن يحيى و جعفر

فتظلم بغداد وتجلـوا لنا الدجى بمكـة ما تمحو ثلاثـة أقمـر

وقد بلغت واردات البرامكة الســنوية من الأموال ثلاثين مليوناً وســتمائة وســتين ألف دينار غير ضياعهم وغلاتهم ودورهم[(3)] .

ويروي الجهشـياري أن مسـروراً الخادم وجد أكثر أموال البرامكة بعد نكبتهم على شـكل ضـياع وجوهر . بينما أنفقوا أكثر الدراهم في المكارم[(4)] .

وللدلالة على ثراء البرامكة أن الرشـيد عندما نكبهم ، واسـتصـفى أموالهم ، وقد بلغت (2.400) مليون درهم عدا القصـور والضـياع والأقطاعيات ، وما أنفقوه لبذخهم فقد اسـتصـفى (600) ألف درهم من يحيى و (1.200) مليون درهم من جعفر و (600) ألف درهم من الفضل[(5)] .

وفي عهد المأمون بلغت ثروة الحسـن بن سـهل مبلغاً ضـخماً ، يتضـح ذلك من خلال ما أنفقه على زواج ابنته بوران من المأمون ، فقد فرش للمأمون ليلة الزفاف حصـيراً منسوجاً من الذهب نثر

---

(1) وفيات الأعيان ،332/1 ، وأيضاً عبدالحليم عباس : البرامكة في التاريخ ، د.م ، د.أ ، د.ت ، ص23 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص221 . ابن طباطبا : الفخري ، ص162 .

(3) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ،202/2 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 61/5 . ابن العماد : شذرات الذهب ، 315/1 . ولمزيد من المعلومات عن نفقات البرامكة وصلاتهم التي وزعوها على الناس انظر : البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 , 233 . ضيف الله الزهراني : النفقات وإدارتها ، ص275 .

(4) الوزراء ، ص242 . الدوري : العصر العباسي ، ص133 .

(5) اليوزبكي : الوزارة ، ص46 .

عليه ألف لؤلؤة كبيرة ، وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ، ونثر على الهاشميين ورجال الدولة والقواد والعلماء والكُتَّاب بنادق مسك في كل منها رقعة مكتوب في ا عطية ، داراً أو ضيعة أو جارية أو فرس أو مالاً ، فكانت البندقة إذا وقعت على يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة ويمضي إلى الوكيل المرصد لذلك ليستلم ما فيها ، ونثر على سائر طبقات الناس الدنانير والدراهم ، وقد أحصى ما أنفقه الحسن بن سهل ليلة الزفاف فكان خمسين مليوناً من الدراهم[1] .

وعندما نكب المعتصم الفضل بن مروان ، وصادر أمواله أخذ من بيته ألف ألف دينار وأخذ أثاثاً وآنية بألف ألف دينار . إلا أن المعتصم لم يلبث أن أطلقه بعد مضي خمسة أشهر على سجنه[2]. وقد قال المعتصم عنه بعد نكبته : ((**ما كنت أعلم أن في الدنيا من له هذا المال**)) [3].

أما بالنسبة للمبالغ المالية التي صادرها الواثق من كُتَّابه تنم عن مدى ثرائهم وترفهم وبذخهم فما كان منه إلا أن صادر هذه الأموال وأعادها إلى بيت المال[4] .

ثالثاً : زيهم :

قد ذكر الجهشياري في صدد ملابس الكُتَّاب أنه ((**كان من رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كلِّ طبقة ، ممن في خدمتهم ، لبسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة ؛ فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف بلبسته صناعته ، والطبقة التي هو فيها**)) [5] .

فقد اهتم العرب في زمن الرسول ρ والخلافة الأولى بلباسهم ، ولكن دون التأنق في ذلك ، فلزموا جانب الزهد والبساطة ، وذلك لأن طبيعة الإسلام في أول دعوته من جهة وتأثر الناس ، واقتدائهم

---

(1) الخطيب : تاريخ ، 221/7 . الذهبي : العبر في خبر من غبر ،358/1 . ابن العماد : شذرات الذهب ، 86/2 . اليوزبكي : الوزارة ، ص74 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، 46/4-47 يقول الذهبي: « أن المعتصم أخذ من وزيره الفضل بن مروان عشرة آلاف ألف دينار » تاريخ الإسلام ، 103/1 .

(3) مجهول : العيون ،384/3 .

(4) الخضري بك : تاريخ الأمم الإسلامية ، ص252 .

(5) الوزراء ، ص3 .

بالرسول ρ ، والخلفاء الراشدين من جهة ثانية . أي لم يكن لباس الخلفاء الراشدين والصحابة أقل بساطة من لباس الرسول ρ لأنهم ظلوا محافظين على سنته ومقتدين بأسلوب حياته[1] .

أما في العصـــر الأموي فقد مال المجتمع إلى الترف والبذخ مما أدى إلى ميل الكُتَّاب إلى ذلك فقد كانوا كغيرهم من أفرد المجتمع يتأنقون في لباسهم وهيئتهم .

الأمر الذي دعا عبد الحميد الكاتب إلى تنبيههم إلى ذلك ضمن الوصايا التي حث الكُتَّاب عليها فقد قال: ((**ولا يجوزن الرجل منكم في هيئة مجلســه وملبســه ومركبه ومطعمه ومشــربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره**))[2] . وعلى كل حال فلم نجد فيما تيسر من مصادر كيف كان لباس الكُتَّاب وزيهم في ذلك العصر سوى هذه الإشارة البسيطة التي ذكرها عبدالحميد الكاتب في رسالته المشهورة عن عدم تأنق الكُتَّاب في لباسهم وهيئتهم حيث دعاهم إلى التواضع وعدم الإسراف في جميع أمورهم .

وشــهد العصــر العباســي الأول تطوراً في اللباس ، وفي أزياء الناس نتيجة لاتسـاع رقعة الدولة الإسـلامية[3]، وما اتسم به هذا العصـر من البذخ والإسـراف والظهور بمظهر الأبهة والعظمة[4] . فقد ألبس العباسيون الأوائل موظفي الدواوين ملابساً خاصةً بهم ، حيث كان لكل طبقة لباس خاص يميزها عمن سواها من حيث الشكل واللون ، كما كان لكل مناسبة لباسها الخاص الذي يلائمها ، وقد أشــارت المصــادر في بعض مواضــعها إلى ألبســة الناس التي كانت مرتبطة في زيها ولونها ونوعها بطبقاتهم وحرفهم ووظائفهم[5] .

يشـير الجاحظ إلى ذلك بقوله : ((**... ولكل قوم زي فللقضـاة زي ، ولأصـحاب القضـاة زي ، وللشرطة زي ، وللكُتَّاب زي ، وللجند زي**))[6] .

---

(1) صـلاح حسين العبيدي : الملابس العربية الإسـلامية في العصـر العباسـي من المصـادر التاريخية والأثرية ، بغداد ، دار الرشيد ، 1980م ، ص14 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص 77 .

(3) العبيدي : الملابس العربية ، ص31 .

(4) وليد محمود الجادر : الأزياء الشعبية في العراق ، بغداد ، دار الرشيد ، 1979م ، ص7 .

(5) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، 540/1 . العبيدي : الملابس العربية ، ص43-44 .

(6) البيان والتبيين ، 114/3 .

أما صـــورة الكاتب الديواني فصـــوّرها الجاحظ في معرض النقد لكبرياء الكُتَّاب فقال : ((**يتوهَّم الواحد منهم ، أنه إذا عرَّض جبته ، وطوّل ذيله ، وعقص على خدّه صدغه وحذف شاربه على وجهه ، أنه المتبوع لا التابع ...**)) [1] . وكان الكُتَّاب يتميزون بزي خاص في لباســـهم ((**فكان عبدالله بن مخلد يتزي بزي الكُتَّاب**)) [2] . ومن تميزهم في اللباس لبس الشـــاشـــيه[3] ، يقول الجهشياري أن عيسى بن يزدانيروذ أول من لبس شاشيه من الكُتَّاب ، وكان سبب ذلك أنه احتاج إلى لبس القباء والسيف ، من أجل ما يتقلّده من نفقات الخاصة ، فلبس شاشيه[4] .

وكان الكُتَّاب يلبسـون الدراريع[5] ، وبذلك يتميَّزون عن العلماء الذين يلبسـون الطيالسـة[6] ، في بعض البلدان الإسـلامية يذكر المقدسـي في ذلك (ت 380هـ/990م) : ((**وليس لأهل الطيالسـة بشيراز مقدار وإنما هو لأصحاب الدراريع**)) [7] . ويذكر الاصطخري (ت 346هـ/957م) أن دراريع سلاطين فارس أوسع فرجية وأعرض جرباناً[8] وجيوباً من دراريع الكُتَّاب[9] .

---

(1) رسائل الجاحظ ، 42/2 . شاكر مصطفى : دولة بني العباس ،540/1 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص263 . العلي : بغداد ، ص208 .

(3) الشاشيه: نوع من العمائم تتخذ من الحرير ، وهو لباس أعجمي ينسب إلى مدينة الشاش في ديار ماوراء النهر ، وقد اخذ العرب هذا النوع من لباس الرأس عن الأعاجم منذ الخليفة المعتصـم بالله حيث يذكر المسـعودي: « أن المعتصـم سـلك مسـلك أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الأعاجم ، ولبس القلانس الشاشيه فلبسها الناس اقتداءً بفعله فسميت « بالمعتصميات » . العبيدي : الملابس العربية ، ص100 . رجب عبدالجواد إبراهيم وآخرون : المعجم العربي لأســـماء الملابس ، ط1 ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، 1423هـ/2002م ، ص252-253 .

(4) الوزراء ، ص261 .

(5) الدراريع : مفردها دراعة وهي جبة مشقوقة المقدم . ابن سيده : المخصص ، 36/4 . ويورد دوزي عن المقريزي وصفاً لها فيقول : « الدارعة مفتوحة من جهتها الأمامية حتى أعلى القلب ومزودة بأزرار وعرى » العبيدي: الملابس العربية ، ص255 إبراهيم وآخرون : المعجم العربي ، ص171 .

(6) الطيالسة : أصله فارسي معرب يلبس على الكتف . ابن منظور : لسان العرب ، 431/7 . يصفه الجاحظ بأنه « ثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة » البيان والتبيين 342/2 . والطيلسان شكله مربع يجعل على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة ، ويغطى به أكثر الوجه ثم يدار طرفان منه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعاً ثم يلتقيان على الكتفين ، أما طرفاه الآخران فإنهما يتدليان على الظهر . العبيدي : الملابس العربية ، ص269 . إبراهيم وآخرون : المعجم العربي ، ص306 .

(7) أحسن التقاسيم في معرفة ألأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1906م ، ص440 .

(8) الجربان : لفظة فارسية معربة بمعنى جيب القميص أي طوقه . الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص93 ، ويذكر الجاحظ أن جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجربان لطول عنقه . البيان والتبيين ، 356/3 .

(9) المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ومحمد شفيق غربال ، القاهرة ، دار القلم ، 381هـ/1961م ، ص83 .

وثمة لبس آخر يعدَّ لباســاً ملازماً للكُتَّاب على حد قول ياقوت الحموي يســمَّى بالمبطَّنة[1]، فقد جاء في معجمه ((**أن أحمد بن علي الحســن البتي كان في بدء أمره يلبس الطيلســان ويســمع الحديث ، ويقرأ القرآن على شــيوخ عصــره ، ثم لبس بعد ذلك الدراعة وســلك في لبســه مذاهب الكُتَّاب القدماء ، فكان يلبس الخفين والمبطَّنة** ..)) [2] .

لقد كان الكُتَّاب يتجملون في ملابســهم ويظهرون بمظهر الأبهة والتأنق في الزي ،حتى أصــبح ذلك ملفتاً للنظر، يدل على ذلك قول رجل لبنيه : ((**يا بني تزيوا بزي الكُتَّاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة**)) [3] .

رابعاً : مجـالسهــم :

ليس من السـهل الجزم بوجود مقّر خاص بهؤلاء الكُتَّاب يعملون فيه في زمن الرسـولρ ، ولكن على الأغلب كان هناك محلّ مخصــوص لكتابة القرآن في عهد النبيρ ، وربما لمراســلات الدولة أيضـاً[4]عن ابن عباسτ ، قال: ((**كانت المصاحف لا تباع ، كان الرجل يأتي بورقة عند النبي ρ فيقوم الرجل فيحتسب ، فيكتب ، ثم يقوم آخر ، فيكتب حتى يفرغ من المصحف**))[5].ومن الجائز القول أنه كان في مجلس النبي ρ ، محل خاص بنسخ القرآن وربما كانت عملية كتابة الرسائل تتم في المحلّ ذاته[6] .

ويعرّف القلقشــندي الديوان بأنه : اســم الموضــع الذي يجلس فيه الكُتَّاب[7] ، وكانت الدواوين تتألف من مجالس يجلس فيها الكُتَّاب لإنجاز أعمالهم الكتابية .

---

(1) المبطَّنة : وهو ضرب من الأردية يلبس فوق الثياب له بطانة قوية ثخينة . العبيدي : الملابس العربية ، ص290 .

(2) معجم الأدباء ، 234/1 .

(3) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 46/1 . ابن المدبر : الرسالة العذراء ، ص9 . الكروي وشرف الدين : المرجع في الحضـارة ، ص63 .

(4) الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص24 .

(5) البيهقي : أحمد بن الحسـين بن علي (ت 458هـ/1065م) السـنن الكبرى ، ط1 ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1352هـ ، 16/6 .

(6) الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص24 .

(7) صبح الأعشى ، 89/1 .

أما بالنسـبة لمقر عمل الوزير فإن من رسـوم الوزارة أن تكون للوزير دار مفردة في دار الخلافة يجلس فيها وينظر في الأعمال والخواص والحواشي بين يديه حتى يستدعيه الخليفة[1] .

فكان يساعد الوزير في أعبائه عدد من الكُتَّاب يملي عليهم بعض أعماله المراد تنفيذها وكان لهم رئيس يجلس متقدماً عليهم للإشراف والتدبير[2] .

وكان الوزير يجلس في مجلس الخليفة موالياً له بوجهه ، وهي عادة المرؤوس بالنسبة إلى رئيسه . وإذا أراد الوزير أن يكتب شـيئاً في حضــرة الخليفة ، فقد كان الرســم أن تحضــر له دواة لطيفة بسلسلة ، فيمسكها بيده اليسرى ويكتب بيده اليمنى[3] .

---

(1) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 172/1 . الكروي : نظام الوزارة ، ص251 .
(2) الكروي : نظام الوزارة ، ص251 .
(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، 172/1 . الكروي : نظام الوزارة ، ص251 .

المبحث الثاني

أخلاق الكُتَّاب وآدابهم

أولاً : أخلاق الكُتَّاب

لا شـك أنه يجب على الكُتَّاب – كغيرهم من المسـلمين – أن يتخلقوا بالأخلاق الحميدة والشـيم الكريمة ، التي حثَّت عليها آيات القرآن الكريم ، وأشارت إليها أحاديث السنة المطهرة .

لذا نرى كثيراً من الكُتَّاب في العصور الإسلامية الأولى تحلوا بصفات خُلُقَية حميدة وسيرة حسنة بين الناس ، إلى جانب براعتهم في مجال الكتابة والأدب ، وكان كلُّ ذلك ســـلماً لارتقائهم أعلى المناصب السياسية في الدولة[1] .

حتى أن الخلفاء أشـــادوا بهم وأثنوا عليهم وأعظموا منزلتهم ، حيث قال الخليفة عبدالملك بن مروان لابنه الوليد يوماً : لو عداك ما أنت فيه ما كنت معولاً عليه من دهرك ؟ قال : فارس حرب ! ثم قال : لســـليمان . فأنت ؟ فقال كاتب ســـلطان ! ثم قال ليزيد : فأنت ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما تركا حظاً لمختار[2] .

فأصـبح الكُتَّاب مثلاً أعلى يتمنى ، كل أب أن ينشـأ أولاده على مثل أخلاق الكُتَّاب وآدابهم قال بعض المهالبة لبنيه : تزيَّوا بزي الكُتَّاب ، فإنهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة[3] .

يقول أبو حيان التوحيدي (ت نحو 400هـ/نحو 1009م) [4] في ذلك : ((**بالإضـــافة إلى أدوات المنشئ الثقافية ومنها مهاراته في نظم الشعر وسجاياه الأخلاقية من دماثة الخلق ورقة الحاشية ، وحسن المحاضرة ، وأن تكون صلته بالناس مبنية على الود وعدم التكبر والتعجرف** .....)) [5]

.

وخير من يمثل تلك الأخلاق والمحاســن الرفيعة كُتَّاب رســول الله ρ – ولا ســيما أن كلهم من الصحابة – فحياتهم تزخر بالأمثلة الرائعة في مكارم الأخلاق والنبل في الأقوال والأفعال .

---

(1) أحمد الزهراني : آثار البرامكة وبني سهل والصوليين على النثر الفني ، رسالة ماجستير في الأدب والبلاغة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1410هـ ، ص34 . الهاشمي : جواهر الأدب ، ص420 .

(2) ابن الأبار : أعتاب الكُتّاب ، ص45 .

(3) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 170/4 .

(4) أبو حيان التوحيدي هو : علي بن محمد بن العباس ، فيلسوف متصـوف معتزل ، نعته ياقوت الحموي بشـيخ الصـوفية ،وفيلسـوف الأدباء ، صـحب ابن العميد والصـاحب ابن عباد فلم يحمد ولاءهما ووشـي به إلى الوزير المهلب فاستتر فيه ومات في استتاره سنة (نحو 400هـ/نحو 1009م) . من كتبه ((المقاسات)) و ((الصداقة والصديق)) و ((الإمتاع والمؤانسة)) و ((المحاضرات والمناظرات)) وغير ذلك ، وقد أحرق كتبه بنفســه لأنه ضّــن بها على من لا يعرف قدرها ، وقد ســلم منها ما نقل قبل الاحتراق . ابن حجة : ثمرات الأوراق ، ص264 . الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية ، ص181-184 .

(5) ابن حجة : ثمرات الأوراق ، ص264 .

وفي العصر الأموي برز فيهم عبدالحميد الكاتب في رسالته المشهورة التي أشار فيها إلى جملة من الأخلاق والسجايا ، والصفات التي حضّ الكُتَّاب على التمسك والعمل بها ومنها : الحلم ، والعفة ، والعدل ، والإنصاف ، والأمانة ، وكتم الأسرار ، واللين ، والبعد عن السعاية والنميمة ، والكبر ، والعظمة ، والبعد عن المطامع ، والوفاء عند الشدائد [1] .

وأروع مثال يضرب لوفاء الكُتَّاب في ذلك العصر وفاء عبدالحميد الكاتب كاتب آخر خلفاء بني أمية – مروان بن محمد – حيث يروي الجهشياري قصة ذلك فيقول : ((**لما قوي أمر بني العباس ، وظهر ، قال مروان لعبدالحميد : إنا نجد في الكتب ، أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر إليك هؤلاء القوم ، فصر إليهم ، فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أسبابي فقال له : وكيف لي أن يعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك ؟ وكلهم يقول : أني غدرت وصرت إلى عدوك**)) وأنشد :

أسرُّ وفاءً ، ثم أظهر غدرة   فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهرة

وأنشد أيضاً :

فذنبي ظاهرٌ لا غيب فيه   للائمة وعذري بالمغيب

فلما سمع ذلك مروان علم أنه لا يفعل ، ثم قال عبدالحميد : الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك ، وأقبحها لي ، ولك عليّ الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك)) [2] .

لقد ضرب عبدالحميد بهذا الموقف مثلاً أعلى في الوفاء ، بل في التضحية بالنفس في سبيل صاحبه . وهناك مثل آخر يضرب في التضحية والإيثار يمثله الكاتب عبدالله بن المقفع ، يصف الجهشياري تفاصيل قصة تضحية عبدالله بن المقفع وموقف عبدالحميد الكاتب من هذه التضحية ، وسرعة بادرته ، يقول : ((**طلب عبدالحميد بن يحيي الكاتب ، وكان صديقاً لابن المقفع ، ففاجأهما الطلب ، وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبدالحميد ؟ فقال كل واحد**

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص74–79 . ابن خلدون : مقدمة ، 790/2 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 118/1–122 . صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 455/2 . الباشا : دراسات ، ص49 . خماش : الإدارة ، ص313–314 . بطاينة : تاريخ الحضارة ، ص211 .

(2) الوزراء ، ص79 ، وأيضاً ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 26/1–27 . المسعودي : مروج الذهب ، 90/4 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 229/3 .

منهما أنا .. خوفاً من أن ينال صــاحبه مكروه ، وخاف عبدالحميد أن يســرعوا إلى ابن المقفع فقال : ترفقوا فإن فيّ علامات ، ووكِّلوا بنا بعضكم ويمضي ، يذكر تلك العلامات لمن وجّه بكم ، ففعل ذلك وأخذ عبدالحميد)) [1] . وكان عبدالله بن المقفع مثالاً يحتذى به في البذل والعطاء والشهامة ، يروي سعيد بن سلم ويقول : ((**قصدت الكوفة فرأيت ابن المقفع ، فرحب بي وقال : ما تصــنع ههنا ؟ فقلت : ركبني دين فأحوجت إلى الإزعاج ، فقال : هل رأيت أحداً ؟ فقلت : ابن شــبرمة وعرّفته حالي ، فقال : أنا أكلم الأمين ليضــمك إلى أولاده فيكون لك نفع . فقال : أفٍ لذلك! أيجعلك مؤدباً في آخرعمرك أين منزلك ؟ فعرّفته فأتاني اليوم التالي ، وأنا مشــغول بقوم يقرؤون عليّ ، ومعه منديل ، فوضعه بين يدي ، فإذا فيه إسورة مكسورة ودراهم متفرقة مقدار أربعة آلاف درهم وحينئذ زمان الم[2]نصور في الدراهم ضيق . فأخذت ذلك ورجعت به إلى البصرة واستعنت به))** [3] .

وفي مطلع العصر العباسي الأول برز الوزراء الذين اتصفوا بفضائل الأخلاق وعظيم الصفات حتى أشاد بهم كثير من أرباب التاريخ والأدب .

فهذا ابن طباطبا يصــف الوزير العباســي أبي سـلمة الخلال وزير أبي العباس السـفاح و يذكر بعض سجاياه ((**كان أبو سلمة سمحاً كريماً فصيحاً عالماً بالأخبار ، والأشعار والسير والجدل والتفسير ، حاضر الحجة ذا يسار ومرؤة ظاهرة**)) [4] ، وفي موضع آخر يصف أخلاق أبي أيوب المورياني وزير المنصــور ويذكر بعض خصــاله ((**كان أبو أيوب لبيباً بصــيراً بالأمور عاقلاً ذكياً فاضلاً كريماً غزير المروءة**)) [5] .

ويتجلى كرم أبي أيوب المورياني في حادثة ابن شــبرمة حينما زوج ابنه على صــداق مبلغه ألفا درهم ، فاستعان بأبي أيوب المورياني وزير المنصور فذكر له ذلك ، فقال : قد أمرنا ذلك بهذا القدر

---

(1) الوزراء ، ص80 .

(3) الراغب الأصــبهاني : أبو القاســم حســين بن محمد (ت 502هـ/1108م) محاضــرات الأدباء ومحاورات الشــعراء والبلغاء ، هذبه واختصــره إبراهيم زيدان ، بيروت ، دار الآثار ، د.ت ، ص23 . محمد نبيه حجاب: بلاغة الكُتّاب في العصــر العباســي ، ط 2 ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م ، ص207 .

(4) الفخري ، ص152 ، وقد وصفه بهذه الصفات أيضاً الجهشياري : الوزراء ، ص86 .

(5) الفخري ، ص172 .

. فجزيته خيراً وقمت لأخرج فقال : لا تعجلنَّ . اجلس . ثم قال : إذا دفعت المهر فما يحتاج ابنك إلى نفقة ؟ ثم قال : أعطوه ألفي درهم للنفقة . وذهبت لأقوم ، فقال : لا تعجل أفلا تحتاج إلى خادم أعطوه ألفي درهم لخادم ، فما زال يأمر لي في كل مرة بألفين ، حتى تكمّل ما أمر لي به خمسين ألف درهم[1] .

وتصف الروايات خالد بن برمك من وزراء أبي العباس السفاح بأنه كان : فصيحاً[2] ((**فاضلاً جليلاً كريماً حازماً يقظاً**))[3] كما تصف روايات أخرى بأنه كان((**فطناً حسن الرأي**)) [4] ((**داهية الرجال ، كافياً فصيحاً حسن السيرة**)) [5] وكان يتمتَّع بأخلاق حسنة، ذكرها المسعودي ((**ولم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله ، لا يحيى في رأيه ووفور عقله ، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ، ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحة لسانه ، ولا محمد بن يحيى في سروه وبعد همته ، ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه**)) [6]
.

كما وصف ابن طباطبا الربيع بن يونس عند ما كان وزيراً للمنصور بقوله : ((**كان جليلاً نبيلاً ، منفذا للأمور ، مهيباً فصيحاً ، كافياً حازماً عاقلاً فطناً ... محباً لفعل الخير**)) [7].

ويصف اليعقوبي يعقوب بن داود وزير المهدي ويثني على أخلاقه بقوله : ((**كان جميل المذهب ميمون النقيبة محباً للخير كثير الفضل حسن الهدى**)) [8] . ويمتدح ابن طباطبا الفيض بن أبي صالح وزير المهدي ، ويقول : ((**كان سخياً مفضالاً متخرقاً في حاله جواداً عزيز النفس ، كبير**

---

(1) ابن طباطبا : الفخري ، ص173 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص89 .
(3) ابن طباطبا : الفخري ، ص 153 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص 88 .
(5) ابن العمراني : الأنباء ، ص68 . الذهبي : سير ، 229/8 .
(6) مروج الذهب ، 377/3 ، ويذكر الجهشياري شيء عن كرمه وجوده ومروءته : الوزراء ، ص15-151 .
(7) الفخري ، ص 175 .
(8) تاريخه 133/3 .

الهمة)) [1] كما يصفه الجهشياري بقوله : ((**كان سخياً ، كثير الأفضال ، واسع الحال ، وكان متكبراً متجبراً مترفعاً**)) [2] .

قال فيه بعض الشعراء:

أبا جعفر جئناك نسأل نائلاً فـأعوزنـا مـن دون نـائـلـك الـبشـرُ

فما برقت بالوعد منك غمامة يرجى بهـا من سـيـب نـائلـك القطرُ

فلو كنت تعطينا المنى وزيـادة لنغصها منـك التجبـر والكبرُ

وأشـاد يحيى بن خالد البرمكي بكرمه وجوده ولهج بالثناء عليه ، وكان يقول : ((**إذا اسـتعظم أحد كرمه وجوده ، لو رأيتم الفيض لصغر عندكم أمري**)) ، وفيه يقول أبو الأسود الحماني ممتدحاً[3] :

ولائمة لامتك يا فيض في الندى فقلت لها : لن يقدح اللوم في البحر

أرادت لتثني الفيض عن سنن الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

ومن أبرز الروايات التي تحَّدثت عن جوده وكرمه رواية ذكرها الجهشياري مجملها أن داود كاتب أم جعفر حبس وكيلاً لها ، وجب عليه من حسـاب رفعه عن ضـياع تقلَّدها من ضـياعها ، مئتا ألف درهم[4] ، فكتب الوكيل إلى عيسـى بن داود ، وسـهل بن الصـباح المدائني ، وكانا صـديقين له ، يسـألهما في ذلك ، فركبا إليه ، فلقيهما الفيض في طريقهما، فسـألهما عن مقصـدهما ، فخبّراه به ؛ فقال : أتحبّان أن أساعدكما ؟ فقالا : نعم ، فصـار معهما إلى داود ، فكلَّموه ، فكتب إلى أم جعفر بخبرهم ، وما قصـدوا له ، فوقّعت في الرقعة ، أنه لا سـبيل إلى إطلاقه إلا بأداء المال ؛ فأقرأهم داود الرقعة ، واعتذر إليهم ، فعزم عيسـى على القيام ، فقال له الفيض بن أبي صـالح : كأنا إنما جئنا لنؤكد حبس الرجل ألا والله ، ولكنّا نؤدي المال عنه ، ثم أخذ الدواة وكتب إلى وكيله في حمل المال عن الرجل ، وكتاباً دفعه إلى داود كاتب أم جعفر ، وقال له : قد أزحنا علّتك في المال ، فادفع إلينا صـاحبنا ، فكتب إلى أم جعفر بالخبر ، فوقعت أنا أولى بهذه المكرمة من الفيض ،

---

(1) الفخري ، ص185 .

(2) الوزراء ، ص164 .

(3) ابن طباطبا : الفخري ، ص185 ، وذكرت أبيات أبو الأسود الحماني لدى الجهشياري أيضاً : الوزراء ، ص164 .

(4) يذكر ابن طباطبا أن المبلغ يقدر بمائة ألف دينار . الفخري ، ص186 .

فاردد عليه كتابه ، وادفع إليه الرجل ، وأمره ألا يعاود إلى مثل ما كان منه ، ولم يكن الفيض يعرف الرجل ، وإنما ساعد عيسى و سهلاً[1] .

وفي عهد هارون الرشيد ظهرت أسرة البرامكة ، وهي من أوائل الأسر التي اشتغلت بالأدب ، في العصر العباسي وتفوقت بفضل إتقانها لصناعة الكتابة مع شمائلها الأخرى ، فتسنّمت ذروة المجد ، ونالت به اسنى مراكز الدولة العليا في العصر العباسي[2] . واعترف بفضلهم وموقعهم من الصناعة كثير من أرباب البيان الذين عاصروهم ، فأشاد الشعراء بمحاسنهم ولهجوا بالثناء عليهم ، وأفسحوا لهم مكاناً في ديوان الشعر لا يزال إلى يومنا يلهج بذكرهم ، ويضفي عليهم من فضائل الخصال وجميل المحاسن . والحق أن البرامكة كانوا مع هؤلاء الشعراء أسخياء إلى درجة السرف ، فقد ينشد الشاعر قصيدة واحدة لا تتجاوز أبياتها أصابع اليدين وينال في مقابلها ثروة كاملة دون مبالغة , وكتب الأدب مليئة بالنوادر[3] . يروي مروان بن أبي حفصة أن أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله. وَرُوي أيضاً : ((**أن أبان اللاحقي نقل للبرامكة كليلة ودمنة فجعله شعرا ليسهل حفظه عليهم ، ولم يعطه جعفر شيئاً وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك**)) [4] .

بعد صيتهم وذاع عطائهم وأصبح الكرم والجود من أبرز شمائلهم ، وكثرت فيهم مدائح الشعراء ، وأصبح ما قيل فيهم من مديح وإطراء يساوي – دون مبالغة – ديواناً ضخماً من الشعر[5].حيث قال أبو نواس[6] في الفضل بن يحيى[7] :

---

(1) الوزراء ، ص165-166 ، وأيضاً ابن طباطبا : الفخري ، ص186-187 .

(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص114 .

(3) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص38 ، 40 ، 43 .

(4) الصولي : الأوراق أخبار الشعراء المحدثين ، ط2 ، بيروت ، دار المسيرة ، 1401هـ/1982م ، ص2 . الأصفهاني : الأغاني ، 155/23 .

(5) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص 66 . عبد الحليم عباس : البرامكة في التاريخ ، ص41 .

(6) هو : الحسن بن هاني أبو نواس ، شاعر العراق في عصره ،ولد في الأهواز ، اتصل بالخلفاء من بني العباس ، ومدحهم توفي سنة 189هـ/813م . الزركلي : الأعلام ، 225/2 .

(7) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص60 .

رأيت الفضـــــل في الســـــماحـة همـةً   أطالت غيظ كلَّ جواد   ولكن

فتى لا تلوك الخمر شـــحمـة مـالــه   أياد عود وبواد   كـأنـهم

ترى النـاس أفواجاً إلى بـاب داره   رجلاً دبـى وجـراد

وكان لمروان بن أبي حفصـــة نصـــيب في مدح البرامكة كغيره من المعاصـــرين ، حيث يقول في الفضل بن يحيى[1] :

تخيّرت للمـدح ابن يحيى بن خـالـد   فحسبي ولم أظلم بأن أتخيّرا   لمن

لــه عـادة أن يبســط العـدل والنـدى   ســـاس من قحطان أو من تنزرا   له

إلى المنبر الشـــرقيَّ ســــار ولم يزل   والد يعلو سريراً ومنبرا   لـــدى

يعدّ ويحيـى البرمكي ولا يُرَى   الدهـر إلا قائـداً وموءمّـرا

كذلك شــارك الشــاعر ســلم الخاســر[2] الشــعراء في الاغتراف من بحر عطايا البرامكة وأنشــد فيهم مادحاً[3] :

وكـيــف تــخــاف مــن بــؤسٍ بــدارٍ   تكنفها البرامكة البحورُ   نفير

وقـوم مـنــهـم الـفضـــــل بـن يـحـيـى   ما يوازنـه نفيرُ   كأنّ

له يومان : يوم ندى وبأس   إذا   الدهر بينهما أسيرُ   فـهـمـتّـه

مـا البـرمكـي غدا ابن عشرٍ   وزيـرٌ أو أميــرُ

وفي طليعة المادحين للبرامكة بشار بن برد[4] ، وهو أوائل معاصري البرامكة وله فيهم أشعار كثيرة من بينها ما قاله في خالد بن برمك[5] :

---

(1) الطبري : تاريخ ، 258/8 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص56-57 .

(2) ســلم بن عمرو بن حماد ، شــاعر خليع ماجن من أهل البصــرة من الموالي ، وهو راوية بشــار بن برد وتلميذه وكان منقطعاً إلى البرامكة ، وإلى الفضل بشكل خاص ، سكن بغداد ، وله مدائح في المهدي والرشيد ، قيل سمّي الخاسر لأنه باع مصحفاً ، واشترى طنبوراً بثمنه توفي سنة 186هـ/801م . الزركلي : الأعلام ، 110/3-111 .

(3) الطبري : تاريخ ، 258/8 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص58.

(4) بشـار بن برد العقيلي ، أشـعر المولدين على الإطلاق ، ونسبته إلى امرأة عقيلية ، قيل أنها اعتقته من الرق ، وكان ضـريراً ، أدرك الدولتين الأموية والعباسـية ، اتهم بالزندقة فمات ضــرباً بالسـياط سـنة 167هـ/783م . وله مدائح كثيرة في البرامكة . الزركلي : الأعلام ، 52/2 .

(5) الأصفهاني : الأغاني ،186/3 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص51 .

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك جلبت	وما كل من كان الغنى عنده يجدي سماحا
بشـــعري راحتيه فدرّتا وثغرٌ	كما درّ السحاب مع الرعدِ بسمر القنا
كأفواه الأسود سددته مقامك	والبيض والقدح الجردِ
محمود وسيبك واسع	وبيتك مرفوع الدعائم بالمجد

وكان من أبرز سماتهم ومحاسنهم التسامح والعطاء والعفو على المقدرة ، والحلم[1] .

يروي التنوخي في نشوارالمحاضرة عن تسامح يحيى بن خالد مع أبي سماعة الشاعر ، حيث يقول : هجا أبو سماعة المعيطي ، خالد بن برمك ، وكان إليه محسناً ، فلما ولي يحيى الوزارة ، دخل إليه أبو سماعة فيمن دخل من المهنئين . فقال : أنشد فيّ الأبيات التي قلتها ، فقال أبو سماعة ما هي ؟ قال يحيى : قولك :

زرت يحيى وخالداً مخلصاً لله	ديني فاستصغرا بعض شأني
ولو أنيّ ألحدت في الله يوماً ما	أو لوأنّي عبدت ما يعبدان
استخفّا فيما أظن بشأني أن	ولأصبحت منهما بمكان
شكلي وشكل من جحد الله	و آياته لمختلفان

فأنكره أبو سماعة ، فقال يحيى : ما تملك صدقة إن كنت تعرف من قالها ؟ فحلف ، فقال يحيى : وامرأتك طالق ؟ فحلف فأقبل يحيى على من كان حاضراً مجلسه وقال : ما أحسبنا إلاّ وقد احتجنا أن نجد لأبي سماعة منزلاً ، وآلة ، وحرماً ومتاعاً ، يا غلام : ادفع له عشرة آلاف درهم ، وتختاً فيه عشرة أثواب . فدفع إليه . فلما خرج تلقاه أصحابه يهنئونه ، ويسألونه عن أمره ، فقال : ما عسيت أن أقول إلا أنه ابن زانية أبى إلا كرماً ، فبلغت يحيى كلمته من ساعته ، فأمر به ، فحضر ، فقال له : يا أبا سماعة لم تعرق في هجائنا ، وتغرق في شتمتنا ؟ فقال له : أبو سماعة ما عرفته أيها الوزير، افتراء وكذب عليّ ، فنظر إليه ملياً ثم قال :

إذا ما المرء لم يخدش بظفر	ولم يوجد له أن عضّ ناب وذلّت
رمى فيه الغميزة من بغاها	من قرائنه الصعاب

فقال أبو سماعة : كلا أيها الوزير ، ولكنّه كما قال :

---

(1) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص97 .

لم يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا ويشـتمـوا حتـى يـذلّوا وإن عزوا لأقـوام

فترى الألـوان مسفرةً لا صفـح ذلّ ولكن صفـح أحـلام

فتبسّم يحيى ، وقال : إنّا عذرناك ، وعلمنا أنك لن تدع مساوئ شيمك ، ولؤم طبعك ، فلا أعدمك الله ما جبلك عليه من مذموم أخلاقك ، ثم تمثل قائلاً :

متى لم تتسع أخلاق قوم إذا تضـيـق بـهـا فسـيـحـات الـبـلاد

ما المـرء لـم يخلـق لبيبا فليـس اللُّـب عن قـدم الـولاد

ثم قال : ((**هو والله كما قال عمر بن الخطاب τ ، المؤمن لا يشفى غيظه**)) [1] .

ويروي الآبي (ت421هـ/1030م) صاحب نثر الدر قصة أخرى من قصص التسامح البرمكي يتجلى فيها مسلك هذه الأسرة في الحلم والتسامح والعطاء . هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى ، ثم أتاه راغباً ، فقال له الفضل : ويحك بأي وجه تلقاني ؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به ربي جل جلاله وذنوبي إليه أكثر ، فضحك ووصله[2] .

ومن مواقف حلمهم وعطائهم ما أورده البيهقي (ت 470هـ/1077م) قائلاً : طالب الرشيد منصور بن زياد بعشرة آلاف درهم ، لتلاعبه في أموال الدولة . فأمر الرشيد صالح صاحب المصلى ، أن يأتيه بالمال من منصور هذا ، أو يأتيه برأسه ، إن لم يستطيع جمع المال وأمهله إلى المغرب . فذهب صالح إلى منصور بن زياد ، وأعلمه خبر الرشيد ، وما قرر ، فأيقن من الموت ودخل إلى أهله فودعهم ، ثم قال : يا أبا مقاتل ، لو أذنت لي في المصير إلى أبي علي يحيى بن خالد ، فكنت أوصيه بولدي وأهلي ؟ فقال : امض . فدخل منصور وصالح إلى دار يحيى ، وجعل منصور يبكي حتى علم يحيى الخبر من صالح .

واستطاع يحيى بعد رأي أن يستوفي كل المال ، فقبضه صالح ووافى به الرشيد قبل انقضاء الأجل المحدد ، وأخبره خبر البرامكة وما صنعوه ، فقال الرشيد : قد ظننت أنه لا ينجيه غيرهم ،

---

(1) نشوار المحاضرة ، 7/219-220 .

(2) الآبي : أبو سعد منصور بن الحسين (ت421 هـ/1030م) نثر الدّر، تحقيق محمد علي قرنة ، د.م ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1981م ، 2 /174 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص98-99 .

فقال له الرشـــيد : احمل هذا المال إلى أبي علي ، واردده عليه ، واعلمه أني قد قبلت ذلك عن منصور بن زياد ، ....، وكان منصور قد تمثل في وقت خروجه من دار يحيى بهذا البيت :

فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

فأخبر صالح يحيى بما تمثله منصور ، فأكب يحيى على الأرض ساعة ، ثم قال : اعذره فقد كان عقله عزب عنه في ذلك الوقت ؛ قال وكان عذره له ، أحسن من إحيائه إياه[1] . ولم يزل هذا التسامح مضرب المثل على مر السنين[2] .

والبرامكة والسخاء قرينان لا يفترقان ، إذا ذكر السخاء تداعى إلى الذهن البرامكة ، والعكس صحيح ، تلك كانت نظرة الناس المعاصرين لهم[3] .

يقول البيهقي في الإشادة بسخائهم : ((**وكان للبرامكة في هذا الشأن مالم يكن لأحد من الناس منها إنهم كانوا يخرجون بالليل سراً ومعهم الأموال يتصدقون بها ، وربما دقوا على الناس أبوابهم فيدفعون إليهم الصرة فيها بين الثلاثة آلاف إلى الخمسة آلاف والأكثر من ذلك والأقل ، وربما طرحوا ما معهم في عتب الأبواب ، فكان الناس لاعتيادهم ذلك يعدون إلى العتب إذا أصبحوا يطلبون ما ألقى فيها**))[4] وأخذ البيهقي يذكر أسخياء البرامكة واحداً تلو الآخر[5] .

وعلى هذا النحو كان دأبهم مع الناس ، وعشقهم لمساعدة الآخرين ، يتلذذون بالعطاء ، ويسعدون بفك الكربات[6] .

يقول أبو حيان التوحيدي في أخلاق الوزيرين عند إطرائه البرامكة رغم أن أبا حيان هذا ، كان كثير الغرام بثلب الكرام إذ لم يترك أحداً من رؤساء زمانه إلا وشتمه قال في مدح البرامكة: ((**أين**

---

(1) المحاسن والمساوئ ، ص568-570 . محمد أحمد جاد المولى وآخرين : قصص العرب ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، 1992م ، 1/279-281 .

(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص100 . يقول محمد بن الجراح : في الثناء على البرامكة : « كان آل برمك أندى من السحاب ... » التوحيدي : أبو حيان على بن محمد العباس البغدادي (ت 400هـ/1009م) أخلاق الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1997م ، ص193 .

(3) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص101 .

(4) المحاسن والمساوئ ، ص225 .

(5) المحاسن والمساوئ ، ص226-243 .

(6) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص101 .

أولئك البرامكة ؟ وأين نحن منهم اليوم ؟ كان معروفهم يسع الصغير والكبير ، ويعمّ الغني والفقير ، مرة يغرف ، ومرة ينزف ، ما لهم همٌّ إلا تثميره)) [(1)] .

ويضـيف محمد بن جميل الكاتب ويقول : ((**كان البرامكة شـفاء سـقام دهرهم ، وغياث جدب عصرهم ، ومازالوا كهفاً للاجئين ، ومفزعاً للملهوفين))** [(2)] .

وأصـبح جود البرامكة على مر السـنين ، مضـرب المثال يقصـدهم القاصـي والداني ، يقول أعرابي قصدهم من اليمن:((**قصدت هؤلاء الأمجاد الذين انتشر صيتهم في البلاد ...))** [(3)] .

وعمّت شـهرة البرامكة في السـخاء ، جميع أنحاء الدولة بحيث أن المقري (ت 1041هـ/1631م) قد امتدح أحد أفراد الموحدين بالأندلس ، فوصفه بأن له حكايات في الجود برمكية[(4)] .

وعن سـخاء البرامكة يقول صـاحب كتاب عصـر المأمون ، مخاطباً القارئ حيث يقول: ((**ربما تطلب إليّ مثالاً على جودهم ، وتعلق الناس بهم ، فأبلغك أرشـــدك الله أن كتب الأدب مليئة بالمئات من ذلك بلا مبالغة ولا تهويل ولا إغراق))** [(5)] .

وكان لسـخاء البرامكة أصـداء رائعة عند بعض معاصـريهم من الأوفياء الذين لم تنسـهم نكبة البرامكة أن يذكروهم بالخير ، ويعددوا مناقبهم معرضـين أنفسـهم للهلاك . يتضـح ذلك في قصـة محمد بن عبدالله مع المأمون ومجمل القصـة ما ذكره البيهقي : عندما رفع محمد بن عبدالله قصـة إلى المأمون يشكو فيها سوء حاله ، بعد أن زالت نعمته بنكبة البرامكة . فدفعها المأمون إلى أحمد بن أبي خالد ، وأمره أن يحسـن إليه . وفعل حتى أصـبح محمد هذا نديماً لابن أبي خالد لا يكاد يفارقه . فحصـل أن بعث إليه أحمد بن أبي خالد فاحتجب عنه لمولود ولد له ، فغضـب عليه ابن أبي خالد ، وحبسه وألبسه جبة صوف ، ومكث في سجنه مدة . فسأل عنه المأمون ، فقصّ عليه القصـة ، وعظّم جرمه ، وشكا إليه افتخاره بالبرامكة ؛ وتعظيم شـأنهم . فأمر المأمون بإحضـاره ، فأقبل عليه مصغّرا لقدره ، وللبرامكة فقال محمد : يا أمير المؤمنين ، لقد صغرت من البرامكة غير

---

(1) أخلاق الوزيرين ، ص244 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص101-102 .
(2) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، 173/3 .
(3) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، 174/3 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص102 .
(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1388هـ/1968م ،109/3 .
(5) أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ، ط1 ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1346هـ /1927م ، 148/1 . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص103 .

مصـــغَّر ، وذمّمت منهم غير مذموم ، وقد كانوا شـفاء أسـقام دهرهم ، وغياث أجادب عصــرهم ، وكـانوا مفزعـاً للملهوفين وملجـأ للمظلومين ، وإن أذن لي أمير المؤمنين حـدثّتـه ببعض أخبـارهم ليسـتدل بذلك على صـدق قولي فيهم ويقف على جميل أخلاقهم ، ومحمود مذاهبهم في عصــرهم ، والأفعال الشــريفة والأيادي النفيســة ! فقال المأمون : هات ، فطلب محمد بن عبدالله أن يزال قيده وجُبّته ، فأزيلتا ... فبدأ في رواية قصـــته ، قال : كنت منقطعا إلى البرامكة وإلى الفضـــل بالذات فطلب منّي الفضل أن أدعوه إلى منزلي ، كما يدعوا الصديق صديقه . فحاولت أن أتهرب من تلك الدعوة لصـغر شأني وتواضـع منزلي – غير أنه أصرّ عليها ، فطلبت منه مهلة ليست بالقصـيرة ، لأتهيأ لهذه الدعوة وأخذت في فرش منزلي حتى أوشك الأجل الذي بيننا على الانتهاء ، وبعد حلول الأجل ، حضـر ومعه أبوه ، وجعفر فطلب الفضـل أن يقف على نعمتي صـغيرها وكبيرها ، وسألني عن جيراني ، فأخبرته بهم ، إلا كبيراً ، داره خلف داري لم أعرفه ، لا يفتر في بنائه ولا يقصــــر . فدعى الفضل ببنّا ، وأمر أن يفتح في السور باباً ، وأقبل عليه يحيى وجعفر ، وطلبا منه ألا يتهجم على قوم لا يعرفهم ، وأصـــرّ على ذلك ، ففتح الباب ، ودخلنا بدار لم أر مثلها ، إلا عند الخلفاء والوزراء ، فأخذنا نطوف في تلك الدار العجيبة ، حتى وصـلنا إلى الإسطبل فكان أحسـن من داري ، وفي الدار مائة مملوك ، ومائة وصــيفة ، وفيها من البغال أربعمائة . فقال الفضــل : يا محمد ، هذه الدار بما فيها من الدواب والرقيق والفرش والأواني لك ، فقلت في نفسي : يهب لك ملك غيره ! فعلم ما في نفســـي فقال : يا محمد . إني لما طلبت منك الدعوة قمت بشــــراء هذه الأرض وأقمت عليها هذه الدار فمبارك لك هي ، وذهب إلى أبيه وأخيه فأخبرهما بالخبر فرأيت أخاه جعفراً قد معض من ذلك ، وتغيّر وجهه تغيّراً عرفته ، ثم أقبل على أبيه يشـكو الفضـل ، ويقول : يتفرد بمثل هذه المكرمة من دوني ، فلو شاركني فيها لكانت يداً أشكرها منه ! فقال : يا أخي ، بقي لك قطبها ! قال : وما هو ؟ قال إن مولانا هذا لا يتهيأ له ضــبط هذه الدار بما فيها إلا بدخل جليل ، فأعطه ذلك ! فقال : فرجت عني يا أخي ! فرّج الله عنك ! فدعا من وقته بصـكاك لخمس قُريّات ، وقال : احتمل عن خراجها ... قال : فخرجوا عنّي ، وأنا أيسر أهل زماني .

فهل تلومني يا أمير المؤمنين على ذكرهم والإشادة بفضلهم ؟ فقال المأمون : ذهب القوم والله بالمكارم ! ثم أمر لمحمد بمائة ألف درهم وتقدم إلى ابن أبي خالد فرد له مرتبته ، وصيره في جملة خواصه ! [1] .

ويتضح الوفاء والولاء لهم في قصة إسحاق الموصلي مع الفضل بن الربيع ، عندما عوتب إسحاق الموصلي – وهو من أحد المعاصرين لهم – لولائه وحبه للبرامكة ، عندما كان في مجلس الفضل بن الربيع وزير الرشيد بعد البرامكة ، وكان ابن الربيع حانقا عليهم ، وكارهاً لهم ، فأقبل إسحاق على الفضل ، فقال : اسمع مني شيئاً أخبرك به ، مما فعلوه ، ليس هو بكبير صنائعهم عندي ، ولا عند أبي قبلى ، فإن وجدت عذراً وإلا فلم : وأخذ إسحاق يقص على الفضل بن الربيع سكنه مع والده في دار واحدة ، وما كان يحصل بين جواريه وجواري أبيه وغلمانه وغلمان أبيه ، من مشادات كما هي العادة بين هذه الطبقة حتى ضاق بها إسحاق ذرعاً ، فأخذ يفكر في استئجار داراً أخرى فأسرج دابته وامتطاها وسار بغير هدى ، إلا أن دابته اتجهت به نحو دار يحيى ، وما إن رآه غلمان يحيى حتى رحبوا به ، فوقع إسحاق في حيرة من أمره ، هل يدخل إلى الوزير في زيه غير المناسب ، فإن دخل بملابسه تلك كان سوء أدب منه ، أو يذكر بأنه جعله طريقاً فيكون ذلك أشد قبحاً ؟ ثم عزم ودخل ، واستغرب يحيى ذلك الزي ، فقال هل : قد علمنا أنك جعلتنا طريقاً . فقال لا والله يا سيدي ، ولكني أصدقك القول ، قال : فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها ، ...... فأمر يحيى بخلعة له فلبسها ، ودعا بدواة ، ورقعة ، وكتب أربع رقاع ظننت بعضها لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه ، فدفع إليه الرقاع ، وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ، ومضى الرجل وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة ، ثم اتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا منكسر خائب وقدّم لي حماري فلما تجاوزت الدار، قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت إلى البيت . قال : قد والله بيعت دارك ، وأشهد على صاحبها ، وابتيع الدرب كله ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ، لأني رأيت الأمر في استعجاله أمراً سلطانياً ، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ، فلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه يحيى قد قام إليّ . فقال لي : ادخل – أيدك الله – دارك حتى أدخل

---

(1) المحاسن والمساوئ ، ص236–240 . محمد أحمد المولى وآخرين : قصص العرب 1/291–295 .

لمخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ، فطابت نفسي بذلك ، ودخلت ، ودخل إليّ فأقرأني توقيع يحيى : ((**يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاوره ويلاصقها**)) . والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل : ((**قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره ، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي**)) . والتوقيع الثالث إلى جعفر : ((**قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم ينفقها على بنائها ومرمّتها على ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله**)) . والتوقيع الرابع إلى محمد : ((**قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه ، وفرش يبتذله ، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته**)) . وقال الوكيل ، قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم ، وهذه كتب الابتياعات بإسمي والإقرار لك ، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه . قال إسحاق مواصلاً حديثه : ((**فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ، ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي أفأُلام على شكر هؤلاء**)) . فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر وقالوا:((**لا والله لا تلام على شكر هؤلاء**)) [1] .

وكذلك في قصة محمد بن إبراهيم الإمام عندما رفض إتيان الفضل بن الربيع بعد نكبة البرامكة ، فقد عوتب في ذلك ، فحلف بالله العظيم أنه لو عمّر ألف عام ثم مص الثماد لما وقف بباب أحد بعد الفضل بن يحيى ولم يزل على ذلك حتى مات[2] .

وهذا ابن الزيات وهو في التنور يقول له خادمه قادحاً له في سيرته مع الناس وبخله عليهم قد صرت إلى ما صرت ، وليس لك حامدة ، قال : وما نفع البرامكة صنيعهم ، قال الخادم : ذكرك لهم الساعة ، فقال : صدقت[3] .

(1) محمد أحمد المولى وآخرين : قصص العرب ، 1/54-58 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص196-197 . محمد أحمد المولى وآخرين : قصص العرب ،1/269-270 .
(3) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ، ص151 .

وفي كثير من كتب الأدب القديمة[1] كثير من القصص التي تحكي لنا سيرة آل برمك مع الناس وحبهم للإنفاق والعطاء ، وثمرة ذلك من وفاء الشعراء والكُتَّاب وغيرهم[2] .

هذا الإســهاب في المدح بالســخاء والكرم أثر من آثار البرامكة في واقع حياتها ، انعكس على مرآة الشـعر ، فأظهر لنا صـورة حسـنة لمزاياهم التي تحلوا بها ، ومكارمهم التي شـهروا بها . كتبها الشعر في ذاكرة التاريخ لتبقى على مدى الأجيال صفحة مهمة في تاريخ الأدب العربي[3].

وفي عهد المأمون ظهرت أسـرة آل سـهل ، وكان من أبرز رجال هذه الأسـرة الفضـل بن سـهل وأخاه الحسن ، لأنهما الوحيدان اللذان شهرا بالكتابة لكثرة نتاجهما[4] .

فكان تاريخ آل سـهل الذهبي في زمن الفضـل مع المأمون ، يقول الجهشـياري عن الفضـل بن سـهل مسجلاً بعض سـجاياه كان سـخياً ، نبيل النفس ، كثير الأفضـال يذهب مذاهب البرامكة في ذلك ، ومن سـماته أيضــاً كرهه للوشــاية والسـعاية وكان يطاف بالقائم بهما بين الناس تأديبا له ، وردعاً لأمثاله[5] .

ويقول ابن طباطبا في حديثه عن سجايا الفضـل بن سـهل : ((**كان الفضل سخياً كريماً يجاري البرامكة في جوده ، شديد العقوبة ، سـهل الانعطاف حليماً بليغاً بآداب الملوك ، بصيراً بالحيل ، جيد الحدس ، محصلاً للأموال ، وكان يقال له الوزير الأمير**)) [6] .

أما الحســن بن سـهل فكان ذا مكانة رفيعة ، ارتفع شــأنه بعد أن اسـتوزره المأمون[7] ، وزادت منزلته بعد أن تزوج المأمون ابنته بوران[8] هذا الزواج الذي كان من ثماره خروج التوقيع للحســن ،

---

(1) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص226-243 . الأبشيهي : المستطرف ،210/1-211 . محمد أحمد وآخرين : قصص العرب ، 274/1 .

(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص110 .

(3) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص62 .

(4) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص161 .

(5) الوزراء ، ص305 ، 308 .

(6) الفخري ، ص218 .

(7) الخطيب : تاريخ ، 320/7 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 121/2 .

(8) الطبري : تاريخ ، 566/8 . ابن طباطبا : الفخري ، ص222 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 165/1 .

وبه نال حظاً عظيماً في زمن المأمون[1] . ولعلَّ من أبرز ســجاياه ، حبُّه للعلم والأدب ومجالســة أهلهما ، وعقد المجالس الأدبية ، للإفادة منها[2] .

يروي أبوبكر النحوي ويقول: ((**لما قدم الحسـن بن ســهل العراق ، قال : أحبُّ أن أجمع قوماً من أهل الأدب ، فأحضـر أبا عبيدة والأصـمعي ونصـر بن علي الجهضـمي ، وحضـرت معهم ، فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم ، فوقع عليها ، فكانت خمسين رقعة ، ثم أمر فدفعت إلى الخازن ، ثم أقبل علينا فقال : قد فعلنا خيراً ، ونظرنا ما نرجوا نفعه من أمور الناس والرعية ، فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه ، ثم قال أبوبكر ، فأفضـنا في ذكر الحفّاظ . فذكرنا الزهري وقتادة ، ومررنا ، فالتفت أبوعبيدة فقال : ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضـى وبالحضــرةِ هاهنا من يقول ما قرأ كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شــيء فخرج عنه ؟ فالتفت الأصــمعي وقال : إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير ، والأمر في ذلك على ما حكى ، فأعاد الحسن تلك الرقاع ، وأخذ يذكرها الأصمعي واحدة بعد الأخرى**))[3] .

لم تقتصـر مجالســه على الأدب فحسـب ، بل كانت تفيض في شـتَّى ميادين العلوم وكان لها بالتأكيد أثراً واضـحاً على شـخصـية الحسـن العلمية والأدبية بما اكتسبه من ثقافة عامة ، وقدرات نادرة[4] ، يروي الأصـفهاني شيئاً من ذلك ويقول : ((**مرض الواثق فدخل إليه الحسـن بن سـهل عائداً ، ومحمد بن عبدالملك الزيات يومئذ وزيره ، والحسـن بن ســهل متعطل ، فجعل الحســن يتكلَّم في العلة وعلاجها ، وما يصــلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحســن كلام . فحســده محمد بن عبدالملك ، وقال له : من أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إني كنت أسـتصـحب من أهل كلَّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلم منهم ثم لا أرضى إلاّ ببلوغ الغاية . فقال له محمد وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمن قلت فيه :**

فأين لا أيـن وأنّـى مثلكـم　　　أنتـم الأمـلاك والنـاس خـول

(1) القيرواني : زهر الآداب ، 478/2 .
(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص164 .
(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 173/3-174 .
(4) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص166 .

فخجل محمد بن عبدالملك ، وأطرق ، وعدل عن الجواب)) [1] .

نهج السـهليون طريق البرامكة في شـتى ميادين الحياة ، كانوا على خلق عظيم مع الناس ومع جيلهم من الكُتَّاب ، أخذوا بأيديهم إلى مواطن الصـواب دون تجريح ولا كبرياء . وهذه المعاملة أحالتهم إلى نماذج عالية ، وزادت في رفع شانهم عند جيلهم من الكُتَّاب فامتدحوا سخاءهم وبلاغتهم ، وأخلاقهم ، وسيرتهم التي تمثلوا فيها بالبرامكة[2]. لقد قال جعفر الضبي في الفضل بن سهل : ((**أيها الأمير أسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السؤدد وعيرني فيها كثرة عددها ، فليس إلى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها ، إذا لم يكن الأولى أحقُّ بالذكر ، ولست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها))** [3] .

وقال الحسن بن وهب – وكان بليغاً – في ردَّه على رسالة سبق أن بعثها إليه الحسن بن سهل ، وقد أثاره مناخ ذلك اليوم ((**لأنه إذا أشـمى حكى حسـنك وضـياءك ، وإن أمطر حكى جودك وسـخاءك ، وإن غام أشـبه ظلك وفناءك))** [4] . لقد رأى ابن وهب أن المناخ في مختلف مظاهره يشارك الحسن في بعض شمائله ومزاياه[5] .

وقال آخر في سخاء الحسن : ((**لقد صرت لا أستكثر كثيرك ، ولا أستقل قليلك ؛ قال : وكيف ؟ قال : لأنك أكثر من كثيرك ، ولأن قليلك أكثر من قليل غيرك))** [6] .

وبعد تمكن السهليين من سياسة الدولة ، وما قاموا به من دور ريادي في رعاية الأدب والأدباء ، توافد الشعراء من كل حدب وصوب يحدوهم الأمل ، ويمنون النفس بالعطاء ، فتزاحموا على أبواب

(1) الأغاني ، 71/23 .

(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص199 .

يقول ابن طباطبا في حديثه عن الوزارة في عهد المأمون مجسداً حقيقة ما ذهبت إليه : « أول وزرائه آل سـهل ، وكانت دولتهم في جبهة الدهر غرة ، وفي مغرق العصر درة ، وكانت مختصرة الدولة البرمكية وهم صنائع البرامكة ..» ، الفخري ، ص220.

(3) الجاحظ : الحيوان ، 92/2 ، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة ،170/1 أن هذا الوصف قيل في الحسن ، ورواية الجاحظ أرجح لذكره القائل . أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص201 .

(4) القيرواني : زهر الآداب ، 500/2 . صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 361/3 .

(5) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص200 .

(6) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، 107/2 .

أبناء سهل حاملين معهم ما أنتجته قرائحهم من مدائح وكان السهليون كرماء ، ترسموا سيرة البرامكة من قبلهم في معاملة الشعراء ولقد بلغ سخاؤهم حد السرف لذا كثرت مدائح الشعراء فيهم[1] .

ويأتي في طليعة من مدح آل ســـهل ، إبراهيم الصـــولي[2] وله أهمَّيته من حيث أنه من القلائل الذين جمعوا بين فني القول (**الكتابة والشـــعر**) ، وكان فيهما وحيد زمانه فمدحه له ثقله ووزنه . قال في الفضل بن سهل[3] :

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثـل

فباطنها للندى وظاهرها للقبل وبسطتها للغنى وسطوتها للأجـل

وينتقل الصولي إلى مدح الحسن بن سهل مسجلاً أحداث المصاهرة بين آل سهل وآل هاشم ، بعد زواج المأمون ببوران ابنة الحسن ، قال[4] :

ليهنك أصهار أذلت بعزّها خدوداً وجدّعت الأنوف الرواغما

جمعت بها الشملين من آل هاشم وحزت بها للأكرمين الأكارما

بنوك غدوا آل النبي ووارثو الخلافة والحاوون كسرى وهاشما

ومن الشعراء الذين تزاحموا على أبواب آل سهل ، محمد بن حازم الباهلي[5] ، قال في مدح سخاء الحسن بادئاً قصيدته بذم الناس جميعاً لبخلهم[6] :

وقالوا لو مدحت فتى كريماً فقلت وكيف لي بفتى كريم

وحسبك بالمجرب من عليم

---

(1) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص174 .

(2) هو : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أبو إسحاق ، كاتب العراق في عصره ، أصله من خراسان ، وكان جدَّه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ورعاتها ، نشأ إبراهيم في بغداد ، فتأدَّب وقربه الخلفاء ، فكان كاتب المعتصم والواثق والمتوكل وتنقل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلداً ديوان الضياع والنفقات بسامراء سنة 243هـ/857م. الزركلي: الأعلام ،45/1

(3) الأصفهاني : الأغاني ، 60/10 . القيرواني : زهر الآداب ، 353/2-354 .

(4) الأصفهاني : الأغاني ، 62/10 .

(5) هو : محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء شاعر مطبوع كثير الهجاء ، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون ، ولد ونشأ في البصرة ، وسكن بغداد ومات فيها سنة 215هـ/830م . الزركلي : الأعلام ، 75/6 .

(6) الأصفهاني : الأغاني ، 97/14 . الشابشتي : علي بن محمد (ت 388هـ/998م)الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1386هـ/1966م ، ص38 .

بلوثُ الناس مذ خمسين عاماً فمـــا ولا أحـد يعـود ولا حمـيـم

أحد يُعدّ اليـوم خيـرٍ

إلى أن قال في الحسن :

فطاف النـاس بالحسن بن سـهل طوافهم بزمـزم والـحـطيم

وقالوا سيدٌ يعطـي جـزيـلاً ويكشف كربـة الرجل الكظيم

فقلت مضـى بذم القـوم شعري وقد يؤتى البريء مع السقيم بأشفى

وما خبر ترجِّمِه ظنوني من معانيـه الحليم

فجئت ولـلأمـور مبَّشرات ولـن يـخفى الأعز من البـهيم

فإن يك ما تنشَّـر عنـه حقاً رجعت بأهبـة الرجـل المقيـم

ومن هؤلاء الشعراء الذين تكاثروا على أبواب السهليين يمتدحون سيرتهم محمد الحميري[1] ،قال في الحسن بن سهل من قصيدة أولها[2] :

ودائـع أســـرار طـوتـهـا الســـرائـر وباحت بمكتوماتهن النواظر شبا

ملكـت بهـا طيّ الضـــمير وتحتُّــه لوعةً غضب العرارين باتر

فأعجم عنـها ناطقٌ وهو مُعْربٌ وأعربت العجـم الجفون النواطـر

ومن هؤلاء الذين أغراهم العطاء حسين بن الضحاك ، قال في الحسن[3] :

أرى الآمال غير معرجاتٍ يبـاري على أحدٍ سوى الحسن بن سهل

يومـه غده سماحـاً كـلا اليومين بـان بكـل فضـل

قال محمد بن عبدالملك الزيات في الحسن بن سهل[4] :

إلى الأمير الحســـن اســـتنجـدتهـا أيُّ مراد ومناخٍ ومحل وحصن

ســـيف أمير المؤمنين المنتضــــى ذي الرياستين المقتبل كسرى

---

(1) هو : محمد بن وهيب الحميري ، أبو جعفر ، شاعر مطبوع مكثر ، من شعراء الدولة العباسية ، أصله من البصرة ، عاش في بغداد ، وكان يكتسب بالمديح ، ويتشيع ، أختص بالحسن بن سهل ومدح المأمون والمعتصم ، كان تياها شديد الزهاء بنفسه توفي سنة 225هـ/839م . الزركلي : الأعلام ، 134/7 .

(2) الأصفهاني : الأغاني ، 9/19 .

(3) الأصفهاني : الأغاني ، 174/7 .

(4) الأصفهاني : الأغاني ، 70/23 .

آباؤك العز الألى جدُّهم من أنوشروان والناس همل كـــل

كل ذي تـاج إذا قـال مضـى الذي قـال ،وإن هـمّ فعل

يقول مسلم بن الوليد[1] في مدح الفضل بن سهل[2] :

لو نطق النـاس أو أثنوا بـعلمهم ونبـهت عن مـعالي دهرك الكتب

لم يبلـغوا منـك أدنـى ما تمت بـه إذا تفاخـرت الأمـلاك وانتسبـوا

وكان الكُتَّاب متباينين في قابليتهم وصفاتهم الخلقية ، فيذكر الجهشياري ((**أن يحيى البرمكي يقول لولده : لابد لكم من كُتَّاب ، وعمّال وأعوان ، فاستعينوا بالأشراف وإياكم وسفلة الناس فإن النعمة على الأشراف أبقى ، وهي بهم أحسن ، والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكثر**)) [3] .

ومن هذا المنطلق نرى الكثير من القدامى امتدحوا الكُتَّاب وأثنوا عليهم في أكثر من موضـــــع ، غير أن الجاحظ يقف من الكُتَّاب موقفاً يبدو عليه التحامل والاستخفاف بشأنهم ، فقام بتأليف رسالة في القدح بالكُتّاب فاســتجمع ما في جعبته من الأمور الطاعنة بالكُتّاب وأفرغها في هذه الرســالة ، ويبدو من مطلع الرســالة ((**كتاب ذمَّ أخلاق الكُتَّاب**)) فينظر الجاحظ في رســالته نظرة دونية إلى أصـــــحاب مهنة الكتابة ، إذ لا يتقلدها إلا تابع فأحكامه أحكام الأرقاء ، ومحله من الخدمة محل الأغبياء ، ويرميهم بألوان القبائح من الصـــــلف والتيه والإدعاء ويأخذ عليهم ابتعادهم عن القرآن والحديث والســنة ونفورهم من العلوم ، ويضــرب أمثالاً على شــره الكُتَّاب وما هم عليه من الســفه والسخافة والجهالة والنذالة والبلادة ، فهم أخفر الخلق لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم . والكُتَّاب أهل صناعة أشبه بالكلاب المتعادية في تحاسدهم وتحاذقهم على بعض ، وهم متقاطعون غير متعاطفين بنظرائهم بررة شأنهم شأن الضرائر [4] .

---

(1) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء ، المعروف بصريع الغواني ، شاعر غزل وهو من أول من أكثر البديع ، اتصل بالفضل بن سهل ، وولاه بريد جرجان ، فاستمر إلى أن مات ، مدح الرشيد والبرامكة وآل سهل . الزركلي : الأعلام ، 223/7 .

(2) أحمد الزهراني : آثار البرامكة ، ص192 .

(3) الوزراء ، ص179 .

(4) الجاحظ : رسـائل الجاحظ 2/190-195 ، 197-201 . أحمد علبي : الكتابة الديوانية في العصـر الإسـلامي ودور ابن المقفع ، مجلة الآداب ، العدد 1-3 ، 1985م ، ص26 . يقول أبو حيان التوحيدي عن أخلاق الكُتَّاب: ((وأما الكُتَّاب وأهل العلم فأنهم إذا خلوا من التنافس والتحاسد والتمادي والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل)) الصداقة والصديق ، شرح وتعليق علي متولي صلاح ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1972م ، ص 6 .

ولعل من أبرز سماتهم بعدهم عن الجندية وأخلاقها وقد أشار الصابئ إلى ذلك فقال : ((**وما من شيء أقبح بذي قلم من تعاطي الشجاعة والتخلق بأخلاق الجندية**)) [1] .

ثانياً : آداب الكُتَّاب

لقد تحدث ابن مماتي عن الآداب التي ينبغي توفرها في الكُتَّاب ولكن بشكل مجمل[2] ، بينما نجد القلقشندي أجمل غالبية هذه الآداب بأسلوب أدبي جميل وذلك أثناء حديثه عن آداب الكُتَّاب ، فقد ذكرها كلَّ على حدة [3] .

لذا كان لزاماً عليهم أن يتآدبوا بآداب مع أنفسهم وآداب مع الملوك والعظماء – الخلفاء – وآداب مع الأكفاء والنظراء وآداب مع الأتباع ، وآداب مع الرعية ، وآداب مع من يمت له بحرمة[4] .

أما آدابهم مع أنفسهم فتتجلى في تقوى الله في السر والعلن وطلب الأجر منه سبحانه وتعالى ، وصلاح النية ، ولزوم العفاف ، والترفع عن المكاسب اللئيمة ومجانبة الريب والتنزه عنها ، وصيانة ما يتولوه من أعمال للسلطان ، وطلب الثناء والحمد . وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلاها رتبة . ولقد بلغ من كتب في هذا الجانب : بأن طالبوا من الكُتَّاب الأخذ بنصيب من اللذات[5] ، ويعلل ذلك القلقشندي : لأن الطبائع جبلت على الميل إليها ... وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ، ومشاركتهم لهم في آدابهم لا غنى بهم عما يقيم مروءاتهم من اللذات المشابهة لا قدارهم ومواضعهم من السلطان[6] .

أ- آدابهم مع الملوك والعظماء والخلفاء :

أما آدابهم مع الملوك والعظماء – الخلفاء– فنظراً لملازمتهم للسلطان والخليفة لزم عليهم أن يتأدبوا بآداب وسلوك تليق بعشرة هؤلاء – الملوك والعظماء والخلفاء – كالإخلاص ، والنصح ، وكتمان السر ، والوفاء ، وعدم الإدلال على السلطان ، والتمسَّك بآداب الخدمة والمواظبة عليها ،

---

(1) رسوم دار الخلافة ، ص48 . العلي : بغداد ، ص208 .
(2) قوانين الدواوين ، ص 6- 7 .
(3) صبح الأعشى ، 1/102-117 .
(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/102-117 .
(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، 1/102-105 .
(6) صبح الأعشى ، 1/105-106 . عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص49 .

وصـرف الاهتمام إليها[1] ، إذ يعدها القلقشـندي أعظم الذرائع إلى نيل الرتب وبلوغ المأرب والسـبب الذي يقِّرب البعداء ... وما نال أحد عند السلطان مرتبة إلا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها[2] ، ويضيف أن أولى الناس بلزوم السلطان كُتَّابه الذين لا غنى به عن حضورهم ، في ليله ونهاره ، وأحيان شغله وفراغه ، ويعلل القلقشندي على ذلك بقوله : ((**لأنه ربما بدهه ما يحتاج إلى اسـتكفائه إياه وإسـناده إليه ، وإن تأخر عنه في تلك الحال اسـتدعى من موجدته واسـتجر من لائمته ما لا يزيله العذر إلا في المدة الطويلة**)) [3] .

ومن الآداب والسـلوك التي لابد للكُتَّاب التمسـك بها في حضـرة الخليفة الإجلال والإعظام ، والتوقير والإكرام ، وأن يتجنبوا التفاصـح والتعمق في مخاطبته ، وعدم الافتخار عليه بالبلاغة والبيان ، كما ينبغي عليهم تخفيض الصـوت في الحديث[4] ، ويتجنبوا السـعال والعطاس والبصـاق والأكل والشـرب[5] ، وينبغي أن يجعلوا بين ثيابهم شـتاء وصـيفاً جبة في قطن تمنع ظهور العرق ، وأن يواصلوا السواك ، واستعمال الطيب والبخور والتمضخ بالمسك ، فإن الملوك ترى أن من أغفل تعهد نفسه كان لغيرها أشد إغفالاً[6] ، وأن يتجنبوا كل ما يكرهه السلطان ويأبى شمه[7] .

وقد ذكر الصـابئ جملة من الآداب والسـلوك يجب على من حضـر مجلس الخليفة التقيد بها ، ولمّا كان الكُتَّاب من الملازمين للخليفة والسلطان كان لزماً عليهم إتباع هذه السلوك والآداب ومنها :

أن يقلل الالتفات إلى جانبيه ووراءه والتحريك ليده أو شـيء من أعضـائه أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه ، وأن يغض طرفه عن كلِّ مرأى إلا شـخص الخليفة وحده ، وأن لا يسـارَّ أحداً في مجلسه ، وأن لا يشير إليه بيده ولا عينه ، ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً يوصلاه إليه بين يديه إلا ما احتاج

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ،107/1-110 .
(2) صبح الأعشى ،111/1 .
(3) صبح الأعشى ،111/1 .
(4) القلقشندي : صبح الأعشى ،112/1-113 .
(5) الصـابئ : رسـوم دار الخلافة ، ص35 . رويدة رفقة : الكاتب في حضـرة الخليفة ، مجلة الفكر العربي المعاصـر ، العدد الأول ، آيار ، 1980م ، ص102 .
(6) الصابئ : رسوم دار الخلافة ، ص32 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 113/1 .
(7) الصابئ : رسوم دار الخلافة ، ص32-33 .

إلى قراءته عليه ، وأُذِن له فيه ولا يخاطب من يخاطبه في تعرف أمر منه ، أو إقامة حجة عليه ، إلا بأخف الألفاظ وأشدِّ الاستيفاء ، وأن يجعل وقوفه من أوَّل مدخله إلى حين مخرجه في موضع رتبته من غير أن يتجاوزه إلى ما فوقه أو دونه إلا أن يدعوه الخليفة إلى سرٍّ يقرب منه ، ولا يبرح مادام مكلّما له ومقبلاً عليه، ولا يقيم إذا فرغ مما بينه وبينه ، وأن يمتنع عن الضحك وإن جرى ما يوجبه ، فإن من كثر ضحكه سخفت هيئته ، ومن زاد مرحه سقطت هيبته ، وأن يتحرز من الحاجة إلى استثبات الخليفة في أمر يأمره به ، أو قول يورده عليه بفضل الإصغاء والاستماع إلى ما يخاطبه به ، فإنه بين إلا يفهمه فقد استعجم عليه ما يراد منه أو يستعيده فقد كلفه من الإعادة ما فارق فيه الآداب اللائقة ، وأن يتجنب حكاية تستحمل أو لفظاً يسترذل[1] ، وعليه أن يتجنَّب عنده القدح في أكفائه ونظرائه من بطانته ، والمقربين من حضرته ، ليكون ذلك داعياً إلى محبته والثناء عليه مكافأة له وإمساك الألسن عن الطعن فيه[2] .

ويروي الشيزري (589هـ/1193م) أن هناك آداباً يجب على من له صلة بالملوك أن يتبعها وهي امتداد لما ذكره الصابئ حيث قال ((**... لا تعد حديثك عليه ثانيةً ولا تصل حديثاً بحديث . فكان روح بن زنباع يقول : أقمت مع عبدالملك بن مروان سبع عشرة سنة من أيامه ما أعدت عليه حديثاً**))[3] .

ب ـ آدابهم مع الأكفاء والنظراء :

أما آدابهم مع الأكفاء والنظراء فيجب عليهم معرفة حقوقهم ومقابلتهم بالإكرام ، وجعلهم في أعلى المرتب ، وإنصافهم ، والغض عمن قصر منهم والمحافظة على ودهم . ينقل القلقشندي ما رواه علي بن خلف في ذلك ويقول : ((**ولا شك أن طريقة الاعتدال في ذلك الموافاة في الإخاء ، والمساواة في الصفاء ، ومقابلة كلِّ حال بما يضاهيها . أما المسامحة بالحقوق والإغضاء عمن قصَّر ، والمحافظة على ودِّ من فرط ، فلا خلاف في فضله والتمدُّح بمثله ، ولا سيما لمثل أهل**

---

(1) رسوم دار الخلافة ، ص34–35 . وقد أشار إلى هذه الآداب والسلوك بشكل مفصل ودقيق : الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، حققه وقدم له فوزي عطوي ، بيروت ، الشركة اللبنانية للكتاب ، 1970م ، ص75–76 . ابن الأزرق : بدائع السلوك ، 352/1–356 . الشيزري : المنهج المسلوك ، ص575–582 . ابن شيت : معالم الكتابة ، ص27–42 . العباسي : آثار الأول في ترتيب الدول ، 139/1–143 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ،113/1–114 .

(3) المنهج المسلوك ، ص575 ، وأيضاً الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، ص119–120 .

هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتزاء إليها عن حقوق القرابات الدانية ، والأنساب الراسخة . ولذلك وقع في كلام بعضهم ((**الكتابة نسب**)) . **والمعنى فيه أن تناسب الحاصل بين أهلها تناسباً نفسانياً لا جسمانياً يحصل عن تناسب الصور القائمة في نفوسهم بالقوة ، وعن تناسبها بعد خروجها وظهورها من القوة إلى الفعل ، بدليل ما نراه من اتفاق خواطرهم على كثير من المعاني التي يستنبطونها ، وتواردهم فيها**)) [1] .

ج ـ آدابهم مع الأتبـاع :

تعتبر لاحقة بعشرة الأكفاء عل حد قول علي بن خلف ، ويعلِّل ذلك بقوله : لأن الذين يستعين بهم الكُتَّاب يدعون كُتَّاباً ولا يدعون أعواناً ؛ لأن اسم الكتابة تجمع بينهم ، لهذا ينبغي أن يخصَّهم بمزيد من الرعاية ، والإكرام ، والملاحظة والاهتمام ، وأن يحرص على تفقد أحوالهم ومعرفة شؤونهم ، ليجعل خدمتهم خدمة رعاية ومودة لا خدمة خوف ورهبة ، وترك مناقشتهم ، والتضييق عليهم ، وتخصيص أوقاتاً لترفيههم وإدخال الراحة والصفاء إلى أذهانهم ، مع حفظ حقوق الصحبة والخدمة لهم ، وإعانتهم على ما فيه صلاح حالهم[2] .

د ـ آدابهم مع الرعيـة :

أما آدابهم مع الرعية فهو أمر عظيم في غاية الأهمية كما وضح ذلك علي بن خلف بقوله : ((**وهو أمر عظيم النفع ، جسيم العائدة ، قاض بالسلامة . إذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ، ونفورهم عنه ، وإن علت عند السلطان رتبته ، وارتفعت طبقته . وظن بنفسه الاستغناء عنهم**)) إذ ينبغي على الكُتَّاب الاهتمام بذلك والعناية بصلاح أمورهم ، والتعامل معهم بلين جانب وخفض جناح ، ودماثة أخلاق مع بسط وإيناس وتألف ، حتى تصبح لهم رتبة التوسط بين السلطان والرعية ، وحتى يسلموا أيضاً من الطعن ، ويبرؤوا من البغض والشحناء ، والحسد والإيذاء ويصفو بينهم التآلف والمودة [3] .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 114/1-115 .
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 116/1 .
(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 116/1-117 .

هـ ـ آدابهم مع من يمت لهم بحرمة :

أما آدابهم مع من يمتُّ لهم بحرمة ، فقد عدهم القلقشندي بقوله : ((**كالجار ، والقاصد ، والآمل ، والمدل بحق المفاوضة ، والمطاعمة والمحاضرة ، والسلام ، والمعرفة في الصبا ، والصداقة بين الآباء وغير ذلك من الحرم التي لا يطرحها أهل المروءات**)).

يشير علي بن خلف في ذلك قائلاً : **((وينبغي أن يوفيهم حقوقهم ، ... ويعينهم على ما يحدث لهم من نوائب الزمن ، ويسعد في بلوغ مطالبهم من سلطانهم ، لا يضّن عليهم بجاه ولا مال ، ولا يخيب أمل آملهم ولا قصده ، ويفرض لهم من إذعانه واعتنائه ما يعز جانبهم ، ويسهل مآربهم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ، ويبسط العدل والإنصاف عليهم ، فإنه إذا التزم ذلك لهم إلتزموا له الإعظام والإجلال ، وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه ، والاعتداد بأياديه ، وأشاعوا ذلك بين أمثالهم فاجتلبوا له مودتهم وتعصبهم له))** .

ويقول القلقشندي في ذلك : **((ومن تمام آداب الكاتب وكمالها أن يعرف حقوق مشايخ الصناعة ، وأئمتها الذين فتحوا أبوابها ، وذللوا سبلها ، وسهلوا طرقها ، ويعاملهم بالإنصاف فيما أعملوا فيه خواطرهم ، وأتعبوا فيه روياتهم فينزلهم منازلهم ولا يبخسهم حقوقهم . فمن آفات هذه الصفة على ذوي الفضل من أهلها أن القاصر منهم لا يمتنع من ادّعاء منزلة المبرز بل لا يعفيه من ادّعاء التقدم في الفضل عليه والمبرز في الفضل لا يقدر على إثبات نقص المتخلف))** [1] .

---

(1) صبح الأعشى 117/1 .

المبحث الثالث

الدور الحضاري للكُتَّاب

منذ أن عُلمت مكانة الكاتب في الدولة الإسلامية ، وأصبحت منزلته في الذروة من مراتب الدولة جاهاً وثراءً ، وصــار الكاتب من أقرب الناس إلى الخليفة ، يطلعه على الأســرار ويسـتشـيره في الأمور العظام . وأصبحت هذه المنزلة محل تنافس الأدباء يسعى لها كل من آنس من نفسه الكفاءة والقدرة لتقلّد هذا المنصب الخطير الذي لا يفوز به إلا ذو حظ عظيم ، بعد أن أهلته ثقافته وموهبته وقدراته ، فأخذ أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة والأهداف البعيدة يتطلعون إلى اليوم الذي يصـلون فيه إلى هذه المكانة[1] .

فقد مرت بنا تلك الشـروط والصـفات المطلوبة في الكاتب لينال هذا المنصـب ، حتى قال ابن منجب الصيرفي : ((**ويجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأسنى منزلة ، بحيث لا يوجد في عصره من يفوقه في هذا الفن ، فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي يكتب بها ، ورب كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى صاحبه عن الكتائب ..**))[2].

وهكذا بلغت منزلة الكاتب درجة عظيمة في المجتمع وفي الدولة باعتباره ممثلاً للأدباء لدى الحكّام بحيث لم يستطيع أن يساويه في هذه المنزلة شاعر أو خطيب ، وكانوا قديماً إذا أطلقوا كلمة ((كاتب)) لا يريدون غير كاتب الإنشاء ، في حين ظل الشعراء في موقف المستجدي للسلاطين والأمراء ، ولم يظفر واحد منهم – مع نباهة بعضهم وموهبته الفذة ومع حاجة الحكّام الملحة لشعرهم – بأي مركز إداري ، أو قيادي مهم[3] فالشاعر أبو تمّام لم ينل منصباً إدارياً أكثر من رئيس للبريد بالموصل قبل وفاته بسنتين[4] بينما توفي المتنبي وهو يتحسر على ولاية يجد فيها كرامته ويرضى بها كبرياؤه[5] .

في حين استطاع كثير من الكُتَّاب أن يبلغوا ، فوق ما تمنى الشعراء حيث كانت لهم الولايات ، واتخذ الحكام منهم الوزراء والمستشارين[6] .

(1) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص87 .
(2) قانون الرسائل ، ص100 . عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص87 .
(3) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص73 .
(4) الزركلي : الأعلام ، 165/2 .
(5) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص73 .
(6) عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص74 .

وتلمع في نطاق الكتابة شخصيات كانت مغمورة وتسمو أسر كانت خاملة تصل إلى الرتب العليَّة والمنازل السنية ، فقد شرفتهم الكتابة ورفعت قدرهم[1] .

ومن هذا المنطلق تعدُّ الكتابة فناً حضارياً إسلامياً له مكانة مرموقة في رحاب الحضارة الإسلامية ولذا أنشأت الحضارة أجيال من الكُتَّاب ذاع صيتهم في الآفاق ، وأصبح لهم دور في الثقافة العامة والفكر الحضاري الإسلامي[2] ، فبرز منهم جملة لا يزال التاريخ يحتفظ بأسمائهم لتقدُّمهم في البلاغة والفصاحة والترسل .

ففي عهد الرسول ρ اشتهر جماعة من الكُتّاب عرفوا بكُتّاب الوحي وعلى رأسهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فإن غابا كتب أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت كما اشتهر أيضاً معاوية بن أبي سفيان ، وعبدالله بن أبي السرح[3] ، فإن لم يشهد أحد هؤلاء الكُتّاب كتب غيرهم[4] .

وعموماً فأن الكتابة بين يدي الرسول ρ لشرف عظيم يسمو إليه صحابته رضوان الله عليهم ، لذلك يعدُّ زيد بن ثابت τ وبلا منازع من مشاهير الكُتَّاب في عهد الرسول ρ والخلفاء الراشدين إذ يعدُّ من ألزمهم جميعاً لكتابة الوحي ، مما جعله أكفأهم لتولِّي زمام الحركة العلمية في تاريخ الإسلام وهي التي هدفت إلى جمع القرآن وتدوينه في الصحف زمن أبي بكرτ أولاً ، ثم لتوحيد نسخته زمن عثمانτ فيما بعد[5] .

من مشاهير الكُتَّاب في عهد الرسولτ والخلفاء الراشدين :

زيد بن ثابت :

نسبه وحياته

هو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الخزرجي الأنصاري ، أمُّه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي . وقتل أبوه يوم بُعاث ، وكان زيد حينذاك ابن ست سنين ، فربي يتيماً[6] .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 69/1 .

(2) الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية ، ص241 ، 247 .

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص12–13 .

(4) الكتاني : التراتيب الإدارية ، 115/1 .

(5) المقداد : تاريخ الترسل ، ص62–63 .

(6) الذهبي : سير ، 426/2–427 . الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص96 .

قدم رسول الله ρ المدينة ، وكان لزيد إحدى عشرة سنة ، وكان قد تعلم سبع عشرة سورة ، فقرأ على رســـول الله ρ فأعجبه ذلك[1] وأكمل حفظ القرآن في حياة النبي ρ[2] وأمره رســـول الله ρ أن يتعلم لغة اليهود ، فتعلّمها في قرابة نصـــف شـــهر ، قال زيد : ((**حتى كتبت له عليه الصـــلاة والسلام إلى اليهود وأقرأته إذا كتبوا إليه**)) [3] .

وهو من كُتَّاب الوحي ومن قضـــاة هذه الأمة وفقهائها ، قال مســـروق : أصـــحاب الفتوى من أصحاب رسول اللهρ ستة : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد ، وأُبِّي ، وأبو موسى[4] .

وقد قال عنه رسول الله ρ : ((**أفرض أمتي زيد بن ثابت**)) [5] ، وهو أوَّل من ألّف في الفرائض[6] اشـترك في الغزوات مع النبي ρ ، وأول مشـاهده الخندق سـنة خمسـة هجرية[7]. أعطاه النبي ρ راية بني النجّار يوم تبوك أخذها من عمارة بن حزم ودفعها لزيد بن ثابت. فقال عمارة : يا رسول الله بلغك عني شيء ؟ قال : لا ، ولكن القرآن مقدّم[8] .

ورمي يوم اليمامة بسهم ، فلم يضره ، وتولى قسمة الغنائم يوم اليرموك ، وكان عمر τ يستخلف زيد بن ثابت إذا ســـافر . فقلّما رجع إلى المدينة إلا أقطعه حديقة من نخل[9] وكان عثمان τ يسـتخلفه أيضـاً على المدينة إذا حجّ ، روى عنه جماعة من الصـحابة منهم أبو هريرة وأبو سـعيد وابن عمر وأنس وســـهل بن ســـعد وســـهل بن حنيف وعبدالله بن يزيد الخطمي . وروى عنه من التابعين سعيد بن المسيب وولداه خارجة وسليمان والقاسم بن محمد وآخرون[10] . وكانت له مكانة عند كثير من الصـــحابة ، فروى عن الشـــعبي أنه قال: ((**ذهب زيد بن ثابت ليركب فأمســـك ابن**

---

(1) الذهبي : سير ، 2/428-429 .
(2) ابن سعد : الطبقات ، 2/355 . ابن حبيب : المحبر ، ص286 .
(3) ابن عبدالبر : الاستيعاب ، 1/543 . العسقلاني : الإصابة ، 1/543.
(4) العسقلاني : الإصابة ،1/544. الذهبي : سير ، 2/31 .
(5) الذهبي : سير ،2/31 . الأعظمي : كُتّاب النبي ρ ، ص97 .
(6) ابن عبدالبر : الاستيعاب ، 1/533 .
(7) الذهبي : سير، 2/310 .
(8) العسقلاني : الإصابة ، 1/543 .
(9) العسقلاني : الإصابة ، 1/543-544 .
(10) ابن عبدالبر : الاستيعاب ، 1/533 . العسقلاني : الإصابة ، 1/543.

عباس بالركاب. فقال زيد: تنحَّ يا ابن عم رسـول الله . قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء)) [1] . وتوفي سنة 45هـ/665م على أشهر الأقوال[2] .

دوره الحضاري في جمع وتدوين القرآن الكريم :

كان لزيد τ دوراً بارزاً في جمع القرآن وتدوين آياته ، ولكن في بداية الأمر لابد أن نشـــير إلى مراحل جمع القرآن والدور المهم الذي قام به زيد بن ثابتτ ، فلم يجمع القرآن الكريم في حياة الرســول ρ في كتاب واحد ، فعن زيد بن ثابتτ قال : ((**قبض النبيρ ولم يكن القرآن جمع في شيء**)) [3] ،ولكن بعض المسلمين كانوا يحفظون آياته عن ظهر قلب . فلما انتقل الرسول ρ إلى الرفيق الأعلى نلمح بداية حقيقية لإعادة التدوين وخاصة بعد حروب الردة والتي مات فيها كثير من حفظة القرآن ولم يكن هناك من يخلفهم [4]. لقد تردَّد أبوبكر الصـــديق τ بعد أن أشـــار عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب τ بجمع القرآن ، فتردد أبوبكر في جمعه وتدوينه وقال : كيف افعل أمراً لم يفعله رســـول اللهρ ، وبعد ذلك اقتنع أبوبكر برأي عمر بن الخطاب بتدوين القرآن وجمعه ، فلقد دخل عليه عمر وعرض عليه ذلك بقوله : إن القتل قد اســـتحر بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. ولم يزل عمر يراجع أبابكر حتى شـرح الله صـدره لذلك، فدعا زيد بن ثابت وكلَّفه بجمع القرآن في مجموعة واحدة ، فأخذ زيد يجمعه من مواد الكتابة المتعددة :

---

(1) العسقلاني : الإصابة ، 543/1 . وأيضاً عيسى : كُتّاب الوحي ، ص304 .

(2) العسقلاني : الإصابة ، 544/1 . ولما مات رثاه حسان بن ثابت حيث يقول :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ... ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت

العسقلاني : الإصابة 544/1 .

(3) ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410هـ/1989م 14/9 . السيوطي : الإتقان ، 63/1 .

(4) حمودة : تاريخ الكتاب الإســلامي، القاهرة ، مكتبة غريب ، د.ت ، ص101 . محمد ماهر حمادة : الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً ، ط1 ، الرياض ، دار العلوم ، 1404هـ/1984م ، ص66 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 25/2-27 .

كالعسب واللخاف ومن صدور الرجال[1] يعاونه في ذلك كل من أُبيّ بن كعب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم [2] .

وكان عمر بن الخطاب τ يقول : من تلقَّى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان[3] وبذلك استطاع زيد أن يجمع ما استطاع جمعه من الآيات والسور المدونة ، وكان يسأل ثقات الصحابة عما في صدورهم من القرآن حتى تم له تدوين وجمع القرآن ، وكان يحتاط لما نسخ من الآيات والسور ، وكان يراجع في هذه الصحابة حتى يستوثق له الأمر ، وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد أنه مكتوب حتى يشهد به من تلّقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ القرآن ، إلا أنه كان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط[4] ، وبعد أن تم جمع القرآن على هذا الشكل جمع أبوبكر الصحابة وقال : التمسوا له اسماً فقال : بعضهم سمّوه سفراً ، فقال أبوبكر سمّوه مصحفاً . فوافقوا على ذلك وقد تمَّت كتابة المصحف وشهدها أصحاب الرسول ρ في عهد أبي بكرالصديق والحفاظ منهم ووضع هذا المصحف عند أبي بكر .. وهو الذي أطلق عليه مصحفاً وبذلك نجد القرآن نقل إلينا بطريق التواتر قراءة وكتابة من وقت نزوله حتى الآن[5] .

وبعد أن أتمّ زيد بن ثابت تدوين المصحف في عهد أبي بكر واشترك معه عمر بن الخطاب اشتراكاً فعلياً في جمعه وتدوينه ، وكانت الصحف التي تكتب تودع عند الخليفة . وعندما مات عمر بن الخطاب وجدت الصحف عند أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها زوج النبي ρ [6] .

---

(1) السجستاني : المصاحف ، ص7 . السيوطي : الإتقان ، 163/1-164 . وقد قال أبوبكر τ لزيد بن ثابت حين أمره بجمع القرآن « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ρ ، فقال زيد : فوالله لو كفلوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمروني به من جمع القرآن » . ابن النديم : الفهرست ، ص 27 . السجستاني : المصاحف ، ص7. السيوطي : الإتقان ، 164/1 . جيدة : صناعة الكتابة ، ص37 .

(2) حمودة : تاريخ الكتاب الإسلامي ، ص102 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 26/2 .

(3) السيوطي : الإتقان ، 166/1 .

(4) حمودة : تاريخ الكتاب الإسلامي ، ص102-103 .

(5) السجستاني : المصاحف ، ص8 . وأيضاً حمودة . الكتاب الإسلامي ، ص103 .

(6) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبدالله (ت 794هـ/1391م) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق جمال الذهبي وإبراهيم الكردي ، ط2 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1415هـ/1994م ، 327/1-330 . السيوطي : الإتقان ، 168/1 .

ولما جاء عهد عثمان بن عفان τ أعاد النظر في أمر هذه الصــــحف التي كتبها زيد بن ثابت لجمع المسلمين على مصحف واحد ، حينما اختلفت ألسنتهم في قراءته ، ووقع بينهم خلاف بسبب اختلاف القراءات[1] ، وذلك لتعدد الأجناس إذ أن الإســـلام دخل أقاليم جديدة غير جزيرة العرب ، ودخل في الإســلام آخرون ، وخوفاً من التحريف والتصــحيف ومن ضــياع شــيء من القرآن[2] ، فأرســل عثمان τ إلى الســيدة حفصــة رضــي الله عنها لترســل إليه الصــحف حتى ينســخها في المصــاحف ، فأرســلتها إليه ، فكلّف زيد بن ثابت مرة أخرى وعبدالله بن الزبير وســعيد بن العاص بذلك ، وبعد ما انتهوا من نسخ المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى السيدة حفصة رضي الله عنها ، وأرســل إلى كلّ أفق مصــحفاً مما كتبوا وأمر بما ســواه من القرآن في كل صــحيفة أن يحرق فبعث المصـــــاحف إلى الأقطار الإســـــلامية ، وكان الغرض من ذلك منع الخلاف الذي بدأ يظهر بين المسلمين من جراء اختلافهم في القراءة[3] .

إن جمع القرآن الكريم يدل على أن الكتابة ارتبطت ولأوَّل مرة بكتابة القرآن الكريم[4]، لهذا أُحيط القرآن بسياج متين من المحافظة على نصـه محافظة بالغة[5] . وهذا من أسباب حفظه وإلا فإن الله تكفّل بحفظه (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)[6] . وقوله تعالى :(لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [7].

وممن اشتهر من الكُتَّاب في عهد الخلفاء الراشدين بقوة بلاغته وحسن فصاحته :

زياد بن أبيه :

نسبه ونشأته

وقد اختلف بعض الرواة في نسـبه ، فيذهب البعض إلى أنه زياد بن أبيه ، وبينما البعض الآخر ينسـبه إلى زياد بن سمية ، وزياد بن عبيد ، وزياد بن أبي سـفيان ويرجع سـبب الاختلاف في نسـبه

---

(1) أنظر ذلك مفصلاً في العسقلاني : فتح الباري ، 9/24-26 , وأيضا ابن الأثير : الكامل ، 85/3 .

(2) حمودة : تاريخ الكتاب الإسلامي ، ص103 .

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن،330/1. العسقلاني: فتح الباري ،24/9 . حمودة : تاريخ الكتاب الإسلامي، ص103-104.

(4) جيدة : صناعة الكتابة ، ص 38 .

(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 27/2 .

(6) سورة الحجر الآية (9) .

(7) سورة فصلت الآية (42) .

لعدم وجود أب يعرف به ، ولد بالطائف في السنة الثامنة للهجرة، وقيل في السنة الأولى . أمه سمية مولاة للطبيب الحرث بن كلدة الثقفي[1] .

ظهرت النجابة على زياد منذ حداثته فعرف بالفصاحة والدهاء ، والحزم والشدة ، وقد تطرَّق الجهشياري في حديثه عن زياد بن أبيه ، فلما نشأ استكتبه أبو موسى الأشعري وأصبح كاتباً له في عهد عمر بن الخطاب τ ثم استخلاف موسى على البصرة ثم استحضار الخليفة عمر له واختباره أسلوباً وسلوكاً وإعجابه بردوده المنطقية وسرعة بديهته، ولكنه يأمر بعزله ، فيقول له:((**يا أمير المؤمنين أعن عجز أم عن خيانة صرفتني. فيرد عليه: لا عن واحدة منها ، ولكني أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك**)) [2].

وقد عهد إليه عمر بن الخطاب τ في مهمة فأحسن القيام بها ، ولما عاد خطب في حضرة عمر τ ، وعنده المهاجرون والأنصار، فدهشوا لفصاحته ، وقال عمرو بن العاص وكان حاضراً : ((**لله درّ هذا الغلام ! لو كان أبوه قرشياً لساق العرب بعصاه ! فقال أبو سفيان : إني أعرف أباه . فقال عمرو: من هو ؟ قال : أنا هو**)) وبهذا القول تمسك معاوية حين استلحق زياد بن أبيه[3] .

أما في عهد عثمان بن عفان τ فاتخذه والي البصرة عبدالله بن عامر كاتباً له ثم بعد فترة يعزله[4] . ولما استخلف علي بن أبي طالب τ أرسل زياداً على فارس فأخمد ثورتها وضبطها وحمى قلاعها وأصلح الشعث ورأب الصدع معتمداً على مهارته السياسية الفائقة ، إذ ((**بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومنّاه ، وخوّف قوماً وتوعّدهم، وضرب بعضهم ببعض ودلّ بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة، وأقامت طائفة ، وقتل بعضهم بعضاً ، وصفت له فارس فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً، وفعل مثل ذلك بكرمان**)) [5] .

---

(1) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام حياتهم- وآثارهم- ونقد آثارهم- ، د.م ، دار مارون عبود ، 1979م ، 388/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 422/2 , ولمزيد من المعلومات عن ترجمته والتحقق من نسبه انظر : ابن سعد : الطبقات ، 70/7 . ابن قتيبة : المعارف ، ص176 . الطبري : تاريخ ،214/5 . ابن عبدالبر : الاستيعاب ، 548/1 . ابن الأثير : أسد الغابة ،215/2 . النووي : تهذيب الأسماء واللغات ،259/1 .

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ، 260/1 . الجهشياري : الوزراء ، ص19-20 . ابن عبدالبر : الاستيعاب ، 548/1 .

(3) البستاني : أدباء العرب ، 388/1 .

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 423/2 .

(5) الطبري : تاريخ ، 138/5 .

ويقال أن أهل فارس كانوا يقولون : ((**ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة**)) [1] .

وعندما صـــار العراق بيد عليτ جعل زياد بن أبيه على خراج البصـــرة وبيت المال[2] ولما قُتِل عليτ ظل على عهده لابنه الحسـن ، حتى إذا تحولت مقاليد الأمور إلى معاوية اعتصـم بفارس ، فكاتبه معاوية متوعداً ، ثم أخذ يتلطف له ووسّط لديه المغيرة بن شعبة الثقفي ، ذاكراً ما بينهما من الرحم ، ومازال به ، حتى دخل في طاعته . وفرح به فرحاً عظيماً ، إذ كان يعرف فضـله ، وأنه لا غنى له عنه في استصـلاح العراق ، ولما صـار إليه جمع الناس وصـعد المنبر وأجلسـه بين يديه وأشهد الحاضرين على نسبته لأبيه[3] ، ولم يلبث معاوية أن ولاّه البصرة وخراسان وسجستان سنة 45هـ/665م فأظهر من الحزم وحســن التدبير ما جعل معاوية يضـــم إليه الكوفة حين مات واليها المغيرة بن شعبة ، وبذلك أصبح زياداً والياً على العراق جميعه[4] .

وقد أخذ الفسّاق والجناة بالعنف والشدة ، وكان يخلط سياسته باللين ، ولم يكن يعمد إلى سفك الدماء إلا حين تعجزه الحيلة ، وقد اتبع سـياسـة ضـرب القبائل بعضـها ببعض حتى يشـغلهم عنه وعن الدولة . لقد كان سـياسـياً ماهراً بعيد النظر يحسـن تصـريف الأمور إلى أبعد غاية خطيباً لا يبارى في جودة خطابته ، يعرف كيف يصـوغ الكلمة صـوغاً تهش له الأسماع وتصـغي له القلوب والأفئدة[5] وقد قال عنه الشـعبي : ((**ما سـمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسـن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً**)) [6] .

وفاتـه :

أصـيب زياد بالطاعون فقضـى على حياته سـنة 53هـ /673م ، وزعموا أن السـبب في ذلك أنه كتب إلى معاوية : ((**إني قد ضـبطت لك العراق بشـمالي ، ويميني فارغة، فأشـغلها بالحجاز**))، فكتب له عهده على الحجاز ، فأنف أهل الحجاز من ذلك فاجتمع نفر منهم ودعوا عليه ، وكان من

(1) الطبري : تاريخ ، 137/5 .
(2) الطبري : تاريخ ، 543/4 . وأيضا الجهشياري : الوزراء ، ص23 .
(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 424/2 .
(4) الطبري : تاريخ ، 217/5 . البستاني : أدباء العرب ، 389/1 .
(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 424/2 .
(6) الجاحظ : البيان والتبيين ، 65/1 .

دعائهم: ((**اللهم اكفنا شر زياد**)) فخرجت طاعونة في أصبع يمينه . فلما حضرته الوفاة دعا شريحاً القاضي وقال ((**أمرت بقطعها فأشر عليّ ..**)) فقال شريح : ((**إني أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتلقى الله أجذم ويعيّرك ولدك ..**)) فقال : ((**لا أبيت والطاعون في لحاف واحد**)) وأراد قطعها ، فلما رأى النار والمكاوي جزع وعدل ، وقيل بل أتبع رأي شريح[1] فلما بلغ موته عبدالله بن عمر بن الخطاب قال : ((**اذهب إليك ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت**))[2]

آثاره الحضاري :

ومن آثاره خطب سياسية وإدارية ، متفرقة في كتب الأدب ، أشهرها الخطبة البتراء وهي أروع الخطب السياسية وسميت بالبتراء لأنها لم تبتدئ بالتحميد والتمجيد ، وقد قالها حين قدم البصرة والياً عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان ؛ وذلك في آخر ربيع الأول سنة 45هـ/ 665م ، وتحتوي هذه الخطبة على روائع الكلم وبديع الحكم ، وبيان سياسته في حكم العراق وما جاوره من بلاد فارس . فهي تفصح عن شخصية زياد القوية وبلاغته العالية [3] .

الكُتَّاب والكتابة في العصر الأموي :

وفي العصر الأموي اشتهر جملة من الكُتَّاب كانوا يختارون من أرباب الكلام وأصحاب البيان[4] ، وكان كل منهم يحاول أن يظهر براعته ومهارته وحذقه في تصريف الألفاظ وصياغة المعاني ، وهكذا تكونت طبقة كبيرة من كُتَّاب محترفين تتابعت أجيالهم على مرّ الزمن ، فقد كان لكل والٍ وقائد كاتب ، وأحياناً كان يتخذ الوالي في العمل الكبير أو الولاية الكبيرة طائفة من الكُتَّاب ، وكثيراً ما كان يطمح كُتَّاب الولايات إلى أن يلفتوا ببلاغتهم من يكتبون إليهم من الخلفاء ، حتى يعيّنوهم في دواوينهم[5] .

---

(1) الطبري : تاريخ ، 288/5–289 . وأيضاً البستاني : أدباء العرب ، 390/1 .

(2) البستاني : أدباء العرب ، 390/1 .

(3) الجاحظ : البيان والتبيين ، 61/2–62 . ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 241/1 . محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية عصر بني أمية ، ط2 ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1973م ، ص 256 .

(4) الخربوطلي : الحضارة العربية ، ص32 .

(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 466/2 .

واشتهر الحجاج بن يوسف الثقفي – في العصر الأموي – بأنه كان كثير التعهد لرسائل قواده ، حتى إذا لفتته رسالة ببلاغتها سأل عن كاتبها وطلب مثوله بين يديه[1] ، وكان إذا أعجبه كاتب وملأ نفسه ربما أرسل به إلى عبدالملك بن مروان ليسلكه بين كُتّابه كما صنع بمحمد بن يزيد الأنصاري[2] .

ولم يعرض علينا الجهشياري آثار هؤلاء الكُتَّاب إلا قليلاً ، فقد اكتفى بعرض أسمائهم موزعاً لهم على عهود الخلفاء ، وفي عهد كل خليفة يسرد أسماء كُتَّاب الولاة[3] .

ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان نجده يذكر من بين كُتَّابه عمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق لفصاحته وروعة منطقه وجهارة صوته وكان خطيباً لا يبارى[4] ولم يؤثر عنه شيء من الرسائل في عهد معاوية ، وقد روى له الجاحظ رسالة في عهد الخليفة عبدالملك حين خرج عليه ، إذ كتب إليه عبدالملك بن مروان يتوعده فأجابه عمرو بن سعيد بن العاص[5] .

وكان يتولَّى ديوان الرسائل لمعاوية وابنه يزيد عبيدالله بن أوس الغساني ، وروى له الجهشياري رسالة على لسان يزيد إلى عبيدالله بن زياد ليتخذ العدة في مقاومة الحسين بن علي حين نزوله العراق[6] . إضافة إلى ظهور زياد بن أبيه مرة أخرى في عهد معاوية ، وذلك لطول خدمته في مجال الكتابة ولشهرته بالفصاحة وحسن البيان ، وقد تحدثنا عنه فيما سبق .

وفي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ، نجد من بين كُتَّابه روح بن زنباع الجذامي ، وقد وصفه عبدالملك بأنه فارسي الكتابة[7] وروى له كلمة قالها لمعاوية وقد غضب عليه لأمر كان منه ، وهمّ به فقال له : ((**لا تشمتنّ بي عدوّاً أنت وقمته – أي قهره وأذلّه – ، ولا تسوءنَّ بي صديقاً أنت**

---

(1) الجاحظ : البيان والتبيين ، 387/1 . الطبري : تاريخ ، 187/5 . المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م) الكامل في اللغة والأدب ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1407هـ/1987م ، ص158 .

(2) الطبري : تاريخ ، 205/5 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 466/2–467 .

(4) الجاحظ : البيان والتبيين ، 315/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 467/2 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص24 ، 31 .

(6) الوزراء ، ص31 .

(7) الجهشياري : الوزراء ، ص35 .

سررته ، ولا تهدمنّ منّي ركناً أنت بنيته ، هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلي وإساءتي ؟)) فعفا معاوية عنه[1] .

وكان من بين كُتَّاب عبدالملك سليمان بن سعد الخشني – كاتب رسائله – الذي حول الدواوين من الرومية إلى العربية – كما مر بنا سابقاً – ولم تنص المصادر على ما كتب بين يدي الخلفاء. ومما لا شك فيه أنه كان من أرباب البلاغة والبيان وفي نقله الدواوين يدُّل على سعة ثقافته ، وعذوبة منطقه[2] .

ولقد اعتنى كُتَّاب العراق في عهد بني أمية بالرسائل عناية لا تقل عن عناية كُتَّاب دمشق ، ومما يؤثر من هذه العناية أن عبدالرحمن بن الأشعث قال لابن القرية كاتبه حين ثار على الحجاج : ((**إني أريد أن أكتب إلى الحجاج كتاباً مسجعاً أعرّفه فيه سوء فعاله وأبصِّره قبح سريرته ، وينفذ ابن القرية مشيئته ويرد عليه الحجاج برسالة مسجوعة))** [3].

وفي ذلك ما يدل دلالة صريحة على أن الكتابة السياسية أصبحت تقترن بها غايات بلاغية ، وكل كاتب يأتي من هذه الغايات بما يتفق وذوقه[4] .

وقد يُرَوى أن يحيى بن يعمر كان يكتب ليزيد بن المهلب في ولايته على خراسان للحجاج ، ولما انتصر يزيد بن المهلب على ملك الترك في باذغيس انتصاراً حاسماً أمره أن يكتب إلى الحجاج بالفتح فكتب: ((**إنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة ، وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرائر الأودية وأهضام الغيطان ، وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه**)) [5].

فعندما قرأ الحجاج هذه الرسالة قال : ما يزيد بأبي عُذرة هذا الكلام . فقيل له : إن معه يحيى بن يعمر ، فكتب إلى يزيد أن يُشخصه إليه ، فلما أتاه سأله عن مولده فقال له : الأهواز ، فسأله أنّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتها عن أبي[6] .

---

(1) الجاحظ : البيان والتبيين ، 315/1 . الجهشياري : الوزراء ، ص35 .
(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 468/2 .
(3) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص323 .
(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 469/2 .
(5) الجاحظ : البيان والتبيين ، 377/1 . المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ص158 . الطبري : تاريخ ، 187/5 . الجهشياري : الوزراء ، ص41 .
(6) الجاحظ : البيان والتبيين ، 378/1 . الجهشياري : الوزراء ، ص41 .

كان كُتَّاب الولاة والقواد يحبّرون رسائلهم، كلٌ حسب فصاحته وذوقه وقدرته السياسية. فكان ديوان الحجاج نفسه أشبه بمدرسة كبيرة يتخرج فيها الكُتَّاب على يد رئيسه صالح بن عبدالرحمن الذي نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية[1] – كما مرّ بنا سابقاً – يقول الجهشياري في هذا الصدد : ((**كان عامة كُتَّاب العراق تلامذة صالح ، فمنهم المغيرة بن أبي قُرَّة كتب ليزيد بن المهلب في ولايته لسليمان بن عبدالملك ، ومنهم قُحذمُ بن أبي سُليم وشيبة بن أيمن كاتب ليوسف بن عمر ، ومنهم المغيرة وسعيد ابنا عطية ، وكان سعيد يكتب لعمر بن هبيرة ، ومنهم مروان بن إياس كتب لخالد القسري ، وغيرهم**))[2].

ففي عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، نرى أن سالم مولاه يتولى له ديوان الرسائل ، فارتقى النثر الفني في عهده إلى أبعد غاية ، فالخليفة لم يعد يملي كتبه على كُتَّابه كما كان في السابق ، بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ، ثم يعرضها عليه[3] .

وعند الجهشياري نجد أن هشاماً كان يأمر سالم بالكتابة عنه إلى ولاته في الشئون التي تعرض له[4] وكان ابن النديم يعدَّه أحد الفصحاء والبلغاء أو أحد البلغاء العشرة عند العرب ، وكان سالم يجيد اليونانية ، وقد نقل عنها إلى العربية بعض رسائل أرسطاليس إلى تلميذه الاسكندر ، وقيل نقل له وأصلح هو ، ويقول عنه أيضاً أن له رسائل تبلغ نحو مائة ورقة [5] .

ولكن لم يصل إلينا من رسائل سالم غير رسالتين إخوانيتين قصيرتين[6] ومن هنا بدأت غلبة شخصية الموالي على الديوان[7] وبهذا يعد سالم أول كاتب ظهرت على يده صناعة الكتابة الإنشائية وتحويلها إلى فن له شرائطه وقيوده[8] .

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 470/2 .

(2) الوزراء ، ص39 .

(3) ابن النديم : الفهرست ، ص131 . نصّار : نشأة الكتابة ، ص129 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 470/2 .

(4) الوزراء ، ص62 ,

(5) الفهرست ، ص131 . نصّار : نشأة الكتابة ، ص129 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 470/2 .

(6) نصّار : نشأة الكتابة ، ص130 . ويروي الطبري رسالة مجهولة المؤلف صادرة من ديوان هشام بن عبدالملك إلى خالد بن عبدالله القسري والي العراق . تاريخ ، 142/2 .

(7) نصّار : نشأة الكتابة ، ص69 . عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص33 .

(8) أشرف محمد موسى : الكتابة العربية الأدبية والعلمية ، ص32 .

ففي عهد الخليفة مروان بن محمد نرى كاتبه عبدالحميد وبراعته الأدبية في صـــنع الرســائل وتنميقها ومن أشــهر آثاره الذائعة رســالته إلى الكُتَّاب ، فمما لا شـك فيه أن مهنة الكتابة كان لها الأثر الكبير في تجويد أسلوب عبدالحميد ، فقد كان الخليفة مروان يوكل إليه تحبير رسائله وتنميقها حتى اشتهر بالكاتب [1] .

وعلى كل حال فنظراً لبراعة عبدالحميد الأدبية ودوره في تطوير النثر الفني وشـــهرته التي ظلت مدوية على القرون ، يعتبر وبلا منازع من أشهر كُتَّاب الدولة الأموية .

عبدالحميد الكاتب :

وهو عبدالحميد بن يحيى بن سـعيد ، مولى العلاء بن وهب العامري ، وهو فارســي الأصــل ، ويقول أكثر من ترجموا له إنه من أهل الأنبار بالعراق ســكن الرقة ، واشـــتغل في أول أمره بتعليم الصبيان ، وأخذ ينتقل في البلدان المختلفة ، ثم التحق بديوان هشام بن عبدالملك ، وأعجب به سالم فأصــهر إليه ، ومازال به حتى خرّجه كاتباً لا يبارى ، وأخيراً صــار كاتب مروان بن محمد قبل أن يتولى الخلافة أيام ولايته على أرمينية ، فلما تولى الخلافة تقلّد رئاســة الديوان له ، وبقي مخلصــاً وفياً له ، حتى قتلا معاً في بلدة بوصير بمصر سنة 132هـ/750م[2] .

كان خصوم الأمويين يحسبون ألف حساب لكلمته ، حيث يروى أن أبا مسلم الخراساني ، حينما تلقى رسـالة من مروان بن محمد بقلم عبدالحميد ، خشــي إن هو قرأها أن تؤثر فيه فأحرقها قبل أن يقرأها وكتب على جذاذة منها إلى مروان[3] :

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى	**عليك ليوث الغاب من كل جانب**
فإن تقدموا نُعمل سيوفاً شخيدةً	**يهون عليها العتب من كل عاتب**

---

(1) أحمد علبي : الكتابة الديوانية ، ص30 .

(2) الجهشـــياري : الوزراء ، ص72-73 ، 79-83 . ابن النديم : الفهرســت ، ص131 ، ولكن ابن النديم ذكر أنه من أهل الشـــام ص131 . ولمزيد من المعلومات عن ترجمته انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ، 208/1 ، 251 ، 29/3 . ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 26/1 . المسـعودي : مروج الذهب ، 363/2 . قال الاصـطخري في عرض كلامه ، عن بلاد فارس « وأما من يصـلح من الفرس للدواوين من الكُتّاب والعمال والأدباء فإن فيهم عبدالحميد بن يحيى وكان له في بني أمية ولاء ينســب إليهم وكان من كتابته واستقلاله ما أغنى عن ذكره واشتهاره » . المسالك والممالك، ص88 .

(3) كرد علي : أمراء البيان ، 37/1 . البســتاني : أدباء العرب ،401/1-402 . ولقد كان أبو جعفر المنصــور كثيراً ما يقول ، بعد إفضـــاء الأمر إلى بني العباس : « غلبنا بنو مروان بثلاثة : بالحجاج ، وبعبدالحميد بن يحيى الكاتب ، وبالمؤذن البعلبكي » . الجهشياري : الوزراء ، ص81 .

بلاغته وأسلوبه :

يعتبر عبدالحميد أبلغ كُتَّاب هذا العصر وقد سماه الجاحظ في بيانه عبدالحميد الأكبر، ونصح الكُتَّاب أن يتخذوا كتابته نموذجاً لهم[1] .

كذلك يقول عبدربه في عقده: أن عبدالحميد أول من فتَّق أكمام البلاغة ، وسهل طرقها، وفك رقاب الشعر ، وضربت الأمثال ببلاغته[2] ، وفيه أيضاً يقول ابن النديم:((**عنه أخذ المترسِّلون ولطريقته لزموا ، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسُّل**))[3] .

ويشير البحتري إلى بلاغة عبدالحميد الكاتب في قصيدته إلى محمد بن عبدالملك حيث قال:

وتفننت في البلاغة حتى عطَّل الناس فنّ عبدالحميد

وقال ابن الرومي لأبي الصقر :

لو أن عبد الحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مذعناً وسناً

وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الحذق والبلاغة في التطفيل عبد الحميد في الكتاب

وقال أبو إسحاق الصابي :

أنسيتم كتباً شحنت فصولها ورسائلاً بفصول درّ عندكم منضود

نفذت إلى أطرافكم عبدالحميد بهنّ غير حميد

وقال إبراهيم عباس الصولي وقد ذكر عبدالحميد عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ما تمنيت كلام أحد من الكُتَّاب قط أن يكون لي إلا كلامه[4] .

وقد أجمع القدماء والمحدثين على قيمة عبدالحميد الكاتب ودوره في تطوير النثر العربي وتطويعه للتعبير عن المعاني المستجدة . يقول طه حسين : ((**وربما لم يوجد كاتب يعدل عبدالحميد فصاحة**

---

(1) البيان والتبيين ، 208/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 474/2 .

(2) العقد الفريد ، 206/2 ، وأيضاً أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، ط7 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1982م ، ص148 .

(3) الفهرست ، ص131 .

(4) كرد علي : أمراء البيان ، 35/1-36 .

لفظ وبلاغة معنى ، واستقامة أسلوب ، فهو أحسن من كتب العربية ومرنها ، وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة وتؤديها)) [(1)] .

كان عبدالحميد أول من أطال الرسائل ، وعمد إلى التأنق في مطلع رسائله وختامها وتوسّل في بدء الرسائل بعبارات التحميد الطويلة المتنوعة بحسب ما يقتضيه الحال[(2)] .

وهو أول من اتخذ التحميدات في فصول الكتب . فعبدالحميد الكاتب أول من أطال وجرى الناس بعده على أثره[(3)] ، وكما يقول أحد الباحثين في نثر عبدالحميد ((**ليس من المبالغة أن تصف نثر عبدالحميد بأنه من آداب الملوك ، لأنه في أكثر إبداعه كان ينشئ لهم وباسمهم وسلوكه معهم قد فرض عليه من التوازن في السلوك ، ومن الأناقة في الزي ، ومن الانتظام في الحركة ، ما يجعل نثره يمتاز بهذه السمات**)) [(4)] . ظلت شهرته مدوية على القرون حتى قيل : ((**فتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد**)) [(5)] وخلف مجموعة من الرسائل قدرها القدامى بألف ورقة[(6)] .

ولا يلفت عند عبدالحميد براعته الأدبية في صنع رسائله فحسب ، وإنما يلفت أيضاً أنه تحول بطائفة منها إلى رسائل أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، محاكياً في ذلك ما كان يعرفه من رسائل الفرس الأدبية التي أثرت عند الساسانيين والتي يُقال أنه كان أحد نقلتها إلى العربية[(7)] .

فقد مضى يحاكي هذه الرسائل لا محاكاة طبق الأصل ، وإنما هذه المحاكاة التي تنتهي إلى التمثل وصُنع الأعمال الأدبية من ذلك رسالته إلى الكُتَّاب[(8)] وهي رسالة عامة ليست موجّهة إلى

---

(1) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ط10 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1969م ، ص48–49 . ويقول الطبري : في بلاغته أيضاً : « وكان عبدالحميد من البلاغة في مكان مكين » تاريخ ، 182/6 .

(2) أحمد علبي : الكتابة الديوانية ، ص31 .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 228/3 .

(4) عبدالحميد يونس : الكاتب الأول عبدالحميد الكاتب ، مجلة الهلال ، السنة 81 ، العدد 9 ، 1973م ، ص68 .

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 228/3 .

(6) ابن النديم : الفهرست ، ص131 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 228/3 . ولكن لم يصل إلينا منها سوى رسالة ولي العهد ، ورسالة الشطرنج ، ورسالة الكُتّاب ، ورسائل أخرى قصيرة ، أوهي قطع من رسائل لم تبلغ إلينا تامة ، منها رسالة في وصف الإخاء ، ورسالة إلى أهله وهو منهزم مع مروان . البستاني : أدباء العرب ، 401/1 .

(7) الجاحظ : البيان والتبيين ، 29/3 . العسكري : الصناعتين ، ص69 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 474/2 .

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص73–79 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 85/1 . كرد علي : رسائل البلغاء ، ط3 ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1365هـ/1946م ، ص222–226 . يقول د. حسين نصّار عن هذه الرسالة : أنها ذات أهمية كبيرة

شخص معين أو كاتب بعينه ، وإنما هي موجّهة إلى هذه الطائفة التي أصبح لها كيان واضح في حياة الدولة . وقد وصف فيها عبدالحميد صناعة الكتابة وأهمية الكُتَّاب في تدبير الحكم وما ينبغي أن يتحلوا به من آداب ثقافية وأخرى خلقية وسياسية تتصل بالخلفاء والولاة والرعية[1] .

وأن الكتابة تحتاج إلى أدوات كثيرة ، ذكرها مفصلة ؛ ولابد بعد الاضطلاع بأعباء ما يلزم لها من العلوم أن يلم الكاتب بكل موضوع ولو إلماماً خفيفاً ؛ ومن أعظم ما في رسالته أن يسترشد الصغار منهم بالكبار الذين سبقوهم في هذه الصناعة ، ويتعهّدوهم ويعملوا بمشورتهم ، فلا عجب بعد هذا أن كانت لعبدالحميد من كتابته مدرسة خاصة[2] ، ولعبدالحميد بجانب هذه الرسالة رسالة في نصيحة ولي العهد ، كتبها على لسان مروان إلى ابنه وولّى عهده عبدالله ، لما وجهه إلى قتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي ، وقد استولى على الموصل وكورها سنة 127هـ/744م ؛ وقد انطوت هذه الرسالة على أغراض كثيرة يمكن إجمالها في موضوعين مهمين الأول : درس عظيم في تربية أبناء الملوك والعظماء وتلقينهم الأخلاق الفاضلة ، والثاني : وضع خطط حربية يسير عليها ولي العهد في قتال العدو[3] .

كذلك له رسالة الإخاء رواها ابن طيفور ، فقد مضى في هذه الرسالة يفصّل الحديث في معنى الإخاء وحاجة الأفراد إليه مبيناً دعائمه التي تكفل له البقاء وتجعل حياة الناس يعمُّها الصفاء وحسن العشرة[4] .

في نظر دارس الأدب العربي ، وخاصة حركة التأليف ، فهذه الرسالة تشمل جل إن لم يكن كل ما يطلب من الكُتَّاب ، كأنما تصنع القوانين التي يجب أن تسود على ديوان الرسائل ويخضع لها من يريدون دخوله ، فهي ترسم لهم الآداب الخلقية التي يجب أن يتحلوا بها ثم ترسم لهم الآداب الثقافية ، فتقسمها إلى ثقافة خاصة بالدين والفقه والتاريخ والحساب . وقد أثرت هذه النظرية المؤلفين بعد عبدالحميد فمنهم من أخذ فرعاً من هذه الثقافة ، فألف فيه ، مثل ابن قتيبة الذي تناول الناحية اللغوية في « أدب الكاتب » ومنهم من تناول الثقافة الخاصة مثل الصولي في « أدب الكُتَّاب» ، ومنهم من تناول الثقافتين العامة والخاصة مثل النويري في « نهاية الأرب في فنون الأدب » ومنهم من تناول الآداب الثقافية والآداب الأخلاقية جميعاً مثل القلقشندي في «صبح الأعشى » ويصرح القلقشندي في الفصل الذي عقده لآداب الكُتَّاب بالخليفة فيقول: « أصل هذه الآداب الذي ترجع إليه ، وينبوعها الذي تفجر منه ، رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب التي كتبها إلى الكُتّاب يوصيهم فيها » ولكن هذه الرسالة تعتبر ينبوع جميع ما احتوته تلك الكتب التي ألفها الأدباء في بيان ما يحتاج إليه الكُتَّاب، وإن كانوا في الحقيقة أضافوا بعض العلوم التي لم يفكر فيها عبد الحميد، مثل الجغرافيا والفلك وغيرها، ولكن كل تلك العلوم كانت من إيحاء عبدالحميد أيضاً. نشأة الكتابة، ص141 .

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 774/2 .

(2) كرد علي : رسائل البلغاء ، ص173–210 ، أمراء البيان ، 81/1 .

(3) كرد علي : أمراء البيان ، 53/1 .

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 475/2 .

لقد كان المستوى الرفيع الذي وصل إليه عبدالحميد في أدب الإنشاء ، خير دليل على الشأن الذي بلغه في طلب العلم ، مما يدل على كثرة إطلاعه وحفظه وسعة ثقافته من قدرته على الاستشهاد ، وحل معاني الشعر ، وطاقته العجيبة على الاستطراد والإفاضة ، واستعمال الألفاظ ، وتنويعها وتلوين العبارة[1] .

ولقد أعرب عن ذلك ابن خلكان حينما قال : ((**كان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إماماً**)) [2] ، ونرى أنه قد أتقن علوم اللغة وأجادها ، وأحاط إحاطة واسعة بالمفردات العربية واستعمالاتها المختلفة ، ولا شك أن ثقافة عبدالحميد اعتمدت على القرآن الكريم ، وقد ظهر تأثره بالقرآن في أسلوبه وفي الاستشهاد بالآيات[3] .

وقد قيل لعبدالحميد : ما الذي مكّنك من البلاغة ؟ قال : حفظ كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب τ[4] .

وقد أثر لعبدالحميد الكاتب شعراً ... إذ يروي الجهشياري له هذه الأبيات[5] :

ترحّل ما ليس بالقافل ... وأعقب ما ليس بالزائل ... ولهفي
فويلي من الخلف النازل! ... أُبكيّ ... على السلف الراحل! ... بكـ..اء
على ذا وأبكي لذا ... تبكي ... المولَّهـة الثّاكـل
من ابن لها قاطع ... فليست ... وتبكي على ابن لها واصل ... لها
تقتر من عبرة ... تــقضــت ... في الضمير ومن هامل ... الصبـا
غوايــاتُ سكــر ... ورِدّ التقّي عنن البـاطـل

ولكن يبدو أن الجاحظ كان سيء الرأي في شعر عبدالحميد ، حينما قال : ((**وكان عبدالحميد الأكبر ، وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا مالا يذكر مثله**)) [6] .

---

(1) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ص24–25 .
(2) وفيات الأعيان ، 228/3 .
(3) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ص25 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص82 .
(5) الوزراء ، ص81 .
(6) البيان والتبيين ، 208/1 .

ومهما يكن الأمر فلم تتوفر نماذج كافية من شعر عبدالحميد تمكن من الحكم له أو عليه[1].

علاقاته :

مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية :

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ويعد من أعاظم رجال الأمويين شهامة وحزماً وأدباً ، وكان يحب عبدالحميد حباً جماً ، ويرفع منزلته بين الكُتّاب والعمّال ، ولا يرى الدنيا إلا به لعلمه بنبوغه وتفرده في صناعته وذهابه بفضل البلاغة[2] .

فقد ظل عبدالحيمد في معية مروان بن محمد منقطعاً إليه أثيراً عنده ، ملازماً له ، وبالرغم من الأحداث التي مر بها الخليفة مروان بن محمد كان عبدالحميد الكاتب لا يفارقه حتى اختتم حياته بالخاتمة نفسها . وهكذا كان وفياً لمروان حتى الأنفاس الأخيرة من حياته . ولقد كان مروان يشعر بخطر شخصية عبدالحميد ، وأنه إن لجأ إلى خصومه فسيعرفون له مكانته ، ويكرمونه ، ويضعونه في المكان اللائق وقد عرض عليه فعلاً أن يفعل ذلك حينما تأزمت الأمور إيثار لحياته ولكن عبدالحميد ، رفض بإصرار أن يتخلى عن صاحبه وصديقه أيام محنته[3] .

وذلك ما رواه الجهشياري حيث قال : ((**لما قوي أمر بني العباس ، وظهر ، قال مروان لعبدالحميد : إنا نجد في الكتب ، أن هذا الأمر زائل عنّا لا محالة ، وسيضطر إليك هؤلاء القوم ، فصر إليهم ، فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي ، وفي كثير من أسبابي ، فقال له : وكيف لي أن يعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك ؟ وكلهم يقول : إني غدرت وصرت إلى عدوك ، وأنشد :**

أسرّ وفاءً ثم أظهر غدرة   فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرةٌ!

وأنشد أيضاً :

فذنبي ظاهرٌ لا عيب فيه   للائمة وعذري بالمغيب

(1) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ص42 .

(2) كرد علي : أمراء البيان ، 33/1 .

(3) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتّاب والموظفين ، ص33-35 .

ولما ســـمع ذلك مروان علم أنه لا يفعل ، ثم قال له عبدالحميد : الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك، وأقبحها بي، ولك عليّ الصَّبر معك إلى أن يفتح الله عليك ، أو أقتل معك)) [1].

لقد ضــرب عبدالحميد بهذا الموقف مثلاً أعلى في الوفاء ، بل في التضــحية بالنفس في ســبيل مروان بن محمد[2] .

علاقته بعبدالله بن المقفع :

كان عبدالحميد ، يعرف أقدار ذوي الأقدار من النابغين وبذلك انعقدت بينه وبين ابن المقفع صداقة متينة ، وقد كان ابن المقفع هو الآخر ، علماً من أعلام البلاغة[3] .

يروي الجهشياري ذلك بقوله : ((**وطلب عبدالحميد بن يحيى الكاتب ، وكان صديقاً لابن المقفع ففاجأهما الطلب وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليها: أيكما عبدالحميد ؟ فقال كل واحد منهما : أنا ، خوفاً من أن ينال صاحبه بمكروه ، وخاف عبدالحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع ، فقال : ترفقوا ، فإن فيّ علامات ، ووكلوا بنا بعضكم ويمضــي بعض يذكر تلك العلامات لمن وجّه بكم ، ففعل ذلك ، وأخذ عبدالحميد))** [4] .

عقبـه :

يقول ابن خلكان : أن لعبدالحميد ولد اســـمه إســـماعيل كان كاتباً ماهراً نبيلاً معدوداً في جملة الكُتّاب المشاهير[5] .

ويضـيف الجهشياري قائلاً:((**أنه كان لعبدالحميد عقب يسكنون مصر. ولكنه يقول : ولم يكن من أوائلهم من له نباهة ؛ فلما صار أحمد بن طولون إلى نواحي مصر ، اتصل به أربعة نفر من ولده ويعرفون ببني المهاجر ، وكانوا يكتبون قبله للحســـين الخادم ، المعروف بعرق الموت واســـتكتب أحمد بن طولون منهم الحســـن بن محمد بن أبي المهاجر وكان علي بن محمد أخوه**

---

(1) الوزراء ، ص79 ، وأيضاً البستاني : أدباء العرب ، 401/1 .
(2) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ص36 .
(3) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ص37 .
(4) الوزراء ، ص80 .
(5) وفيات الأعيان ، 231/3 .

أسن منه واستعان أحمد بن طولون أيضاً بأخويهما ، وكانا يكنيان بأبي القاسم ، وأبي عيسى ؛ وخصّوا جميعاً بأحمد بن طولون وغلبوا عليه ، واستحكمت ثقته بهم ، وكانوا من أنصب الناس وأشدهم انحرافاً عن بني هاشم))[1] .

ومن هنا نعرف أنه كان لعقب عبدالحميد شأن في مصر ، ولكن مما يلفت النظر أن الجهشياري ينفي أن يكون لأوائلهم نباهة ، بينما يذكر ابن خلكان – كما مر بنا – أن ابنه إسماعيل كان كاتباً ماهراً شهيراً ، بيد أننا لا نعرف شيئاً عن إسماعيل هذا ، لا عن شهرته ولا عن آثاره ، ويحتمل أن يكون شهرة إسماعيل في حياة والده قبل الانتقال إلى مصر ، وأن أوائلهم في مصر لم تكن لهم نباهة[2] .

وخلاصة القول : أن عبدالحميد الكاتب كان بعيد التأثير في الكتابة الفنية وأنه أدخل على النثر الفني ، من التطوير ، ما جعله بحق رائد مدرسة نثرية جديدة ، فهو وإن يكن قد استفاد من أعلام البلاغة قبله ، بدءاً بعلي بن أبي طالب τ ، وانتهاء بأستاذه سالم ، فقد أرسى قواعد جديدة للنثر الفني ، اتّبعها الكُتَّاب بعده عبر العصور[3] .

وهكذا يعتبر عبدالحميد الكاتب معلم من معالم التاريخ العربي الإسلامي وأن تلقيبه بالكاتب يؤكد أن مهنة الكتابة والاشتهار بها والتخصص فيها كانت في ذاتها مرحلة من مراحل التطور الحضاري في تاريخ الدولة الإسلامية[4] .

الكُتَّاب والكتابة في العصر العباسي :

لقد زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية ، والتقلبات السياسية ، كما زخر بالتطورات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال ، وقد كان لكل هذا فضلاً عن نضج العقول بالثقافة واتساع المدارك بالتجارب أثر واضح في تطوير الأدب بعامة ، والكتابة بصفة خاصة[5].

---

(1) الوزراء ، ص82–83 .
(2) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتّاب والموظفين ، ص40 .
(3) عبدالعزيز الرفاعي : من عبدالحميد الكاتب إلى الكُتّاب والموظفين ، ص45 .
(4) عبدالحميد يونس : الكاتب الأول عبدالحميد الكاتب ، ص65 .
(5) حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص75 .

وبذلك نشطت الكتابة في هذا العصر نشاطاً واسعاً ، فقد توفر عليها مئات من أصحاب الأقلام يحدوهم في ذلك ما كانت تدرّه عليهم من أرزاق واســـعة ، وكان من يظهر منهم مهارة في دواوين الخلافة ســرعان ما يرقى إلى رئاســة الديوان الذي يعمل فيه وقد تقبل عليه الدنيا فيصــبح رئيســاً لمجموعة من الدواوين ، وقد يصبح وزيراً للخليفة يسوس الدولة ويدبر أمورها وشئونها[1].

وعلى هذا النحو كانت الكتابة في هذا العصر الجسر الذي يوصل الشخص إلى أرفع المناصب ، وكان من يتقنها من الوزراء والقواد والولاة يلقى الإكبار والتقدير في كل مكان ، ومن أجل ذلك كثر الوافدون على أبواب الدواوين ، وخاصــة من الناشـئة ذوي المطامح البعيدة ، وكانوا يعرضــون أنفسهم فيمتحنون امتحاناً عسيراً ، تبحث فيه مهارتهم الأدبية والعقلية ، ومن جاز الامتحان ، أمرهم رؤســـاء الدواوين بملازمتهم ، ثم ضــــموهم إلى دواوينهم وترقوا بهم من حال إلى حال ، على قدر مهاراتهم حتى بلغوا بهم المنزلة التي يســـتحقونها ، وربما الحقوهم ببعض الولاة والقواد أو جعلوا لهم التصرف في بعض الأعمال أو بعض دواوين الخراج .ولم يكن نجاح الكاتب الناشئ هيناً ، فقد كان لابد له من إحسان صناعة الكتابة ، وهو إحسان جعله يتوفر على مادتها اللغوية والأسلوبية ، حتى يتقنها الإتقان المنشود من حيث الوضوح والجمال الفني ، أما الوضوح ، فلأنه كان يكتب غالباً إلى الرعية ولابد للرعية أن تفهم عنه ، وأما من حيث الجمال الفني ، فلأنه كان يكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد ، ولابد أن يروعهم ببيانه وبلاغته[2] وقد توقَّف الجاحظ مراراً في كتاباته يشيد ببراعتهم في القول وعذوبة آدائهم وطلاوة صـــــياغاتهم من مثل قوله : ((**إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى المخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السـبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي إذا صـارت في الصـدور**

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 465/3 .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب، 465/3-466 .

ومن الكتب التي اعتنت بهذا الموضوع :

غنية الكاتب وبغية الطالب لليحصـــبي ، ولطائف الكُتّاب للعيني ، والمعاني المخترعة في صــــناعة الإنشـــاء للمدائني ، والأفهام والإصــابة في مصــالح الكتابة (منظومة) للجعبري ، والإكليل في الإنشـاء ، وطبقات الكُتّاب للسـيوطي ، وعمدة الكُتّاب وعبرة ذوي الألباب للزجاجي ، وسـر البلاغة في الكتابة لقدامة بن جعفر ، وسـر الفصـاحة وأسـرار البلاغة للحاتمي . عائض الحارثي : ديوان الإنشاء ، ص63 .

عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني)) [1] .

وكان لابد لهم بجانب هذه القدرة البلاغية من أن يتقنوا طائفة من المعارف ، وفي مقدمتها علوم اللسان العربي وعلم الفقه ، وكان العلم الأخير ضرورياً لهم لأنهم كانوا يكتبون في شئون الخراج وفيما يجب على أهل الذمة أن يؤدوه من أموال ، وكذلك كان علم الحساب من الضرورة لهم بمكان ، وكانوا يلمون بكل علم مثل الكيمياء والطب والفلك ، وأكبّوا على الفلسفة والمنطق ليدعموا عقولهم . ولم يكن ذلك كل ثقافة الكاتب ، وقد قيل أن المادة الفارسية السياسية والأخلاقية المترجمة كانت من أهم المؤثرات في رقي الكتابة الديوانية وتطورها[2] .

وقد بدأ هذا التأثير منذ عبدالحميد الكاتب ولكنه لم يبلغ أشده إلا في هذا العصر العباسي إذ اتسع نقل الآداب الفارسية وكل ما أُثر عن ملوك الفرس ووزرائهم من عهود ووصايا ورسائل إلى العمال والولاة ، مما سالت مادته الغزيرة في كتابات الكاتب العباسي ، ولعل ذلك ما جعل الجهشياري يقدم لكتابه الوزراء والكُتّاب بتمهيد واسع عرض فيه لتدوين الفرس للدواوين ونظمها المختلفة ، متحدثاً في ثنايا ذلك عن كتب الأكاسرة إلى عمالهم ومقتبساً فصولاً عن سابور إلى ابنه ومن كلام أردشير وكلام أبرويز إلى وزرائه ووصيته لابنه شيرويه ووصية أردشير لوزرائه واستشارة سابور لوزيرين نابهين . وعرض الجهشياري لبعض رسائل أرسطاطاليس للاسكندر ، ولبعض وصايا الهند وحكمهم[3] .

وفي ذلك كله الدلالة الواضحة على مدى ما كان يأخذ به الكاتب العباسي نفسه من ثقافة سياسية وخاصة ما كتبه الفرس في وصاياهم وعهودهم[4] .

وكان لابد له من إلمام واسع بأخبار العرب وأشعارهم وكل ما يتصل بهم وبخلفائهم ، وكان أحياناً يحسن نظم الشعر ورصفه ويستشهد به في رسائله وكلامه ، وكذلك كان يحفظ القرآن الكريم

---

(1) البيان والتبيين، 24/4 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 466/3 .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 466/3 .

(3) الوزراء ، ص2–11 .

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 467/3 .

ويقتبس منه أحياناً وأحياناً يحاول مجاراة أســاليبه وما يجري فيها من حســن التأليف وحلاوة البيان وعذوبته وحتى الخط كان لابد للكاتب العباسي من إجادته[1] .

وفي هذا العصر نشطت الكتابة نشاطاً واسعاً ، فقد توفر عليها مئات من أصحاب الأقلام وكان من يظهر منهم مهارة في دواوين الخلافة ، ســرعان ما يرقى إلى رئاســة الديوان الذي يعمل فيه ، وقد يصبح وزيراً للخليفة يدبر أمور الدولة ويسوس شئونها ، فإن لم يصبح وزيراً أصبح والياً لإقليم من الأقاليم مثل الحسن بن البحباح البلخي الذي كتب للمهدي والهادي والبرامكة ، وقد ولي مصر في عصـــر الهادي والأمين[2] ، ومثل الحســـن بن رجاء كاتب المأمون الذي ولي فارس[3] ومثل عمران بن مهران كاتب الخيزران أم الرشيد وقد ولاّه مصر [4] ، وكان كثير من الولاة والقواد يحسنون الكتابة إلى أبعد غاية مثل جعفر بن محمد بن الأشعث والي خراسان للرشيد[5] ومثل طاهر بن الحسين قائد المأمون وواليه على خراسان[6] وابنه عبدالله بن طاهر والي مصر والشام والجزيرة ثم والي خراسان ومثل أبي دلف العجلي قائد المأمون[7] .

ويلمع طائفة من الكُتَّاب النابهين في مطلع هذا العصر ، وأول كاتب لمع اسمه عمارة بن حمزة كاتب السفاح والمنصور [8] .

ومن كُتَّاب المنصور مسعدة بن سعد بن صول أحد ملوك جرجان فيما يقال ، وكان يكتب أولاً لخالد بن برمك وزير المنصـــور ثم لواليه على فارس ، ولما اتخذ المنصـــور أبا أيوب المورياني ، وزيراً وقلّده الدواوين أقام مســـعدة على ديوان الرســـائل[9] يروي ياقوت ترجمته لابنه عمرو أن المنصور قال يوماً لكُتَّابه : اكتبوا لي تعظيم الإسلام ، فبدر مسعدة فكتب : ((**الحمد لله الذي عظّم الإسـلام واختاره وأوضـحه وأناره وأعزّه وأنافه وشـرفه وأكمله وتممه ، وفضّـله ، وأعزّه ، ورفعه ،**

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، 183/1 ، 219 ، 228 ، 234 ، 243-246 ، 319-353 ، 359-420 ، 28/3-38 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص194 .
(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 465/3 .
(4) الجهشياري : الوزراء ، ص218 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 78/2 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص179 .
(6) الجهشياري : الوزراء ، ص293 .
(7) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 465/3 .
(8) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 465/3 ، 468 . وسوف نتحدث عنه بشكل مفصل فيما بعد من هذا المبحث .
(9) ابن النديم : الفهرست ، ص139 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 469/3 .

وجعله دينه الذي أحبه واجتباه واستخصله وارتضاه ، واختاره واصطفاه ، وجعله الدين الذي تعتد به ملائكته وأرسل بالدعاء إليه أنبياءه وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه فقال جل من قائل: (إن الدين عند الله الإسلام)[1] وقال جل وعلا (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)[2] وقال (ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل)[3] فبهذا الإسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفروضاته ، وصلت ملائكته ورسله إلى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته وبه تحرزوا من غضبه وعقوبته ، وأمنوا نكال عذابه وسطوته فقال المنصور : حسبك يا مسعدة اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالإعذار والإنذار)) [4] .

ومن كُتَّاب المنصور أيضاً يوسف بن صبيح وكان يكتب في ديوان الكوفة لبني أمية ثم كتب لعبدالله بن علي عم المنصور في مطلع الدولة العباسية ، حتى إذا أخفقت ثورته على ابن أخيه واستتر بالبصرة عند إخوته لجأ يوسف إلى أصحابه من الكُتَّاب في ديوان المنصور ، فألحقوه به ويظهر أنه ظل يعمل في ديوان الخلافة ، حتى إذا كان البرامكة قربوه وكان ينتقل بين دواوينهم ودواوين الرشيد[5] ، ومن مأثور ما يروى له رسالة قصيرة كتبها عن عبدالله بن علي إلى ابن أخيه السفاح يعزيه على ابن له حيث قال : ((**أما بعد فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله جل وعز من كان إماما لخلق الله وخليفته لرسول الله فتعز أمير المؤمنين بفهمك ، وارجع في وعد الله جلَّ وعَّز من الصابرين إلى علمك**)) [6] .

ومن الكُتّاب لعهد المنصور جبل بن يزيد كاتب عمارة بن حمزة وفيه يقول صاحب الفهرست : ((**كان مترجماً وكان من معدودي البلغاء والبرعاء**)) [7]. وقد احتفظ له ابن طيفور في كتابه اختيار المنظوم والمنثور بطائفة بديعة من رسائله ، منها رسالة كتب بها إلى المهدي يعزيه عن أبيه ويهنئه بالخلافة ويظهر أنه كتبها عن عمارة بن حمزة ، وفيها يقول : ((**أعظم بالمصيبة مصيبة نزلت ،**

---

(1) اقتباس قرآني من سورة آل عمرآن الآية 19 .
(2) اقتباس قرآني من سورة آل عمرآن الآية 85 .
(3) اقتباس قرآني من سورة الحج الآية 78 .
(4) معجم الأدباء ، 128/16 .
(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 470/3
(6) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 9/3 .
(7) ابن النديم : الفهرست ، ص 132.

وأعظم بالنعمة نعمة حدثت ، وإن أحق من انتصـح لله في قضـائه واعترف بوجود حسـن بلائه من علم أن الفجائع أمر جرت به سـنن الله بين عباده تذكيراً وتحذيراً .. ولولا ذلك لم يكن لمعز أن يروم تعزية أمير المؤمنين ...)) [1].

ومن الكُتَّاب أيضـاً لعهد المنصـور غسـان بن عبدالحميد كاتب عمّه سـليمان بن علي[2]، وفي الفهرست أنه كتب لابنه جعفر بن سليمان على المدينة سنة 146هـ/763م ويقول : **((كان بليغاً حلو الكلام ، لطيف المعاني))** [3] واحتفظ له أيضـاً ابن طيفور بطائفة جيدة من رسـائله وأكثرها يدور في التعزية[4] .

وفي عهد المهدي كان بين كُتَّابه أبي عبيدالله معاوية بن يسـار[5] . وقد مرَّ بنا أنه تقلّد الوزارة للمهدي وفوّض إليه الدواوين ثم صرفه عن الوزارة واقتصر به على ديوان الرسائل . كان غزير العلم جذاب الحديث ، بارعاً في القول ، وقد روى له الجاحظ قوله : **((إلتماس السلامة بالسكوت أولى من إلتماس الحظ بالكلام ، وقمع نخوة الشـرف أشـد من قمع بطر الغنى ، والصـبر على حقوق النعمة أصعب من الصبر على ألم الحاجة ، وذل الفقر قاهر لعز الصبر ، كما أن عز الغنى مانع من الإنصـاف إلا لمن كان في غريزته فضـل كرم وفي أعراقه مناسـبة لعلو الهمة))** [6] . وقد اشتهر ببراعته في التحميدات التي كانت تصدر بها الرسائل والكتب[7] .

ومن البلغاء المجيدين الذين كتبوا في دواوين المهدي أيضـاً إسماعيل بن صـبيح ومطرف[8] ابن أبي مطرف العبدي الذي كان يتقلّد ديوان الخراج ، ويظهر أن أبا عبيدالله كان يسـتعين به من حين إلى حين في كتابة بعض الرسائل الديوانية : فمما أثر له رسالة إلى بعض العمال كلها إنذار وإعذار ونص هذه الرسالة موجودة في كتب الأدب[9] .

---

(1) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 129/3.
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص110 .
(3) ابن النديم : الفهرست ، ص139–140 .
(4) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 108/3–112 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص126 . ابن طباطبا : الفخري ، ص179 .
(6) الجهشياري : الوزراء ، ص156 .
(7) صفوت : جمهرة رسائل العرب 142/3–146 .
(8) الجهشياري : الوزراء ، ص166 . ياقوت : معجم الأدباء ، 72/16 .
(9) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 178/3–190 .

ومن الكُتَّاب الذين اشـــتهروا بالبلاغة في عصــــر المهدي ، محمد بن حجر كاتب ولاة أرمينية والشام ، واتخذه العباس بن محمد أخو المنصور كاتباً له[1] . وقد كتب عنه رسالة إلى المهدي حين جعل ابنه الرشيد ولي عهده بعد أخيه الهادي سنة 163هـ . وفيها يوثّق البيعة لولي العهد الجديد[2] .

وفي عهد هارون الرشـــيد يبرز يحيى البرمكي حيث يعتبر من أحد الذين جمع جمعاً رائعاً بين ثقافة العرب وثقافة الفرس . وقد تقلّد عدداً من المناصـــب الإدارية في الدولة ، حيث قلّده المهدي الكتابة لابنه فقد جعله ولي عهده ، والقيام على نفقاته وتدبير أمر الجيوش التي كان يقودها الرشـيد ضد الروم . وحسن أثره عنده إلى أقصى غاية حتى إذا ولي الخلافة قلّده أمور الرعية وسلّمه خاتم الخلافة يأمر وينهى ، كما يشـــاء ويســـتعمل على الولايات والأعمال ويعزل كما يريد ، ولم يلبث الرشيد أن ولى ابنه جعفراً على المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية وولى ابنه الفضل على المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك[3] .

وقد ســبق أن تحدثنا عن ذلك . وكان يحيى آية في البلاغة وفي الإيجاز ويروي الجهشـــياري بعض مآثر عن كلام يحيى البرمكي من مثل قوله : ((**البلاغة أن تكلم كل قوم بما يفهمون**)) وقوله لجعفر ابنه ((**يا بني انتق من كل علم شـيئاً فإنه من جهل شـيئاً عاداه وأنا أكره أن تكون عدو الشــيء من الأدب**)) وقوله : ((**الناس يكتبون أحســن ما يســمعون ويحفظون أحســن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون**)) وقوله : ((**العجب للسلطان كيف يحسن ، ولو أساء كل الإساءة لوجد من يزكيه ويشهد بأنه محسن**)) ، وقوله : ((**لست ترى أحداً تكبَّر في إمارة إلا وقد دلّ على أن الذي نال فوق قدره ، ولسـت ترى أحداً تواضـع في إمارة إلا وهو في نفسـه أكبر مما نال في سـلطانه**)) [4] . وكتب إلى الرشـيد لما نكبه وسـجنه رسـالة بليغة وفيها يقول : ((**ومن شخص أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه ، وخذله شقيقه ورفضه صديقه . ومال به الزمان ، ونزل به**

---

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص132 .

(2) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 3/147-148 .

(3) الطبري : تاريخ ، 8/333 . الجهشـياري : الوزراء ، ص177 ، 150 ، 168 . ابن الأثير : الكامل ، 6/44 . ابن كثير : البداية والنهاية ، 7/218 ، 220 ، 227 ، 230 ، 231 ، وعن بلاغته وبلاغة أبنائه انظر ابن عبدربه : العقد الفريد ، 5/58.

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 3/475 .

الحدثان ، فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا ، واكتحل السهاد بعد الهجود . ساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت . جزعاً لموجدتك يا أمير المؤمنين وأسفا على ما فات من قربك)) [1] .

وكان جعفر [2] لا يقل عن أبيه بياناً وفصاحةً وبلاغة ، وكان مثقفاً بمعارف عصره ثقافة واسعة وضمّه أبوه إلى أبي يوسف القاضي فعلّمه وفقهه حتى صار نادرة زمنه ، وحظي عند الرشيد حظوة كبيرة لم ينلها أحد قبله حتى قتله سنة 187هـ/802م . وكانت تضرب ببلاغته الأمثال ، ووصفه ثمامة بن أشرس فقال : ((**قد جمع الهدوء والتمهّل والجزالة والحلاوة وإفهاماً يغنيه عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لا يستغني جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة**)) [3] وله رسائل في كتب الأدب[4] .

ومن الكُتّاب الذين كتبوا في دواوين الرشيد والبرامكة إسماعيل بن صبيح وكان يكتب في أوّل حياته لأبي عبيدالله معاوية وزير المهدي ورئيس دواوينه . ولمّا ألحق المهدي يحيى البرمكي بابنه الرشيد اتخذه كاتبه ، حتى إذا ولى الهادي توسّط له عند وزيره إبراهيم الحراني فقلّده ديوان زمام الشام وما يليها ، ولما صارت الأمور بيد يحيى في عصر الرشيد قلّده ديوان الخراج ، ولم يلبث أن قلّده ديوان الرسائل وظل على هذا الديوان مدة في عصر الأمين[5] .

ومما يؤثر له رسالة عن الرشيد إلى جميع العمّال بما عقد بين ولديه الأمين والمأمون من العهد بعده وتعليق هذا العقد في بيت الله الحرام ، وفيها يقول : ((**قد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبدالله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أمّلت الأمة ومدّت إليه أعناقها ...**)) [6].

---

(1) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 68/5 . صفوت : جمهرة رسائل العرب 190/3-194 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 475/3 .

(2) الطبري : تاريخ ، 266/8 . الجهشياري : الوزراء ، ص204 ، 208 . ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 145/2 . ابن طباطبا : الفخري ، ص205 .

(3) الجاحظ : البيان والتبيين ،106/1 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 58/5 .

(4) صفوت : جمهرة رسائل العرب 164/3 .

(5) الجهشياري : الوزراء ، ص150 ، 168 ، 257 ، 277 ، 301 .

(6) الطبري : تاريخ ، 481/6 .

ومن الكُتَّاب البلغاء الذين اتصـــل عملهم في الدواوين من عهد المنصـــور حتى عهد الرشـــيد والبرامكة يوسـف بن صـبيح فيقول الجهشـياري : أن يحيى البرمكي أمره بالكتابة إلى الآفاق بتولية الرشيد[1] وقد قيل أن له رسالة عن الفضل بن يحيى في حاجة لشخص إلى أحد العمال[2].

ومن الكُتَّاب في عهد الرشيد والبرامكة أيضـاً محمد بن الليث وفيه يقول صـاحب الفهرست : ((**وكتب ليحيى بن خالد ويعرف بالفقيه وكان بليغاً مترسلاً كاتباً فقيهاً متكلماً بارعاً**))[3] .

ومن أروع من أثر عنه رسالته التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين السادس إمبراطور بيزنطة[4] ، وهي تمتدُّ إلى نحو سبعين صـحيفة ، وفيها يدعوه الرشيد إلى الإسـلام ، وقد أفاض ابن الليث في وصف رسالة الرسول ρ وما طُوِي فيها من الهدى للبشر وإنقاذهم من ظلمة الضلال ، كما أفاض في وحدانية الله ورسالات الأنبياء وهيمنة الإسلام وسلطانه على تلك الرسالات والرسالة أشبه بدفاع قوي عن الإسلام وشريعته[5] ، ويروى أن جعفر بن يحيى كتب إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه رسالة بديعة في الخط والقلم ، ونص هذه الرسالة في كتب الأدب[6].

وتدلُّ هذه الرســـالة على مدى احتفال الكُتَّاب باختيار الأقلام وبجودة الخط ، وأن يراعي الكاتب سن القلم من كتابة الحروف ، ولابد من أن يرعى التوازن في مدّات هذه الحروف ومطاتها . وبفضل محمد بن الليث وغيره من الكُتَّاب في العصــر العباســي تطوّر الخط العربي وارتقت صــناعته رقياً بعيداً[7] .

وكان يكتب لجعفر بن يحيى البرمكي أنس بن أبي شيخ ، وقد سلكه ابن النديم في البلغاء العشرة الأُول في العصـــر[8] ، وفيه يقول الجاحظ : ((**كان ذكياً فهماً نقي الألفاظ جيد المعاني حســـن البلاغة**))[9] . وعدَّه الرشـيد شـريك جعفر في إثمه حيث أذاقه نفس المصـير وصـلبه ويؤثر من

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص175 .
(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 477/3 .
(3) ابن النديم : الفهرست ، ص134 .
(4) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 217/3–274 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 478/3 .
(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 478/3 .
(6) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 195/4 .
(7) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 479/3 .
(8) الفهرست ، ص140 .
(9) الجهشياري : الوزراء ، ص239 .

تحميداته قوله : ((**الحمد لله الذي بالقلوب معرفته ، وبالعقول حجته ، الذي بعث محمد ρ أميناً فوفى له ، ومبلغاً فأدى عنه ، فحج به المنكر ، وتألف به المدبر ، وثبت به المستبصر ...**)) [(1)] .

ومن الكُتَّاب الذين اشتهروا في عهد الرشيد قمامة بن أبي يزيد وكان يكتب أولاً لصالح بن علي[(2)] ثم أصبح كاتباً للقاسم بن الرشيد[(3)] ثم اختص بعبدالملك بن صالح والي الرشيد على الجزيرة والشام ومصر. وسعى على عبدالملك إلى الرشيد وثبت كذبه فقتله صبرا سنة 178هـ/794م ، وكان لسناً فصيحاً بليغاً ، ومما أثر له قوله من رسالة وجهها فيما يبدو عن عبدالملك بن صالح إلى الرشيد : ((**كلُّ ما قبلنا وما يتناهى إلينا من ثغور أمير المؤمنين وأطرافه وبلاده أقصاها وأدناها في صلاح ذلك كله واستقامته وهدوءه على أفضل ما عوّد الله أمير المؤمنين فيه العلو والعافية ...**)) [(4)] .

وممن عرف في عصر الرشيد بالكتابة البليغة جعفر بن محمد بن الأشعث وكان الرشيد جعل ابنه الأمين في حجره ثم جعله في حجر الفضل بن يحيى البرمكي[(5)] ولاه على خراسان ثم صرفه عنها سنة 173هـ/789م[(6)] ، ويروى أن يحيى حاول أن يسند إليه بعض الأعمال فكتب إليه يستعفيه برسالة يقول فيها : ((**شكري لك على ما أسألك الخروج منه شكر من نال الدخول فيه ، فأما عذري في تطويل الكتاب إليك فلم يذهب . على أن وجوه الحوائج قد يكثر الكلام فيها وتشتد قراءتها ، وإن من الحق على الراغب الاكتفاء ببعض ما بلغ ، وإن نفسي حاشت بعظيم حاجتها**)) [(7)] .

---

(1) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 165/3 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص262 . ابن النديم : الفهرست ، ص139 .
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص265 .
(4) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 285/3-286 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص193 .
(6) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 72/2 .
(7) الجهشياري : الوزراء ، ص179 . العسكري : الصناعتين ، ص338 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 481/3 .

ومن الكُتّاب أيضاً عمر بن مهران كاتب الخيزران أم الرشيد[1] وقد ولاّه الرشيد على خراج مصر سنة 176هـ/792م ، وكان بعض أهلها قد اعتادوا المطل بالخراج وكسره ، فأحضر عمر أشدهم مدافعة وإلطاطاً – أي جحوداً ومماطلة – فاستمهله مدة ، فأمهله ، ثم طالبه ثانية ، فأقسم عمر أن لا يؤديه إلا ببغداد . وسرعان ما قدم له الخراج فلم يقبله منه ، وحمله إلى بغداد فأدّى الخراج بها ، وخاف الماطلون ، فأدّوا خراجهم ، وكتب عمر مع الرجل إلى الرشيد : ((**إني دعوت بفلان وطالبته بما عليه من الخراج فلواني – أي مطلني – واستنظرني – أي استمهلني وأجّلني – فأنظرته ثم دعوته فدافع ومال إلى الإلطاط ، فآليت أن لا يؤديه إلا في بيت المال بمدينة السلام وحمله ما عليه كذا وكذا، وقد أنفذته مع فلان ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إليّ بوصوله فعل إن شاء الله**)) [2].

وفي عصر الأمين تولى وزارته ورئاسة دواوينه كما أشرنا سابقاً الفضل بن الربيع[3] ، ويظل إسماعيل بن صبيح على ديوان الرسائل ، ويروي الطبري أنه لما عزم الأمين على خلع المأمون أشار عليه إسماعيل أن يكتب إليه بحاجته له للاستعانة برأيه ويسأله القدوم عليه ، فقال الفضل للأمين : القول ما قال يا أمير المؤمنين ، قال الأمين فليكتب بما رأى، فكتب الرسالة التالية : ((**من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبدالله بن هارون أمير المؤمنين ، أما بعد فإن أمير المؤمنين روّى في أمرك والموضع الذي أنت فيه من ثغرك وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة أي المساعدة على ما حمّله الله وقلّده من أمور عباده وبلاده ،...**)) [4].

ومن الكُتّاب البلغاء الذين عملوا في دواوين الأمين موسى بن عيسى بن يزدانيروذ[5] وقد احتفظ ابن طيفور برسالة إلى الأمين يتحدث فيها عن موسم الحج وسلامته ودعته ، والنص موجود في كتب الأدب[6] .

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص218 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 78/2 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 481/3 .
(2) الطبري : تاريخ ، 459/6 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 481/3 .
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص273 . ابن الأثير : الكامل ، 89/6 .
(4) تاريخ ، 11/7 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص289 .
(6) صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 294/3–295. شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 482/3 .

وسرعان ما يتولى المأمون الخلافة وفي عصره تبلغ الكتابة الديوانية الذروة المنشودة ، فقد تكاثر الكُتّاب البارعون وتكاثرت آثارهم[1] ، ومن هؤلاء البارعين الفضل بن سهل وأخوه الحسن وزيرا المأمون ، وكان سهل مجوسياً وأسلم على يد يحيى البرمكي وأصبح من أتباعه ، فأحضر له ابنيه الفضل والحسن ، فأعجب بهما يحيى وطلب إلى الفضل أن ينقل له كتابا من الفارسية إلى العربية فأعجب بنقله وجودة عبارته ووصله بابنه جعفر ووصل الحسن بابنه الفضل ، ولم يلبث جعفر أن ضَمّ الفضل إلى المأمون ، فأسلم على يديه وغلب عليه بحصافة رأيه وسعة عقله وبلاغته ، حتى إذا أنفذه أبوه إلى مرو أصبح أمر المأمون كله بيده . ولما احتدم النزاع بينه وبين الأمين وخلعه من ولاية العهد قام على تدبير أموره خير قيام ، من تنظيم للجيوش بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ، ومن حسن سياسة ودقة تصريف لشئون المأمون في ولايته حتى تمَّ له القضاء على أخيه وصارت له الخلافة[2] .

ورويت للفضل كلمات كثيرة مأثورة ، ومما رُوي له من رسائله الرسالة التالية وقد وجَّه بها مع جائزة منحها لبعض خاصَّته ، وفيها يقول : ((**وقد وجهت إليك بجائزة لا أعظمها تكثراً ، ولا أقلِّلها تجبراً ، ولا أقطع لك بعدها رجاء ، ولا أستثيبك عليها ثناء**)) [3] .

أما الحسن أخوه فقد ولاّه المأمون دواوين الخراج في سنة 196هـ/811م[4]، وفي سنة 198هـ/813م ولاه المأمون جميع ما افتتحه طاهر بن الحسين من البلدان [5]، ولما مات أخوه الفضل اتخذه وزيراً بعده ، حتى إذا تزوج ابنته بوران سنة 207هـ/822م طلب منه أن يعتزل الوزارة ، فأعفاه [6]. وظلَّ وافر الحُرمة حتى توفى بسرخس سنة 236 هـ/850م[7]. وكان لا يقل عن أخيه

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 483/3 .

(2) الجهشياري : الوزراء ، ص229 ، 230–231 . الخطيب : تاريخ ، 339/12 سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، 114/6 . ابن طباطبا : الفخري ، ص221 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 172/2 .

(3) الخطيب : تاريخ ، 342/12 .

(4) الطبري : تاريخ ، 8/ 424 .

(5) الطبري : تاريخ ، 527/8 . مسكويه : تجارب الأمم ، 418/6–419 .

(6) ابن طباطبا : الفخري ، ص 222–223 .

(7) الخطيب : تاريخ ، 319/7–323 .

لسنا وبلاغة ، وله رسالة بديعة كتب بها إلى محمد بن سماعة قاضي بغداد في اختيار شخص يتولَّى بعض أموره وقد وصف له فيها الخصال التي ينبغي أن يشتمل عليها[1].

حيث قال : ((**أما بعد فاني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ذي عفة ونزاهة طعمه – أي مكسب– وقد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، ليس بظنين في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قُلَّده مهمًا من الأمور أجزأ فيه ، له سن مع أدب ولسان ، تقعده الرزانة ، ويسكنه الحلم ، قد فُرّ – أي اختبر – عن ذكاء وفطنة، وعض على قارحة – أي تجربة ناضجة – من الكمال ، تكفيه اللحظة، وترشده السكتة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها وقام في أمورهم فحمد فيها. له أناة الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدةٌ ، مضطلعٌ – أي ناهضٌ – بما استنهض ، مستقلٌ – أي محتمل في قوة – بما حمل . وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياده ، ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأتيك))** [2]

ومن الكتَّاب الذين برزوا في دواوين المأمون أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة[3]. وكان وراءهما كثيرون لم يبلغوا مبلغيهما في الشهرة منهم محمد بن يزداد ((**وكان بليغاً مترسلاً شاعراً**)) وله رسائل مجموعة[4] ومنهم محمد بن سعيد[5] ، ومنهم علي بن عبيدة الريحاني الكاتب وكان أدبياً فصيحاً بليغاً صنف الكتب في الحكم والأمثال واختص بالمأمون[6].

وفي عصر المعتصم والواثق وفيه يتألَّق في الكتابة البليغة اسم ابن الزيات وزيرهما[7] وممن اشتهر ببلاغته حينئذ إبراهيم بن العباس الصولي وقد عمل في دواوين المأمون وتولى الأهواز حينا من الزمن وعزله عنها ابن الزيات فوجه إليه باستعطافات طريفة وكان يكتب للمعتصم على ديوان

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 484/3 .

(2) القالي : أبو علي اسماعيل القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/966م) الأمالي ، د.م ، د.أ ، د.ت ، 249/1.

(3) سوف نتحدث عنهما بشكل مفصل فيما بعد من هذا المبحث.

(4) ابن النديم : الفهرست ، ص179.

(5) ابن النديم : الفهرست ، ص139.

(6) ابن النديم : الفهرست ، ص133. ابن تعزى بردي : النجوم الزاهرة ، 231/2.

(7) شوقي ضيف : تاريخ الأدب 487/3–488.وسوف نتحدث عنه بشكل مفصل فيما بعد من هذا المبحث .

الرسائل عبد الله بن الحسن الأصبهاني ، ويروي صاحب الأغاني أنه كتب عن المعتصم إلى قائده وواليه على أرمينية خالد بن يزيد بن مزيد: ((**أن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فحم ، ويخاطب أمرءاً غير ذي فهم**)) . **فقال محمد بن عبد الملك الزيات : هذا كلام ساقط سخيف جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد. وأبطل الكتاب. ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر:** ((**وأنت تجرى أمرك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان**)) **فقال عبد الله الأصبهاني : الحمد الله! قد أظهر من سخافة اللفظ ما دلّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة ، بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال. فضحك المعتصم وقال :** ((**ما أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد ، وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه**))[1] .

واستخدم ابن الزيات بعده على ديوان الرسائل الحسن بن وهب، وهو من بيت قديم في الكتابة إذ خدم أجداده في دواوين الأمويين، حتى إذا آلت الخلافة إلى العباسيين توالى أجداده يعملون في دواوينهم، وقد كتب جده سعيد وأبوه وهب للبرامكة، وعمل وهب في دواوين الفضل بن سهل وأخيه الحسن وتوفي قبل دخول المأمون بغداد، وعمل ابنه سليمان في دواوين المأمون. ولا شك أن الحسن أخاه هو الأخر اشتغل في تلك الدواوين، وعرف ابن الزيات حذقه في الكتابة فاسند إليه ديوان الرسائل، ونهض به خير نهوض[2]، ويقول ابن النديم: ((**كان شاعراً مترسلاً فصيحاً وأحد ظرفاء الكُتَّاب، وله ديوان كتاب رسائله**))[3]. وقد عاش شطراً في العصر العباسي الثاني، ولكنه أبعد عن الديوان، أما نشاطه الكتابي إنما كان في وزارة ابن الزيات وعصر المعتصم والواثق، ومع ذلك ليس له رسائل ديوانية سوى ما تبادله مع ابن الزيات في المودة والتزاور والشكر، وهما تارة يتكاتبان شعراً وتارة يتكاتبان نثراً، وله بجانب ذلك بعض الرسائل في التعزية[4].

وهذه الرسالة تدلُّ على مقدار بلاغته وحسن بيانه حيث قال : ((**من شكرك على درجة رفعته إليها ، أو ثروة أفدته إياها ، فإن شكري لك على مهجة أحييّتها وحشاشة أبقيتها ، ورمق**

(1) الاصفهاني : الأغاني ، 49/20.
(2) ابن النديم : الفهرست ، ص136 ، وأيضاً ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 415/2-416. شوقي ضيف : تاريخ الأدب، 488/3-489.
(3) الفهرست ، ص136.
(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 489/3.

أمســـكت به وقمت بين التلف وبينه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد ينتهي إليه ، ومدى يوقف عنده ، وغاية من الشـكر يسـمو إليه الطرف ، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصـف ، وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كلِّ غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منك إلى ظلّ ظليل وكنف كريم ، فكيف يشكر الشاكر وانىّ يبلغ جهد المجتهد))[1].

لقد اشـتهر جملة من كُتَّاب الدولة العباسـية نظراً لمكانتهم الأدبية وبلاغتهم وقوة فصـاحتهم وما أُثر عنهم من إسهامات كان لها دور في مجال الحضارة الإسلامية وهم :

1- عبدا لله بن المقفع:

الكاتب الأديب، والمنشئ الأريب، عبد الله بن المقفع، الفارسي أصلاً المجوسي ديناً، العربي ولاء ونشأة[2].

ولد بمدينة جور [3] وهي أحدى مدن الأهواز الجميلة ، الغنية بمناظرها الطبيعية...، ولما شـــبَّ انتقل مع أبيه داذويه إلى البصــــرة حيث اســـتقر ولاؤه في بني الأهتم [4]. وكان أبوه يتولّى خراج

(1) ابن عبدربه : العقد الفريد ، 233/4. شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 489/3.

(2) حجاب : بلاغة الكُتَّاب ، ص203 ، يقول عنه طه حسين أنه : زعيم كُتَّاب الفرس والعرب ، من حديث الشعر والنثر ، ص29.

(3) الجهشياري : الوزراء ، ص109.

(4) حجاب : بلاغتة الكُتَّاب ، ص203. البستاني : أدباء العرب ، 136/2-137.

فارس لعمال بني أمية على العراق ، وظهرت عليه خيانة في أموال الدولة ، فضربه الحجاج ضرباً مبرحاً تفقّعت منه يده ، فسمّي من حينئذ المقفع[1] ولم يسلم ، بل مات على دينه[2].

أما تاريخ ولادته فلم تشر المصادر إلى السنة التي ولد فيها ، والصحيح أنه من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وأنه مات مقتولاً في خلافة المنصور سنة 142هـ/759م ، لهذا اختلف الباحثون ، واغلبهم اتفق على أنه ولد سنة 106هـ/724م في خلافة هشام بن عبد الملك على حد ما ذكر ابن النديم من أنه ((**كان يكتب لداود بن عمر ابن هبيرة**))[3] في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وهذه العبارة تناقض ما ذكره الجهشياري حيث أشار إلى أنه كان يكتب لدواوين عمر بن هبيرة[4] وهذا هو الصواب[5].

نشأته وحياته

انتقل إلى البصرة وهو صبي ، واهتم والده بتربيته التي لم تقف عند حد العربية ، بل كان له حظ عظيم من الثقافتين الفارسية واليونانية[6] ، فضلاً عن ذكائه وموهبته التي أهلته أن يلمع في ميدان الكتابة ، فقد تقلّد بعض الولايات بدجلة في خلافة سليمان بن عبد الملك[7]، ولما ذاع صيته ، ألحقه عمر بن هبيرة بدواوينه بكرمان[8]، ومن بعده كتب لابنه يزيد وكان يومئذ والي العراق من قبل

---

(1) ابن النديم : الفهرست ،ص132. كرد على : امراء البيان ، 86/1 ، ولكن ابن مكي الصقلي ربما أنفرد برواية قال فيها : "أن ابن المقفع بكسر الفاء من حيث الصواب لا فتحها كما هو شائع ، وذلك لاشتغال أبيه بصنع القفاع وبيعها" تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، القاهرة ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، 1386هـ/1996م ، ص139. جورج غريب ، عبد الله بن المقفع دراسة في الأدب والتاريخ ،ط4 ، بيروت ، دار الثقافة ، 1981م ، ص18. وقد نقل ابن خلكان هذه الرواية عن ابن مكي ، كما ذكرها أيضاً البغدادي من غير سند والقفاع مفردها القفعة مستديرة الشكل بدون عروة ، وهي تعمل من الخوص ويسميها الناس "القفة" . الصقلي: عمر بن خلف مكي (ت501هـ/1107م) تثقيف اللسان ، ص139. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 155/2. البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/1682م) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط2 القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1409هـ/1989م ، 178/8.

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 507/3.

(3) الفهرست، ص132.

(4) الوزراء، ص109.

(5) حجاب : بلاغة الكُتَّاب، ص204، غير أن د. أحمد علبي يقول : أن المحققون لكتاب "الوزراء والكتاب" يذكرون أن ابن المقفع "كان يكتب لدواوين عمر بن هبيرة" وهذا وهم ،إذ الصحيح بدل "لدواوين" هو "لداود بن" . الكتابة الديوانية ، ص27.

(6) طه حسين من حديث الشعر والنثر ، ص46.

(7) البلاذري: فتوح البلدان ، ص335.

(8) الجهشياري : الوزراء ، ص109.

مروان بن محمد فلمَّا توفي كتب لأخيه داود [1]. وكان ابن المقفع صـــــديقاً حميماً لعبد الحميد كما مرَّ بنا سابقاً ، كاتب الخليفة مروان بن محمد وكلاهما كان وفياً لصاحبه إلى حد الإيثار.

فلما جاء العهد العباسي ، لقي الموالي فيه كل إجلال وتقدير. فاتصل ابن المقفع بأعمام الخليفة المنصـورحيث كتب لسـليمان بن علي عم المنصـور وواليه على البصـرة ، وكتب لعيسـى بن علي والي الأهواز وعلى يديه أعلن أسـلامه ، وتكنى بأبي محمد ، ويقال أنه حين حاول اعتناق الإسـلام طلب إليه عيســـى أن يؤجِّل ذلك إلى الغد حتى يكون إعلان إســـلامه في حفل عظيم، وحدث أن حضر طعام العشاء ، فلاحظ عيسى أنه يأكل ويزمزم أو قيل يدعو بأدعية المجوس ، فسأله عيسى : أتصـنع ذلك وأنت على نية الإسـلام ، فأجابه: كرهت أن أبيت على غير دين . وظل بعد إعلانه الإسلام يعمل في دواوينه[2].

ويشير الرواة إلى أنه كان يحرض عبد الله بن علي عم المنصور وواليه على الشام إذ أعلن ثورته عليه ، غير أن جيوش المنصـور هزمته ، ففر إلى أخويه سليمان وعيسـى ، فطلبه المنصـور منهما ، فأبيا أن يسـلماه إليه إلا إذا كتب له أماناً ، فقبل ما عرضـــاه ، وكلفهما كتابته ، فأمر ابن المقفع أن يكتبه ، فكتبه ، وتشـدّد فيه تشـدداً أغضـب المنصـور وأحفظه وملأه موجدة ، إذ طلب إليه أن يكتب في أســـفل الأمان هذا التوقيع: ((**وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدمه معه بصــغير من المكروه أو كبير ، أو أوصـلت إلى أحد منهم ضـرراً سـرّاً أو علانية ، على الوجوه والأسباب كلها ، تصريحاً أو كناية أو بحيلة من الحيل ، فأنا نفيّ من محمد بن علي بن عبد الله ، ومولود لغير رشـــده ، وقد حل لجميع أمة محمد خلعى وحربى والبراءة منى ، ولا بيعة لي في رقاب المســـلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي وإعانة من ناوأني من جميع الخلق ، ولا موالاة بيني وبين أحد من المســـلمين . وهو متبرئ من الحول والقوة ، ومدّع إن كان ، أنه كافر بجميع الأديان ، ولقى ربه على غير دين ولا شريعة ، محرَّم المأكل والمشرب**

---

(1) حجاب: بلاغة الكُتَّاب ، ص204 –205 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 507/3.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 151/2. كرد على : أمراء البيان ، 88/1. شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 507/3–508 البستاني : أدباء العرب ، 140/2–142.

والمناكح والمركب والرِّق والملك والملبس على الوجوه والأسباب كلها وكتبت بخطيِّ ، ولانية لي سواه ، ولا يقبل الله مني إلا إياه ، والوفاء به)) [1].

ولما قرأ أبو جعفر المنصور الأمان تميز من الغيظ وسأل عن كاتبه، فقيل له: ابن المقفع كاتب عيسى بن علي، فقال: ((**فما أحد يكفينيه؟ وأوعز إلى سفيان بن معاوية المهلبي عامله على البصرة حينئذ أن يقتله، وتصادف أن كان يضطغن عليه، فأنتهز فرصة قدومه إليه ذات مرة ، وأمر بتنور ، فملئ وقوداً حتى إذا حميت ناره أخذ يقطعه جزءاً جزءاً ويرمي بكلّ جزء في التنور حتى أتى عليه . ويقال أن المنصور إنما أمر بقتله لما ثبت عنده من زنَّدقته وكيده للإسلام))** [2].

ويبدو أن التعليل الأول لمقتله هو الصحيح على حد قول شوقي ضيف لمَّا صعَّب في صيغة الأمان على المنصور تصعيباً امتهن فيه كرامته ووطئها بالأقدام ، إذ طلب إليه أن يكتب بخط يده أنه إن غدر بعمه أو بأحد ممن معه فنساؤه طوالق وعبيده أحرار ودوابه محرَّمة عليه والمسلمون في حل من بيعته بل عليهم أن يحاربوه حتى يعطي عن يد وهو صاغر ، وأيضاً فانه إن فعل يكون كافراً خارجاً من جميع الأديان . فكان طبيعياً أن يثور المنصور لكرامته وأن يوعز إلى سفيان بقتله ، ويقول الجاحظ أن ابن المقفع أغرى عبدالله بن علي بالمنصور ، ففطن له وقتله ، وأغلب الظن أنه لا يريد بإغرائه لعبد الله بن علي سوى صيغة هذا الأمان المشئوم[3].

وأختلف الرواة في السنة التي قُتل فيها سنة 142هـ/759م وقيل سنة 143هـ/760م وقيل سنة 145هـ/762م[4].

إسلامه :

---

(1) الجهشياري : الوزراء ، ص104 . بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص184.

(2) ابن الوطواط : أبو إسحاق برهان الدين الكتبي (ت 718هـ/1318م) غرر الخصائص الواضحة وعر النقائض الفاضحة، بيروت، دار صعب، د.ت ، ص412 . طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص46-47. شوقي ضيف : تاريخ الأدب 508/3-509. البستاني : أدباء العرب ،137/2-139 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 509/3.

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 153/2-154.

لقد نشأ ابن المقفع على دين المجوسية ، حتى أسلم في عهد المنصور، على يد عمه عيسى بن علي كما مرَّ بنا سـابقاً... ويبدو أنه كان في الحالتين رقيق العقيدة ، كثير الشـك والارتياب ، دينه عقله ولا يؤمن إلا بما صدر عنه ... يفعل الخير لأنه خير ، وينأى عن الشر لأنه شر[1].

فالجاحظ كان ينظمه في سـمط الزنادقة مع مطيع بن أياس ويحيى بن زياد[2]، وكان المهدي يقول: ((**ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع ...**))[3] بل أن قصة إسلامه نفسها لتدل على استهتاره بالدينين معاً . وقد مرت بنا آنفاً قصة إسلامه ... ويقول المسعودي: ((**أمعن المهدي في قتل الملحدين ... لما انتشـر من كتب ماني وابن ديصـان، ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجم من الفارسية والفهلوية إلى العربية**))[4] ويقال أنه مر ببيت نار للمجوس بعد إسلامه ، فلما رآه أحسَّ بحنين شديد إلى دينه المانوى القديم وأنشد بيتي الأحوص[5]:

ياَ بِنْتَ عاتكةَ التي أتعزَّل	**حذر العدا وبه الفؤاَد مُوكَّلُ**
إنـي قسمـاً لا منحـك الصدور وأننـي	**إليك مـع الصـدودِ لأميـلُ**

وقد يكون في ذلك ما يشـير إلى أنه ظل على اعتقاده المانوى القديم فهو يظهر الإسـلام ويضـمر مانويته ، وقد مضـى ينقل ديانات قومه المجوسـية ومذاهب الملحدين مثل ابن ديصـان ومرقيون ، مما جعل العرب ينتبهون إلى غايته من هذا النقل وما كان يتصـل به من ترجمة الحكم الفارسـية ، فقالوا إنه كان يريد على الأقل ببعض ترجماته وتصـنيفاته معارضـة الذكر الحكيم[6]، وعرض لذلك الباقلاني (403هـ/1012م) فقال: ((**وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى الدرة اليتيمة ، وهي كتابان : أحدهما يتضـمن حكماً منقولة ... والآخر: في شـي من الديانات**))[7].

---

(1) حجاب : بلاغة الكُتَّاب ص206.

(2) أحمد أمين : ضحى الإسلام، ط5، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1956م ، 233/1 . حجاب : بلاغة الكُتَّاب ، ص206.

(3) الشريف المرتضى : علي بن الحسين (ت 436هـ/1044م) آمالي المرتضى ، أو غرر الفوائد ودرر القلائد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1998م ، 134/1-135.

(4) مروج الذهب ، 242/2.

(5) الشريف المرتضى : آمالي المرتضى ، 135/1 . البستاني: أدباء العرب ، 141/2.

(6) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ،510/3.

(7) أعجاز القرآن : ط1 ، بيروت عالم الكتب ، 1408هـ/1988م ، ص48.

وقد ألف القاســم ابن طباطبا كتاباً في نقض زندقته ســماه كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع عليه لعنة الله وذكر في أوائله أن ابن المقفع وضــع كتاباً عاب فيه المرســلين وافترى الكذب على ربِّ العالمين ، ولذلك تصــدى له يهدم مزاعمه هدماً . وشــك أحمد أمين في هذا الكتاب الذي نســبه ابن طباطبا إلى ابن المقفع . ولا ينفى هذا الشــك عنه زندقته فقد شــهد بها معاصــروه ومن تلاهم ممن قرءوا كتاباته[1].

وكان مع زندقته – نبيل الخلق وقوراً يترفع عن الدنايا ولا يجعل للهوى سلطاناً على عقله ، وكان يأخذ نفسه بكل ما يمكن من خصال المروءة والشعور بالكرامة ، ويقول الجهشياري أنه ((**كان سرياً ســخياً يطعم الطعام ويتســع على كلّ من احتاج إليه .. وكان يجري على جماعات من وجوه أهل البصــرة والكوفة ما بين الخمســمائة إلى ألفين في كل شــهر**))[2] وتروى عنه حكايات مأثورة تدل على كرمه الفيّاض ، يقول سعيد بن مسلم: ((**قصدت الكوفة ، فرأيت ابن المقفع ، فرحب بي وقال : ما تصــــنع هنا؟ فقلت ركبني دين . فقال هل رأيت أحداً ؟ قلت: رأيت ابن شـــبرمة ، فوعدني أن أكون مربيّا لبعض أولاد الخاصــة: فقال: أفّ ! أيجعلك مؤدباً في أخر عمرك ؟ أين منزلك؟ فعرفته . فأتاني اليوم الثاني ، وأنا مشــغول بقوم يقرؤون علّي . فوضـــع بين يدي منديلاً فإذا به أســـورة مكســورة ودراهم مقدار أربعة الآف درهم ، فأخذت ذلك ورجعت إلى البصــرة واســتعنت به**))[3]. وقد جاء عند القفطي (ت 646هـ/1248م): إن ((**ابن المقفع كان فاضلاً كاملا**)) [4].

كما تروى عنه أخبار تدلّ على دقة حسه ، من ذلك أن عيسى بن علي دعاه يوما للغداء فأعتذر بأنه مزكوم ، والزكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار[5].

وكان يلفت معاصـريه بأدبه الجم فسـأله سـائل : ((**من أدبك فقال: نفســي! إذا رأيت من غيري حســـناً أتيته وان رأيت قبيحاً أبيته**)) وكان ذكياً ذكاء مفرطاً حتى قال ابن ســـلام : ((**ســـمعت مشـايخنا يقولون: لم يكن للعرب بعد الصـحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ، ولا كان في**

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ،510/3.
(2) الوزراء ، ص109.
(3) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ص23 . حجاب : بلاغة الكُتَّاب ، ص207 .
(4) تاريخ الحكماء وهو مختصــر الزوزني المســمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، مصر ، مؤسسة الخانجي ، د.ت ، ص220.
(5) الشريف المرتضى : آمالي المرتضى ، 136/1.شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 510/3 .

العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع)) وكـان يرى أن الـذكـاء لا يعمر القلوب ولا يثمر الثمرة المرجوة بدون العلم ، وإلا كان كالأرض الطيبة الخراب . ولعله لذلك دأب على التثقف بكل ما استطاع من الآداب الفارسية وما تُرْجم إلى لغته من الهندية وكذلك ما ترجم إليها من اليونانية زمن كسرى أنوشروان[1].

إسهاماته في مجال الحضارة الإسلامية :

عرفت العربية في هذا العصر كثيراً من ألوان الثقافة الأعجمية التي نقلت إليها عن الفرس والهند واليونان.ينقل محمد نبيه حجاب قول ابن صـاعد الأندلسـي في طبقاته: ((**إن أوَّل علم عني به ، من علوم الفلسفة ، هو علم المنطق والنجوم ، فأما المنطق فأوَّل من اشتهر به في هذه الدولة عبد الله بن المقفع ، الخطيب الفارسي فإنه ترجم كتب ارسطاليس الثلاثة: كتاب قاطاعورياس أو المقولات العشر ، وكتاب باري أرمينياس أو العبارة وكتاب أنالوطيقا أو تحليل القياس ، كما ذكروا أنه ترجم أيضاً كتاب المدخل المعروف باسم إيساغوجي لفرفريوس الصوري نقل ابن المقفع هذه الكتب عن الفهلوية لغة الفرس القديمة ، ومن ثم لا ينهض ذلك دليلاً على خدمة اليونانية ، كما كان يتبادر إلى الأذهان**)).

أما الفارسـية لغة آبائه وأجداده ترجم كتاب ((**كليلة ودمنة**)) وزاد عليه وكتاب الآيين نامه ويبلغ مئات الصفحات ، وكان عن عادات الفرس وأنظمتهم ، وكتاب ((**خداى نامه**)) في السير، والتاج في سيرة الملك العادل كسرى أنوشروان كما ترجم كتاب مزدك صاحب المذهب ، الذي شرَّق وغرَّب ، أما كتبه المؤلفة فمنها : الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، واليتيمة ، ورسالة الصحابة [2].

والأدب الصغير رسالة قصيرة في نحو ثلاثين صحيفة تتضمن طائفة من الوصايا الخلقية والاجتماعية التي ترشد الناس إلى صلاح معاشهم في أنفسهم وفي علاقاتهم بعناصر المجتمع من أهل السلطان ومن أصدقاء ومن غيرهم ، ونراه يقول في أوائلها : ((**وقد وضعت في هذا الكتاب من**

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 511/3.

(2) ابن المقفع : عبدالله بن المقفع (ت نحو 142هـ/759م) آثار ابن المقفع ، ط 1 ، بيروت ،دار الكتب ، 1409هـ/1989م ، ص 245،281، 309، 325 . حجاب: بلاغة الكتاب، ص 208. كرد على : أمراء البيان ، 89/1 . جورج غريب:عبد الله بن المقفع ، ص28.

كلام الناس المحفوظ حروفاً ، فيها عون على عمارة القلوب وصـقالها وتجلية أبصـارها ، وإحياء للتفكير ، وإقامة للتدبير ، ودليلاً على محامد الأمور ومكارم الأخلاق)) [1].

وتمتاز وصـايا الأدب الصـغير بالقصـر وقلمّا يطرد فيها السياق. أما الأدب الكبير فرسالة أكثر طولاً إذ تمتد إلى نحو مائة صـحيفة، موزعة بين موضـوعين كبيرين، هما السلطان وما يتصـل به من السياسة والحكم، والصداقة وما يتصل بها من صفات الصديق الصالح. حيث يصرح في تقديمه لهذه الرسالة بما صـرّح به في أوائل الأدب الصـغير من أنه يفيد في وصـاياها من أقوال الأسـلاف القدماء ، حيث يقول : ((**منتهى علم عالمنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم وغاية إحسـان محسننا أن يقتدي بسيرتهم ، وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم ، فيكون كأنه إياهم يحاور ومنهم يستمع .. ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد واصف بليغ في صفة له مقالا لم يسبقوه إليه**)) [2].

فالأدبان: الصـغير والكبير فموضـوعها التهذيب والتأديب. جمع فيها الكثير من الحكم المأثورة التي وعاها قلبه عن فلاسـفة الفرس وحكماء العرب أو أدركها بثاقب نظرة أو صـادق تجربته.. والفرق بينهما كالفرق بين العام والخاص .. فبينما تجد الأول دستوراً خلقياً يصلح لكل فرد ، في أي زمان أو مكان وتجد الثاني خاصاً بآداب الملوك وأخلاقهم ولكل من يتصل بهم مع التحليل والتعليل ، وبينما تجد الأول أيضـاً مبعثراً الأقوال كالعّقد تجد الثاني إلى التبويب ، وإحكام الربط أقرب ، بدأه بأعوان الحاكم وما يجب أن يكونوا عليه من الحرص والحذر في معاملته[3] كقوله : ((**إذا تقلّدت شـيئاً من أمر السـلطان فكنّ فيه أحد رجلين: إما رجلاً مغتبطاً به ، فحافظ عليه مخافة أن يزول عنه ، وإما رجلاً كارهاً له ، فالكاره عامل في سـخرة ، إما للملوك إن كانوا هم سـلطوه ، وإما لله تعالى وليس فوقه غيره . وقد علمت أنه من فرط في سـخره الملوك أهلكوه فلا تعجل للهلاك على نفسـك سـلطاناً ولا سـبيلاً . إياك ، إذا كنت والياً أن يكون من شـأنك حب المدح والتزكية ، وأن**

---

(1) ولمزيد من التفاصـيل عن هذا الكتاب أنظر : ابن المقفع : آثار ابن المقفع ، ص 283–323 و حجاب: بلاغة الكتاب، ص209. شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 512/3.وكان أول من عُني بنشر الأدب الصـغير الشيخ طاهر الجزائري المعروف باهتمامه وتحريه الآثار العربية القديمة . ابن المقفع : آثار ابن المقفع ، ص 281 .

(2) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 513/3.

(3) حجاب: بلاغة الكتاب، ص209. جورج غريب: عبد الله بن المقفع ، ص30–32.

يعرف الناس ذلك منك ، فتكون ثلمة من الثلم ، يقتحمون عليك منها ، وباباً يفتحونك منه ، وغيبة يغتابونك بها ، ويضحكون منك لها .

اعلم أن قابل المدح كمادح نفســـه، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده، فإن الراد له محمود، والقابل له معيب.

لتكن حاجتك في الولاية إلى ثلاثة خصـال: رضـى ربك، ورضـى للسـلطان من فوقك، ورضـى صـــالح من تلي عليه، ولا عليك أن تلهى عن المال والذكر، فســـيأتيك منها ما يكفى ويطيب.. أعرف أهل الدين والمروءة في كل كوره وقرية وقبيلة ، فيكونوا هم أخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك)).وفي الباب التالي يجعل الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى. فأما ملك الدين فأنه إذا أقام لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم، ويلحق بهم الذي عليهم، أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم بمنزلة الراضـي في الإقرار والتسـليم. وأما ملك الحزم فأنه يقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي وأما ملك الهوى فلعب ساعة ، ودمار دهر وقد ختم ابن المقفع كتابه بما يجب مراعاته في معاملة الصـــديق ، وما أكثر ما تناول في رسائله من هذه الرابطة المقدسة[1].

كان ابن المقفع في هذين الكتابين ناقلاً أكثر منه مؤلفاً ، فقد أفرغ فيهما ما وعته الذاكرة من حكم الفرس وأمثالهم ، ومنطق اليونان وأســـاليبهم كقوله : ((**ومن العلم أن تعلم أنك لا تعلم مالا تعلم**)) ومع ذلك فان شخصيته تجلت في حسن الاختيار ، ورصانة العبارة، وإصابة الغرض[2].

أما اليتيمة[3] موضوعها طاعة السلطان فقد ظلت زمناً وهي تطلق خطأ على الأدب الكبير حتى عثر على اسـمها وجزء منها في كتاب اختيار المنظوم والمنثور لطيفور . ولم يشـأ إكمالها اعتماداً

---

(1) ولمزيد من التفاصيل عن هذا الكتاب أنظر: ابن المقفع : آثار ابن المقفع ، ص 245–279 ، حجاب: بلاغـة الكُتَّاب ، ص 209–210 . كرد على : رسائل البلغاء ، ص44–45 ،49 . جورج غريب: عبد الله بن المقفع ، ص30–32.

(2) حجاب: بلاغة الكُتَّاب، ص210.

(3) لقد ضرب بها المثل في البلاغة حيث قال أبو تمام في مدح الحسن بن وهب:

ولقد شهدتك والكلام لآلي ... تؤم فكبر في الكلام وثيبّ

فكأن قيساً في عكاظ يخطب ... كأن ليلى الاخيلية تندب

وكثير عَزة يوم بين ينسب ... وابن المقفع في اليتيمة يسهب

كرد على: أمراء البيان ، 90/1 . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الرسالة أنظر : ابن المقفع : آثار ابن المقفع ، ص327–330.

على إلمام الناس بها وأشـــار إلى ذلك بقوله: ((**ومن الرســـائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا أشــباه ، وهي أركان البلاغة ، ومنها اســتقى البلغاء لأنها نهاية في المختار من الكلام وحســن التأليف والنظام: الرســـالة التي لابن المقفع ، اليتيمة ، فان الناس جميعاً مجمعون على أنه لم يعبر أحد عن مثلها ، ولا تقدمها من الكلام شـــيء قبلها ، ولم نكتبها على تمامها لشـــهرتها وكثرتها في أيدي الرواة**)) . ثم تحدث عن الزمان الذي يليه، وفيه يصلح الإمام ويفسد الناس ، أما الزمان الثالث فهو دون ســابقه وفيه صــلاح الناس وفســاد الوالي، وأما الزمان الرابع فشــر الأزمنة جمعاء.. ذلك الذي يجتمع فيه فساد الوالي والرعية(1).

وأما رسالة الصحابة صحابة الملوك ، فهي دستور اجتماعي شامل يرمي إلى إصلاح المجتمع العباسي من جميع أطرافه ، تعرض فيها لكثير من أمور الدولة المقبلة ، ووصف لها من العلاج ما رآه أنجع الدواء .... (2).

فقد قيل أنها في صــحابة الســلطان وبطانته ومن يســتعين بهم في حكمه من جنده وما ينبغي له في سياسته إزاء رعيته ، كتب بها إلى المنصور ، وكأنه يضع له دستوراً للحكم، وقد استهلَّها بمدحه وبيان فضـــله على خلفاء بني أميه وما تحلىَّ به من تشـــجيع ذوي النصـــح والرأي على الإدلاء بنصــائحهم وآرائهم فيما يعود على الأمة بالنفع والخير . ثم أخذ في تصــوير الدســتور الذي يريد من المنصــور إتباعه في حكمه، واصــفاً حســن ســياســته، إذ اقتلع الولاة والأعوان المفســدين، واجتمعت حوله قلوب الرعية. لما اشــتمل عليه من حســن العفو واللين ، ثم تناول بالحديث عن شــئون الجند المختلفة ، وأشاد برسالتهم وحسن بلائهم وبخاصة جند خراسان ودعا إلى تعليمهم وتحسين أحوالهم وصــرف رواتبهم في أوقاتها(3). وأن الإســلام لم يدرك مثلهم –أي جند خراســان– لما امتازوا به من الطاعة والفضــل والعفاف والكف عن الفســاد والإعطاء عن يد للولاة والحكام ، ومن أجل ذلك كانت تجب العناية بهم بوضـــع قانون لهم، يوضـــح في دقة واجباتهم وما ينبغي أن يفعلوه وما ينبغي أن يذروه ويتجنبوه ، وأن مثلهم مثل الخليفة ينبغي أن يطيعوا الدين وأوامره ونواهيه. وانتقل ابن المقفع

---

(1) حجاب: بلاغة الكُتَّاب، ص210–211. جورج غريب: عبد الله بن المقفع، ص56–64.

(2) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ،516/3. حجاب: بلاغة الكُتَّاب، ص211.

(3) كرد على: رسائل البلغاء، ص117–134. صفوت: رسائل العرب، 30/3–48 . شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 516/3 . حجاب : بلاغة الكُتَّاب، ص212.

من الجند إلى أهل العراق عامة وأهل البصرة والكوفة خاصـة ، لأنهم شيعة العباسيين. وتحدث عن تفوق أهل العراق على غيرهم في الفقه والعقول والعفاف والفصـاحة، وهم لذلك خير من يستعين بهم المنصـور في دولته، وكان الأمويون قد حرموهم من تدبير الحكم مع أنهم أهله ومستحقوه. وأوصـاه أن يتتبع خيارهم من المجاهيل عنده، فيسند إليهم شؤون الدولة[1].

كذلك تحدث في هذه الرسالة عن الخراج من حيث هو عماد السياسـة المالية للدولة، فأشار إلى مدى تلاعب الجباة في جمعه فنادى بضـبطه وتنظيمه ومراعاة العدالة في تقديره وجبايته، ففي هذا ((**صلاح للرعية وعمارة للأرض، وحسم لأمور الخيانة وغشم العمال**)).

ولعل الرشيد كان أوَّل مستجيب لهذه الدعوة الخالصـة ، فقد طلب إلى ((أبي يوسف)) أن يضـع له في الخراج كتاباً جامعاً يعمل به جبايته والقصد منه رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمورهم[2].

وفي ختام الرسـالة يذكِّر الخليفة بأن الناس على دين ملوكهم، لأن العامة تقلَّد الخاصـة، والخاصة تقلَّد الإمام، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية[3].

كذلك قام بترجمة ((كليلة ودمنة)) حيث قال أنها نقلت في عهد كسرى أنوشروان من الهندية إلى الفهلوية، ورجّح كثير من الباحثين أن ابن المقفع زاد في الكتاب بعض الفصـول والقصـص، ولكن ربما زاد ذلك بعض من جاء بعده. إذ ترجم عدة مرات، شـعراً ونثراً، ويظن شـوقي ضـيف أن ابن المقفع لم يزد إلا الفصل الذي وضعه بين يدي القصص وسماه عرض الكتاب [4] ، وذكر البيروني: أنه زاد أيضـاً باب برزويه ((**قاصداً تشكيك ضعفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانيه ، وإذا كان متهماً فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل**)) [5].

---

(1) كرد على: رسائل البلغاء، ص117-134. شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 517/3.

(2) كرد على: رسائل البلغاء، ص117-134. شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 519/3. حجاب بلاغة الكُتَّاب، ص213.

(3) حجاب: بلاغة الكُتَّاب، ص213. ولمزيد من التفاصيل عن هذه الرسالة أنظر: ابن المقفع : آثار ابن المقفع ، ص 309-323 .

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 520/3 « وقد نقل هذا الكتاب إلى الشعر على يد أبان بن عبد الحميد » ابن النديم : الفهرست ، ص364.

(5) تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة ، بيروت ، عالم الكتب ، 1403هـ/1983م، ص86. وقد عرف ابن المقفع بشدة اتصاله بالأدب الفارسي وكثرة نقله عنه وقد شهد له بذلك ابن النديم فقال : « وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة وأحد النقلة في فن اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعا باللغتين فصيحاً بهما ». الفهرست : ص132، وأيضاً المقدسي: تطور الأساليب النثرية، ص149.

لكن أبحاث المحدثين أثبتت أن هذا الفصل كان موجوداً في الأصل الفارسي مما يظن أن أصحاب الدعوة المانوية من الفرس استغلوا الكتاب قبل نقله إلى العربية في الدعوة لمذهبهم المانوي[1].

ويعد هذا الكتاب آية من آيات البلاغة في العصر العباسي ، ولكن الجاحظ حمل على ابن المقفع في ترجمته لمنطق أرسطو، إذ لاحظ في ألفاظه قصوراً أحياناً عن أداء المعاني المنطقية[2] ويقول طه حسين عنه أيضاً : ((**له عبارات من أجود ما تقرأ في العربية وبنوع خاص في الأدب الكبير وفي كليلة ودمنة، ولكنه عندما يتناول المعاني الضيقة التي تحتاج إلى الدقة في التعبير يضعف ، فيكلِّف نفسه مشقة ويكلف اللغة مشقة**)) وفي موطن آخر يقول : إنه((**كان مستشرقاً كغيره من المستشرقين يحسن اللغة العربية فهما وربما أعياه الأداء فيها**))[3]، ويستشهد لذلك بأمثلة من رسالة الصحابة والأدب الكبير، كل ما يلاحظ عليها اضطراب في بعض الضمائر على حد قول الدكتور شوقي ضيف، ويضيف قائلاً: ((**إن الرسالتين رسالة الصحابة والأدب الكبير قد تداولتهما أيدي النساخ بعد ابن المقفع وأنه ربما دخلها هذا الارتباك من أيديهم**))[4].

ولم يكن كاتباً فحسب بل كان أيضاً يحسن صوغ الشعر العربي وكان آية في البلاغة[5]، حيث يعدُّ على رأس البلغاء العشرة الذين سمّوهم في هذا العصر[6]، وقال عنه الجاحظ في بعض رسائله أن الكُتَّاب الناشئين كانوا يتدارسون آثاره ليحذقوا البيان وليلقحوا عقولهم وألسنتهم بخير لقاح[7].

بلاغته وأسلوبه :

لم يكن ابن المقفع بليغاً فحسب بل كان أكبر بلغاء عصره، وقد أجمع معاصروه على أنه كان آية البلاغة، وجعلوه على رأس البلغاء العشرة الذين سمّوهم في هذا العصر. وكان أسلوبه يقوم على الإيجاز كغيره من كُتَّاب عصره وقد كان حريصاً على انتقاء الألفاظ التي تمثل المعنى، ويتجنب

---

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 521/3.
(2) الحيوان ،76/1.
(3) من حديث الشعر والنثر، ص49.
(4) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 521/3.
(5) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 521/3-522.
(6) ابن النديم: الفهرست، ص131.
(7) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 522/3.

الألفاظ الوحشـية وكان يملك جزالة في القول وعذوبة في المعنى[1]، وقد نصـح مرة بعض الأدباء، فقال له: ((**إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإن ذلك هو العيُّ الأكبر**))[2] وخير مثال يصف بلاغته إجابته لسائل سأله عن البلاغة فقال: ((**هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها**)) ، ويعتبر من أوائل من ثبَّتوا الأسلوب الكتابي العباسي الموّلد ، وهو أسلوب يقوم على الوضوح ، وأن الألفاظ تشف عن معانيها وأن تخلو من كل غريب وحشيٍ مبتذل عامي. ولم يقصر ابن المقفع هذا الأسلوب على ما ينشئه من رسائل ديوانية أو اخوانية ، بل عممه في ترجماته، وكانت غزارة معانية سبباً في إن يتميز هذا الأسلوب عنده بالإيجاز والاقتصاد الشديد[3].

ومع إن ابن المقفع عندما ترجم كان مجرد ناقل أمين فإن شخصيته كانت واضحة المعالم فيما أنشأ وألف .. وقد مزج حكمة الفرس وفلسفة اليونان ببلاغة العرب، ثم أضفى عليها من ذاته ونفسه فإذا هي لون من الأدب جديد، لا عهد به للسابقين فمن ذلك قوله: ((**إذا رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبك ذلك، فإنما هو أحد رجلين. إن كان رجلاً من إخوان الثقة، فانفع مواطنة لك أقربها من عدوك، لشر يكفه عنك، أو لعورة يسترها منك، أو غائبة يطلع عليها لك. فأما صديقك فما أغناك أن يحضره، ذو ثقتك وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلِّفه إلا يصاحب ويجالس إلا من تهوى؟**)) [4].

وقال أبو العيناء عن ابن المقفع: ((**كلامه صريح، ولسانه فصيح، وطبعه صحيح، كأن كلامه لؤلؤ منثور، أو وشي منشور ، أو روض ممطور**))[5].

وقال آخر: ((**ألفاظه معان ، ومعانيه حكم**)) [6]. أما أبو هلال العسكري فقد ضربه مثلاً لمن سميت ببلاغته بلاغة أمة أخرى فقال ((**إن من عرف ترتيب المعاني، واستعمال الألفاظ على وجوهها ، وفي لغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى .. إلا ترى عبد الله الكاتب – ابن المقفع – استخرج أمثلة الكتابة ورسمها لمن بعد،**

---

(1) كرد على: أمراء البيان ، 91/1–93. شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 522/3.

(2) الجاحظ:: البيان والتبيين ، 91/1.

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 522/3–523.

(4) كرد على : رسائل البلغاء ، ص73. حجاب، بلاغة الكُتَّاب، ص215.

(5) التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، د.ت ، 361/2.

(6) كرد على : أمراء البيان ، 91/1.

من اللسـان الفارسـي فحولها إلى اللسـان العربي، فلا يكمل لصـناعة الكلام إلا من يكمل لإصـابة المعنى وتصحيح اللفظ، والمعرفة بوجوه الاستعمال))(1).

وشـــهد له الجاحظ في البيان والتبيين بالبلاغة، ونقل عنه غير مرة(2) وقال الأصـــمعي أنه قرأ آداب أبن المقفع فلم يرى فيها لحناً إلا في موضـع واحد وهو قوله: ((**العلم أكبر من أن يحاط بكلّهِ فخذوا البعض**)). أي أنه أدخل الألف واللام على البعض. وكان المتقدمون من أهل العلم ينكرون إدخالها على ((**كل**)) و ((**بعض**)) (3).

2- **عمارة بن حمزة :**

هو عمارة بن حمزة بن ميمون، مولى عبد الله بن عباس، ثم السفاح فالمنصـور وهو أحد البلغاء العشـرة الذين انتهت إليهم البلاغة في أزهى عصـورها. كتب لأبي جعفر وللمهدي من بعده ، فكانا يتحملان أخلاقه لبلاغته وكفايته. وقد مَّر بنا ما تقلَّد من أعمال هامة في الدولة فيما سـبق ، وكان عمارة كريماً سرياً جليل القدر، رفيع النفس، ذا همة ومروءة، وجود وكرم. ويورد الجهشياري روايات تدل على نبله ومروءته ، وفي كرمه وفضـــله ، ما كان يقوله عن نفســـه :((**يخبز في داري ألفا رغيف كل يوم يؤكل ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً وآكل منها رغيفاً واحداً حراماً ، واستغفر الله**))(4) .

وقد ضرب به المثل في التيهه حتى قيل عنه : أتيه من عمارة ، كما قالوا : أنه كان – من تيهه – إذا أخطأ يمضـي على خطئه تكبُّرا عن الرجوع ويقول : ((**نقض وإبرام في ساعة واحدة ! الخطأ أهون علّى من هذا**)) (5) .

بلاغته الأدبية :

(1) الصناعتين : ص69. حجاب: بلاغة الكُتَّاب، ص220.
(2) الجاحظ : البيان والتبيين ، 91/1.
(3) كرد على : أمراء البيان ، 91/1.
(4) الوزراء ، ص90-93 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص221 .
(5) الجهشياري : الوزراء ، ص133-134 .

يعتبر أحد الكُتَّاب البلغاء وأول من اشتهر بتدبيجه لأول رسالة من رسائل الخميس[1] ، ذكر ابن النديم أن لعمارة بن حمزة كاتب المنصور ومولاه رسائل مجموعة من أهمها رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس[2] ، وكان موضوعها تأييد الدعوة العباسية وتأييد الخليفة الحاضر وتعدد مناقبه وبيان مآثره وأنه أحق أهل بيته بالخلافة [3] .

واشتهر أيضاً برسالة لقبت باسم ((الماهانية)) وقد أشار ابن النديم إليها فذكر أنها إحدى الرسائل المجمع على جودتها[4] ، وقد ورد نص هذه الرسالة في كتب الأدب[5] .

يتضح حرص عمارة على التمثيل بكلام العرب واستعارة ألفاظ القرآن ومعانيه ، ففي رسالته الماهانية يقول : ((**.. ولحق ما أمر الله عز وجل به من التبيين وما حذّر أن يصاب قوم بجهالة وما خوّف على ذلك من الندامة ، فليس يبرح المرء بخير ما فرغ لقول الله عز وجل واتعظ واستيقظ**))[6] ، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُواْ أَن تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين**) [7] .

3- **أحمد بن يوسف :**

هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح ، مولى بني عجل ، نشأ هذا الكاتب في بيت عريق في الترسل والإنشاء ، فقد كان أبوه وجده كاتبين في البلاط العباسي ، كتب جدّه القاسم لعبدالله بن علي عم المنصور ، ونهض بالأمر من بعده ابنه يوسف بن القاسم ، فلما آلت الخلافة

---

(1) حجاب : بلاغة الكتَّاب ، ص 224 .

(2) الفهرست ، ص131 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 468/3 . جرت سنة الخلفاء العباسيين على أن يعهدوا إلى أبلغ كاتب في البلاط بكتابة رسالة ضافية في تأييد الدعوة العباسية عامة ، والخليفة القائم خاصة . فيذكرون بعد التحميد أن بني العباس هم أحق الناس بالخلافة وأن الخليفة أولى الناس بها ، ثم يأخذون في الإشادة به . وتعداد مناقبه وأنه أولى الناس بها من سواه . وكانت هذه الرسالة تلقى يوم الخميس بخراسان في جمع من الناس أولئك الذين يحشدون ليجددوا ولاءهم لبني العباس ، وبيعتهم للخليفة .. وأول من قام بذلك من الكُتّاب (عمارة بن حمزة) كاتب المنصور ولما نشبت الفتنة بين الأمين والمأمون وكان أحمد بن يوسف ، في خراسان بديوان الفضل بن سهل ، أنشأ هذه الرسالة ليجمع بها القلوب على محبة المأمون ، ولعل آخر رسالة للخميس كانت رسالة إبراهيم بن العباس في خلافة المتوكل . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص232 .

(4) الفهرست ، ص140 .

(5) أنظر الرسالة بأكملها في جمهرة العرب لأحمد صفوت ، 3/ 127 .

(6) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 469/3 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص228 .

(7) سورة الحجرات الآية 6 .

للمهدي كتب لوزيره يعقوب بن داود ولمع نجمه في عصـــر الرشــيد والبرامكة ، فكان يخلف يحيى البرمكي على الدواوين في قصر الرشيد .

ولا يعرف متى ولد له ابنه أحمد ، ويغلب أن يكون ميلاده حول منتصــف القرن الثاني للهجرة ، ويظهر أنه عنى بتأديبه عناية واســـعة حتى يهيئه للعمل في الدواوين ، واعتنى بثقافته حيث تثقف ثقافة عربية دقيقة حتى غدا شاعراً يحسن نظم الشعر وصوغه ، كما تثقف ثقافة إسلامية واسعة حتى عرف الحدود وأحكام أهل الذمة وأصول الدين وفروعه وتثقف ثقافة رياضية واسعة تعينه في الخراج وشئونه ، وكذلك كان مطّلع على ثقافة العجم وما يتصل بآداب السياسة وبكتب الفلسفة والحكمة ، وكان يحسن مخاطبة الخلفاء والوزراء ، وقد اشتهر ببلاغته وفصاحته وحسن خطه[1] .

ويروى أن قائلاً قال له يوماً : ((**ما أدري ممّ أعجب ، مما وليه الله من حســـن خلقك أو مما وليته من تحسين أخلاقك**)) .

وعلى هذا النحو أعدّ أحمد بن يوســف ليكون مثالاً للكاتب الحاذق ، ويغلب الظن أن أباه ألحقه بالدواوين معه ، وأنه كتب بين يديه في دواوين الرشـيد ، فأعجب الفضــل بن ســهل مدبِّر شــئون المأمون بنجابته فحثّه على التحول معه ومع المأمون إلى مرو حين اتخذها قاعدة لولايته على شرق الدولة كي يكتب في دواوينه ، وظل يعمل في الدواوين[2] حتى بعث طاهر بن الحســين في ســنة 198هـ إلى المأمون برأس أخيه الأمين . وقال الفضــل بن ســهل : ينبغي أن تأمر الكُتَّاب بكتابة رســالة عن طاهر يخبرني فيها بهذا الخبر ، لتقرأ على الناس ، فكتب الكُتَّاب عدة كتب لم يرضــها الفضل واستطالها . ولم يلبث أحمد بن يوسف أن كتب رسالة محكمة موجزة في شبر قرطاس كما يقول بعض الرواة . فلما عرضـــها على الفضـــل تعجب من بلاغته ودقة بيانه ثم قال له : ما أنصـــفناك وأمر بصـــلات وفرش وكســـى وآلات . وقال له : إذا كان الغد فاقعد في الديوان وليقعد جميع الكُتَّاب بين يديك ، واكتب بذلك إلى الآفاق وأمر بجوائز عديدة[3] وقد كتبها على لســـان

(1) القيرواني : زهر الآداب ، 2/483–486 . الخطيب : تاريخ ، 5/216–218 . كرد علي : أمراء البيان ، 1/195 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص230 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 3/541 . الكروي : نظام الوزارة ، ص205 . الزركلي : الأعلام 1/272 .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 3/541–542 .

(3) الجهشـياري : الوزراء ، ص304–305 . شـوقي ضـيف : تاريخ الأدب ، 3/541–542 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص231 . الكروي : نظام الوزارة ، ص206 .

طاهر بن الحسين تبريراً لقتله الأمين أمام الناس في أنحاء الدولة الإسلامية[1] : ((**أما بعد ، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ، فقد فرق حكم الكتاب والسنة بينه وبينه في الولاية والحرمة ، لمفارقته عصمة الدين ، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين ، يقول الله عزَّ وجلَّ فيما اقتص علينا من نبأ نوح وابنه (إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح) . ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله ، وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ، وردَّأه رداء نكثه ، وأحصد لأمير المؤمنين أمره ، وأنجز له ما كان ينتظره من سابق وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له من خير عهده ، ونقض عقده ، حتى رد الله به الألفة بعد فرقتها ، وأحيا به الأعلام بعد دروسها وجمع به الأمة بعد فرقتها ، والسلام))**[2] .

ولما تولى الحسن بن سهل على بغداد اصطحبه معه ، وكان الفضل قد آثر به ، ليعينه في عمله ، ويكتب له في دواوينه . ولما قدم المأمون إلى بغداد في سنة 201هـ اتخذ أحمد كاتباً له على ديوان الرسائل[3] ولما مات أحمد بن أبي خالد الأحول ، سأل الخليفة الحسن بن سهل عن رجل كفء يخلفه في وزارته ، فذكر له أبا جعفر أحمد بن يوسف ، وأبا عباد بن ثابت بن يحيى الرازي ، قائلاً إنهما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين وخدمته وما يرضيه فقال له: اختر لي أحدهما ، فقال الحسن : إن صبر أحمد على الخدمة ، وجفا لذاته قليلاً فهو أحبهما إليّ ، لأنه أعرق في الكتابة وأحسنهما بلاغة ، وأكثر علماً ، فاستكتبه المأمون وكان يعرض الكتب ويوقِّع ويخلفه أبو عباد إذا غاب عن دار المأمون[4] .

بلاغته وأسلوبه :

(1) الطبري : تاريخ ، 8/507-508 . الجهشياري : الوزراء ، ص304 . ياقوت : معجم الأدباء ، 5/167 .
(2) الجهشياري : الوزراء ، ص304 . ياقوت : معجم الأدباء ، 5/167 .
(3) الجهشياري : الوزراء ، ص304 – 305. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 2/206 .
(4) ابن طباطبا : الفخري ، ص225 . كرد علي : أمراء البيان ،1/200 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص231 .

كتب أحمد بن يوســـف إلى المأمون ، حين كثر طلاب الصـــلات ببابه ((**إن داعي نداك ، ومنادي جدواك ، جمعا ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيد ؛ فمنهم من يمتُّ بحرمة ، ومنهم من يدلي بســالف خدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، وطالت عليهم الأيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبه ، ويحقق حسن ظنهم بطوله ، فعل إن شاء الله تعالى**)).

فوقّع المأمون في كتابه :

الخير متبّع، وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، ولذلك قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فاكتب أسماء من ببابنا منهم ، واحك مراتبهم ، ليصل إلى كلّ امرئ منهم قدر استحقاقه ولا تكدرن معروفنا عندهم بطول الحجاب وتأخير الثواب ، فقد قال الشاعر[1] :

فإنك لن ترى طرداً لحرّ كإلصاقٍ به طرف الهوان بمثل

ولم تجلب مودة ذي وفاءٍ الودّ أو بذل اللسان

ومن مطولاته رســالة الخميس، التي كتبها للمأمون وكانت تقرأ بخراســان على شــيعة بني العباس حيث يفيض في وعظهم وما ينبغي عليهم من مجاهدة أعدائهم وأهوائهم ومن الشــكر للمأمون الذي يحوطهم برعايته لما فيه خيرهم ورشـــدهم والذي ينتوي جزاءهم بالحســـنى وحملهم على الطريقة المثلى[2] .

وطلب إليه الحسن بن سهل حين ولاه المأمون وزارته بعد قتل أخيه الفضل سنة 202هـ أن يكتب رسالة يشكر المأمون على صنعه جبراً لمصابه فكتب رسالة ضافية استهلها بتحميد الله وذكر آلائه واصـطفائه محمد لرسـالته بشـيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسـراجاً منيراً وتقفيته على آثار الأئمة الراشدين بالمأمون أمير المؤمنين ، وأخذ يطنب في الثناء على عدله وما منح الرعية من عطفه ...

(1) القيرواني : زهرة الآداب ، 485/2 . ياقوت : معجم الأدباء ، 169/5 . كرد علي : أمراء البيان ، 203/1 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص231-232 .

(2) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 547/3 . وقد قال : « أحكم ابن يوسف هذه الرسالة إحكاماً دقيقاً ، وطال فيها نفسه حتى بلغت نحو خمس عشرة صحيفة ، وأعجب بها معاصروه » تاريخ الأدب 544/3 . مما جعل ابن النديم يقول : « الكتب المجمع على جودتها ، عهد أردشير ، كليلة ودمنة ، رسالة عمارة بن حمزة الماهانية ، اليتيمة لابن المقفع رسالة الخميس لأحمد بن يوسف » ، الفهرست ، ص140 . انظر : الرسالة بأكملها عند صفوت : جمهرة رسائل العرب ،317/3- 334 .

، ويشكره بلسان الحسن بن سهل على ما منحه من الوزارة وسني الرتبة ويعود إلى بيان ما خص به الفضل في حياته من المنزلة الرفيعة[1] .

وكتب أحمد رسـالة عن المأمون إلى عمال النواحي في الاسـتكثار من القناديل بالمسـاجد في شـهر رمضـان وقد جاء فيها[2] : ((**فإن في ذلك عمارة للمساجد ، وإضاءة للمتهجدين ، وأنساً للسابلة ، ونفياً لمكامن الريب ، ... ، وتنزيهاً لبيوت الله عزَّ وجلَّ عن وحشة الظلم**)) .

وكان كثيراً ما يهدي إلى المأمون هدايا في أيام النيروز ويرفقها برسالة تحمل سطراً أو سطرين من النثر وبعض أبيات من الشـعر فمن ذلك أن أهداه مرة سـفط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معه[3] :

هذا يوم جرت فيه العادة ، بإتحاف الناس السادة ، وقد قلت :

على المرء حقٌّ وهو لا شك فاعله … وإن عظم المولى وجلّت فواضله

ألم ترنا نُهدى إلى الله ماله … وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يُهدى للجليل بقدره … لقصّرَ عنه البحر يوماً وساحله

ولكننا نُهْدِي إلى من نُجلُّهُ … وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله

وأوردت كتب الأدب كثيراً من الرسائل الأخوانية لأحمد بن يوسف[4] غير أنه لم يلبث أن وافاه القدر سنة 213هـ/828م يقال أنه أشرف وهو على وشك الاحتضار على بستان داره وكانت مطلة على دجلة ، فظل يتأمله ويتأمل دجلة ثم تنفس . وقال

ما أطيب العيش لولا مات صاحبه … ففيه ما شئت من عيب لعائبه

يقول فيه الخطيب البغدادي : ((**كان أحمد بن يوسف من أفاضل كُتَّاب المأمون وأذكاهم، وأجمعهم للمحاسن ، جيد الكلام فصيح اللسان حسن اللفظ مليح الخط**))[5] .

---

(1) صفوت : جمهرة العرب 345/3 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب 547/3 .

(2) العسكري : الصناعتين ، ص23 . القيرواني : زهر الآداب ، 485/2 . كرد علي : أمراء البيان ، 201/6 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 548/3 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، 420/2 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 549/3 .

(4) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 549/3 . ولمزيد من المعلومات عن رسائله الأخوانية انظر : ابن عبدربه: العقد الفريد ، 239/4 . صفوت : جمهرة رسائل العرب ، 438/3 .

(5) تاريخ بغداد ، 218/5 .

أما جعفر بن يحيى فقد بلغ الغاية في بيان منزلته الأدبية بقوله : ((**عبدالحميد أصل وسهل بن هارون فرع وابن المقفع ثمر ، وأحمد بن يوسف زهر**))[1] .

وتزخر كتب الأدب بتوقيعاته التي يوقّع بها على رقاع الشـــكوى وكتب بعض العمال ورســـائل الاســتماحة وبذل المعروف ، وفي ذلك قال الرواة : أن رجلاً غصــب آخر ضــيعة في أثناء غيابه واستغلها سنوات معدودة فلما قدم طالبه بضيعته ، فاشتكاه قائلاً : الضيعة لي وفي يدي واطّلع ابن يوسف على الشكوى فوقّع عليها بقوله : ((**الحق لا تخلق جدّته ، وإن تطاولت بالباطل مدّته ، فإن أنطقت حجّتك بإفصاح ، وأزلت مشكلها بإيضاح – غير. (لي وفي يدي) فكثيراً ما أراها ذريعة الغاصــب ، وحجّة المغالب – وُفّر حقك عليك، وســيق بلا كد إليك، وإن ركنت من البيان إليها ، ووقفت عن الاحتجاج عليها كانت حجته بالبيّنة أعلى ، وكان بما يدّعيه أولى ، إن شاء الله**))[2] .

فكانت بلاغة أحمد بن يوسف تعتمد على غزارة في الفكر وبراعة في الأداء وهي براعة يتقدم بها من سبقوه من كُتَّاب الدواوين في القرن الثاني الهجري تقدّماً واسعاً وخاصة في الرسائل السياسية[3] .

4- عمرو بن مسعدة :

أبو الفضل ، عمرو بن مسعدة بن صول بن صول ، يلتقي مع إبراهيم في العباس في جد أبيه (صــول بن صــول) وكان هذا الجد رجلاً تركياً وفد إلى فارس وملك جرجان ودان بالمجوســية ، ثم أسلم على يد يزيد بن المهلب حينما ظهر بجرجان وصــار من أعوانه[4] ،يقول ياقوت الحموي : إنه ((**كان يحارب معه ويكتب على سهامه : صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، ولما بلغ ذلك ابن عبدالملك قال والغيظ ينفخ أوداجه : ويلي على ابن الغلفاء ماله والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ولعله لا يفقه صلاته**))[5] .

---

(1) حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص242 .
(2) صفوت : رسائل العرب ، 458/4 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 551/3 .
(3) كرد علي : أمراء البيان ، 174/1 .
(4) الخطيب : تاريخ ، 203/12–204 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3–478 . كرد علي : أمراء البيان ، 173/1 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص253 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 552/3 .
(5) معجم الأدباء ، 506/4–509 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص253 .

كان ابن مسعدة أبا الفضل عمرو مولى خالد بن عبدالله القسري وكان يكتب له كما كتب لخالد البرمكي ، ومن بعده كتب لأبي أيوب المورياني وزير المنصور على ديوان الرسائل ، وقيل أن مسعدة والد عمرو هو مولى خالد القسري[1] نشأ وترعرع أبو الفضل وتجلّت موهبته الأدبية منذ أن كتب لجعفر ابن يحيى حتى توفي سنة 217هـ في خلافة المأمون بعد أن تقلَّب في مناصب الدولة ودواوينها ، وكان من بينهما ديوان الخاتم والتوقيع والأزمة[2] .

ويظهر أنه مضى بتثقف ثقافة عربية وإسلامية واسعة ، حتى غدا لسناً فصيحاً ، بل لقد غدا شاعراً ينظم الشعر ، كما غدا يحسن شئون الفقه مما يتصل بالخراج ، ووقف على العلوم الرياضية ، وما يتصل بها من الحساب مما كان يثقفه الكُتَّاب ، كما وقف على آداب الفرس وكتاباتهم في السياسة والأخلاق ، وتدبير الحكم ، وربما وقف أيضاً على شيء من الفلسفة والحكمة الهندية . وكلّ تلك كانت أدوات ترشِّح الشخص لكي يعمل في الدواوين لعصره[3] .

وقد اختلف كثير من المؤرخين في كون عمرو بن مسعدة قد تولَّى الوزارة أم لم يتولَّاها ، فقال ياقوت الحموي ، سمّاه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً[4] . وقال المسعودي : ((**أن المأمون استوزر الفضل بن سهل ثم أخاه الحسن بن سهل ، فلما أظهر عن الخدمة لعوارض من العلل ولزم منزله . عدل المأمون إلى استكتاب كُتَّاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم ، وأنه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم فاستوزرهم واحداً بعد واحد أولهم أحمد بن أبي خالد ، ثم أحمد بن يوسف ، ثم أبو عباد ثابت بن يحيى ، وعمرو بن مسعدة بن صول ، وكان يجري مجراهم ولا يعده كثير من الناس في الوزراء ، قال ولم يكن يسمى بين يدي المأمون أحد من كُتَّابه وزيراً**)) [5] .

---

(1) كرد علي : أمراء البيان ، 174/1 .

(2) حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص253 . كرد علي : أمراء البيان ، 173/1-174 .

(3) القيرواني : زهر الآداب ،249/3 . ياقوت : معجم الأدباء ، 506/4-509 ، ولمزيد من المعلومات عن نشأة عمرو بن مسعدة وأخلاقه أنظر : الخطيب حيث قال عنه : « إنه روى الحديث عن جماعة . ووصفوه بأنه الكاتب الرسائلي ، وأنه يقول الشعر بفضل أدبه » تاريخ بغداد ، 203/12 . ويقول عنه ابن خلكان : « كان كاتباً بليغ ، جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني» . وفيات الأعيان ، 475/3 .أحمد رفاعي : عصر المأمون ، ص 59/3 .

(4) معجم الأدباء ، 508/4 .

(5) التنبيه والإشراف ، ص304 .

وســـواء تقلّد الوزارة أم لم يتقلدها فإن العظائم التي كان يندب إليها تدًّل على درجة الثقة به[1] ، وقد اتخذه جعفر البرمكي كاتباً للتوقيع بين يديه حيث قال عن نفسه : ((**كنت أوقّع بين يدي جعفر بن يحيى فرفع إليه غلمانه ورقة يســـتزيدونه في رواتبهم ، فرمى بها إليّ ، وقال : أجب عنها ، فكتبت : قليل دائم خير من كثير منقطع . فضـــرب بيده على ظهري وقال : أي وزير في جلدك!**))[2] ، كذلك اتصل بالفضل بن سهل القائم على تدبير شئون المأمون ، فأدناه منه واصطحبه معه ، فعمل أيضـاً في دواوين أخيه الحسـن بن سـهل أي أنه عمر في دواوين الخلافة ، ووقع من نفس المأمون موقعاً حسناً فعهد إليه أحياناً تفتيش الولايات ، وأعجب ببلاغته وحسن بيانه وفي حين تولى أحمد بن يوســف الوزارة أقامه على ديوان الرســائل ، وكان يأنس له ويســتطيب حديثه ، فلما عزم المأمون على غزو الروم كان يسـتصـحب عمرو بن مسـعدة في غزواته . ولعظم منزلته عنده ظنَّ بعض الشعراء أنه استوزره ، وذكر ذلك في بعض مديحه له إذ يقول[3] :

لقد أسعد الله الوزير ابن مسعدة   وبث له في النّـاس شكراً ومحمـده

كتابته وبلاغته :

وصـف الفضـل بن سـهل بلاغته فقال : هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلَّ أحد إذا سـمع كلامه ظن أنه يكتب مثله ، فإذا رامها تعذَّرت عليه[4] ، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى : ما حد البلاغة ؟ فقال : هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها ، فإذا رامها استصعب عليه بل هذا هو السـهل الممتنع[5] ، ذكر الرواة أنه كان والي المأمون على فارس وكرمان[6] ، وحدث أن تأخرت أعطيـات الجنـد ، فكتـب إلى المـأمون يقول : ((**كتـابي أمير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده ورؤســـاء أجناده في الانقياد والطاعة على أحســـن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقيـاد كُفاة تراخت أعطيـاتهم ، فـاختلَّت لـذلـك أحوالهم ، والتـاثت معهم أمورهم**)) . فلمـا قرأه

---

(1) كرد علي : أمراء البيان ، 177/1 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص253 . كرد علي : أمراء البيان ، 175/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 553/3 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 553/3 .

(4) العسكري : الصناعتين ، ص61 .

(5) حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص254 .

(6) القيرواني : زهر الآداب ، 1031/4 .

المأمون قال لوزيره أحمد بن يوسف : إن في هذا الكتاب نظير ما سمعت الرشيد بقوله في البلاغة : ((**إنما هي التباعد عند الإطالة والتقرب من معنى البغية ؛ والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهَّم أن أحداً يقدر على ذلك ، ودفع إليه الكتاب ثم قال : إن استحساني إياه حملني على إجابة مطلبه**))[1] .

ولا ريب في أن عمراً تعب طويلاً في كتابه هذا الكتاب الموجز ، حتى يقع على العبارات القليلة التي تؤدي إلى المأمون امتعاض القواد والجند من تأخر رواتبهم ، وقد أخذ يحتال لإنبائه بهذا الخبر بحيث لا يضــيق بهم وبحيث لا يظن أنهم عمدوا إلى شــغب فذكر أنهم مذللون له منقادون وأنهم مستمسكون بعرى طاعته استمساكاً يستغرق قلوبهم كأحسن ما يكون استمساك جيش بطاعة خليفته ، ثم اتبع ذلك بتأخر أرزاقهم ورواتبهم حتى أجهدهم ما تحملون من هذا التأخر وحتى اضــطربت أمورهم – مع طاعتهم وانقيادهم – حرى أن يُســدَّ اختلالهم وان يُرعى لهم وفاؤهم ، فتُعجَّل رواتبهم وأرزاقهم . وكان للكتاب أثر بالغ في نفس المأمون إذ أمر أن تُصــرف للجند والقادة في الحال أعطياتهم ، لا لشهر ولا لشهرين بل لسبعة أشهر متتابعة . ويقال أنه أمر بأن يعطى لعمرو أيضاً راتبه لثمانية أشهر جزاء لحسن عرضه للمسألة ودقة تلطفه في إيرادها وتصويرها[2] .

وقد قيل أنه قدم على المأمون رجل من أهل الشــام على عدة سلفت له منه بتوليته بلدة ، فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون بما وعده به ، فقصـــد عمرو بن مســعدة ، وعرض عليه المسألة ، وسأله إيصال رقعة إلى المأمون بها ، فقال له: اكتب بما شئت، فإني موصله . فتوسل إليه أن يتولَّى هو كتابة الرقعة عنه ، حتى يكون له فضـــلان ، فكتب عمرو : ((**إن رأى أمير المؤمنين أن يفكّ أسر عدته من ربقة المطل بقضاء حاجة عبده ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعل موفقاً**)).

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 478/3 . كرد علي : أمراء البيان ، 176/1 . شــوقي ضــيف : تاريخ الأدب ، 555/3–556 . حجاب : بلاغة الكُتّاب ، ص255 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 478/3 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 556/3 .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً، فاطلعه عليها وجعل يعجب من حســن لفظها وإيجاز المراد فيها ، فقال له عمرو: فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا الوقت بما سأل ، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، وبجائزة تفي دناءة المطل))[1].

ويروي صـاحب المثل السـائر أن رجلاً من بني ضـبّة ضـرع إليه أن يشـفع له عند المأمون في الزيادة لمنزلته وراتبه المقدّر له ، فكتب إلى المأمون مستشفعاً له : ((**أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين . لتطوّلك – أي تفضـلك – عليّ في إلحاقه بنظرائه من الخاصــة فيما يرتزقون به ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المســتشــفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدِّى طاعته ، والسلام))**[2] .

وأعجب المأمون بدقة عرضــه لشـفاعته وإخراجه لها في معرض التعريض ، تلطفاً ، وإشــارة من طرف خفي إلى حرمته منه ، وما يختصُّــه بالعطف والحظوة عنده . مما جعل المأمون يوقع على الكتاب بقوله : ((**قد عرفنا توطئتك له ، وتعريضــك لنفســك ، وأجبناك إليهما ، ووافقناك عليهما**))[3] . وكان إيجازه المفرط مع دقته في أداء المعاني يروع المأمون روعة شـديدة ، ويروى أنه أحب يوماً أن يرى مقدرته في الإيجاز ، فأمره أن يكتب إلى بعض العمال في العناية بشــخص والاهتمام بأمره ، وان يوجز كتابه ما أمكنه ، بحيث لا يتجاوز ما يكتبه سـطراً واحداً ، فكتب : ((**كتابي إليك واثق بمن كتب إليه ، معنى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله ، والسلام**))[4] .

وهذا الكتاب القصــير يصــوِّر مدى ما كان يبذله ابن مســعدة من جهد عنيف في جمع المعاني الكثيرة وتركيزها في معنى يؤديها أجمل ما يكون الأداء . وعلى هذا النحو تحوَّلت الكتب عند ابن مسـعدة إلى كلمات قصــار ، ككلمات التوقيعات ، بل لعلها أشـد قصــراً[5] وروى ابن خلكان رسـالة طويلة مسـجوعة كتب بها إلى بعض الرؤســاء ، وقد أهمّه وأحزنه زواج أمه ، لينفِّس عنه ، وما إن قرأها حتى سحره بيانه واعتذاره عن أمه وذهب عنه الهم والحزن[6] شكَّ ابن خلكان في هذه الرسـالة

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 556/3–557 .

(2) ابن الأثير : المثل السائر ، 75/3 . كرد علي : أمراء البيان ، 178/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 557/3 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 557/3 .

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 475/3 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 558/3 .

(5) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 558/3 .

(6) وفيات الأعيان ، 476/3 .

وقال أنها تنسب إلى ابن العميد . وهو محق في شكه لسبب بسيط ، هو طولها الذي لا تألفه عند ابن مسعدة[1] .

ولم يؤثر عن عمرو أنه ألف في موضـــوع خاص ، وأفرد مســـألة في التأليف وإن قالوا أن له رسائل وأقوالاً[2] . وعدّه ابن النديم من الشعراء والكُتَّاب[3] .

لم يذكر إلا أن له ولأخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر ، والغالب أن مهام الدولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة ، وما تلقطه العلماء والأدباء من كلامه هو مما رواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه[4] . توفي في سنة 217هـ/832م بموضع يقال له أَذنة وذكر الجهشياري أنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة 215هـ/830م[5] . ولما مات رفعت إلى المأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ، فوقع في ظهرها ((**هذا قليل لمن اتصـــل بنا ، وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلَّف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك**))[6] .

5- سهل بن هارون :

هو سـهل بن هارون بن راهبون أو راهيون الدسـتميسـاني – أبو عمرو – وهو فارسـي الأصـل ، اختلف الرواة في مسـقط رأســه ، ولا يعرف تاريخ مولده وأغلب الظن أنه ولد حوالي منتصـف القرن الثاني الهجري ، انتقل إلى البصـــرة وأقبل على التزود من ينابيع الثقافة التي كانت فيها ، وخاصـــة علم الكلام وما نقل عن الأجانب من مختلف الترجمات ، وأخذ هو نفســه يشــارك في ترجمة بعض الرسائل عن لغته الأصلية . وسرعان ما يقربه يحيى البرمكي وزير الرشيد منه ، فيلحقه بالدواوين ، حتى إذ أسـس الرشـيد دار الحكمة عُيِّن بها للإشـراف على بعض الكتب وبعض ما كان يترجم فيها من الآداب الأجنبية ، وفي أثناء صــلته بالبرامكة وبعد نكبتهم ســنة 187هـ/802م انعقدت صــداقة

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 558/3 .
(2) كرد علي : أمراء البيان ، 175/1 .
(3) الفهرست ، ص133 .
(4) كرد علي : أمراء البيان ، 176/1 .
(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 476/3 .
(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 476/3 . كرد علي : أمراء البيان ، 191/1 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 554/3 .

وثيقة بينه وبين الفضل بن سهل مدبّر شئون المأمون ومستشاره وكاتبه ، فقدّمه إلى المأمون فأعجب ببلاغته وصحة منطقه وذكائه ، حتى إذا تحولت الخلافة إليه وأخذ يعنى بشئون دار الحكمة عناية واسعة ، جعله قيماً على خزائن كتب الفلسفة ليشرف على نقلها إلى العربية، وكان يلزم المأمون في مجالسه وندواته التي كان يعقدها لكبار العلماء المتكلمين ومازال خازناً بدار الحكمة حتى توفي سنة 215هـ/830م[1] .

واشتهر سهل في زمانه بالحكمة والبلاغة حتى سمّاه معاصروه بُزُرْجمهر الإسلام ، إشارة إلى أنه يحل في العربية محل بُزُرْجمهر في الفارسية وما أثّر عنه من حِكم وأمثال كثيرة، ووصفه الجاحظ فقال : ((**كان سهل سهلاً في نفسه عتيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيداً من الفدامة ، تقضي له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان ، وبالنبل قبل التكشف**))[2] . ووصفه الحسن بن سهل وزير المأمون فقال : ((**وازن العلم ، واسع الحلم ، إن حودث لم يكذب ، وإن موزح لم يغضب ، كالغيث أين وقع ، وكالشمس حين أولت ، أحيت ، وكالأرض ما حمّلتها حملت ، وكالماء طهور لملتمسه ونافع لغُلَّة من حر إليه ، وكالهواء الذي تُقطف منه الحياة بالتنسم ، وكالنار التي يعيش بها المقرور ، وكالسماء التي قد حسنت بأصناف النور**))[3] . ويقول ابن النديم إنه كان ((**شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل**))[4] . وكأنه أراد بتلك الرسائل أن ينتقض فضيلة الكرم العربية . وكان البخل سجية وطبعاً ركبّ فيه ، ورويت عنه في ذلك نوادر كثيرة[5] .

وكان سهل يحسن القول نثراً وشعراً ، وفيه يقول الجاحظ : ((**ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلّدة والسيّر الحسان المدوّنة**

---

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص133 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 526/3-527 ، ولمزيد من المعلومات عن نشأة سهل بن هارون والمناصب التي تولاها انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ،52/1 ، 89 ، 196 ، 238 ، 346 ، 29/3 . الحيوان 374/2 ، 66/3 ، 466 ، 653/5 ، 202/7 . ابن قتيبة : عيون الأخبار، 25/3 ، 138 ، 112/4 . ابن عبدربه : العقد الفريد ، 85/5 . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص76 .

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ، 89/1 .

(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 528/3 .

(4) الفهرست ، ص133 .

(5) كرد علي : أمراء البيان ، 142/1-144 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 528/3. أحمد رفاعي : عصر المأمون 48/3-50.

والأخبار المولّدة سهل بن هارون بن راهبون الكاتب ...))[1] وذكر ابن النديم مجموعة من كتبه[2]
.

ويعتبر كاتباً بليغاً حكيماً من واضعي القصص ، ويظهر أنه عُني في كثير من كتبه بالقصص على ألسنة الحيوان ، مشاكلة لكتاب كليلة ودمنة . وقد أشاد المسعودي بأولهما وقال: ((**إنه يزيد على كليلة ودمنة بحسن نظمه ، وقد اتخذ من الحيوان وسيلة للعظة والتربية الاجتماعية والسياسية بما يفصّل من الكلام وضرب الحكم والأمثال بالضبط كما صنع واضع كليلة ودمنة))**[3]
.

ومن أجمل ما أثر لسهل بن هارون من الكتب ، بل كتابه الوحيد الذي مازال أهل الأدب يتناقلونه خلفاً عن سلف ، كتابه إلى بني عمه من آل راهبون ، حين ذموا مذهبه في البخل ، وتتبعوا كلامه في الكتب ، قال في فاتحته يحاجّهم ((**بسم الله الرحمن الرحيم : أصلح الله أمركم، وجمع شملكم وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله ...**)) [4] . ويعتبر سهل بن هارون أحد أفراد قلائل ، ممن اشتهروا بالحكمة والفصاحة والبلاغة .

6- **محمد بن عبد الملك الزيات :**

هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان ، اشتهر بابن الزيات لأن جده أبانا كان يجلب الزيت من مواطنه إلى بغداد ليتاجر فيه ، وأصله من جيل[5] كان أبوه تاجراً موسراً في أيام الخليفة المأمون فنشأ ولده محباً للعلوم والآداب وكان ذكياً فبرع في كلَّ شيء حتى صار نادرة زمنه برجاحة عقل وحدة ذكاء وبراعة في الكتابة ونظم الشعر ومقدرة في اللغة والنحو وخبرة بآداب الرئاسة وقواعد الملوك[6] وأهله عمله ونبوعه في العمل بديوان الإنشاء في خلافة المعتصم .

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 530/3 . أحمد رفاعي : عصر المأمون ، 50/3 .
(2) الفهرست ، ص134 ، وذكر ابن نباته كتاباً له في سيرة المأمون . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 530/3 .
(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 530/3 . أحمد رفاعي : عصر المأمون ، 50/3-51 .
(4) كرد علي : أمراء البيان ، 160/1 . ولمعرفة الرسالة بأكملها أنظر : الجاحظ : البخلاء ، تقديم وضبط يوسف الصميلي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1424هـ/ 2004م ، ص 13-18 .
(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 94/5 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،271/2-272 .
(6) ابن طباطبا : الفخري ، ص233-234 .

حتى قيل أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك ينصحهم أبو عثمان بسؤال ابن الزيات في معرفة جوابه ويرد عليهم ابن الزيات بالجواب الصحيح[1] .

استوزره المعتصم بعد أن سأله عن كلمة كلأ فعرفها له بعد أن عجز الوزير أحمد بن عمارة عن تعريفها له[2] .

كان ابن الزيات وزيراً قديراً أعاد إلى الوزارة سابق هيبتها[3] يقول ابن طباطبا في ذلك : ((**نهض بأعباء الوزارة نهوضاً لم يكن لمن تقدمه من أضرابه ، ولكنه كان جباراً متكبراً فظاً غليظ القلب خشن الجانب مبغضاً إلى الخلق[4] لم يكن يرق لأحد ولا يرحمه ويزعم أن الرحمة ضعف في الطبيعة ، وكان قد اتخذ تنوراً من خشب فيه مسامير من حديد يعذب فيه من يطالبه بمال من العمال وأرباب الدواوين**))[5]، وظل محمد الزيات وزيراً للمعتصم حتى توفى سنة 227هـ/841م فاستوزره الواثق وكان يبغضه قبل أن يتولّى الخلافة ، ولكنه لم يجد بعد استخلافه بين رجاله من يقوم قيام هذا الوزير فاعتمد عليه في إدارة شئون الدولة. يعلل ابن طباطبا سبب انحراف الواثق قبل خلافته على ابن الزيات، وكيف اضطر هذا الخليفة إلى اتخاذه كاتباً له ووزيراً بأن المعتصم كان قد أمر لابنه الواثق بمال، وأحاله به إلى ابن الزيات فمنعه ، وأشار على المعتصم إلا يعطيه شيئاً، فوافق المعتصم وعدل عن إعطاء الواثق ما كان قد طلبه له من مال. فكتب بخطه كتاباً وحلف فيه بالحج والعتق والصدقة أنه إن ولى الخلافة ليقتلن ابن الزيات شر قتلة[6] ، فلما مات الخليفة المعتصم وظفر الواثق بالخلافة ، تذكر حديث ابن الزيات فأراد أن ينكبه، ولكنه خشي ألا يجد مثله، فأختبر عشرة من الكُتَّاب فما وجد فيهم من أرضاه. فأمر باستقدام ابن الزيات فقدم ومثل أمامه خائفاً. فأمر الواثق خادمه بأن يأتي إليه بالكتاب الذي كان قد سجل فيه قسمه لقتل ابن الزيات، فدفعه إلى ابن

---

(1) الخطيب : تاريخ بغداد ، 342/2 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 94/5 .

(2) القيرواني : زهر الآداب ، 841/3 . ابن طباطبا : الفخري ، ص233 .

(3) الكروي : نظام الوزارة ، ص230 . وعن اتصاله بالمعتصم انظر : الطبري : تاريخ ، 20/9 . القيرواني : زهر الآداب 841/3 . ابن الوطواط : عزر الخصائص ، ص146 .

(4) الفخري ، ص232 .

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 100/5.

(6) الفخري، ص232. الكروي : نظام الوزارة ، ص230-231.

الزيات ، وأمره بقراءته فلما قرأه قال: ((**يا أمير المؤمنين أنا عبد إن عاقبته فأنت حاكم فيه ، وإن كفّرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك . فقال الواثق : والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك وسأكفر عن يميني ، فإني أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً**)) . ثم كفّر عن يمينه واستوزره وقدّمه وفوّض الأمور إليه[1]. وصار هذا الوزير في عهد الخليفة الواثق صاحب الأمر والنهي أكثر مما كان في عهد أبيه المعتصم[2].

ولا شك أن استبقاء الواثق لابن الزيات في الوزارة رغم سخطه عليه دليل على مقدرة ابن الزيات وعلى اتزان الواثق[3] .

مكث ابن الزيات في وزارة الواثق مدة خلافته ، ولم يستوزر غيره حتى مات الواثق[4] ، ويعتبر ابن الزيات آخر وزراء العصر العباسي الأول الأفاضل ، فلم يلي الوزارة بعده ذو فضل أو قدر إلا عدد قليل[5].

والجدير بالذكر أن محمد بن عبد الملك الزيات كان الوزير الوحيد الذي وزر وزارة واحدة لم يقطعها صرف أو عزل لثلاثة خلفاء متتابعين[6].

بلاغته الأدبية :

وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر، أديباً فاضلاً بليغاً عالماً بالنحو واللغة[7]، يقول صاحب الأغاني: ((**إنه كان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب ، ويسوق شاهداً على ذلك أنه جلس يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألك حاجة؟ قال الرجل: نعم**

---

(1) التنوخي : نشوار المحاضرة ، 17/8–19. الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص67.

(2) الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، 339/2. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ،258/2. الكروي: نظام الوزارة، ص230.

(3) الكروي : نظام الوزارة ، ص231.

(4) ابن طباطبا: الفخري، ص236،234، وأشار إلى وزارته للواثق: ابن عبد ربه: العقد الفريد ، 112/5. ابن النديم: الفهرست، ص177. المسعودي: مروج الذهب ،477/2. القيرواني : زهر الآداب، 841/3. الخطيب: تاريخ ، 342/2. ابن العمراني: الإنباء، ص113. ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 100/5.

(5) الكروي : نظام الوزارة، ص232.

(6) ابن النديم : الفهرست، ص177. التنوخي : نشوار المحاضرة ، 19/8. ابن خلكان : ووفيات الأعيان ، 101/5. كرد على : الإسلام والحضارة ، 240/2. الكروي : نظام الوزارة، ص232.

(7) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 94/5.

تُدنْيني إليك، فإني مظلوم، فأدناه، فقال: أنا مظلوم، وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال الرجل: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك وفصاحتك وإطراد حاجتك، قال: ففيم ظلمتك؟ قال الرجل: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديَّته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها، فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتَّها وأنا أؤدي خراجها))[1]. وتمضي القصة فتذكر أن ابن الزيات ردّ على الرجل ضيعته ووهبه بعض المال ليستعين على عمارتها. والأصفهاني أنما يسوق هذه القصة ليدل على فصاحة ابن الزيات وبلاغته ولسنه وقوة حجته[2].

ولم ترد لابن الزيات رسائل كثيرة في كتب الأدب ، مع كثرة ما يدور فيها من رسائل موجهة إليه، ويظهر أنه وكل في وزارته للحسن بن وهب كتابة الرسائل الديوانية والرد عليها[3]، ومن القليل الذي احتفظت به تلك الكتب العهد للواثق على مكة، وقد كتبه بحضرة المعتصم على هذه الصورة: ((**أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلّدك مكة وزمزم، تراث أبيك الأقدام، وجَّدك الأكرم، وركضة جبريل، وسقيا إسماعيل وحفر عبد المطلب، وسقاية العباس، فعليك بتقوى الله تعالى، والتوسعة على أهل بيته))**[4].

وكان محمد شاعراً بارعاً لا يقاس به أحد من الكُتَّاب ، وقد ذكر عنه أنه كان شاعراً يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب[5]. إذ تروي كتب الأدب بعض رسائل أخوانيه شعرية كان يتبادلها مع بعض أصدقائه وخاصة الحسن بن وهب ، فيروي إن ابن وهب مرض أياماً ولم يأتيه رسوله ولاتعَّرف خبره ، فكتب إليه رسالة شعرية يعاتبه فيها ، ورد عليه ابن الزيات برسالة شعرية أيضاً ، يعتذر إليه ويطلب منه الصفح والعفو قال فيها[6] :

دَفع الله عنك نائبةَ الدَّهْرِ	**وحاشاك أَن تكون عليلا**
أُشْهِدُ الله ما علمتُ وما ذاك	**من العُذْر جائزاً مقبولا**

---

(1) الأصفهاني: الأغاني ، 55/2.

(2) الأصفهاني : الأغاني ، 55/2 . شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 564/3.

(3) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ، 562/3.

(4) القيرواني : زهر الآداب ، 1097/4.

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 101/5. أحمد رفاعي : عصر المأمون ، 278/3 .

(6) الأصفهاني : الأغاني ، 55/2 . شوقي ضيف : تاريخ الأدب ، 564/3 .

ولعمري أن لو علمتُ فلازَمْك   حَـوْلاً لكان عندي قليـلا

فا جعلنْ لي إلى التعلق بالعُذْرْ فقديمـاً   سبيلاً إن لم أَجد لي سبيلا   ومـا

ما جاد بالصفح والعَفْـو   سـامـح الخليـلُ الخليـلا

وفاته :

لقد قبض الخليفة المتوكل (232–247هـ/847–861م) عليه وأمر بإدخاله في تنور من حديد كان به مسامير أعده لتعذيب المطالبين بالأموال من أرباب الدواوين ، وقيده بخمسة عشر رطلاً من حديد ثم أمر بإخراجه بعد أن مكث أربعين يوما فوجده ميتاً وذلك سـنة 233هـ/847م ، وقيل أنه دفن ولم يعمق قبره فنبشه الكلاب وأكلته [1] .

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 102/5 . أحمد رفاعي : عصر المأمون ، 278/3 .


خاتمة
تشتمل على أهم نتائج البحث

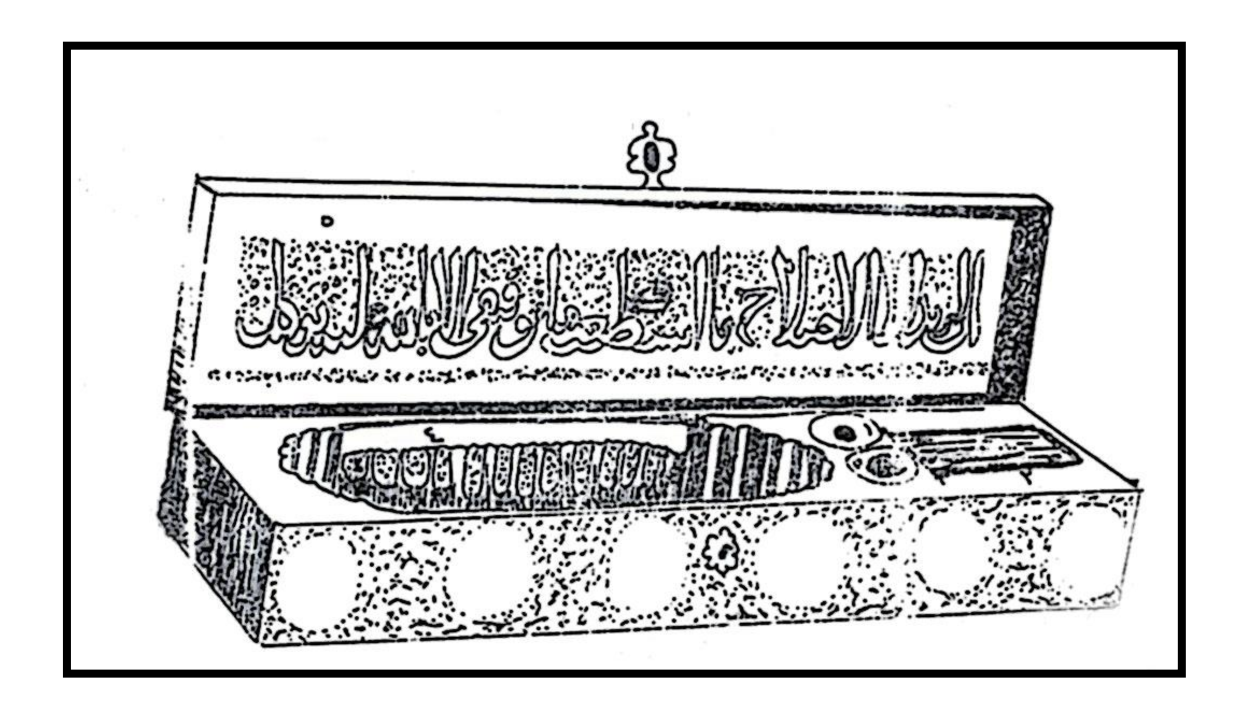
أهم نتائج البحث

تناولت هذه الدارســـة وظيفة الكاتب واعتبارها من الوظائف ذات المكانة المرموقة في الدولة الإســـلامية ، وارتقاء أصـــحابها إلى المناصـــب العليا في الدولة – منصـــب الوزارة – ومن خلال الدارســة الســابقة لفصــول البحث أمكن التعرُّف على نشـأة هذا النظام وتطوُّر مراحله فبرزت نتائج البحث على النحو التالي :

- أن هذه الوظيفة كانت معروفة منذ القدم وموجودة لدى الأمم والدول التي ســـبقت قيام الدولة الإسلامية ، وكان الكاتب في كل الأوقات ذا منزلة عالية لشرف صنعته ، وأنه كان يعقد للكُتَّاب اختبار عند تعيينهم وعلى نتيجة هذا الاختبار يرشح لوظيفة الكتابة .
- تمايز مراتب الكُتَّاب في الدولة الإسلامية وتعدد اختصـاصـاتهم بحسب المهام التي أسندت إليهم خلال العصـــور الإســـلامية ومنهم : كاتب الخليفة ، وكاتب الرســـائل ، وكاتب الخراج ، وكاتب الجند ، وكاتب القاضي ، وغيرهم من كُتَّاب الدواوين الأخرى .
- أن هناك صفات للكُتَّاب وآداب وثقافات عالية ، وإطلاع على مختلف العلوم ، وشروط عائدة إلى الفهم والذكاء والفطنة والمظهر وحسن السمت ... إلخ .
- أثر تدوين الدواوين وتعريبها في ظهور طبقة الكُتَّاب ، واتخاذ الكتابة مهنة رســمية لها شــروطها ومؤهلاتها ، لذلك ازدادت عناية الموالي لتعلم اللغة العربية وآدابها حتى تمكَّنوا من تســلم رئاســة الديوان في عهد هشام بن عبدالملك حيث تولاه أبو العلاء سالم ، وتلميذه عبد الحميد من بعده ، وابن المقفع . وكان هؤلاء الأعاجم هم الذين حذقوا هذه الصناعة وجعلوا لها رسوماً وأصولاً.
- تأصـــيل العلاقة بين وظيفة كاتب الرســـائل في الدولة الإســـلامية ، ووظيفة الوزير في الدولة العباسية، خلال عصرها الأول حيث تعتبر وظيفة الوزير تطوراً طبيعياً لوظيفة كاتب الرسائل.
- اشترط خلفاء بني العباس عند اختيار وزرائهم أن يكونوا من فئة الكُتَّاب لأن عملهم الرئيســي هو الكتابة بين أيدهم ، وأصبح هذا الشرط سائداً خلال الفترة الأولى من تاريخ الدولة العباسية.
- لقد تمتَّع كثير من الكُتَّاب والوزراء بصـلات وهدايا من الخلفاء والأمراء مما أدى إلى تشكيل ثروة واسعة لدى البعض منهم.

- لقد تقاضـــى الكُتَّاب رواتباً موحدةً منذ عهد الخليفة المنصـــور ثم ارتفعت هذه الرواتب في عهد المأمون ، وذلك بتولي الفضـل بن سـهل الوزارة ، فكان أول من سـن زيادة الرواتب ولم تُذكر أي أشارة عن مقدار تلك الزيادة.
- بفضل وظيفة الكتابة تربَّعت بعض الأسر على كراسي الوزارة وتصدرت مراكز الرئاسة مثل أسرة البرامكة ، وأسرة آل سهل ، وغيرها.
- ذكر مشـــاهير بعض الكُتَّاب وأثرهم في نشـــر الثقافة وذيوعها ، فثقافتهم كانت أوســـع من ثقافة غيرهم، ومدى أسهامهم في مجال الفكر الحضاري الإسلامي.
- أن كثيراً من الكُتَّاب كانوا يتمتَّعون بخصال وشمائل جمة وصفات فاضلة أشار إليها الشعراء في ثنايا قصائدهم.
- أهمية وظيفة الكاتب وارتباطها ببعض النظم كالخلافة والوزارة والقضاء والجند والعطاء وغيرها من النظم لإسلامية .
- أهمية الكتابة وبيان فضلها وشرف منزلتها ، مما أدى إلى تأليف كثير من الموسوعات والمؤلفات التي يصعب إحصاؤها .

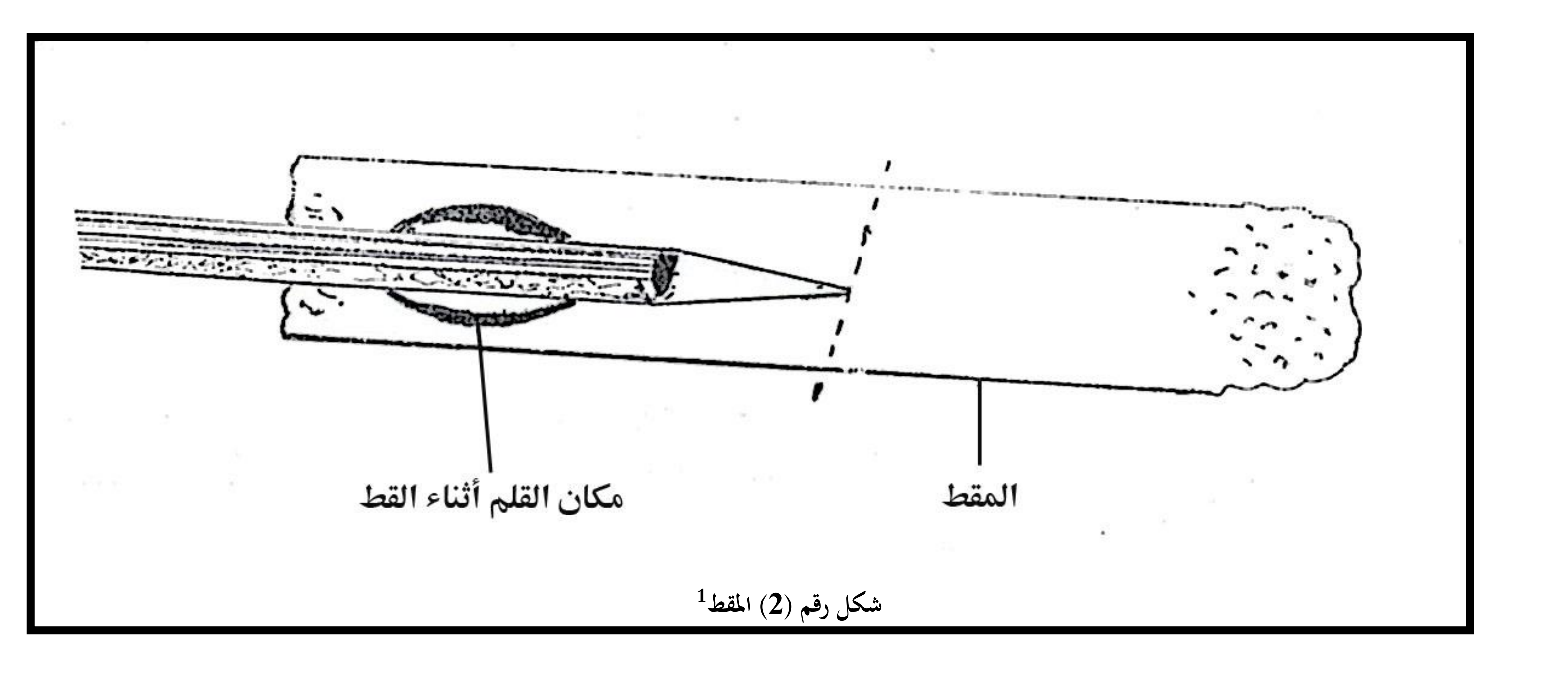

ملاحق



شكل رقم (1) يمثل الدواة[1]

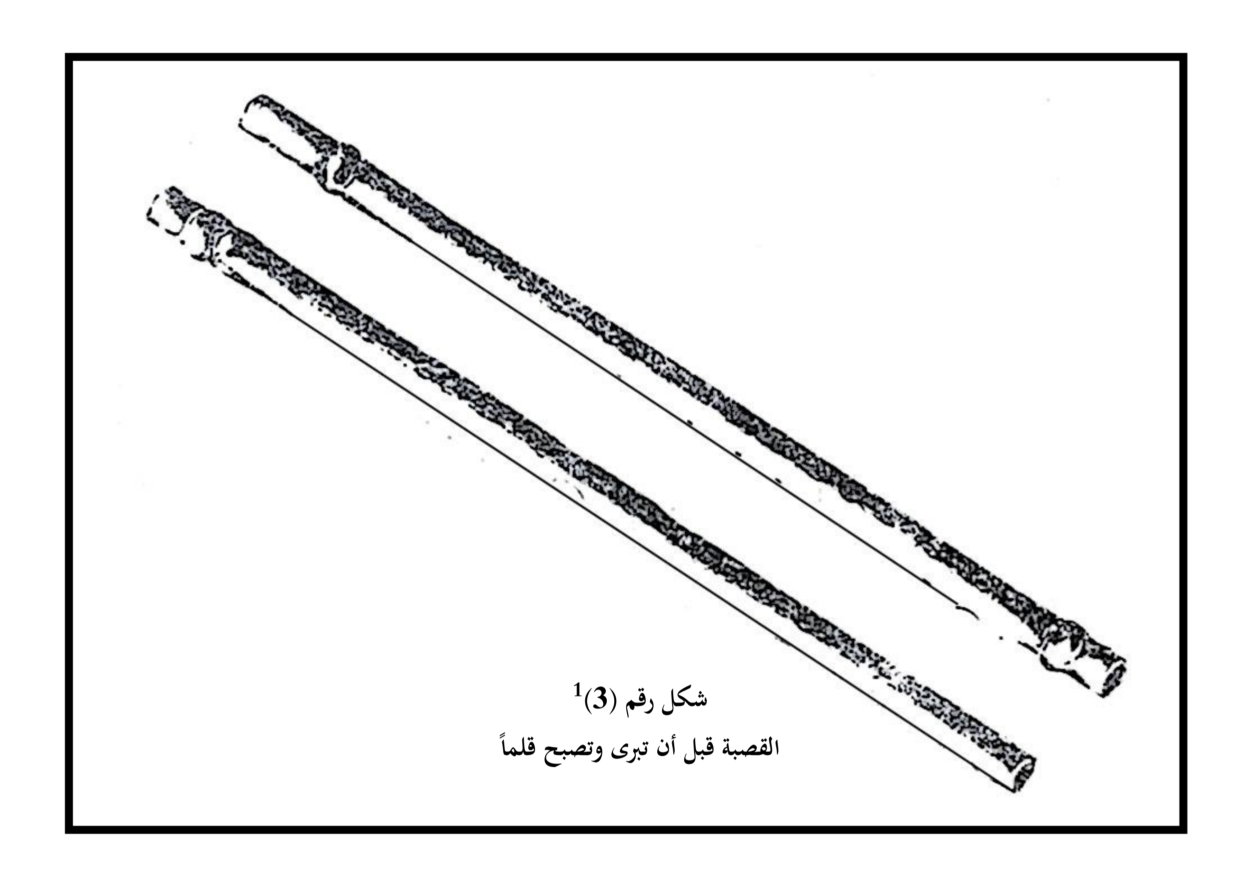
1. موضع الحبر
2. موضع الرمل
3. موضع بقية أدوات الدواة
4. موضع الأقلام
5. غطاء الدواة

[1] الشكل مأخوذ عن : زكي محمد حسن : اطلس الفنون الزخرفية و التصاوير الإسلامية ، شكل 487 ، ص 158.

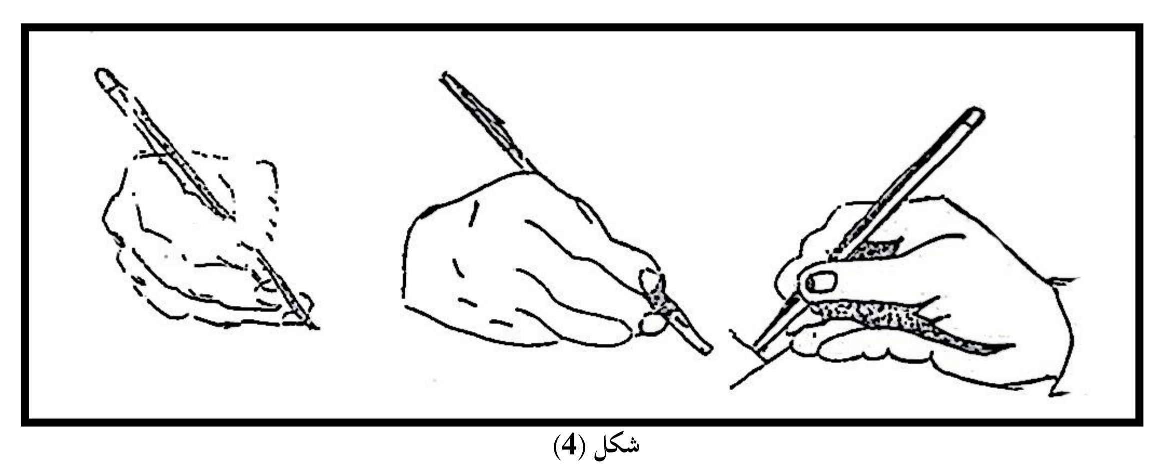


شكل رقم (2) المقط[1]

[1] الشكل مأخوذ عن نضال عبد العالي : المرجع السابق ، ص 138.

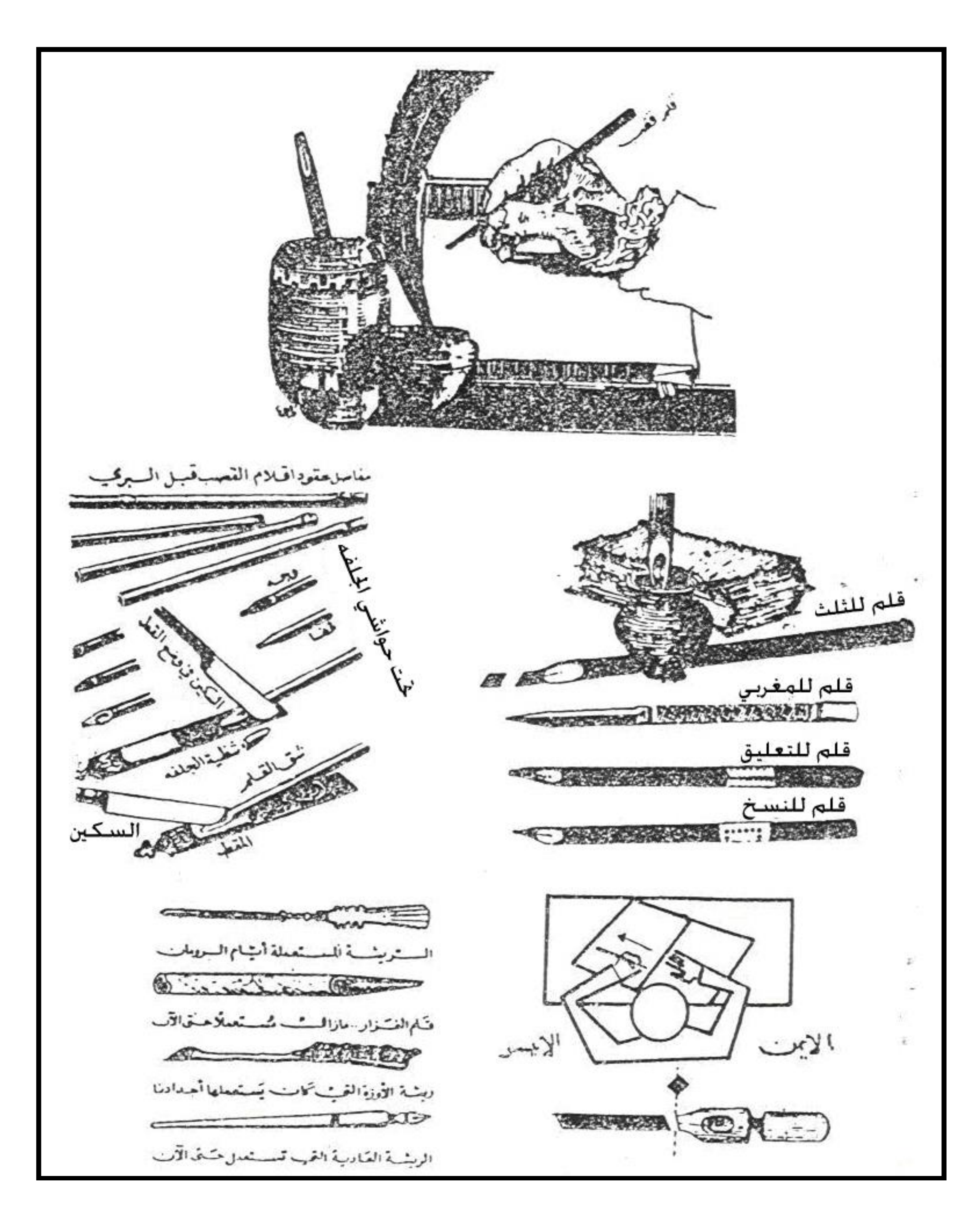


شكل رقم (3)[1]
القصبة قبل أن تبرى وتصبح قلماً



شكل (4)
مسكة القلم

[1] الشكل مأخوذ عن : نضال عبد العالي : المرجع السابق ، ص 139.



شكل (5) أدوات الكتابة [1]

---

[1] الشكل مأخوذ عن : ناجي زين الدين المصرف : بدائع الخط العربي ، ص424.

ما جاء في وصف القلم

لقد أطنب كثير من المؤلفين في تعظيم وجلالة قدر القلم ، حيث قيل أنه منار الإســلام ، ونظام الشــرف عند الأئمة والملوك والأعلام ، يتلفظ بكتاب الله وسنته ، ويبرهن عن الحلال والحرام ، وما في ضمير العالم ونيته ، فهو ســفير الممالك ، الحاكم في الدول حكم المالك ، ومفتاح الســعادة والأرزاق ، وقوام كل وزير ، وزين كل شــريف ، والعرب تقول : القلم أحد اللسانين[1]. كذلك قال بعض ملوك اليونان : أمر الدنيا والدين واقع تحت شيئين سيف وقلم ، والسيف تحت القلم[2]. وقد قيل أيضاً : القلم لسان البصر ، ومطية الفكر[3] ، وقال العتابي (ت 220هـ/735م) : ((**ببكاء الأقلام تتبسم الكتب**)) [4]، وقال جعفر بن يحيى البرمكي : ((**لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم**)) [5]. كذلك قال إسحاق بن حمّاد : ((**القلم للكاتب كالسيف للشجاع**)) [6]، وقد قيل أيضـاً : ((**القلم مجهّز لجيوش الكلام ، تخدمه الإرادة ، ولا يمل من الاستزادة ، كأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتّح نور بستان**)) [7] . قال ابن المقفع (ت 142هـ/759م) : ((**القلم بريد القلب**)) ، وقال ســـهل بن هارون (ت 215هـ/830م) : ((**القلم أنف الضـــمير ، إذا رعف أعلن أســـراره ، وأبان آثاره**)) ، **وقيل** : ((**عقول الرجال تحت أقلامها**)) [8] ، قال المأمون : ((**لله در القلم كيف يحوك وشيء المملكة**)) [9] ، قال أيضاً ابن ميثم : ((**من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قط إلا به**)) [10].

ولقد بلغت الأقلام من العز منتاه ومن الشرف أعلاه ، فكانت قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة وأعظم الأمور الجليلة قدراً وأعلاها خطراً في الدولة وهي عماد السلام ، وزناد الحرب [11].

---

(1) ابن الصائغ : تحفة أولي الألباب ، ص23–24 .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، 476/2 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص40 .

(3) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص62 . الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص40 .

(4) ابن النديم : الفهرست ، ص12 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 476/2 . ويقول عبدالحميد الكاتب : « القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة » ابن النديم : الفهرست ، ص12 . الصولي : أدب الكُتّاب ، ص63 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 2/ 475 .

(5) الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص41 .

(6) الزبيدي : حكمة الإشراق ، ص42 .

(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، 475/2 . السيوطي : المزهر ، 352/2 .

(8) الصـــولي : أدب الكُتّاب ، ص62 . الزمخشـــري : ربيع الأبرار ونصـــوص الأخبار ، تحقيق ســـليم النعيمي ،د.م ، د.أ ، 1400هـ/1980م ،249/3 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 477/2 .

(9) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص62–63 . القلقشندي : صبح الأعشى ، 477/2 .

(10) الصولي : أدب الكُتّاب ، ص64 .

(11) فوزي ســـالم عفيفي : نشـــأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي ، ط1 ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1400هـ/1980م ، ص203 .

نص خطبة البتراء*

الحمد لله على إفضاله و إحسانه ، و نسأله مزيداً من نعمه ، الهم كما زدتنا نِعَماً فألهمنا شكراً على نعمك علينا ! أما بعد ، فأنّ الجهالة الجهلاء ، و الضـلالة العمياء ،والفجر الموقد لأهله النار،الباقي عليهم سـعيرها ، ما يأتي سـفهاؤكم ، و يشـتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، فينبت فيها الصـغير ، ولا يتحاشـى عنها الكبير،كأن لم تسـمعوا نبّي الله ، و لم تقرأوا كتاب ، ولم تعملوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصـيته ، فالزمن السرمد الذي لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسـدت مسـامعه الشـهوات ، واختيار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسـلام الحدث الذي لم تسـبقوا إليه ، هذه المواخير المنصـوبة و الضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، العدد غير قليل . ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار؟ قرّبتم القرابة و باعدتم (الدين ، تعتذرون) بغير العذر ، و تعطفون على المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبةً، ولا يخشى معاداً ! ما أنتم بالحلماء ، و لقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بهم ما من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الرِّيب ، حرام علّي الطعام و الشراب حتى أُسـوّيها بلأرض هدماً وإحراقاً !إني رأيت آخرهذا الأمرلا يصـلح إلاّ بما يصـلح به أوله، لين في غير ضـعف، وشـدة في غير(جبرية) وعنف ،وأني لأقسـم بالله لآخذن الوليّ ، و المقيم بالظاعن ، و المقبل بالمدبر ، والصـحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انجُ سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم، إن كذبة المنبر[بلقاء] مشهورة فإذا تعلقتم علي بكذبه فقد، حلت لكم معصيتي . من بُيّت منكم فأنا ضـامن لما ذهب له ، إياي ودلج الليل ، فإني لا أُوتي بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ، وإياي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسـانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن حرق على قوم حرّقناه ، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنته فيه حيّاً ، فكفوا عني أيديكم وألسـنتكم ، أكفف عنكم لسـاني ويدي ، وإياي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضـربت عنقه ، وقد كانت بيني وبين أقوام إحن ، فجعلت ذلك دبر أ ذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم محسـناً فليزدد إحساناً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته . إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور . أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السـمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم ، واعلموا أني مهما قصرت عنه ، فإني لا أُقصر عن ثلاث: لست محتجباً عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابسـاً رزقاً ولاعطاء عن إنابه، ولا مجمراً لكم بعثاً ، فادعوا الله بالصـلاح لأئمتكم، فإنهم سـاستكم المؤدبون، وكهفهم الذي إليه تأوون، ومتى تصـلحوا يصـلحوا، ولا تُشـربوا قلوبكم بُغضـهم فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم لكان شراً لكم ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل ، فإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنقذوه على أذلاله، وإن لي فيكم لصـرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئٍ منكم أن يكون من صرعى .

---

* الجاحظ : البيان والتبيين ، 2/ 61 – 65 . ابن الأثير : الكامل ، 3/ 44- 47 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المصادر المخطوطة :

ابن أيبك: أحمد بن أيبك بن عبد الله (ت749هـ/1348م)

1. كنز الدر وجامع الغرر ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 4643 تاريخ.

سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين (ت654هـ/1256م)

2.مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 9276م.

القمي: محمد بن علي بن بابويه (ت381هـ/991م)

3.عيون أخبار الرضا ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 5168 تاريخ.

ابن مقله: أبو علي محمد بن الحسين (ت 328هـ/939م)

4.رسالة في علم الخط والقلم ، مخطوط محفوظ بدار الكتب ، تعليم تيمور ، القاهرة 18.

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

الآبي ، أبو سعد منصور بن الحسين (ت 421هـ/1030م).

1. نثر الدّر، تحقيق محمد علي قرنه ومحمد البجاوي ، د.م ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1981م.

الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن يحيى (ت 370هـ/980م).

2. المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، 1381هـ/1961م.

ابن الأبار ، محمد بن عبد الله (ت 658هـ/1259م).

3. إعتاب الكُتَّاب ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، 1380هـ/1997م.

الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ/1446م).

4. المستطرف في كل فن مستظرف ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر العربي ، 1997م.

ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم بن محمد (ت 5637/1239م).

5. صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق عبد الواحد حسن الشيخ ، الإسكندرية ، مكتبة الإشعاع ، 1419هـ/1999م.

6. المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، د.ت.

7. المفتاح المنشأ لحديقة الانشا ، تحقيق عبد الواحد حسن الشيخ ، الإسكندرية ، مكتبة الإشعاع 1419هـ/1999م.

ابن الأثير ، علي بن محمد (ت 630هـ/1232م).

8. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، د.م ، المكتبة الإسلامية ، د.ت.
9. الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1417هـ/1997م.

ابن الأثير ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت 606هـ/1209م).

10. جامع الأصول من أحاديث الرسول ، أشرف على طبعه عبد المجيد سليم ، حققه محمد حامد الفقي ، ط1 ، د.م ، مطبعة السنة المحمدية ، 1373هـ/1954م.
11. النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي ، ط1 ، د.م ، دار أحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه ، 1383هـ/1963م .

ابن الأثير الحلبي ، نجم الدين إسماعيل (ت737هـ/1336م).

12. جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، تحقيق زغلول سلام ،الاسكندرية ، منشأة المعارف ، د.ت.

الاربلي ، عبد الرحمن بن سنبط (ت717هـ/1371م).

13. خلاصة الذهب المسبوك من سيرة الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت.

الازدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت 334هـ/945م)

14. تاريخ الموصل ، تحقيق على حبيبة ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1387هـ/1967م.

لاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 346هـ/957م).

15. المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ومحمد شفيق ، القاهرة ، دار القلم ، 1381هـ/1961م.

الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت 360هـ/970م).

16. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت.
17. التنبيه على حدوث التصحيف ، تحقيق ، محمد حسن آل ياسين ، ط1 ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1387هـ/1967م.

الأصفهاني ، علي بن حسين (356هـ/966م).

18. الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، تونس ، الدار التونسية 1983م.

ابن أعثم الكوفي ، أحمد (نحو 314هـ/926م).

19. الفتوح ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406هـ/1986م.

امرؤ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت 80ق‌هـ/ 545م).

20. ديوان امرؤ القيس ، ط1 ، بيروت ، دار صادر ، 1418هـ /1998م.

الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ/1012م).

21. الانتصار للقرآن ، تحقيق محمد عصام القضاة ، ط1 ، عمّان – الأردن – دار الفتح – بيروت دار ابن حزم ، 1422هـ/2001م.

22. أعجاز القرآن ، ط1 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1408هـ/1988م.

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت 256هـ/868م).

23. صحيح البخاري ، ضبطه وشرح ألفاظه مصطفى ديب البغا ، ط1 ، دمشق – بيروت ، دار القلم ، دمشق ، دار الإمام البخاري ، 1401هـ/1981م.

البطليوسي ، عبد الله بن محمد (ت521هـ/1127م).

24. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، بيروت ، دار الجيل ، 1973م.

البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/1682م).

25. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1409هـ/1989م.

البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 516هـ/1122م).

26. تفسير البغوي (المسمى معالم التنزيل) إعداد وتحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار ، ط2، بيروت ، دار المعرفة ، 1407**هـ/1987م.**

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م).

27. فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1403هـ/1983م.

البلخي ، أبو زيد أحمد بن سهل (ت 322هـ/934م).

28. البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره وترجمته كلمان هوار ، شالون ، مطبعة برطرند 1903م.

البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م).

29. تاريخ الهند (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) بيروت ، عالم الكتب ، 1403هـ/1983م.

البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت470هـ/1077م).

30. المحاســن والمســاوي ، قدم له وحققه محمد ســويد ، ط1 ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1408هـ/1988م.

البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ/1065م).

31. السنن الكبرى ، ط1 ، حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1352هـ.

التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502هـ/1108م)

32. شرح القصائد العشر ، ضبطه وصححه عبد السلام الحوفي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1405هـ/1985م.

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ/892م).

33. ســنن الترمذي ، حققه وصــححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط 2 ، بيروت دار الفكر ، 1403هـ/1983م.

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م).

34. النجوم الزاهرة في ملوك مصــر والقاهرة ، طبعه مصــورة عن طبعة دار الكتب المصــرية ، د.ت.

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ/845م).

35. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، القاهرة ، منشورات دار المعارف المصرية ، 1964م .

التنوخي ، المحسن بن علي (ت 384هـ/994م).

36. الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، 1398هـ/1978م.

37. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، د.م ، د.أ ، 1391هـ/1971م.

التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباسي (ت 400هـ/1009م).

38. البصــائر والذخائر ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشــق ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشــاء ، د.ت.

39. أخلاق الوزيرين الصــاحب بن عباد وابن العميد ، وضــع حواشــيه خليل المنصــور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1997م.

الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/1037م).

40. تحســين القبيح وتقبيح الحســن ، تحقيق شــاكر العاشــور ، ط1 ، العراق ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، 1401هـ/1981م.

41. تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب الراوي وابتسام الصفار ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1977م.
42. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، القاهرة ، مطبعة الظاهر ، 1326هـ/1908م.
43. خاص الخاص ، قدم له حسين الأمين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت.
44. نثر النظم وحل العقد وبهامشه كتاب الفوائد والقلائد ، مصر ، المطبعة الأدبية ، 1317هـ.

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (255هـ/868م).

45. البخلاء ، تقديم وضبط يوسف الصميلي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1424هـ/ 2004م.
46. البيان والتبيين ، تحقيق وشــرح عبد الســلام محمد هارون ، ط4 ، بيروت ، دار الفكر ، 1367هـ/1948م.
47. التاج في أخلاق الملوك ، حققه وقدم له فوزي عطوي ، بيروت ، الشركة اللبنانية للكتاب ، 1970م.
48. الحيوان ، تحقيق وشــرح عبد الســلام محمد هارون ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت.
49. رسـائل الجاحظ ، تحقيق وشـرح عبد السـلام محمد هارون ، ط1 ، القاهرة مكتبة الخانجي 1399هـ/1979م.
50. المحاسن والأضداد ، ط1 ، بيروت ، دار الجيل ، 1417هـ/1997م.

الجرجاني ، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت816هـ/1413م).

51. كتاب التعريفات، ضــبطه وفهرســه محمد بن عبد الحكيم القاضــي ، ط1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1411هـ/ 1991م.

أبو جعفر النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت 338هـ/949م) .

52. صناعة الكُتَّاب ، تحقيق بدر أحمد ، بيروت ، دار العلوم العربية ، 1410هـ/1990م .

الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت 331هـ/942م) .

53. الوزراء والكُتّاب ، تحقيق مصــطفى الســقا وآخرين، ط2 ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة ، مصطفى البابي الحلبي ، 1401هـ/1980م .

الجواليقي ، موهوب بن أحمد (ت 539هـ/1144م) .

54. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ط1 ، دمشــق ، دار القلم ، 1410هـ/1990م .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ/1200م).

55. تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1975م.

56. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق على محمد عمر ، ط1 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1417ه/**1997م**.

57. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1412ه/1992م.

الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت 393ه/1002م) .

58. الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط3 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1404ه/1984م .

ابن أبي حاتم ، محمد بن عبد الرحمن (ت 327ه/938م) .

59. آداب الشافعي ومناقبه ، قدم له وحقق أصله وعلق عليه عبد الغني عبد الخالق ، بيروت، دار الكتب العلمية ، د.ت .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت 1067ه/1956م) .

60. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، د.م ، دار الفكر ، 1402ه/1982م .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت 245ه/859م).

61. المحبّر ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، د.ت .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت 852ه/1448م) .

62. الإصابة في تميز الصحابة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

63. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410ه/1989م .

حجة الحموي : تقي الدين أبي بكر بن محمد (ت 837ه/1433م) .

64. ثمرات الأوراق ، صححه وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1971م .

ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت نحو656ه/نحو 1258م) .

65. شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، 1387ه/1967م .

ابن حديده الأنصاري ، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد (ت 783ه/1381م).

66. المصباح المضيء في كُتّاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، ط1 ، حيد أباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، 1397هـ/1977م .

ابن حزم ، علي بن أحمد (ت 456هـ/1063م) .

67. جمهرة أنساب العرب ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، ط1 ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م .

الحلبي، علي بن برهان الدين (ت 1044هـ/1634م) .

68. السيرة الحلبية ، بيروت ، المكتبة الإسلامية ، د.ت .

ابن حمدون ، محمد بن الحسين (ت 562هـ/1166م) .

69. التذكرة الحمد ونية ، تحقيق إحسان عباس ، ط1 ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، 1983م .

الحميري ، محمد عبد المنعم (ت 727هـ/1326م) .

70. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975م .

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 789هـ/1387م) .

71. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية ، 1419هـ/1998م .

الخزاعي التلمساني ، علي بن محمد (ت 789هـ/1387م) .

72. تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق إحسان بن عباس، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1419هـ/1999م.

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/1070م) .

73. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، صححه محمد العرفي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

74. تقييد العلم ، حققه وعلّق عليه يوسف العش ، ط2 ، د.م ، دار إحياء السنة النبوية ، 1974م .

الخفاجي ، شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري (ت 1019هـ/1610م) .

75. شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل ، تصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط1 ، مصر ، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى ، 1371هـ/1952م .

الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت 466هـ/1073م) .

76. سر الفصاحة ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، د.م ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1389هـ/1969م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م)

77. مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، د.م ، الدار التونسية ، 1984م .

78. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، 1399هـ/1979م .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م) .

79. وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، د.ت

الخوارزمي ، محمد بن أحمد (ت 240هـ/854م) .

80. مفاتيح العلوم ، تحقيق نهى النجار ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، 1993م.

ابن خياط ، خليفة (ت 240هـ/854م) .

81. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، 1405هـ/1985م .

82. الطبقات ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، ط2 ، الرياض ، دار طيبة ، 1402هـ/1982م.

الدارمي ، أبو محمد بن عبدا لله بن عبد الرحمن (ت 255هـ/868م) .

83. سنن الدارمي ، د.م ، دار إحياء السنة النبوية ، د.ت .

الداني ، أبو عمروعثمان بن سعيد (ت 444هـ/1052م) .

84. المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق أحمد دهمان ، دمشق ، دار الفكر ، 1359هـ .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستناني (ت 275هـ/888م) .

85. سنن أبي داود ، راجعه وضبط أحاديثه وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد ، د.م ، دار إحياء السنة النبوية ، د.ت .

ابن الداية ، أحمد بن يوسف الكاتب (ت 340هـ/951م) .

86. المكافأة وحسن العقبى ، حرره علي محمد عمر، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1421هـ/2001م .

ابن درستويه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد (ت 346هـ/957م) .

87. الكُتّاب ، نشره وأضاف إليه الملحوظات والفهارس لويس شيخو اليسوعي ، ط2 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1927م .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ/933م) .

88. الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، مؤسسة الخانجي ، بيروت ، المكتب البخاري ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.م ، مطبعة السـنة المحمدية ، 1387هـ/1958م .
89. جمهرة اللغة ، حيد أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1345هـ.

ابن دقماق ، إبراهيم محمد (ت 809هـ/1406م) .

90. الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي ، 1403هـ/1982م .

الدميري ، كمال الدين أبو البقاء (ت 808هـ/1405م) .

91. حياة الحيوان الكبرى ، ط3 ، القاهرة ، شركة ومكتبة ومطبعة مصـطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1376هـ/1956م .

الدينوري ، أحمد بن داود (ت 282هـ/895م) .

92. الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، 1960م.

الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/1374م) .

93. تاريخ دول الإسلام ، ط1 ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، 1337هـ.
94. سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه شعيب الأنؤوط ، ط1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1402هـ/1982م .
95. العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، دائرة المطبوعات والنشر ، 1960م .

الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502هـ/1808م) .

96. محاضـرات الأدباء ومحاورات الشـعراء البلغاء ، هذبه واختصـره إبراهيم زيدان ، بيروت ، دار الآثار ، د.ت .

الرامهزي ، الحسن بن عبد الرحمن (نحو 265-360هـ/نحو 878-970م) .

97. المحدث الفاصـــل بين الراوي والواعي ، قدم له وحققه وخرج أخباره وعلّق عليه ووضـــع فهارسه محمد عجاج الخطيب ، بيروت ، دار الفكر ، 1391هـ/1971م .

ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290هـ/902م) .

98. الأعلاق النفسية ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1891م .

ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ/1070م) .

99. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه محمد محيي الدين عبدالمجيد ، ط4 ، بيروت ، دار الجيل ، 1972م .

ابن الأزرق ، أبو عبدالله (ت 896هـ/1490م) .

100. بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، بغداد ، دار الحرية ، 1397هـ/1977م .

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو 250هـ/864م)

101. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، ط3 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1403هـ/ 1983م.

الزبيدي ، محمد مرتضى (ت 1205هـ/1790م) .

102. تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1389هـ/1970م .

103. حكمة الإشراق إلى كُتّاب الآفاق وبذيله تتمة نقد الآثار المرفوعة عن الخط والكتابة ، عني بإخراجه محمد طلحة بلال ، ط1، جدة ، دار المديني ، 1411هـ/1990م .

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ/1391م) .

104. البرهان في علوم القرآن ، تحقيق جمال الذهبي وإبراهيم الكردي ، ط2 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1415هـ/1994م .

أبو زرعه ، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت 281هـ/894م).

105. تاريخ أبي زرعه الدمشقي ، دراسة وتحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1400هـ/1980م.

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 583هـ/1187م) .

106. أساس البلاغة ، بيروت ، دار الفكر ، 1415هـ/1994م .

107. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق سليم النعيمي ، د.م ، د.أ ، 1400هـ/1980م .

108. الفائق في غريب الحديث والأثر ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ،عيسى البابي و شركاه ، د.ت.

109. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت .

زهير بن أبي سُلْمَى ، زهير بن أبي سُلْمَى ربيعة بن رياح المزني (ت 13ق‌هـ/ 609م) .

110.ديوان زهير بن أبي سُلْمَى ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .

الزوزني ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين (ت 468هـ/1075م) .

111.شرح المعلقات السبع ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، 1387هـ .

السجستناني ، أبوبكر عبد الله سليمان بن الأشعث (ت 316هـ/928م) .

112.المصاحف ، دارسة وتحقيق محب الدين عبدالسبحان واعظ ، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، 1415هـ/1995م .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م) .

113.الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403هـ/1983م .

ابن سعد ، محمد بن منيع (ت 230هـ/844م) .

114.الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ، 1405هـ/1985م .

سلامة بن جندل ، سلامة بن جندل بن عبد عمرو (ت نحو23ق هـ/ نحو600م) .

115.ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوه ، ط1 ، حلب ، المكتبة العربية ، 1387 هـ/ 1968م .

السلماني ، لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1375م) .

116.الإشارة إلى أدب الوزارة ، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ، د.م ، د.أ ، د.ت.

السمعاني ، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م)

117.أدب الإملاء والاستملاء ،تحقيق ماكس فايسفايلر ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1401هـ/1981م.

118.الأنساب ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمد أمين ، ط1 ، د.م ، د.أ ، 1401هـ/1981م.

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي (ت 581هـ/1185م) .

119.الروض الأنف ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه الرءوف ، بيروت ، دار الفكر ، 1401هـ/1981م.

ابن سيد الناس ، محمد بن محمد اليعمري (ت 734هـ/1333م) .

120.عيون الأثر في فنون المعازي والشمائل والسير ، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو ، ط1 ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، دمشق – بيروت ، دار ابن كثير ، 1413هـ/1992م .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ/1065م) .

121.المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الآفاق ، د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 458هـ/1065م).

122.الإتقان في علوم القرآن ، قدم له وعلق عليه شريف سكر ، راجعه مصطفى قصاص ، ط2 ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، 1412هـ/1992م .

123.تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، د.م ، د.أ ، د.ت .

124.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1387هـ/1968م .

125.المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، بيروت ، دار الجيل ، د.م ، دار الفكر ، د.ت.

126.الوسائل إلى معرفة الأوائل ، تقديم وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، 1423هـ/2003م .

الشابشتي : علي بن محمد (ت388هـ/998م) .

127.الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1386هـ/1966م.

الشافعي ، محمد بن إدريس (ت 204هـ/820م) .

128.الأم ، أشرف على طبعه وباشر تصحيحه محمد زهري النجار ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت .

الشريشي ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيس (ت 619هـ/1222م) .

129.شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، المؤسسة العربية الحديثة ، د.ت .

ابن شيث ، عبد الرحيم بن علي (ت 625هـ/1227م) .

130.معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، حقه وضبطه وعلق على حواشيه محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1408هـ/1983م .

الشيرزي ، عبد الرحمن نصر (ت 589هـ/1193م) .

131.المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق علي الموسى ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1407هـ/1987م .

ابن الصائغ ، عبد الرحمن بن يوسف (ت 845هـ/1441م) .

132. تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتابة ، حققها وقدم لها وعلق عليها جلال ناجي ، تونس ، دار بو سلامة ، 1967م .

الصابي ، هلال بن المحسن (ت 448هـ/1056م) .

133. رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، ط2 ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1406هـ/1986م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م) .

134. نكت الهيمان في نكت العميان ، وقف على طبعه أحمد زكي بك، مصر ، المطبعة الجمالية، 1329هـ/1911م .

135. الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى ، ط1 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1420هـ/2000م .

الصقلي ، عمر بن خلف مكي (ت 501هـ/1107م) .

136. تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1386هـ/1969م .

الصولي ، أبوبكر محمد بن يحيى (ت 336هـ/947م) .

137. أدب الكُتّاب ، شرح وتعليق أحمد حسن بسج ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415هـ/1998م .

138. الأوراق أخبار الشعراء المحدثين ، ط2 ، بيروت ، دار المسيرة ، 1401هـ/1982م .

ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت 542هـ/1147م) .

139. قانون ديوان الرسائل ، عني بنشره والتعليق عليه علي بهجت ، ط1 ، مصر ، مطبعة الواعظ ، 1905م .

الضبي ، المفضل بن محمد (ت 170هـ/786م) .

140. المفضليات ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواشي روايات لعدة لغويين وعلماء كارلوس يعقوب لايل ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1930م .

ابن طباطبا ، محمد بن علي (ت 709هـ/1309م) .

141. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، حققه وضبطه وشرحه عبدالقادر محمد مايو ، ط1 ، حلب ، دار القلم ، 1418هـ/1997م .

الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) .

142.تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار سويد ، 1387هـ/1967م .

143.جامع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، دار المعرفة ، 1409هـ/1989م .

الطرطوشي ، محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م) .

144.سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياتي ، ط1 ، د.م ، رياض الريس للكتب والنشر ، 1990م .

طرفة بن العبد ، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي(ت60ق.هـ/ 564م) .

145.ديوان طرفة بن العبد ، بيروت ، دار بيروت ، 1399هـ/1979م .

ابن طيفور ، أحمد بن طاهر (ت 280هـ/1126م) .

146.بغداد ، تصحيح محمد الكوثري ، د.م ، د.أ ، 1368هـ/1949م .

العباسي ، حسن بن عبد الله (ت 710هـ/1310م).

147.آثار الأول في ترتيب الدول ، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه عبدالرحمن عميرة ، ط1 ، بيروت ، دار الجيل ، 1409هـ/1989م .

عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ/1070م) .

148.الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/870م) .

149.سيرة عمر بن عبدالعزيز ، صححه وعلّق عليه أحمد عبيد ، ط5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د.ت .

150.فتوح مصر وأخبارها ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1930م .

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ/939م)

151.العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وآخرين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله (ت571هـ/1175م) .

152.تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو أخبار بنواحيها من وارديها وأهلها ، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، بيروت ، دار الفكر ، 1415هـ ، 1417هـ/1995م ، 1997م .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 400هـ/1009م) .

153.الأوائل ، تحقيق وليد قصّاب ومحمد المصري ، ط2 ، الرياض ، دار العلوم ، 1401هـ/1981م

154.الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق مفيد قميحة ، ط2 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1404هـ/1984م .

العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 1111هـ/1699م) .

155.سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د.ت

ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1678م) .

156.شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، د.ت .

ابن العمراني ، محمد بن علي (ت 580هـ/1184م) .

157.الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم و دراسة قاسم السامرائي ، لا يدن ، د.أ ، 1973م.

ابن فارس ، أحمد بن زكريا (ت395هـ/1004م)

158.الصاحبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، د.ت .

159.معجم مقاييس اللغة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1392هـ/1972م.

أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)

160.التبر المسبوك في تاريخ الملوك ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت.

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت175هـ/791م)

161.العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، د.م ، دار مكتبة الهلال ، د.ت.

ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى (ت749هـ/1349م)

162.مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت .

ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت365هـ/975م)

163.مختصر كتاب البلدان ، ط1 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1408هـ/1988م.

ابن فهد الحلبي ، شهاب الدين محمود (ت 725هـ/1324م)

164. حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، بغداد ، دار الحرية ، 1400هـ/1980م.

الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م)

165. القاموس المحيط ، بيروت ، دار الجيل ، د.ت.

الفيومي ، أحمد بن محمد (ت 770هـ/1368م)

166. المصباح المنير ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1981م.

القالي ، أبو علي إسماعيل القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/966م)

167. الآمالي ، د.م ، د.أ ، د.ت .

قدامة ، قدامة بن جعفر (ت 337هـ/948م)

168. الخراج وصنعة الكتابة والمنزلة الخامسة ، تحقيق طلال جميل الرفاعي ، مكة المكرمة مكتبة الطالب الجامعي ، 1407هـ/1987م.

169. الخراج وصنعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1981م .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/889م)

170. أدب الكاتب ، شرحه وضبطه وقدم له على قاعور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1408هـ/1988م.

171. الإمامة والسياسة ،القاهرة ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1388هـ/1969م.

172. الشعر والشعراء ، تحقيق مفيد قميحه وآخرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1405هـ/1985م.

173. عيون الأخبار ، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له ورتب فهارسه يوسف على طويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406هـ/1986م.

174. المعارف ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، القاهرة ، دار المعارف ، 1969م.

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)

175. اثر البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار بيروت ، 1404هـ/1984م.

القضاعي ، محمد بن سلامة (ت 454هـ/1062م).

176. عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، تحقيق جميل المصري ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، 1415هـ/1995م.

القفطي ، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م)

177. تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء باخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، مؤسسة الخانجي ، د.ت .

القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)

178. صبح الأعشى في صناعة الانشا ، د.م ، دار الفكر ، د.ت .

179. مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط1 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1964م.

180. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة ، 1396هـ/1976م.

القونوي ، قاسم بن عبد الله (ت 987هـ/1570م)

181. أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، ط2 ، جدة ، دار الوفاء ، 1407هـ/1987م.

القيرواني ، إبراهيم بن علي الحصري (ت453هـ/1061م) .

182. زهر الآداب وثمر الألباب ، شرح زكي مبارك ، ط4 ، دار الجيل ، د.ت .

قيس بن الخطيم ، قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت نحو 2ق.هـ/ نحو620م).

183. ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط3 ، بيروت ، دار صادر ، 1411هـ/ 1991م.

الكاتب ، علي بن خلف (ت نحو 457هـ/ نحو 1064م)

184. مواد البيان ، تحقيق حسين عبد اللطيف ، د.م ، منشورات جامعة الفاتح ، د.ت .

ابن الكازوني ، علي بن محمد (ت 697هـ/1297م)

185. مختصر التاريخ ، حققه مصطفى جواد سالم الالوسي ، بغداد ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، 1390هـ/1970م.

كبرى زاده ، أحمد مصطفى (968هـ/1561م)

186. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 1968م .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل عمر (ت 774هـ/1372م)

187. البداية والنهاية ، اعتنى به عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1421هـ/2001م.

188. تفسير القرآن العظيم ، ط6 ، بيروت ، مؤسسة الريان ، 1422هـ/2001م.

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت 1094هـ/1683م) .

189. الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، قابله على نسخه خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1976م .

الكلاعي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (ت نحو 550هـ/1155م)

190. إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس ، تحقيق محمد رضوان الدّايه ، ط2 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1405هـ/1985م.

الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)

191. الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح رفن كست ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، د.ت.

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب (ت 450هـ/1058م)

192. الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط3 ، مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1393هـ/1973م.

193. أدب القاضي ، تحقيق يحيى هلال السرحان ، بغداد ، رئاسة الأوقاف ، 1391هـ/1971م .

المباركفوري ، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1283هـ/1353م).

194. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط3 ، د.م ، دار الفكر ، 1399هـ/ 1979م .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م)

195. الكامل في اللغة والأدب ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1407هـ/1987م.

ابن المثنى ، أبو عبيدة معمر (ت نحو209هـ/ نحو824 م) .

196. نقائض جرير والفرزدق ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت .

ابن المدبر ، إبراهيم بن محمد (ت 279هـ/893م).

197. الرسالة العذراء ، تصحيح وشرح زكي مبارك ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، 1350هـ/1931م.

المرتضى ، الشريف أبو القاسم علي بن الحسن (ت 436هـ/1044م)

198. آمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1998م.

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م)

199. التنبيه والإشراف ، عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله الصاوي ، القاهرة ، دار الصاوي ، 1357هـ/1938م.

200. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، د.م ، دار الفكر ، 1393هـ/1973م.

مسكوية ، أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)

201. تجارب الأمم ، نشره دي غويه ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1869م.

المقدسي ، محمد أحمد المعروف بالبشاري (ت 380هـ/990م)

202. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1906م.

المقري ، أبو العباس احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م)

203. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1388هـ/1968م.

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت 845هـ/1441م)

204. إمتاع الأسماع ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1420هـ/1999م.

205. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، 1422هـ/2002م.

ابن المقفع ، عبدالله (ت نحو 142هـ/ نحو759م) .

206. آثار ابن المقفع ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1409هـ/1989م .

ابن مماتي ، اسعد بن مهذب (ت 606هـ/1209م)

207. قوانين الدواوين ، مصر ، د.أ ، 1299م.

ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)

208.لسان العرب ، ط3 ، بيروت ، دار صادر ، 1414ه/1994م.

مؤلف مجهول:

209.العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د.ت .

النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت نحو 18ق‌ه/ نحو604م).

210.ديوان النابغة الذبياني ، حققه وقدم له فوزي عطوي ، بيروت ، الشـــركة اللبنانية للكتاب ، 1969م .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت 385ه/995م)

211.الفهرســـت ، تحقيق رضـــا تجّدد بن علي زين العابدين ، ط3 ، بيروت ، دار المســـيرة ، 1988م.

النووي ، محي الدين بن شرف (ت 676ه/1277م)

212.تهذيب الأسماء واللغات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت .

النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733ه/1333م)

213.نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،المؤسسة المصرية ، 1357ه/1938م.

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت 218ه/833م).

214.السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وآخرين ، ط1 ، بيروت – دمشق ، دار الخير ، 1410ه/1990م.

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807 ه/1404م).

215.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحـافظين العراقي وابن حجر ، ط3 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1402ه/1982م .

ابن وادران ، حسين بن محمد (ت 1172ه/1758م).

216.تاريخ العباسـيين أو دولة الرشـيد من بني العباس وبنيه ، تقديم و تحقيق المنجي الكعبي ، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1993م.

ابن الوردي ، سراج الدين ابي حفص عمر (ت 861ه/1456م).

217.خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، صــــــححه وأعده وعلق عليه محمود فاخوري ، بيروت – حلب ، دار الشرق العربي ، 1411ه/1991م.

ابن الوطواط ، أبو إسحاق برهان الدين الكتبي (ت718ه/1318م).

218.غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة ، بيروت ، دار صعب ، د.ت .

اليافعي ، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ/1366م).

219.مرآة الجنان وعبرة اليقظـــان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، 1413هـ/1993م.

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م).

220.معجم الأدباء ، ط3 ، د.م ، دار الفكر ، 1400هـ/1980م.

221.معجم البلدان ، ط2 ، بيروت ، دار صادر ، 1416هـ/1995م.

اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق (ت نحو 292هـ/ت نحو 904م).

222.البلدان ، ليدن ، مطبع بريل ، 1891م.

223.تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار بيروت ، 1390هـ/1970م.

أبو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين (ت 458هـ/1065م).

224.الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، الرياض ، دار الوطن ، د.ت .

أبو يوسف،يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت 182 هـ /798م)

225.الخراج ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، القاهرة ، دار الإصلاح ، د.ت .

رابعاً : المراجع

آدم متز.

1. الحضـارة الإسـلامية في القرن الرابع الهجري أو عصـر النهضـة في الإسـلام نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبوريده ، ط4 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1387هـ/1967م.

أحمد عبد الرازق.

2. الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1990م.

أحمد عبد الرحمن عيسى.

3. كتاب الوحي ، الرياض ، دار اللواء ، 1400هـ/1980م.

الأحمدي ، علي بن حسين.

4. مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيروت ، دار المهاجر ، د.ت .

الأسد ، ناصر الدين الأسد.

5. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، القاهرة ، دار المعارف ، 1969م.

الأعظمي ، محمد الأعظمي.

6. كُتَّاب النبي صـــلى الله عليه وســلم ، دمشـــق – بيروت ، المكتب الإســلامي ، 1401هـ/1981م.

أمين ، أحمد أمين.

7. ضحى الإسلام ، ط5 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956م.
8. فجر الإسلام ، ط10 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1402هـ/1969م.

الباشا ، حسن الباشا .

9. دراسات في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1988م.

البطانية ، محمد ضيف الله.

10. الحضارة الإسلامية ، ط1 ، عمّان – الأردن ، دار الفرقان ، 1423هـ/2002م.

البستاني ، بطرس البستاني

11. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام والأعصر العباسية –حياتهم –وآثارهم– ونقد آثارهم ، د.م ، دار مارون عبود ، 1979م.

بورلو ، جوزيف بورلو.

12. الحضارة الإسلامية ، نقله إلى العربية ريمة الفوال راجعه وقدم له سهل ذكار ، دمشق ، دار الكتاب العربي ، 1421هـ/2001م.

بهيج ملاحويش.

13. موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا – الحضارة الإسلامية – اسبانيا ، دايكو ، 1416هـ .

الجادر ، وليد محمود.

14. الأزياء الشعبية في العراق ، بغداد ، دار الرشيد ، 1979م.

الجبوري ، سهيلة ياسين.

15. أصـــل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصـــر الأموي ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1977م.

الجبوري ، يحيى وهيب.

16. الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1994م.
17. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، ط4، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1403هـ/1983م.

جرجي زيدان.

18. تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الهلال ، 1935م

جيدة ، عبد الحميد جيدة.

19. صناعة الكتابة عند العرب ، ط1 ، بيروت ، دار العلوم العربية ، 1418هـ/1998م.

الحتاملة ، عبد الكريم الحتاملة.

20. البنية الإدارية للدولة العباسية ، ط1 ، عمّان – الأردن ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، 1406هـ/1985م.

حجاب ، محمد نبيه.

21. بلاغة الكُتَّاب في العصــر العباســي ، ط2 ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م.

حسن إبراهيم حسن.

22. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1964م.

حسن ، زكي محمد.

23. أطلس الفنون الزخرفيـة والتصـــــاوير الإســــلاميـة ، بيروت ، دار الرائـد العربي 1401هـ/1981م.

حسين ، طه حسين.

24. من حديث الشعر والنثر ، القاهرة ، دار المعارف ، 1969م.

حسيني ، مولوي ، س . أ . ق.

25. الإدارة العربية ، ترجمة إبراهيم العدوى ، القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، د.ت .

حمّاد ، سامي زين العابدين.

26. موسوعة الإدارة في الإسلام ، جدة ، دار العلم ، 1408هـ/1988م.

حمادة ، محمد ماهر.

27. الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً ، ط1 ، الرياض ، دار العلوم ، 1404هـ/1984م.

حمودة ، محمود عباس.

28. تاريخ الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة غريب ، د.ت .

الحوفي ، أحمد محمد.

29. أدب السياسة في العصر الأموي ، ط5 ، د.م ، دار نهضة مصر ، د،ت.

الحيدر آبادي ، محمد حميد الله.

30. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط4 ، بيروت ، دار النفائس ، 1403هـ/1983م.

الخربوطلي ، حسني الخربوطلي.

31. الحضارة العربية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1975م.

الخطيب ، محمد عجاج.

32. أصول الحديث ومصطلحه ، د.م ، دار المعارف ، 1408هـ/1988م.

33. السنة قبل التدوين ، ط3 ، بيروت ، دار الفكر ، 1400هـ/1980م.

خفاجي ، محمد عبد المنعم .

34. الحياة الأدبية عصر بني أمية ، ط2 ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1973م .

خماش ، نجدة خماش.

35. الإدارة في العصر الأموي ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 1400هـ/1980م.

الخياري، محمد أحمد ياسين.

36. الخط والكتابة ، ط1 ، جدة ، دار العلم ، 1419هـ/ 1989م .

الخيرو ، رمزية عبد الوهاب.

37. إدارة العراق في صدر الإسلام ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1398هـ/1978م.

الدالي ، عبد العزيز الدالي.

38. الخطاطة الكتابة العربية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1400هـ/1980م.

الدراج ، أحمد السيد.

39. صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ، مكة المكرمة ، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ، 1400هـ/1980م.

الدوري ، عبد العزيز الدوري.

40. العصر العباسي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1988م.

41. النظم الإسلامية ، بغداد ، جامعة بغداد – بيت الحكمة – 1988م.

الرافعي ، مصطفى الرافعي.

42. حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، ط2 ، د.م ، دار الكتاب اللبناني ، 1968م.

الراوي ، ثابت إسماعيل.

43. العراق في الدولة الأموية من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، ط2 ، بغداد ، جامعة بغداد ، مكتبة الأندلس ، 1970م.

رجب عبد الجواد إبراهيم (وآخرين)

44. المعجم العربي لأسماء الملابس ، ط1 ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، 1423هـ/2002م.

رفاعي ، أحمد فريد.

45. عصر المأمون ، ط1 ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1346هـ/ **1927م** .

الرفاعي ، أنور الرفاعي.

46. النظم الإسلامية ، دمشق ، دار الفكر ، 1392هـ/1972م.

الرفاعي ، عبد العزيز الرفاعي.

47. من عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب والموظفين ، ط2 ، الرياض ، شركة ومطابع الجزيرة ، 1393هـ/1973م.

الريس : محمد ضياء الدين .

48. الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ط5 ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، 1985م.

الزركلي ، خير الدين الزركلي.

49. الاعلام ، ط5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980م.

الزهراني ، ضيف الله يحيى.

50. موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الأول ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، 1405هـ/1984م.

51. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة 132هـ – 334هـ ، ط1 ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م.

سالم ، السيد عبد العزيز.

52. تاريخ الدولة العربية ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت .

السامرائي ، حسام الدين.

53. المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية (247– 334هـ/861 – 945م) ، د.م دار الفكر العربي ، 1403هـ.

سرور ، محمد جمال الدين.

54. الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، د.م ، دار الفكر العربي ، 1395هـ/1975م.

سعيد ، خير الله سعيد.

55. وراقوّ بغداد في العصر العباسي ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1421هـ/2000م.

السلومي ، عبد العزيز بن عبد الله.

56. ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م.

الشامي ، أحمد الشامي.

57. الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، القاهرة ، دار العلوم للطباعة ، 1404هـ/1983م.

الشباني ، محمد عبد الله.

58. نظام الحكم والإدارة في الدولة العباسية ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1399هـ/1979م.

الشكعة ، مصطفى الشكعة.

59. الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1974م.

60. معالم الحضارة الإسلامية ، ط2 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1975م.

61. مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ط7 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1993م.

شلبي ، أحمد شلبي.

62. التربية الإسلامية (نظمها – فلسفتها – تاريخها) ط6 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1978م.

63. السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1979م.

شلبي ، أبو زيد شلبي.

64. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1408هـ/1988م.

الشنطي ، محمد صالح .

65. فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه ، ط4 ، حائل ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، 1417هـ .

شوقي ضيف.

66. العصـر الإسـلامي ، سـلسـلة تاريخ الأدب العربي (2) ، ط6 ، القاهرة ، دار المعارف 1963م.

67. العصر العباسي ، سلسلة تاريخ الأدب العربي (3) ، ط10 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1966م.

شيخو ، لويس شيخو.

68. شعراء النصرانية في الجاهلية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، د.ت.

الصالح ، صبحي الصالح.

69. النظم الإسلامية ونشأتها وتطورها ، ط4 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1978م.

صفوت ، أحمد زكي.

70. جمهرة رسـائل العرب في عصـور العربية الزاهرة ، القاهرة ، دار المطبوعات ، 1356ھ/1937م.

الطريقي ، عبد الله الطريقي.

71. العمل بالخط والكتابة في الفقه الإسلامي ، ط1 ، الرياض ، د.أ ، 1413ھ/1992م.

طه ، عبد الواحد ذنون.

72. العراق في عهد الحجاج بن يوسـف الثقفي ، ط1 ، الموصـل ، جامعة الموصـل ، 1405ھ/1985م.

العبادي ، أحمد مختار.

73. في التاريخ العباسي والأندلسي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1972م.

عباس ، عبد الحليم عباس.

74. البرامكة في التاريخ ، د.م ، د.أ ، د.ت .

عبد الباقي ، محمد فؤاد.

75. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ، مؤسسة جمال للنشر ، د.ت.

عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد.

76. العالم الإسـلامي في العصـر الأموي (41-132ھ/661-750م) ، ط2 ، د.م ، د.أ ، 1414ھ/1993م.

عبد المنعم ، حمدي عبد المنعم.

77. ديوان المظالم نشـــأته وتطوره واختصـــاصـــاته ، ط1 ، القاهرة ، دار الشـــروق ، 1403هـ/1983م.

العبيدي ، صلاح حسين.

78. الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية ، بغداد ، دار الرشيد 1980م.

عفيفي ، فوزي سالم.

79. نشـــأة وتطور الكتابة الخطية ودورها الثقافي والاجتماعي ، الكويت ، وكالة المطبوعات 1400هـ/1980م.

العلي ، صالح أحمد.

80. بغداد مدينة السلام ، العراق ، المجمع العلمي العراقي ، 1985م.

علي ، جواد علي.

81. المفصـــل في تاريخ العرب قبل الإســـلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1978م.

علي ، سير أمير.

82. مختصـر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1961م.

عمر فروج.

83. تاريخ الأدب العربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1981م.

غالب ، عبد الرحيم غالب.

84. موسوعة العمارة الإسلامية ، ط1 ، بيروت ، د.أ ، 1408هـ/1988م.

غريب ، جورج غريب.

85. عبد الله بن المقفع دراسة في الأدب والتاريخ ، بيروت ، دار الثقافة ، 1981م.

فاروق عمر.

86. العباسيون الأوائل ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1392هـ/1973م.

الفعر ، محمد فهد

87. تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإســـلام وحتى منتصـــف القرن الســـابع الهجري ، ط1 ، جدة ، تهامة ، 1405هـ/1984م.

الفندي ، محمد ثابت (وآخرون) .

88. دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبدالحميد يونس ، تهران ، انتشارات جهان ، د.ت .

القاسمي ، ظافر القاسمي.

89. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، دار النفائس ، 1398هـ/1987م.

كاتبي ، غيداء خزنة.

90. الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري ، ط2 ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997م.

الكتاني ، عبد الحي عبد الكبير.

91. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، بيروت ، دار الكتابة العربي ، د.ت

كرد علي ، محمد كرد علي.

92. الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1968م.

93. أمراء البيان ، ط3 ، بيروت ، دار الأمانة ، 1388هـ/1969م.

94. رسائل البلغاء ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1365هـ/1946م.

الكروي ، إبراهيم سلمان.

95. نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر والترجمة ، 1983م.

الكروي ، إبراهيم سليمان وعبد التواب شرف الدين.

96. المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت ، ذات السلاسل ، 1404هـ/1984م.

الكك ، فكتور الكك واسعد أحمد علي.

97. صناعة الكتابة ، ط4 ، دمشق ، دار السؤال ، 1401هـ/1981م.

محمد ، نبيلة حسن.

98. في تاريخ الحضارة الإسلامية ، د.م ، دار المعرفة الجامعية ، د.ت .

محمود ، حسن محمود وأحمد الشريف.

99. العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط5 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ت .

مدكور ، محمد سلام.

100. معالم الدولة الإسلامية ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1403هـ/1983م.

المدور ، جميل نخلة.

101. حضارة الإسلام في دار السلام ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، 1355هـ/1936م.

المصرف ، ناجي زين الدين.

102. بدائع الخط العربي ، حققه عبد الرزاق عبد الواحد ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ،1972م.

مصطفى ، علي عبد القادر.

103. الوزارة في النظام الإسلامي وفي النظم الدستورية المعاصرة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1401هـ.

معلوف ، لويس معلوف (و آخرون).

104. المنجد في اللغة و الإعلام ، ط25، بيروت ، دار المشرق ، د.ت.

المقداد ، محمود المقداد.

105. تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 1413هـ/1993م.

المقدسي ، أنيس المقدسي.

106. تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1922م.

موسى ، أشرف محمد.

107. الكتابة العربية الأدبية والعلمية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1978م.

ناجي معروف.

108. أصالة الحضارة العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، 1395هـ/1975م.

النبراوي ، فتحية النبراوي.

109. تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1414هـ/1994م.

نصّار ، حسين نصّار.

110. نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1422هـ/2002م.

الهاشمي ، أحمد الهاشمي.

111. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، د.م ، دار الفكر ، د.ت .

الهاشمي ، محمد علي.

112. عدي بن زيد الشاعر والمبتكر ، حلب ، المكتبة العربية ، 1387هـ/1967م .

ونسنك .

113. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، الإتحاد الأممي للمجامع العلمية ، مطبعة بريل ، 1965م .

اليوزبكي ، توفيق سلطان.

114. دراسات في النظم العربية الإسلامية ، الموصل ، دار الكتب ، 1399هـ/1979م.

115. الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (132-447هـ) ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب – جامعة الموصل ، 1396هـ/1976م .

خامساً: الرسائل العلمية .

أمام ، محمد أبو محمد .

1 . نظم الحكم في العصر العباسي الأول ، رسالة لنيل درجة درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1408هـ ، لم تنشر .

بادحدح ، ماجد عبود .

2. صناعة الكتابة والكتاب في عهد الرسول ρ والخلفاء الراشدين ، رسالة لنيل درجة الماجستير في علوم المكتبات والمعلومات ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، 1420هـ/ 1999م ، لم تنشر .

الحارثي ، حسن علي .

3. الرقابة الإدارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة 132هـ حتى نهاية 247هـ ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1414هـ ، لم تنشر .

الحارثي ، عائض سعد .

5. ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السادس الهجري وأثره في تطور الأساليب النثرية ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والبلاغة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1403هـ ، لم تنشر .

الزهراني ، أحمد سعيد .

5. آثار البرامكة وبني سهل والصوليين على النثر الفني ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب والبلاغة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1410هـ ، لم تنشر.

خماش ، نجدة .

6. الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ ، جامعة دمشق ، دمشق ، د.ت ، لم تنشر .

سادساً : الدوريات .

أمين : نضال عبد العالي .

1. أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، مجلة المورد ، المجلد 15، العدد الرابع ، 1986م.

الحاجري ، محمد طه .

2. الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد 13، 1965م.

الحارثي : حسن بن علي .

3. وظيفة الوزير الكتابية في الدولة الإسلامية خلال الفترة 132- 247هـ/749-861م ، مجلة التاريخ والمستقبل – كلية الآداب – جامعة المينا – عدد يوليو – 2002م.

حكمت : عبد الوهاب .

4. الكُتَّاب في العصر الجاهلي ، مجلة الأقلام ، السنة الخامسة ، بغداد ، 1968م.

الراوي :عبد اللطيف بمشاركة عبد الإله نبهان .

5. رسالة في صناعة الكتابة ، مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ، 63 ، صفر 1408هـ/1987م.

رفقه : رويده .

6. الكاتب في حضرة الخليفة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد الأول ، أيار،1980م.

العشيري : محمد رياض .

7. صور من الحياة الإسلامية في فن التوقيعات ، مجلة الفيصل ، العدد 33 ، ربيع الأول ، 1400هـ .

علبي : أحمد .

8. الكتابة الديوانية في العصـــر الإســـلامي ودور ابن المقفع ، مجلة الآداب،العدد1-3 ، 1985م.

عواد : كور كيس .

9. الورق أو الكاغد وصـــناعته في العصـــور الإســـلامية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد 23 ، دمشق ، 1948م.

يونس : عبد الحميد .

10. الكاتب الأول عبد الحميد الكاتب ، مجلة الهلال ، العدد 9 ، السنة 81 1973م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله